المجال الحضري بالدار البيضاء بين الإنتاج العمراني ومعاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي: مقارنة بين مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا

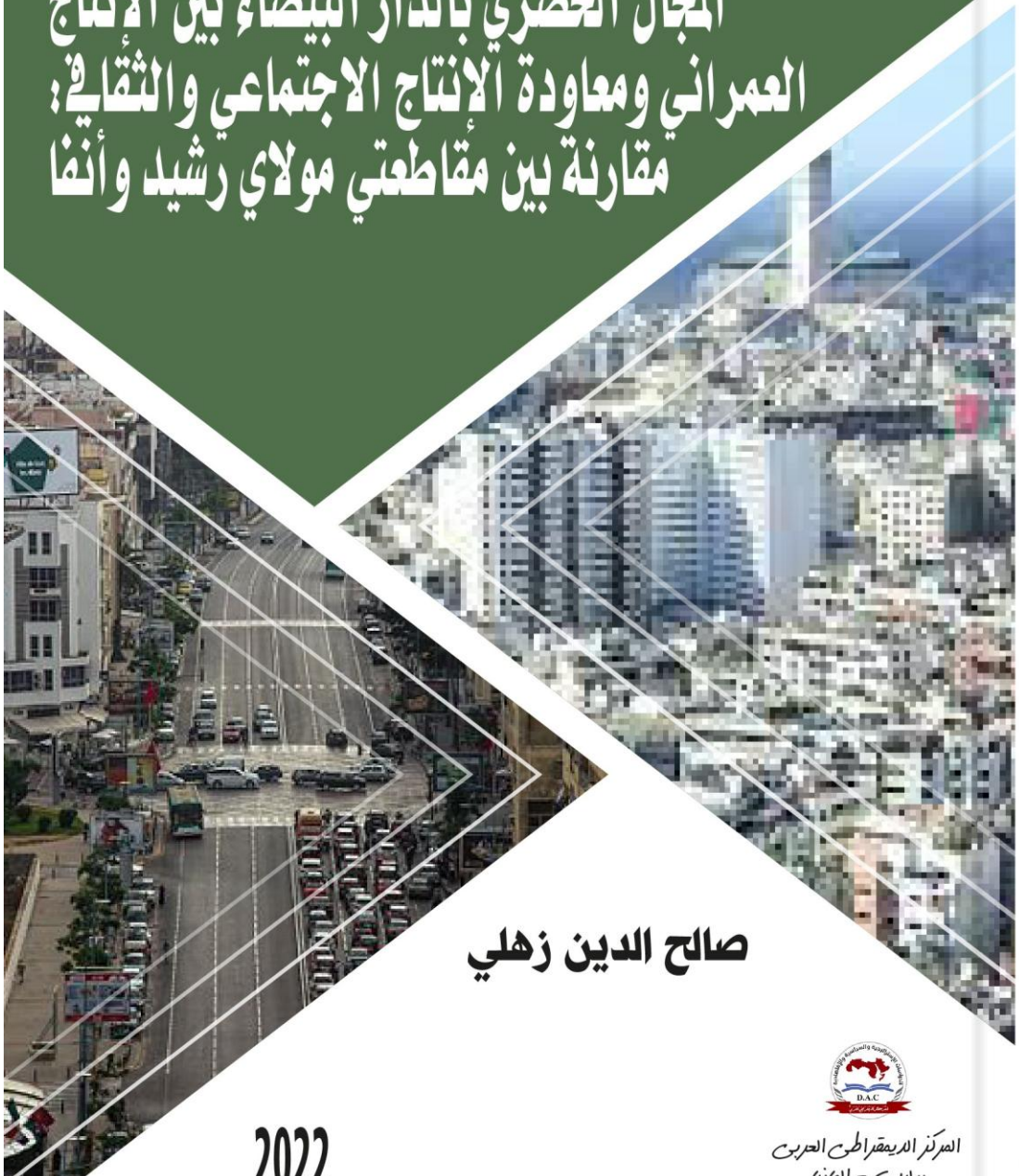

صالح الدين زهلي

2022

المركز الديمقراطي العربي
برلين - ألمانيا

المجال الحضري بالدار البيضاء بين الإنتاج العمراني ومعاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي:
مقارنة بين مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا

Democratic Arabic Center
Berlin - Germany

VR . 3383 – 6650 B

DEMOCRATIC ARABIC CENTER
Germany: Berlin 10315 Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de
TEL: 0049-CODE
030-89005468/030-898999419/030-57348845
MOBILTELEFON: 0049174274278717

الـنـــــــــــاشـــــــر:

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية
ألمانيا / برلين

Democratic Arab Center
For Strategic, Political & Economic Studies
Berlin / Germany

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه
في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.
جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved
No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher.

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين

Tel: 0049-code Germany
030-54884375
030-91499898
030-86450098

الإلكتروني البريد
book@democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

الكتاب : المجال الحضري بالدار البيضاء بين الإنتاج العمراني ومعاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي: مقارنة بين مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا

تأليف :صالح الدين زهلي

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

مدير النشر: د. أحمد بوهكو

إشراف وتنسيق: د. تمار ربيعة، المركز الديمقراطي العربي برلين – ألمانيا

مساعد مدير النشر: د. حنان طرشان جامعة باتنة 1،الجزائر

رقم تسجيل الكتاب: VR.3383-6650B

الطبعة الأولى يونيو حزيران / 2022 م

الآراء الواردة أدناه تعبّر عن رأي الكاتب ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر المركز الديمقراطي العربي

المجال الحضري بالدار البيضاء بين الإنتاج العمراني ومعاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي:

مقارنة بين مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا

L'espace urbaine à Casablanca entre la production urbaine et la reproduction sociale et culturel : une comparaison entre la commune Mly Rchid et Anfa

تأليف

صالح الدين زهلي

2022

الملخص تعتبر الجغرافية النقدية والجغرافية الإنسية من بين فروع الجغرافيا الهادفة إلى معالجة القضايا المجالية والاجتماعية التي أفرزتها الحقبة الاستعمارية أو حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. تضمنت هذه الفروع المنبثقة عن الجغرافية البشرية حقلا دلاليا متنوعا من قبيل جغرافية التمثلات وجغرافية الإدراك والمجال المخطط واللاعدالة المجالية والاجتماعية والمستقر أو عمارة المكان وعلم النفس المجالي والمجال المعاش. يعتبر هذا الأخير من بين المفاهيم التي تحاول البحث في التعارض بين الاختيارات العمومية لتهيئة التراب، وبين المجال المعاش الذي ترغب فيه الساكنة أو الذي قامت بإعادة إنتاجه حسب منظورها الخاص. تحاول هذه الدراسة الخوض في هذا التناقض المجالي في مدينة الدار البيضاء حالة مقاطعة أنفا- كنموذج عن مقاطعات المركز- ومقاطعة مولاي رشيد –كنموذج عن مقاطعات الهامش-. وذلك عبر تقديم تحليل سوسيومجالي يساءل المتغيرات المتحكمة في إنتاج المجال من منظور سياسي اقتصادي أو الإنتاج السياسي للتراب والاختيارات الإستراتيجية للتخطيط الحضري، ويساءل أيضا المحددات المسؤولة عن إعادة الإنتاج، أي المجال المعاش الذي تتموقع فيه الحياة اليومية كإعادة إنتاج اجتماعي وثقافي للأفراد، وما تفرزه هذه العملية من انعكاسات على مستوى الممارسات المجالية والتمثلات الاجتماعية للمجال، وتباين مستويات الوعي بالمواطنة والاندماج الحضري والشعور بالانتماء للمدينة والحق في المدينة.

الكلمات المفاتيح: المجال المعاش، التخطيط الحضري، اللاعدالة المجالية والاجتماعية، المستقر، الحق في المدينة.

Résumé La géographie critique et la géographie humaniste ont constitué un tournant dans les sujets géographiques visant à aborder les problèmes spatiaux et sociaux résulté de l'époque coloniale ou de l'après-Seconde Guerre mondiale. Ces disciplines géographiques issues de la géographie humaine ont inclut une variété de sémantiques telles que la géographie des représentations, la géographie de la perception, l'espace conçu, l'injustice spatiale et sociale, l'habiter, la psychologie spatiale, l'espace vécu. Ce dernier est considéré comme l'un des concepts les plus importants qui tentent à chercher la discordance entre les choix publics de préparer le territoire et l'espace vécu que les habitants désirent ou qu'ils reproduisent selon leur propre perspective. Cette étude tente à approfondir cette contradiction spatiale dans la ville de Casablanca, le cas de l'arrondissement Anfa et Moulay Rachid, en présentant une analyse socio spatiale qui interroge les variables contrôlant la production de l'espace dans une perspective politique et économique ou la production politique du territoire, et les choix stratégiques de l'urbanisme, et interroge également les déterminants responsables de la reproduction, c'est-à-dire l'espace vécu où la vie quotidienne est située comme la reproduction sociale et culturelle des individus, et les réflexions produites par ce processus au niveau des pratiques spatiales et des représentations sociales de l'espace, et des différents niveaux de citoyenneté, d'intégration urbaine et d'appartenance à la ville et le droit à la ville.

Les mots clés : l'espace vécu, la planification urbaine, l'injustice spatiale et sociale, l'habiter, le droit à la ville.

مقدمة عامة

عرفت الجغرافيا على مر التاريخ عدة منعطفات واتجاهات فكرية على مستوى المفهوم والمنهج والتصور النظري والبراديغم الخاص بها. حيث اهتمت في أول الأمر بالوصف، لتنتقل بعد ذلك إلى عمليات التفسير والتحليل. بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ستعرف الجغرافيا نقلة نوعية على مستوى الموضوع والمقاربة، إذ لم يعد الجانب الإحصائي والرأسمالي محط اهتمام الجغرافيين النقديين والإنسيين والراديكاليين خصوصا الأنجلوساكسونيين منهم، وإنما انصبوا على دراسة آثار الحرب على المستوى المجتمعي والاجتماعي والمجالي. كما اهتموا بمعالجة نتائج ظهور الطبقية الاجتماعية وما أفرزته من تفاوتات واختلالات مجالية واجتماعية.

شكلت سنوات الستينات والسبعينات من القرن الماضي بالنسبة للجغرافيا فترة تحول منهجي وفكري، إذ أدت التحولات التي شهدها العالم إلى تحيين الاهتمامات البحثية، وجعلها تنصب حول إشكالات العصر السوسيومجالية، فظهرت مفاهيم مستحدثة على جدول أعمال بحث الجغرافيين. من بينها، تلك التي ترتكز على التمثلات الرمزية للمجال والأماكن والمدن.

ظهرت هذه الاهتمامات والمفاهيم في السبعينيات، وتطورت أكثر في الثمانينيات، وأصبحت موضوعًا للجغرافية المعاصرة النقدية والإنسية، والتي وظفت من أجل ذلك حقلا دلاليا متنوعا من قبيل المجال الممثل والمجال المخطط والمجال المدرك والمجال المخيال والمجال المعاش والمجال المديني. وهي مفاهيم أساسية تندرج في الإطار العام للتدبير المجالي للمدن[1].

ارتبطت معظم الأعمال الجغرافية المهتمة بالتمثلات الرمزية للمجال، وبإشكالية المجال من الزاوية غير المرئية واللامادية ببعض الشخصيات البارزة مثل أنطوان بايي Antoine Bailly ، ارمون فريمون Frémont Armand ، دي ميو Di Méo وبول كلافال Paul Claval. وقد وظفوا لتلك الغاية بعض التعبيرات من قبيل "جغرافية المجال المعاش" و "جغرافية التمثلات" و"جغرافية الإدراك" و"جغرافية الحياة اليومية". وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى تقديم تصور آخر في التعاطي الجغرافي مع المجال، عبر تغيير الأساليب المعرفية والخطاب والمواقف والمناهج والتصورات النظرية ذات البعد المادي والرأسمالي المعتمد على الكم، من خلال إدماج البعد الإنسي l'humanisme الهادف إلى تمجيد الإنسان في المقاربة المجالية. في هذا الإطار، أشار أنطوان بايي إلى أن الجغرافي الإنسي هو شخص يتساءل عن التجربة الوجودية التسكانية بما فيها من جوانب شخصية وأيديولوجية وكونية: إن الجغرافيا هنا تصبح تأملا وفضاءً للتفكير والحكمة في مصاف أشكال الفكر الكبرى. الجغرافي الإنسي يرى أن المجال المعاش وحده يسمح بالتمكن أحسن من غيره بالقاعدة الزمكانية والثقافية للتجربة اليومية العادية[2].

ظهرت خلال هذه الفترة (سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي) تيارات وتوجهات تنادي بالعودة إلى الاهتمام بحاجيات ورغبات الإنسان في المجال، كما خرجت إلى العلن أيضا كتابات تنتقد التعاطي الكلاسيكي مع الظواهر

[1]Matthieu Pichon,(2015) « Espace vécu, perceptions, cartes mentales : l'émergence d'un intérêt pour les représentations symboliques dans la géographie française (1966-1985) », Bulletin de l'association de géographes français [En ligne], 92-1 | 2015, mis en ligne le 22 janvier 2018, consulté le 21 décembre 2020. URL : http://journals.openedition.org/bagf/502 ; DOI : https://doi.org/10.4000/bagf.502, p 96

[2] BAILLY Antoine.(1996) L'humanisme en géographie, Anthropos. Paris, p 45

الجغرافية، وإهمال الإنسان لحساب ما هو مادي، ومن تم ظلت تدعو إلى الرفع من قيمة المواضيع، عبر جعل الإنسان محور اهتمام الجغرافيا. اجتمعت هذه الأفكار التنويرية في بعض فروع الجغرافية الاجتماعية المعاصرة، والمتمثلة في الجغرافية النقدية والجغرافية الإنسية والجغرافية الراديكالية وجغرافية ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية. وقد حاولت هذه الفروع تبني مناهج محينة، بعضها مقتبس من بعض العلوم الاجتماعية والإنسانية (علم الاجتماع وعلم النفس والإثنوغرافية والأنتروبولوجية)، باعتبارها علوما متمحورة حول الإنسان، والبعض الآخر مستلهم من مناهج العلوم الحقة المعتمدة على تقنيات الإشباع saturation والتجريب للوصول إلى الحقيقة.

اهتمت الجغرافية الإنسية والنقدية بمقاربة المجال انطلاقا من الثلاثية المجالية[3] (La triplicité de l'espace) والتي تتضمن : المجال المعاش (l'espace vécu) والمجال المدرك (l'espace perçu) والمجال المخطط (l'espace conçu)، إذ تعنى هذه المفاهيم بدراسة ظواهر الجغرافية الحضرية، وتتخذ من الإنسان محور الدراسة المجالية، باعتبار الإنسان دائم البحث عن تمثلاته في مجاله الخاص.

اختارت الجغرافية النقدية والجغرافية الإنسية تنويع مستويات المقاربة المجالية وعناصر التفسير، انطلاقا من الأبعاد الاجتماعية والتمثلات والتصورات، وصولا إلى إبراز التفاعل بين الإنسان والمجال، ودراسة الواقع كما يعيشه الإنسان، وليس كما هو مفروض عليه. ولم تقتصر الدراسات على تمثلات وتصورات الإنسان بالنسبة لمجال عيشه، بل انشغلت أيضا بدراسة المعاش اليومي للساكنة، بهدف استخلاص الممارسات اليومية للفرد والجماعة، وبذلك أسهمت في البحث عن المسكوت عنه في تفاصيل اليومي المعاش، وعن المهيمن الخفي، وكذا عن سلطة المخفي في توجيه السلوك اليومي المتحكم في الثقافة السائدة. كل ذلك بغية استنتاج الشرعية الترابية للفاعل الفرد، واستنتاج العلاقة الثلاثية التي ستفرزها التفاعلات بين متغيرات الفرد والجماعة والمجال.

تتمحور هذه الدراسة كما هو واضح من خلال العنوان حول الإنتاج العمراني ومعاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي، ويعتبر مفهوم المجال المعاش المنبثق من الثلاثية المجالية (المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش) من أقوى المفاهيم المعبرة والحاملة لمضامين الإنتاج ومعاودة الإنتاج، وربطه بإنتاج وبإعادة إنتاج المجال، يحيل على قوة العلاقة التفاعلية وعلاقة التأثير والتأثر بين هذه العناصر الثلاثة. قبل الخوض في تلك العلاقة، نستهل هذه المقدمة بتصور نظري لمفهوم المجال المعاش l'espace vécu باعتباره مفهوما مركزيا وأرضية للإطار النظري للبحث.

1: المجال المعاش مفهوم مركب متعدد الدلالات

استعمل مفهوم المجال المعاش لأول مرة في الدراسات الجغرافية خلال سبعينات القرن الماضي، وقد اتخذ عدة معاني ودلالات، تتعدد باختلاف المرجعية والاديولوجية والإطار الزمني والمكاني. لذلك حاولنا من خلال هذا التأطير النظري استلهام مفهوم المجال المعاش من المنظرين الأوائل. وقد تبين أن هناك تضارب للآراء بين الجغرافيين الغربيين حول التوظيف الأول لمفهوم المجال المعاش، إذ يرى البعض أن السبق –هنا- كان للمخطط الحضري هنري

[3] مفهوم ذكره هنري لوفيبر في كتابه : la production de l'espace وذلك للدلالة على المفاهيم التالية: المجال المعاش، المجال المدرك، المجال المخطط.. LEFEBVRE Henri (1968) la production de l'espace.Economica, 4ème édition, 2000.

لوفيبر Henri Lefebvre، من خلال كتابه La production de l'espace، والذي ألفه سنة 1974، حيث قام بمقاربة المجال المعاش ضمن الثلاثية المجالية: المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش.

في حين هناك من المفكرين الغربيين من يعتبر الجغرافي الفرنسي أرمون فريمون من أوائل المنظرين والمستعملين للمفهوم، وذلك من خلال مقاله:

La région essai sur l'espace vécu, ، الذي نشره سنة 1972 في مجلة Mélanges ، ومن خلال مؤلفه la région espace vécu، الذي ألفه سنة 1976.

وظف ارمون فريمون مفهومين أساسيين لتعريف المجال المعاش. فقد أشار في هذا الصدد إلى أن مفهوم مجال الحياة l'espace de vie ؛ يطلق على مجموع الأماكن التي يتردد عليها الفرد أو جماعة (أماكن العمل والسكن والترفيه). كما أنه وظف –أيضا- مفهوم المجال الاجتماعي l'espace socia ، واعتبره مجموع الأماكن التي يرتادها فرد أو جماعة بالإضافة إلى مجموع العلاقات الاجتماعية الكامنة في هذه الشبكة العلائقية. ومع سيرورة البحث، قدم فريمون مفهوما أوسع للمجال المعاش، واعتبره مجموع أماكن مجال الحياة والمجال الاجتماعي بالإضافة إلى القيم النفسية المرتبطة بتلك الأماكن، والتي تجعل الإنسان مرتبطا بها بروابط غير مادية[4]. لذلك فهو يعتقد أن دراسة المجال المعاش لا تقتصر على تحليل الأماكن التي يرتادها أي شخص أو جماعة في مجال الحياة، بل يجب أيضًا دمج حمولة القيم المتوقعة من طرف الإنسان اتجاه الأماكن[5].

خلص ارمون فريمون في معرض حديثه عن المجال المعاش في كتابه la région espace vécu إلى بعض الاستنتاجات، من أهمها على سبيل المثال لا الحصر: أن المجال المعاش هو تجربة مستمرة في الحياة، وهو مجال دينامي ومجال الزمن المعاش. كما يعتبر مجالا للأنانية والذاتية المجالية، يرتكز على الأنا وبشكل خاص على الجسم ورغباته المجالية[6].

من جهته، عرف هنري لوفيبر Henri Lefebvre المجال المعاش بكونه مجال التمثلات les représentations والتصورات les perceptions ، وهو مجال خارج عن نظام القانون ومجال الذات، يعاش عن طريق الصور والرموز المرافقة عبر السكان والمستخدمين، ومن تم فهو مجال السيطرة والخضوع الذي يحاول المخيال تعديله وتملكه[7]. وهو المساهم في عملية إعادة إنتاج المجال من المنظور الثقافي والذاتي، الناتج عن التمردات المجالية الذاتية.

لتعميق النظر في المفهوم، لابد من التمييز بين عدة تصورات تندرج هي الأخرى في المفهوم. فقد ركز هنري لوفيبر في ثلاثيته المجالية -وتحديدا في الجزء الخاص بالمجال المعاش- على المشاهد التي أعيد إنتاجها من قبل الفرد إثر تمردات مجالية، تمظهرت في الخروج عن قوانين التعمير المعمول بها، فنزّل بذلك على المجال تصوراته الذهنية. في حين ركز أرمون فريمون بالإضافة إلى مجالات إعادة الإنتاج على الجانب النفسي للفرد، والمتعلق بالرغبات المجالية، أي المجال الذي مازال حبيس الذهن، والذي لم يجد بعد الفرصة للتفعيل والأجرأة المجالية، وهو جزء هام في التنظير للمجال المعاش.

[4]FREMONT, Armand. (1980) L'espace vécu et la notion de région, travaux de l'institut géographie de reins, n° 41-42 p 49
[5] FREMONT, Armand. (1974) Recherche sur l'espace vécu, université de Caen , In: Espace géographique, tome 3, n°3, 1974. pp. 231-238 PARIS, p 233
[6] FREMONT, Armand. (1980) L'espace vécu et la notion de région, travaux de l'institut géographie de reins, n° 41-42 , p68
[7] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000.

يتميز المجال المعاش بكونه مؤسس حسب إدراك الفرد وتصوره، وحسب فكره وثقافته. فهو ناتج عن فهم ومعرفة الأفكار والثقافات السائدة، وهو إنتاج محلي ينبني على حاجيات الفرد في الشكل والمضمون. يمكن للإنسان التعايش معه بدل إدراكه وفرض الذات عليه، وهو –أيضا- مجال ناتج عن تحقيق مبدأ الملاءمة والتلاؤم، ثم التوازن بين الإنسان والمجال والزمان.

يعد المجال المعاش في الدول الغربية -التي تمتع مواطنها بالديمقراطية التشاركية- بمثابة مجال للتشاور والتشارك والتوافق والتوازن، إذ يعتبر تفعيله مدخلا استراتيجيا للوصول إلى ذوق المستهلك ونمط عيشه الحقيقي. لذلك فهو مجال يستجيب للحاجيات المتجددة للمواطنين –الكمية والكيفية- بناءً على الخصوصية الجهوية والمحلية، أي مجال التهيئة الديمقراطية، بدل التطبيق المعياري لتقنيات المهندس ورغبات المقاول والمستثمر على حساب الأزمة، ومجال التهيئة التشاورية التفاوضية بدل التهيئة الإجبارية[8].

قدم محمد بلفقيه تصوره للمجال المعاش، حيث أشار إلى أن المنطلق الأساسي للممارسة المجالية هو مجال معاش، ومجال متمثل. فالسلوك المجالي ينطلق من صورة ذهنية ذاتية، ليحدد قراره من حيث التوطن والتردد والارتياد واختيار الوجهة والمسار والإقامة والترفيه. هذه الصورة الذهنية هي ذاتية أساسا وجزئية وغير موضوعية، تخضع لمتغيرات الوسط والمستوى الاجتماعي والمستوى التعليمي والتكوين والإيديولوجية والسن والنوع والعادات والممارسة والأفكار المسبقة والمهنة . أي أن تمثل المجال الجغرافي باعتباره مجال معاش يختلف حسب الأفراد والجماعات، فلكل فرد تصور وتمثل ذهني، وإدراك حسي خاص للمجال الذي ينتمي إليه ويتفاعل فيه. وهذا الإدراك والتصور هو الذي يحدد المواقف والممارسات والسلوكات النفسية للشخص أثناء تعامله مع هذا المجال الجغرافي[9].

ومن جهته، عرف مصطفى يحياوي المجال المعاش باعتباره مجال الخروج من نظامية القانون للأمكنة إلى أمكنة إرادية وإلى استعمالات مكانية تخضع لإرادة الأشخاص، بالإضافة إلى كونه مجال الخروج من الحرية المقيدة إلى الحرية المطلقة. وهو مجال الذاتية في المجال، يتحقق بالخروج من الطابع المادي عن طريق التصورات والانطباعات الفكرية والثقافية والذاتية. يدركه الإنسان حسب مخيلته، التي تفضي إلى اللاقانون في المجال.

وبهذا، يتضح أن المجال المعاش يحمل في طياته كل مضامين ومعاني معاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي للمجال الحضري، من خلال ارتكازه على البعد الثقافي والاجتماعي والذاتي والوجداني الذي يساهم في ظهور مجالات ذاتية واجتماعية حسب رغبات الساكنة، تكون عبارة عن تمردات مجالية مغايرة للمجال الناتج عن الإنتاج العمراني المخطط، أي إنتاج المجال الناتج عن البعد السياسي والتخطيطي، والمتضمن للمخططات والتصاميم التي تهيكل المدينة.

---

[8] جعفر، عادل. (2012) إنتاج المجال: من التعمير الإجباري إلى التعمير التوافقي جودة المجال جودة الحياة، مقال منشور في موقع tanmia.ma6 ص (2018\04\11 تاريخ الاطلاع)، الرباط،

[9] بلفقيه، محمد. (2002) الجغرافيا القول عنها والقول فيها :المقومات الإبستيمولوجية، دار نشر المعرفة ،الطبعة الأولى، الرباط،.ص 312.

2: الدراسات السابقة المرتبطة بالمجال المعاش

عمل الجغرافيون منذ سبعينات القرن الماضي على توظيف مفهوم المجال المعاش في دراساتهم، سواء الخاصة بالمجالات الحضرية أو القروية، باعتباره من المفاهيم الجغرافية التي تأخذ بعين الاعتبار تموقع ومكانة وحاجيات الإنسان في الإعداد، وتجعل من الجغرافيا علما للإنسان بدرجة أساسية (الجغرافية الإنسية)، عوض التركيز على الجوانب المادية والملموسة.

ولعل من أهم الدراسات التي قاربت موضوع المجال المعاش، نسجل الأبحاث التي قام بها أرمون فريمون [10] في منطقة نورماندي في الشمال الغربي لفرنسا، ومنطقة كان Caen الفرنسية والأحواض الباريسية. حيث قام بدراسة المجال المعاش انطلاقا من العلاقات الوجدانية والنفسية التي تربط الإنسان بمجال عيشه، وقد حاول من خلال تعدد المجالات توضيح الفروق بين المجال المعاش في المدينة والقرية والمجالات المحيطة بالمدن على مستوى تمثلات الإنسان لمجال عيشه، وركز في أبحاثه على استنباط المجالات الذهنية والنفسية الحاضنة للرغبات المجالية.

تقصى أرمون فريمون نتائجه بشكل كبير عند الفئات الاجتماعية الشعبية والمتوسطة، حيث قارن سنة 1972 بين المجال المعاش عند المزارعين الكبار والصغار وتجار الماشية، والمجال المعاش عند العمال المعاصرين. وقد توصلت دراسته إلى مدى اختلاف المجال المعاش حسب الطبقة الاجتماعية وحسب الوضعية السوسيومهنية، إذ يعيش المزارع في مساحة محدودة وواضحة ومعروفة لديه، في حين يعيش العامل المعاصر في مساحة منقسمة بين أماكن وظيفية (مكان العمل ومكان الشراء ومكان الإجازات) متميزة عن بعضها البعض. وقد سجل التمحيص عدم تشابه شبكة التكرارات، وكذا القيم النفسية التي تتأثر بالأماكن التي يرتادها الفرد، فالاهتمام بتجويد حياة الإنسان، يقتضي التركيز على القيم النفسية التي تربط الإنسان بمجال عيشه[11].

أنجز الجغرافي الفرنسي كايي Gallais Jean [12] سنوات السبعينات دراسات جغرافية وسيكوسوسيولوجية بالمناطق المدارية وبمنطقة النيجر، وقد وضع أهم نتائجها في مجموعة من المقالات، منها:

- Gallais Jean. 1976 « De quelques aspects de l'espace vécu dans les civilisations du monde tropical ». In: Espace géographique, tome 5, n°1, 1976. pp. 5-10;
- Gallais Jean 1973, Notions d'espace vécu dans certaines civilisations du monde tropical. Supplément aux Cahiers du département de géographie de Caen, p. 71-80.

[10] Armand Frémont أرمون فريمون ، ولد يوم 31 يناير 1933 ، جغرافي فرنسي .اشتهر بكونه من أوائل المنظرين لمفهوم المجال المعاش من خلال مؤلفه:; la région, espace vécu وقد دفعه هذا بعد ذلك إلى تنشيط جغرافية التصورات والتمثيلات .وقد ألف أيضًا العديد من الأعمال في الجغرافية الإقليمية والجغرافية الاجتماعية، وهو والد أنطوان فريمون ، جغرافي متخصص في النقل البحري والعولمة.

[11] FREMONT, Armand. (1980) L'espace vécu et la notion de région. In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, n°41-42. Analyse régionale. Réflexions critiques, concepts, techniques, études de cas. pp. 47-58

[12] أستاذ الجغرافيا الاستوائية بجامعة باريس السوربون – .مستشار في أفريقيا – ORSTOM.متخصص في الساحل - .عضو أكاديمية العلوم والآداب والفنون في روان.

فمن أجل شرح التشكيل الجغرافي للمجال، اهتمت أبحاث كايي Gallais بالعلاقات التي تربط كل قبيلة إثنيا بمكونات المجال، إذ لكل قبيلة خصوصيتها من حيث السلوكيات والعلاقات مع المجال، تحددها نظرتها الخاصة للأشياء. كما كان له الفضل في تقديم نتائج حول المقاييس والمعايير التي تتحدد من خلالها مكونات المجال المعاش، وكيف يتشكل هذا المجال في النهاية. كما مكنت دراساته من معرفة الروابط بين الخصائص النفسية والإبداعية والمجال المعاش.

3: الإطار المجالي والزمني للدراسة

تم حصر مجال الدراسة في مدينة الدار البيضاء، وتم اختيار مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا كمجالين للتحقق واستخلاص النتائج. وقد تحكمت مجموعة من العوامل في هذا التحديد، إذ جاء اختيار مقاطعة مولاي رشيد باعتبارها منطقة تندرج حسب نظرية المركز والهامش لصاحبها سمير أمين [13] ضمن هامش مدينة الدار البيضاء، بحمولته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبقية والمجالية، فهذه المقاطعة وكما توضح أرقام المندوبية السامية للتخطيط، وكما سنرى في الفصل الثاني من هذه الدراسة، تضم مؤشرات سلبية من حيث المعطيات الاجتماعية والديمغرافية والاقتصادية، من قبيل ارتفاع نسبة الأمية وارتفاع الكثافة السكانية، وتفاقم البطالة وتضخم معدلات الفقر والهشاشة والسكن الصفيحي والمتقادم.

تتميز المقاطعات (سيدي عثمان وسيدي مومن وسباتة) المتاخمة لمقاطعة مولاي رشيد بنفس الوضعية الاقتصادية والاجتماعية والمجالية. لهذا جاء اختيار مقاطعة مولاي رشيد باعتبارها الأكثر ارتفاعا للمؤشرات المذكورة، ولكونها نموذجا للمقاطعات المتمركزة ضمن هامش المدينة حسب النظرية المذكورة.

بخصوص مقاطعة أنفا، فتتميز بمؤشرات اجتماعية واقتصادية إيجابية، من خلال انخفاض معدلات الأمية والفقر والهشاشة، كما تتمتع بارتفاع مؤشر النشاط الاقتصادي، وسيادة الفئات الغنية وأحياء الفيلات، إذ تضم المنطقة أغلى العقارات في المغرب. الشيء الذي جعلنا ندرجها كنموذج عن مقاطعات مركز مدينة الدار البيضاء الذي يضم أيضا مقاطعتي المعاريف وسيدي بليوط. ولتوضيح الرؤية أكثر، خصصنا الفصل الثاني من هذه الدراسة لتبيان الوضعية الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية للمجالين المدروسين مقارنة مع باقي مقاطعات الدار البيضاء.

على مستوى الإطار الزمني، فبالنسبة للمعطيات الميدانية الخاصة بكل مقاطعة أو ما يسمى بالمعطيات الأولية[14]، فقد حصرنا الدراسة في الفترة الزمنية ما بين 2019-2021. أما بالنسبة للمعطيات الإمبيرقية والإحصائية أو ما يسمى بالمعطيات الثانوية[15]، فقد تمت الاستعانة بمعطيات المندوبية السامية للتخطيط، وتحديدا إحصاء 2014.

---

[13] سمير أمين(1931-2018)، مفكر وسياسي وعالم اقتصاد مصري، له أزيد من 100 مؤلف ومقال في الاقتصاد والمالية، شغل عدة مناصب سياسية واقتصادية في عدة دول، كما عمل كمستشار اقتصادي لمنظمة الأمم المتحدة، وظف نظريته في البداية للدلالة على الفروق الاقتصادية بين الدول المتخلفة والنامية التي أدرجها ضمن خانة الهامش، وبين الدول الرأسمالية الغربية المتقدمة في الميادين الاقتصادية، إلا أنه أبان في عدة مؤلفات على أن نظرية المركز والهامش(الأطراف) يمكن أن نجدها حتى داخل نفس البلد وحتى داخل نفس المدينة، وذلك من خلال تباين النمو الاقتصادي والاجتماعي بين المجالات.

[14] تشير البيانات الأولية Les données primaires إلى البيانات المباشرة التي جمعها الباحث نفسه. البيانات التي جمعت في الوقت الفعلي للدراسة، مصدر هذه المعلومات هو الاستطلاعات والملاحظات والتجارب والاستبيانات والمقابلات الشخصية وما إلى ذلك.

[15] البيانات الثانوية Les données secondaires تعني البيانات التي تم جمعها مسبقًا من قبل شخص آخر. وهي البيانات السابقة والسريعة والسهلة ، مصدرها في الغالب من المنشورات الحكومية ، والمواقع الإلكترونية ، والكتب ، والمقالات الصحفية ، والسجلات الداخلية .

4: إشكالية البحث

ركزت الدراسات المرتبطة بالمجال المعاش على البعد الوجداني والاجتماعي للإنسان، من خلال تعميق النظر في الانطباعات الفكرية للإنسان تجاه مجاله الخاص، والنظر في القيم العاطفية التي تربط الإنسان بالأماكن عبر الممارسات اليومية المتمثلة ذهنيا وعقليا espace mental [16]. بالإضافة إلى النظر في المجال المعاش الذي أعيد إنتاجه بفعل التمرد على المجال.

تأسيسا على ذلك، يلاحظ اليوم أن المجتمع البيضاوي يعتبر من المجتمعات التي أسست مجالها المعاش المتميز بالتفرد والتنوع والتناقض. فهو من المجتمعات التي عرف مجالها الجغرافي مجموعة من التعديلات والتمردات المجالية، وعبرت من خلالها عن رفضها لتصاميم التهيئة وللمخططات المديرية، بعدما فرضت عليها دون استشارتها وإشراكها في العملية. حيث أنشأت لنفسها مجالا يناسب تصوراتها وتمثلاتها ومصالحها الخاصة.

حسب السياق العام للتعمير، تعتبر مدينة الدار البيضاء منتوجا تاريخيا وتنظيما اجتماعيا وثقافيا مفتوحا، لها خصائصها الجغرافية والثقافية والاجتماعية المختلفة عن بعضها البعض والمتباينة ما بين المركز والهامش، تصنف حسب رأسمالها الوجودي إلى مجموعات ومستويات هرمية مختلفة (أغنياء وفئات متوسطة وفئات شعبية وفقراء). وقد ساهم تباين وتفاوت الرأسمال بمختلف أنواعه الأربعة (الاقتصادي والثقافي والرمزي والاجتماعي)[17] بالمدينة في تنويع الفئات الاجتماعية مجاليا، وفي تعدد أنماط السلوك والعيش، وفي اختلاف طرق التعامل مع المجال، الشيء الذي يجعلنا أمام ازدواجية التعامل المجالي.

يلاحظ اليوم أن جزءا من الساكنة البيضاوية قام بتحرير نفسه من القوانين المنظمة للمجال الحضري، تمظهر ذلك من خلال رفضه المجال المخطط (تصاميم التهيئة). ويظهر هذا من خلال ملاحظة بعض المتغيرات اللاحضرية التي غيرت المشهد الحضري للمدينة.

ترتب عن استغلال المجال حسب المخيلة بالتغيير والتعديل بأن جعل المجال الحضري للمدينة يتسم بثنائية العقلانية والتلقائية في الاستغلال في نفس الوقت. وهذا ما يجعل الحديث عن إعادة إنتاج المجال La reproduction de l'espace انطلاقا مما هو جغرافي ثقافي ذاتي، عوض الحديث عن الإنتاج العمراني وإنتاج المجال La production de l'espace انطلاقا مما هو سياسي واقتصادي.[18].

إن المتأمل في أشكال التنافر المجالي -على مستوى الشكل والمضمون- بمقاطعات المدينة، يسجل تباين حدة إعادة إنتاج المجال والتمرد على المجال بين المركز والهامش، أي تباين المجال المعاش في نفس المدينة، الشيء الذي

[16] MORIZOT, Aymeric. (2010) La compréhension de l'espace dans les enquêtes de la mobilité et de transport, Aix-en-Provence ; Géographie.. dumas-00773396 .p 24

[17] يعتبر الفيلسوف وعالم الاجتماع بيير بورديو من المنظرين لمسألة أنواع الرساميل في المجتمعات. يقصد بالرأسمال الاقتصادي: العوامل المختلفة للإنتاج (الأرض، المصانع، العمل، مجموع الثروات الاقتصادية، الثروات المادية. الرأسمال الثقافي: يمثل كل المهارات الفكرية سواء تلك المنتجة من المدرسة أو تلك الموروثة عن طريق العائلة. الرأسمال الاجتماعي: مجموعة العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد أو الجماعة. الرأسمال الرمزي: يتعلق بمجموعة الطقوس التي لها علاقة بالاعتراف والسمعة والسلطة التي يتمتع بها الفرد من خلال اكتسابه للأشكال الثلاثة الأخرى للرأسمال. بزبز عبد الكريم (2017) علم اجتماع بيير بورديو، الجزائر، ص 59

[18] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000.

سينعكس على مستوى التمثلات المجالية، وعلى عمارة المكان (المستقر)، والممارسات المجالية، ومستوى الشعور بالانتماء إلى المدينة، والرغبة والحق في المدينة.

انطلاقا من هذا التأطير النظري ولمقاربة الموضوع، سنحاول الإجابة عن التساؤل الإشكالي الآتي:

" ما مدى توافق وتطابق المجال المخطط مع المجال المعاش لمقاطعات المركز(حالة مقاطعة أنفا) ومقاطعات الهامش (حالة مقاطعة مولاي رشيد) في ظل تباين الخصوصيات المجالية والاجتماعية والاقتصادية واختلاف التمثلات الاجتماعية وتعدد أنماط الممارسات السلوكية والمجالية والثقافية اليومية والخصوصيات المحلية للساكنة؟"

للإجابة عن هذا التساؤل، ارتأينا أنه من الضروري تفكيكه وتجزيئه إلى تساؤلات فرعية، من أهمها:

- كيف ساهمت الظروف التاريخية التعميرية في الفارق بين المجال المعاش والمجال المخطط ؟ وما علاقة الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية بتباين المجال المعاش بين المقاطعات؟
- ما حجم التعارض la discordance بين المجال المخطط والمجال المعاش بالمقاطعات المدروسة؟ أو بعبارة أخرى، ما حجم الفارق بين إنتاج المجال وإعادة إنتاج المجال؟
- ما علاقة تباين التمثلات الاجتماعية لعمارة المكان بين مقاطعات المدينة في تباين المجالات المعاشة؟
- هل للخصوصيات المجالية ومظاهر اللاعدالة المجالية بالمدينة دور في التأثير على المجالات المعاشة؟ وإلى أي حد يمكن للمجال المعاش المساهمة في تباين الشعور بالانتماء للمدينة وتعزيز مظاهر المواطنة والاندماج الحضري؟

5: فرضيات البرهنة

ارتأينا وضع إجابات أولية للتساؤلات المطروحة، تعتبر فرضيات للبحث، وقد حاولنا استنباط هذه الفرضيات بعد تقعيد نظري متعدد المقاربات والمرجعيات والتوجهات. فبعد الاطلاع على الأدبيات الجغرافية المهتمة بالمجال المعاش (دراسات ارمون فريمون وكابي J.Gallais وشوفاليي Chevallier)، وبعد استلهام بعض نتائج التحريات الميدانية الخاصة بمدينة الدار البيضاء، ونخص بالذكر الدراسة التي قام بها المصطفى شويكي في أطروحته " إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء"، وبعد النظر في النتائج التي توصل إليها مصطفى يحياوي في مقال حول "المستقر والمجال المعاش في هامش المدينة المغربية"[19]، خلصت الدراسة إلى وضع الفرضيات الآتية:

- ساهمت السياسات الحضرية عبر المخططات والتصاميم في عهد الاستعمار(مخطط بروست ومخطط إيكوشار) في ترسيخ مظاهر التناقض المجالي بالمدينة، وفي إنتاج تفاوتات سوسيومجالية بين مركز المدينة والمناطق الهامشية، وفي تعميق الفارق بين المجال المعاش والمجال المخطط، وذلك عبر سياسة التمييز المجالي التي عززت من مكانة المركز على حساب الهامش.

[19] YAHYAOUI Mostafa et al,(2020), Habiter dans/à la périphérie de la ville, in : la marge entre discours géographiques et réalité de construction et reproduction des inégalités sociales, coordination Mohammed Aderghal et Ahmed Ait moussa , ANAGEM, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia p 121

- يختلف المجال المعاش بالدار البيضاء في التصور والتمثل بالنسبة للفرد والجماعة حسب مجموعة من المتغيرات المتحكمة في عدم انسجامه مع المجال المدرك والمخطط (العمر والجنس والوضعية السوسيومهنية ومستوى التمدرس والأمية ونوعية السكن والرغبة والحاجة والأصل الجغرافي والعلاقات الاجتماعية ودرجات الوعي المجالي والسلوك والثقافة الحضرية ودرجات الاندماج الحضري ودرجات الشعور بالانتماء إلى المدينة).
- تظهر المتغيرات اللاحضرية التي يشهدها المجال المدرك في الشكل والمضمون حجم الفارق الكبير بين المجال المخطط والمجال المعاش من منطقة لأخرى، كما يختلف هذا الحجم حسب مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية.
- يختلف الوعي الجماعي وتمثلات الأفراد لعمارة المجال حسب مجموعة من العناصر الثقافية، وحسب مكونات وخصوصيات المجال، والتي تلعب دورا في التأثير على تباين المجال المعاش. كما يتأثر المجال المعاش أيضا بمظاهر اللاعدالة المجالية والتي تساهم في تقليص حدة الشعور بالانتماء إلى المدينة والى الدولة والتأثير في مسألة المواطنة والاندماج المديني.

6: أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة تسليط الضوء على أربع قضايا أساسية وهي:

- مقاربة موضوع المجال المعاش من خلال الجوانب الثلاثة الآتية:

أولا ــ الجانب الإبستيمولوجي: إذ يعتبر مفهوم المجال المعاش من المفاهيم المهتمة بالدراسات الجغرافية، مما يتطلب تأطيرا نظريا متعدد الأوجه لوضع خارطة طريق محكمة للموضوع.

ثانيا . جانب التطور والخصوصيات: وذلك من خلال التطرق لتطور المجال الجغرافي والمجال المخطط للمدينة.

ثالثا . دراسة المجال المعاش من خلال تمثلات الساكنة، ومظاهر التلاؤم والانسجام مع المجال المخطط.

- التقعيد النظري ومقاربة موضوع المجال المعاش حسب نظرية الثلاثية المجالية la triplicité de l'espace (المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش) عند هنري لوفيبر، وذلك من حيث مسألة إنتاج المجال، ومراحل وخصوصيات هذا الإنتاج، والفرق بين إنتاج المجال وإعادة الإنتاج، ومن الفاعل المتحكم في الإنتاج وإعادة الإنتاج. وكذلك مقاربة المجال حسب نظرية المجال المعاش عند أرمون فريمون، ونظرية اللاعدالة المجالية لصاحبها إدوارد صوجا Edward soja.
- ملامسة أحد فروع الجغرافية البشرية والمتمثل في الجغرافية النقدية والجغرافية الإنسية وجغرافية ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، وذلك بتوظيف مفاهيم المجال المعاش والمجال المخطط والمجال المدرك في الدراسة الحضرية لمدينة الدار البيضاء، سنحاول استنباط تمثلات الإنسان حول المجال، واستقرائها على مستوى الممارسات الثقافية والسلوكيات اليومية في إطار الثقافة الحضرية. كل هذا ضمن تحليل منظومي وسياقي يأخذ بعين الاعتبار باقي فروع الجغرافية البشرية.

- دراسة السلوك اليومي والممارسات الثقافية للساكنة التي عرفت عملية إعادة الإسكان داخل المدينة، أي من سكن صفيحي إلى سكن التجزئات، وذلك لفهم التحولات الاجتماعية والمجالية التي عرفتها الساكنة وانعكاس ذلك على مستوى المجال، كما تتوخى الدراسة الوقوف على مدى مراعاة الدولة لبعض الخصائص الاجتماعية والمجال المعاش، وحاجيات الإنسان وتمثلاته أثناء عمليات إعادة الإسكان، ومدى استجابة وتجاوب الساكنة للاختيارات الإستراتيجية للتخطيط الحضري المفروض من طرف الدولة.

كما نهدف إلى وصف وتشخيص وتفسير وتحليل المجال المعاش من منظور كيفي يستند على النظريات العلمية المستلهمة من فلاسفة ومخططين حضريين (هنري لوفيبر) وعلماء اجتماع (بيير بورديو) وجغرافيين (محمد الناصري وإدوارد صوجا ودي ميو وبافو BAVOUX J J) آملين التوصل إلى تأويلات مبررة la justification ومستنبطة من الخصوصيات المحلية، من شأنها إغناء النقاش حول موضوع المجال المعاش على المستوى المحلي.

من بين الأهداف المسطرة أيضا نسجل الرغبة في فتح رؤية أخرى للتخطيط الحضري التشاركي، والذي يأخذ بعين الاعتبار البعد الإنسي وحاجيات ورغبات الإنسان في المجال، وذلك عبر طرح فكرة الوعي المجالي التي جاء بها الجغرافي الأمريكي إدوارد صوجا. ونطمح في ذلك ترسيخ فكرة مفادها أن تنظيم المجال لا يرتكز فقط على الأبعاد المادية، بل إن للبعد الوجداني والنفسي دور في هذا التنظيم. أكثر من ذلك، يمكن لهذا البعد أن يلعب أدوارا طلائعية في التهدئة الاجتماعية وفي التنمية الترابية، وفي محاربة ظاهرة الاحتقان الاجتماعي بين المجالات.

كما تسعى الدراسة إلى بلورة إطار منهجي مستلهم من العلوم الاجتماعية والإنسانية لمقاربة موضوع جغرافي، أي أننا نأمل في تبيان دور المناهج المستعملة في هذه العلوم في استخلاص نتائج جغرافية تكون أقرب إلى الواقع المعاش للإنسان، وكذا تبيان دورها في التخطيط الاستراتيجي القادر على معالجة الاختلالات المجالية والاجتماعية.

7: الإطار النظري للتحليل

ينطلق هذا البحث من توجهات أربع نظريات اجتماعية وجغرافية رئيسية وهي:

- نظرية إنتاج المجال عند هنري لوفيبر: تعتبر اليوم نظرية المجال عند هنري لوفيبر مرجعا فكريا يفرض نفسه على العلوم الاجتماعية، إذ تحتل الأسئلة حول البناء الفكري لهذه النظرية مكانا يتجاوز الحدود الإبيستمولوجية للتخصصات المعرفية. وبشكل خاص، تكمن أهمية هذه النظرية في قدرتها على الدمج المنهجي للفئات الاجتماعية والعنصر المجالي في نظرية موحدة وشاملة، مما يتيح استيعاب وتحليل المسارات المجالية على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فهذه النظرية تؤكد بأن " المجال الاجتماعي هو فعل لعمل المجتمعات على الطبيعة الأولية"[20]. تقدم هذه النظرية تمييزا بين الممارسة المجالية/المجال المدرك وتمثلات المجال والمجال المخطط (مجال المعرفة والعلامات والرموز)، ومجال التمثلات/المجال المعاش (المجال المتخيل عبر الصور والرموز)، مما يسمح بإعادة بناء مسارات

[20] LEFEBVRE, Henri (1974) La production de l'espace, Anthropos, 27Economica, 4ème édition, 2000. P

إنتاج المجال عبر دمج إطار وسياق هذا الإنتاج، وتوضيح ديناميات الفعل البشري والعناصر المؤسسة للبنية الأساسية لهذه الديناميات[21].

- نظرية المجال المعاش عند أرمون فريمون: حينما نتحدث عن الفكر الإنسي في الجغرافيا، من الضروري استحضار مفاهيم تهتم بهذا البراديغم الجغرافي، أبرز هذه المفاهيم تلك التي وظفها ارمون فريمون في كتابه La région, espace vécu ، وفي مجموعة من مؤلفاته ومقالاته، حيث ومن خلال التأمل في مضامينها الفكرية، يتضح مدى مساهمته في التأسيس والتأصيل لدراسة جغرافية بشرية تأخذ بعين الاعتبار حاجيات وتمثلات الإنسان في المجال.

فقد ركزت دراساته على أهمية مفهوم المجال المعاش في مقاربة التحولات المجالية والاجتماعية والاقتصادية التي يعرفها العالم، كما أكدت على أن دراسة هذه التحولات لابد أن تمر عبر دراسة المجال المعاش للإنسان.

- نظرية اللاعدالة المجالية والاجتماعية عند إدوارد صوجا: ساهمت الجغرافية الأمريكية بدورها في التأسيس للنظريات المهتمة بالقضايا المجتمعية والمجالية، ومن بين روادها الجغرافي إدوارد صوجا، الذي يرى بأن العدالة المجالية ليست فقط مفهومًا فلسفيًا يمكن مناقشته في الفصول الدراسية ومؤتمرات المدينة والدولة، ولكنها أيضًا نتيجة، يجب متابعتها بنشاط لتغيير التناقضات في نتائج جودة الحياة للأفراد الذين يعيشون في مناطق جغرافية مختلفة من المدينة.

- نظرية الثقافة الحضرية عند محمد الناصري: ساهم الجغرافي المغربي محمد الناصري في تقديم رؤية خاصة حول المدينة، من خلال مفاهيم التمدنية la citadinité والتحضر والاندماج الحضري، وتطور الظاهرة الحضرية بالمغرب، إذ أعطى من خلال مؤلفه Désirs de ville تنظيرا عاما حول مظاهر التمدنية والثقافة الحضرية. سنحاول من خلال هذه الدراسة مقاربة المفاهيم التي جاء بها المؤلف حسب الخصوصيات المحلية للمجال المدروس.

استعانت الدراسة أيضا بمجموعة من الدراسات والنظريات الأخرى والتي لا تقل شأنا عن باقي النظريات المذكورة، نستحضر منها على سبيل الذكر لا الحصر: نظرية المجال الحضري عند مصطفى شويكي، ونظرية دودي Dodier حول الفرد والممارسات المجالية[22]، ونظرية الطبقات الاجتماعية والرساميل عند بيير بورديو، والنظرية الاجتماعية عند دي ميو Guy Di Méo.

8: براديغمات البحث

تعتبر مسألة تحديد الحقل النظري الذي تندرج فيه دراسات الظواهر الجغرافية من أساسيات البحث. فوضع الدراسة في قالب معرفي وفي مدرسة جغرافية محددة يسهل بكثير عملية التواصل المعرفي بين الباحث والقارئ. كما

[21] YAHYAOUI MOSTAFA. et al, (2020) Habiter dans/à la périphérie de la ville, in : la marge entre discours géographiques et réalité de construction et reproduction des inégalités sociales, coordination Mohammed Aderghal et Ahmed Ait moussa, ANAGEM, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia p 121

[22] DODIER Rodolphe, (2009) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, Sciences de l'Homme et Société. Université du Maine

يساهم التقعيد النظري والتأطير المعرفي للبحث منذ البداية في جعل البحث الجغرافي يتميز بالاسترسال على مستوى المفاهيم والجانب الابيستيمولوجي من جهة، وعلى مستوى المناهج المتبناة لاستخلاص النتائج من جهة أخرى. فلكل حقل علمي أسس وأطر نظرية وبراديغمات متنوعة، تختلف حسب طبيعة الدراسة، وحسب الغاية ومنهجية الدراسة.

- **الجغرافية الإنسية**

حينما نتحدث عن الإنسية في الجغرافيا، فإننا نستحضر المكانة والقيمة العليا التي يحظى بها الإنسان في الجغرافيا، وعندما يقر بريني R Brunet [23] أن موضوع الجغرافيا هو دراسة المجال، باعتباره بعدا من الأبعاد الاجتماعية، فهذه الأخيرة تحمل في طياتها محددات ثقافية وإنسية، تتمحور حول الإنسان في المجال. معظم المدارس الجغرافية تعرف هذا العلم باستحضار الأرض والإنسان، إذ هناك من حاول التركيز على الأرض ووصفها وتحليلها عبر مناهج مخصصة لذلك، وهناك من اهتم بشكل كبير بالإنسان، باعتباره جوهر الدراسة، من قبيل: الجغرافية الاجتماعية والجغرافية الثقافية والجغرافية النقدية والجغرافية الراديكالية والجغرافية الإنسية la géographie humaniste.

ظهر مفهوم الجغرافية الإنسية لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية على يد يي فو توان Yi.Fu.TUAN[24]، وكان ذلك سنة 1976 من خلال مفهوم « humanistic géography». قبل تقديم هذا الجغرافي الإنسي أطروحته حول الجغرافية الإنسية، استدعى عنصرين أو مفهومين أساسين في هذا البراديغم الجغرافي، وهما: المعاش le vécu، والتمثلات les représentations، أشار من خلالهما إلى أن الجغرافية الإنسية تركز في معظم مقارباتها على الإنسان في فردانيته son individualité وفي خصوصيته sa singularité وفي شموليته. كما أنها لا تركز فقط على الإنسان المتعقل المتميز بالحكمة، ولكن أيضا تهتم بدراسة الإنسان في وجدانيته وفي عفويته [25] وفي جميع مراحله النفسية.

ترى الجغرافية الإنسية أن دراسة الإنسان لا زالت في حاجة إلى تعمق أكثر، وهي تحاول بذلك الاستماع إلى الناس وملاحظة طقوسهم المجالية les rituels spatiaux الأكثر قربا منهم. كما يؤكد هذا البراديغم الجغرافي على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الحياة اليومية للإنسان في كل أبعادها بما فيها العادات والتقاليد. وذلك من أجل فهم ممارسته وتمثلاته المجالية، وهو الهدف الأساسي لمجموعة من الدراسات حول المستقر L'habiter [26].

تهتم الجغرافية الإنسية بتنوع البشرية في المجال، ويتم مقاربة هذا التنوع من خلال استدعاء خاصية التركيب أو التركيبة الإقليمية Combinaison régionale[27]، إذ تتم دراسة الإنسان في المجال من خلال التقاطعات بين

---

[23] جغرافي فرنسي، ولد يوم 30 مارس 1931 في Toulouse الفرنسية، أستاذ جامعي ومدير أبحاث فخري في CNRS.، أحد شخصيات جغرافية النصف الثاني من القرن العشرين. مؤسس GIP RECLUS (شبكة لدراسة التغيرات في المواقع والوحدات المكانية) ، وهي شبكة من فرق البحث التي أنتجت تحليلات مهمة حول ديناميات المجال، على المستوى الوطني والأوروبي. كما أنه مؤسس مجلتين ، L'Espace géographique ، في عام 1972 ، و Mappemonde في عام 1986 . مجالات بحث روجر بريني متنوعة. يعمل على مسألة التخطيط المجالي ، على نظرية المعرفة في الجغرافيا ، أو على علم السينوجرافيك.

[24] جغرافي أمريكي من أصول صينية، ولد سنة 1930، حاصل على الدكتوراه في الجغرافيا بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، عمل كأستاذ في عدة جامعات أمريكية وكندية، أستاذ فخري بجامعة Wisconsin.

[25] BAVOUX, J. J. (2000) *La Géographie. Objets, méthodes, débats*. Armand Colin, Collection U, p 210

[26] Ibid. p 121

[27] حسب ارمون فريمون،لدراسة التركيبة الإقليمية يجب استحضار أربعة مفاهيم أساسية وهي: البنية و التفاعلات و الديناميةو الصورة.
-البنية: عرف المؤلف الإقليم *La région* بكونه بنية ومجموعة من العلاقات التي تميز جزء من المجال الأرضي.
-التفاعلات: يتطلب تحليل البنية العناصر التالية: عناصر البيئة المادية ، والأنشطة الاقتصادية ، والتركيبات الديموغرافية للسكان ، والتنظيمات

الفاعلين في المجال (السكان والدولة والفاعلين الرسميين والفاعلين غير الرسميين). كما تتأسس أيضا هذه الدراسة على مجموعة من الترابطات بين علم الاجتماع (الممارسات الفردية والجماعية) والإثنولوجيا (المخيال المجالي l'imaginaire spatial) وعلم النفس (السلوكات) وعلم التحليل النفسي (اللاشعور والذاكرة الجماعية mémoire collective) والتاريخ والفن (الرموز). بالإضافة إلى مقاربة الأبعاد الجمالية للمجال الجغرافي.

حينما تنفتح الجغرافيا على مختلف العلوم السالفة الذكر، خصوصا خلال المقاربة المجالية، فإنها بذلك تحدث قطيعة مع الجغرافية الكلاسيكية، وهو ما دفع كلافال Paul Claval [28] إلى القول "أن الجغرافيا كي تكون أكثر إنسية، لابد أن تخرج من مجال الملاحظة والاهتمام بالتمثلات الاجتماعية للفاعلين المجاليين والعمل على دمج المعاش الخاص بكل فاعل"[29].

تهتم الجغرافية الإنسية كذلك بدراسة المجال المعاش، وذلك انطلاقا من العلاقات الوجدانية التي تربط الإنسان بمجال عيشه، فالمجال الجغرافي حسب هذا البراديغم عبارة عن ذاكرة جماعية وجدانية، إذ يشير باي Antoine Bailly إلى أن القراءة التقاطعية للمعاش الإنساني هي السبيل لفهم الإنسان في مجاليته[30]. وحينما نتحدث عن القراءة التقاطعية، نستحضر عناصرها المتمثلة في الأبعاد الخاصة بالإنسان (المخيال والمتمثل والثقافي والاجتماعي والوجداني والعاطفي) وباقي الأبعاد المجالية والمكونات المادية وغير المادية في المجال.

- **الجغرافية النقدية**

تعتبر الجغرافية النقدية حقلا معرفيا نظريًا وتطبيقيا، يسعى إلى تحقيق العدالة المجالية والاجتماعية والتحرر والسياسة المنفتحة. تُستخدم الجغرافية النقدية أيضًا باعتبارها مفهوما عاما للجغرافية الماركسية والنسوية وجغرافية ما بعد الحداثة وما بعد البنائية، فهي عبارة عن نهج غايته انتقاد التمثلات التي يقدمها الواقع، بهدف إيجاد تفسير جديد له، وهي تسعى بذلك للكشف عن ما يعيق مسار الإنسان في البحث عن المزيد من الحرية[31].

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ستحاول الجغرافيا انتقاد الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات. ومع نهاية الستينات من القرن الماضي، سيظهر أول تيار نقدي لهذه الأوضاع في الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في ولايات الشمال الشرقي السباقة إلى التصنيع والتحديث، وذلك كرد فعل على الأحداث

السياسية ، والأبعاد الثقافية. في نفس السياق ، ميز روجر برونيت بين العلاقات العمودية (بين الأفعال والوضعيات والاقتصاد والطبقات الاجتماعية ...) والعلاقات الأفقية (بين الإنسان والمجال). ميز المؤلف بين ثلاثة أنواع من التفاعلات: التفاعلات الإيكولوجية- التفاعلات السوسيواقتصادية – التفاعلات السوسيوثقافية.

--الدينامية: تخضع كل تركيبة إقليمية لبعض التعديلات والتطورات والتحولات، من خلال انخفاض عدد السكان ، أو زيادة معدل المواليد أو ارتفاع الأنشطة الاقتصادية (الزراعة ، الصناعة ، الاستثمارات) تلعب هذه العناصر دورا كبيرا في تغييرات التركيبة الإقليمية.

-الصورة: المجال الإقليمي هو صورة، ويتم تأسيس هذه الصورة من خلال التصور والسلوك النفسي القائم بين البشر والمجال، ويتم ترجمة هذه العلاقات من خلال المجال المعاش. تؤثر مجموعة من العناصر في السلوك الإنساني (العمر، الجنس ، الحالة الاجتماعية ، الشخصية ، إلخ) وتفرض هذه العناصر على الإنسان صورة معينة للأماكن التي يعيش فيها (Armand Frémont La région, espace vécu)

[28] جغرافي فرنسي ، من مواليد 23 مايو 1932 في Meudon ، أستاذ في جامعة باريس - IV السوربون. كان من أوائل الجغرافيين الذين قاربوا نظرية المعرفة للعلوم الجغرافية في الستينيات، ساهم أيضًا في تجديد هذا التخصص .وهو على وجه الخصوص واحد من المتخصصين والمنظرين الرئيسيين في الجغرافيا الثقافية .في عام 1992 ، أسس مجلة: la revue Géographie et cultures

[29] BAVOUX J.-J. (2000) *La Géographie. Objets, méthodes, débats*. Armand Colin, Collection U. 212

[30] DOUGLAS, Y Popock. (1991) L'humanisme en géographie, in : Antoine Bailly (coord), les concepts de la géographie humaine, paris, Masson, pp 167

[31] BAILLY, Antoine S. (1991), les concepts de la géographie humaine, PARIS, Masson p 1 45

الاجتماعية التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية والعالم. وقد تبنى هذا التيار منهج العلوم الاجتماعية عوض المقاربة الإحصائية للظواهر، باعتباره يعالج مشاكل اللامساواة والاحتقان الاجتماعي والتفاوتات الناتجة عن تطور الرأسمالية والبورجوازية في مدن الولايات المتحدة الأمريكية[32]. وقد اختلف العلماء المنظرون للنقد الجغرافي في تحديد التخصص السباق لانتقاد أوضاع المجتمع الأمريكي، بين الجغرافية النقدية والجغرافية الراديكالية.

في نفس الإطار، أشار الجغرافي الراديكالي بييت (1977) Peet.R إلى أنه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، لوحظ فراغ في الجغرافية التي تعالج وتنتقد الوضعية الاجتماعية التي أصبح يعيشها المجتمع الأمريكي. وقد ظهر في البداية تيار يدعى التيار الراديكالي، أثار فوضى وثورة علمية في الجغرافية الكلاسيكية المعتمدة على الكم والوصف أكثر من الكيف والتمثلات والإنكباب على مشاكل المجتمع. ويعتبر بونج w.Bunge وهارفي D.Harvey من أوائل المنظرين لهذا التيار، الذي اهتم في البداية بالجانب التنظيري والابستيمولوجي دون الفكر النقدي.

مع بداية الستينات، أخذت الجغرافيا طابعا ثوريا من خلال تحليل واستنكار وضعية الحياة في الأحياء الفقيرة في الشمال الأمريكي، إذ تم تنظيم بعثات جغرافية إلى تلك الأحياء، اهتمت بشكل كبير بالبحث في العدالة الاجتماعية وتفسير الحياة بالمدن من منظور ماركسي[33].

تجدرت وتأصلت الجغرافية النقدية في العالم الأنجلو أمريكي ضمن الجغرافية الراديكالية. وفي هذا الإطار قدم بييت (2000) Peet نظرة عامة عن تطور الجغرافية الراديكالية والنقدية، ففي أوائل سبعينيات القرن الماضي، حاول الجغرافيون المتطرفون تغيير نطاق التخصص الجغرافي، وذلك عن طريق الاستجابة للقضايا العظيمة في ذلك الوقت (الحقوق المدنية والتلوث البيئي والحرب).

خلال الفترة ما بين منتصف إلى أواخر سبعينيات القرن العشرين، قدم هذا البراديغم الجغرافي انتقادات تصاعدية للثورة الكمية في البحوث الجغرافية، ودعا إلى اعتماد النهج الماركسي. فيما تميزت بداية ثمانينات القرن الماضي بانشقاقات بين التيار الإنسي والتيار النسوي والتيار الماركسي، استمرت إلى حدود أواخر الثمانينيات، لتسفر عن ميلاد الجغرافيا النقدية، التي أصبحت تدريجيًا حقلًا محددًا واضح المعالم[34].

تعد الجغرافية النقدية واحدة من بين أشكال العلوم الاجتماعية والإنسانية البديلة التي تتبنى أطروحة النقد لتفسير العالم وتغييره. ولهذا، يعرف فاي Brian Fay [35] العلوم الاجتماعية النقدية المعاصرة بأنها الجهد المبذول لفهم الاضطهاد في المجتمع، ويستخدم هذا الفهم لتعزيز التغيير الاجتماعي والتحرر[36].

[32] المرجع السابق، ص 146-147.
[33] المرجع السابق، ص 146
[34] LEISBET, Irena. (2018) Critical Geography: An Introduction in Human Geography at the University of Dundee, UK P 11
[35] فيلسوف أمريكي من مواليد 5 أكتوبر 1943 ،أستاذ للفلسفة في جامعة ويسليان. معروف بأعماله في فلسفة العلوم الاجتماعية
[36] FAY, Brian. (1987). Critical social science: liberation and its limits . Cornell University Press. P 23

- **الجغرافية الثقافية**

تم تبني هذا البراديغم باعتباره يتضمن جزءًا من الأطروحة، وهو تخصص يهتم بالثقافات المختلفة على سطح الأرض، وبنوعية الشعوب على اختلاف أصولها وطباعها ومعتقداتها عبر العالم، كما يدرس مواقع واختلاف مكان الثقافات، وتتمحور حول الكيفية التي تعيش بها الثقافات المختلفة، بالإضافة إلى الاهتمام بتنوع الحياة الإنسانية. تدرس الجغرافية الثقافية اختلاف أشكال الجماعات وثقافتهم المادية، وتنظر إلى كيفية فهم هذه الثقافات للمجال، وذلك بالاهتمام بأثر الأفكار والممارسات والأشياء التي تشكل معا الثقافات، وكذلك الأفكار التي تجمع بين تلك الجماعات وتجعلهم متماسكين.

لا يمكن ملامسة هذا التماسك الاجتماعي إلا من خلال التطرق إلى التنوع الثقافي، ودراسة علاقته بالبنية العمرانية (ثقافة مادية) والديمغرافية (ثقافة سلوكية)، باعتبارها تمثل أشكالا وجب استكشافها كمرحلة أساسية قبل تحليل المسارات، وهذه مرحلة أساسية ستمكننا من فهم المجال كما يستغله الإنسان، إذ يحاول هذا الفرع الجغرافي تحليل الحقائق الثقافية، وكذا إطار الحياة الاجتماعية، مما يسمح بتنظيم ومعالجة المجال[37].

9. المفاهيم المهيكلة للبحث

تعتبر الإحاطة بالإطار المفاهيمي -الذي يؤطر البحث- من بين الخطوات الأساسية لدراسة ظاهرة جغرافية. ونظرا لكون العلوم الاجتماعية والإنسانية -عامة وعلم الجغرافيا خاصة- تتميز بتعدد المعاني والمفاهيم والدلالات، وذلك حسب المدرسة الجغرافية والبراديغم الجغرافي والتخصص الجغرافي، فقد كان لزاما علينا إحكام الدراسة مفاهيميا عبر تقعيد نظري متعدد المرجعيات، يأخذ بعين الاعتبار التطور الذي عرفته الجغرافيا، ويضع نصب أعينه اختلاف المقاربات والمدارس التي أحاطت بالموضوع، سواءً من جانبه النظري أو التطبيقي والميداني.

بحكم أن البحث يتضمن جانبا مرتبطا بالدراسة المجالية، فقد تم استحضار المفاهيم الأساسية في الجغرافيا من قبيل "المجال" و"المجال الجغرافي"، كما تم استثمار المفاهيم المهيكلة لصلب الموضوع والمتمثلة في " المجال المدرك "و " المجال المخطط " و " الثقافة "و" الثقافة الحضرية ".

- **المجال:** امتداد أرضي يقاس بالطول والعرض والارتفاع والموقع[38]، كما يعتبر ذلك الامتداد الملموس الذي يشكل في الوقت نفسه حاملا le support لأنشطة الإنتاج وإطارا لحياة الجماعة والأفراد، إذ يشكل المجال الهيكل الأساسي للمجتمع، إنه هيكل إعادة الإنتاج، وجزء من الوسط[39]. يشكل المجال امتدادا على سطح الأرض، ويتألف من مجموعة من المواضيع والأشياء التي تتخلل ذلك الامتداد، وتنظمه وتعطيه معنى: "المجال هو مدى قابل للقياس[40].

- **المجال الجغرافي:** هو مجال مهيأ من طرف الإنسان ومدين للمجال الطبيعي، فالطبيعة توفر المادة الخام، لكن بدون تدخل الإنسان لا توجد على سطح الأرض سوى منظومات بيئية تحدد بقوانين الأنظمة البيولوجية. ذلك

[37] CLAVAL, Paul (2012) Géographie culturelle, une nouvelle approche des sociétés et des milieux, ARMAND COLIN, PARIS p 47

[38] بلفقيه، محمد (2000) الجغرافيا القول عنها والقول فيها، المقومات الابيستيمولوجية، دار نشر المعرفة، الطبعة الأولى، الرباط ص 309

[39] BELHEDI, Amor (2010) Epistémologie de la géographie ,Déchiffrer l'espace ,Université de Tunis, p 72

[40] المرجع السابق ص76

أن المجال يصبح جغرافيا حينما يخضع لتهيئة خاصة تميزه عن مجال آخر[41]. ويمكن تحديد المجال الجغرافي كحامل وإطار لعلاقات الوسط الطبيعي المادي بالوسط البشري، والروابط الموجودة بين هذه العلاقات[42].

ينظر إلى المجال الجغرافي على أنه علاقة الأشياء الموجودة على سطح الأرض، أي إنتاج اجتماعي يترتب عن تملك الأرض وتغييرها، إذ من خلاله يتم تحليل الخصائص المكانية للتشكيلات الاقتصادية والاجتماعية، كما يعتبر نتيجة لتفاعل المجتمع وسطح الأرض، فهو نتاج اجتماعي ذو خاصيات مادية[43].

إن للمجال الأرضي وجهين: وجه بيئي تمخض عن تطور طويل للحياة النباتية والحيوانية واندماجها في المحيط الفيزيقي، وهذا هو النسق البيئي، ثم وجه ثان يستحق تسميته المجال الجغرافي الذي حرره عمل الإنسان من التطور لدمجه في التاريخ. وعليه، فالمجال الجغرافي هو الامتداد الأرضي الذي تستعمله المجتمعات، وتقوم بإعداده قصد إنتاج وإعادة إنتاج نفسها، ليس فقط لسد الحاجيات الأساسية كالطعام والسكن، وإنما أيضا لتلبية كل طلبات المجتمع المتعددة والمتداخلة، ومن هنا كان المجال الجغرافي ذا شقين: نسق بيئي وآخر اجتماعي[44].

تتطلب دراسة ظاهرة جغرافية بمدينة الدار البيضاء الإشارة إلى التطور الذي عرفه المجال الجغرافي للمدينة، خاصة منذ فترة الحماية. فكما أشار التعريف سابقا إلى أن المجال الجغرافي هو نتاج اجتماعي، فمن اللازم الإشارة إلى تطور هذا النتاج، إذ لا يمكن فهم هذا التطور دون استحضار التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية والتطورات التي عرفتها هذه التشكيلات، بالإضافة إلى فهم مساهمة الفاعل الاجتماعي في هذا النتاج.

- **المجال المدرك l'espace perçu**: لا يمكن فهم المجال المعاش دون العودة إلى المجال المدرك، وهو الذي يحدد للباحث حجم الفوارق بين تمثل الإنسان والواقع المدرك في الحياة اليومية. فالمجال المدرك يعرفه الإنسان في حركته اليومية، ويرفض الانسجام مع مكوناته المعمارية والاجتماعية، وهو مجال مفروض على الإنسان غير توافقي وغير تشاوري. فالمجال المدرك هو إسقاط مجرد على ما هو واقع في المجال، يختزل الوقائع والأحداث التي جرت داخل حيز مكاني معين، أي مجال الخضوع للممارسة السياسية للدولة.

يعرف "هنري لوفيبر" المجال المدرك بأنه مجال مقروء، نتعرف عليه من خلال الحياة اليومية والممارسات المكانية والاجتماعية. إنه المجال الذي نلاحظه والذي يلامس الواقع الحضري والاجتماعي، يحاول تجسيد ما تم تصميمه في المجال المخطط.

- **المجال المخطط أو المصمم: l'espace conçu**: هو مجال مخطط عن طريق المخططين والمصممين، وهو الذي يخطط له المهندسون والمخططون وأصحاب القرار وأصحاب التعمير. يترجم إلى تصاميم التعمير والمخططات

[41] PENA, Orlando et SANGUIN, André-Louis (1986) Concepts et méthodes de la géographie, Montréal : Guérin Éditeur, P 18

[42] يمكن التمييز بين المجال الطبيعي والمجال البشري، المجال الطبيعي هو المجال البكر الذي لم يتدخل فيه الإنسان أو أن تدخله قليل جدا ، مما يعني أن النظام البيئي ظل سليماً بدون اضطرابات كبيرة .المجال البشري هو مجال منظم ومجهز من قبل الإنسان الذي يشكل حاليًا معظم أرضنا(ص BELHEDI 72) المجال الجغرافي هو مجال بشري ومبني ، وهو يشكل حقيقة تاريخية مبنية من الواقع المادي. بعد ذلك ننتقل من وصف الأرض إلى دراسة الأرض ومن الكتابة إلى فك الشفرة (BELHEDI p 72)

[43] بلفقيه محمد، (2002) الجغرافيا القول عنها والقول فيها، المقومات الابيستيمولوجية، دار نشر المعرفة، الطبعة الأولى، الرباط ص 321

[44] نفسه ، ص 323

التوجيهية لإعطاء الرؤية العامة للمجال، والتي تتناسب مع تصور السلطة العامة. إنه مجال مجرد وغير مادي، نقيسه فقط بالتجسيد في الخطط.

– **الثقافة:** يمكن تعريف الثقافة بكونها نظام من الممارسات والطقوس والمعتقدات والقيم، والتي لها تأثير كبير على الحياة الاجتماعية. تسيطر جميع الثقافات على أعضائها، لكنها تختلف في درجة السيطرة على الأفراد. كما تعتبر الثقافة من النوع الذي يقيد بشدة سلوك الإنسان، وتأتي قوة هذا التحكم من حقيقة أنه يتم توجيهه عبر قوة المكونات الثقافية التي تنظم عن كثب حياة الإنسان، من خلال إنشاء مؤسسات اجتماعية قوية، تتأسس على التاريخ والجغرافيا والإسلام(الدين) وتعدد اللغات والتنظيم الاجتماعي والوضع الاقتصادي والنظام السياسي[45].

– **الثقافة الحضرية:** يمكن تعريفها على أنها نمط التنظيم الاجتماعي المرتبط بالتصنيع الرأسمالي وبالخصوص في مرحلته التنافسية[46]، إذ تتشكل الثقافة الحضرية انطلاقا من عملية تثاقف وتنشئة حضرية مستمرة، غايتها دمج أو إدماج الإنسان الحضري (ساكن المدينة) الجديد في تلك الثقافة التي يتجدد مضمونها بفعل استقبال المدينة باستمرار لوافدين جدد، يحملون عناصر ثقافية مختلفة.

حينما تحدث محمد الناصري[47] عن التمدنيين الجدد في المدينة، فقد أشار إلى أن التحديد هنا لا يجب أن يقتصر فقط على نمط عيش تلك الساكنة، وإنما وجب الأخذ بعين الاعتبار مسألة الشعور بالانتماء إلى الجماعة المدينية، مع العلم أن هذه الأخيرة مقسمة إلى مناطق طبقية وأحياء متمايزة، فالفروق واضحة بين أحياء المدينة والأحياء الراقية البورجوازية وأحياء الطبقات الوسطى، وأحياء الطبقات الشعبية. ويمكن إجمالها في نظرية المركز والهامش[48].

10: المنهجية المتبعة في جمع المعطيات وتحليلها

يعتبر المنهج مجموع الخطوات والتقنيات والطرق التي يتبناها الباحث للوصول إلى النتائج، ونؤكد منذ البداية أننا لا نتحدث عن خطوة واحدة أو طريقة واحدة، أي أن البحث يتطلب استحضار وتركيب مجموعة من الطرق قصد التوصل إلى النتائج. فهناك خطوات مستعملة قصد فهم الموضوع في أدبياته، وأخرى موظفة لاستخلاص النتائج من الميدان، في ما تم توظيف خطوات أخرى لتحليل وتأويل النتائج وإعطائها معنى. وقد اعتمدنا بشكل عام في بحثنا هذا على المنهج الكيفي.

[45] RAJEB S. et YAHYAOUI, M. (2019) Mobilité du genre et géographie au Maroc, in Espace, Territoire et Société au Maroc : Mutations, dynamiques et enjeux, Coordination Mohammed Zhar, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia, p.284.

[46] المالكي، عبد الرحمان (2015)، الثقافة والمجال: دراسة في سوسيولوجية التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجية التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، ص 42

[47] جغرافي، أستاذ سابق في جامعة محمد الخامس، من المؤسسين السبعة لنقابة التعليم العالي، رئيس شعبة الجغرافية سابقا (1965-1970) عضو سابق في مختبر «أوربما» الملحق بالمركز الوطني للبحث العلمي (فرنسا) وجامعة تور شعبة الجغرافيا، أستاذ سابق في شعبة العلوم الإنسانية بمعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، أستاذ سابق في مدرسة التكوين للدكتوراه التابعة لمنظمة الجامعات المتوسطية، نائب رئيس الجمعية الدولية «اندا – العالم الثالث» المهتمة بالبيئة والتنمية في العالم الثالث مقرها دكار بالسينغال، نائب رئيس «الجمعية المغربية لقانون البيئة»، سكرتير عام لبرنامج «ماب – المغرب» «الإنسان والبيئة الحيوية»اليونسكو، المسؤول العلمي لمشروع «تاركة»لتنمية منطقة «أونايم» في الأطلس الكبير الغربي.

[48] NACIRI, Mohammed (2017) Désirs de ville, , Economie Critique Rabat, p18

المنهج الكيفي: يحيل على المناهج التي تنتج معطيات انطلاقا من كلمات الناس المنطوقة أو المكتوبة وسلوكياتهم الملاحظة. إنه بحث يقوم على جمع النصوص وتحليلها وتأويلها، بهدف اكتشاف أنماط ذات دلالة تصف ظاهرة معينة. تعد المناهج الكيفية أكثر من مجرد مجموعة من التقنيات لجمع المعطيات، إنها طريقة في مقاربة العالم الاجتماعي[49]. إنه نشاط في وضعية معينة يحدد موقع الملاحظ، ويتكون من مجموعة من الممارسات الفكرية والمادية التي تجعل العالم مرئيا. تحول هذه الممارسات العالم إلى سلسلة من التمثلات، والتي تشمل الملاحظات الميدانية والمقابلات والمحادثات والصور الفوتوغرافية والتسجيلات الصوتية والمرئية والمذكرات الشخصية، ويستند هذا البحث إلى مقاربة تأويلية وطبيعانية للعالم، تهدف إلى فهم الظواهر وتأويلها من خلال المعاني التي يحملها الناس عنها[50].

من ايجابيات البحث الكيفي، نجد استخدامه أسئلة مفتوحة، وإتاحة الفرصة للمبحوثين للرد بكلماتهم بدلاً من الإجبار. أيضا تتيح الأسئلة المفتوحة في المنهج الكيفي إمكانية الحصول على أجوبة ذات مغزى ثقافي واجتماعي للمبحوث، غير متوقعة من قبل الباحث[51].

تندرج دراستنا ضمن المقاربة الكيفية الملائمة للبراديغم الإنسي والنقدي. وقد تم تبني هذا المنهج نظرا للخصوصيات الإيجابية التي يتميز بها والمذكورة سلفا، وذلك من خلال الاقتراب أكثر من المبحوث ومشاركته في البحث، والتعايش معه والاستئناس به أكثر.

اعتمدنا خلال هذا البحث على منهج كيفي يقوم على ثلاث مراحل أساسية وهي:

- **المرحلة الأولى:** إعادة استعمال المعطيات الإحصائية الثانوية les données secondaires، الخاصة بالمندوبية السامية للتخطيط (الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014)، وكان الهدف منها تبرير اختيار المجال المدروس من جهة، والاستعانة بها من أجل تحليل المعطيات الكيفية والإثنوغرافية من جهة ثانية. إذ تلعب هذه المعطيات دورا مهما في فهم آليات اشتغال المجال.
- **المرحلة الثانية:** وهي مرحلة الملاحظات الإثنوغرافية للسلوكات والتراقصات اليومية للأفراد في المجال المدروس، والتي نهدف من خلالها إلى استكشاف الطبائع اليومية لقاطني المجال المدروس. أعلنا منذ البداية تبني براديغم الجغرافية الإنسية والجغرافية النقدية والمنهج الكيفي، وهذا الأخير لن يتأتى دون الاعتماد على الملاحظات الإثنوغرافية التي ستساهم في تصور الواقع المعاش في حقيقته وليس كما يحكى عنه.

تشير كلمة الإثنوغرافيا إلى الدراسة "الوصفية" لأنماط الحياة المختلفة، ودراسة التقاليد والعادات والقيم والفنون والتأملات والتمثلات لمجموعة بشرية أو مجتمع معين خلال فترة معينة. كما تركز الإثنوغرافيا بشكل أكثر تحديدًا على التجارب اليومية للأفراد، من خلال محاولة فهم الممارسات الاجتماعية التي تناسبهم بشكل أفضل. وتمثل هذه المنهجية عملية بحث سنحاول من خلالها دراسة سلوكات الأفراد والجماعات، من أجل

[49] أحجيج حسن و فزة جمال (2019) البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية، نظريات وتطبيقات، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، الرباط ص 35

[50] أحجيج حسن و فزة جمال: المرجع السابق ، ص 36

[51] NATASHA MACK • CYNTHIA WOODSONG KATHLEEN M. MACQUEEN • GREG GUEST • EMILY by Family Health ,Qualitative Research Methods: A Data Collector's Field Guide (2005) NAMEY 4p International,

تفسير هذا الواقع بأكبر قدر ممكن من الدقة كما تتصوره المجموعة نفسها. يتميز البحث الإثنوغرافي بمنهجيته التي تتطلب من الباحث التعايش مع مجتمع البحث، كما يتطلب آليات محددة لجمع البيانات، مثل السجلات اليومية وإتباع تقنيات الملاحظة والسمع والشم والذوق، وإجراء التحريات الإثنوغرافية مع الساكنة، وتحليل الوثائق والمجلات ذات الصلة[52].

وخلال هذه المرحلة، تمت الاستعانة أيضا بالملاحظة المشاركة **participative l'observation**، والتي تتطلب قضاء الوقت أو العيش أو العمل مع أشخاص في مجتمعاتهم لفهمهم، فهي طريقة تعتمد على المشاركة في الملاحظات الميدانية. وقد تم استخدام الصور وتسجيلات الفيديو كوسيلة لجمع البيانات. ويتمثل أساس هذا الأسلوب في أن يصبح الباحث أقرب إلى الظاهرة المكانية قيد الدراسة قدر الإمكان[53]. سنحاول عبر هذه التقنية التحقق من الأنشطة اليومية لمجتمع الدراسة، وتعميق الملاحظة بصفة دائمة خلال مدة البحث الميداني في المواقع التي يُعتقد أن لها صلة ما بأسئلة وموضوع البحث، كما سنحاول الاقتراب من المبحوثين في بيئتهم الخاصة. عموما، نهدف إلى تفعيل الملاحظة المشاركة الفعالة بغية معرفة كيف هي الحياة من الداخل" أي داخل المجتمع المدروس.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة إجراء المقابلات الفردية مع مجموعة من الأفراد، وذلك حسب بعض المتغيرات والمحددات (الأصل الجغرافي والأمية ومستوى التمدرس والوضعية الاجتماعية ونوعية السكن). وقد تم تقسيم العمل الميداني الخاص بالمقابلات الفردية إلى قسمين: عمل ميداني خاص بالجزء الثاني من الدراسة المتضمنة للتمردات المجالية للأفراد، والهادفة إلى مقاربة الثلاثية المجالية (المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش)، وعمل ميداني خاص بالجزء الثالث من الدراسة.

بالنسبة للعمل الميداني الخاص بالجزء الثاني من الدراسة، اعتمدنا فيه على عينة تمثيلية بالنسبة لكل مقاطعة، بلغت العينة المدروسة لمقاطعة مولاي رشيد والخاصة بالمجال المعاش المجسد والممثل (مجال إعادة الإنتاج) 300 مبحوثا. وبلغت العينة الخاصة بالمجال المعاش النفسي (مجال الرغبات والحاجيات المجالية) 687 مبحوثا ومبحوثا، حيث طلب منهم تحديث حاجياتهم المجالية في أوراق بيضاء أو على شكل خرائط صماء.

بالنسبة لمقاطعة أنفا، بلغت العينة التمثيلية الخاصة بالمجال المعاش المجسد (مجال إعادة الإنتاج) 196 مبحوثا. وبالنسبة للمجال المعاش النفسي (مجال الرغبات المجالية) بلغت العينة 364 مبحوثا ومبحوثة.

وبخصوص العمل الميداني الخاص بالجزء الثالث من الدراسة والهادف إلى مقاربة التمثلات المجالية والاجتماعية، فقد اعتمدنا في كل مقاطعة على عينة دراسية لم تتجاوز 42 مبحوثا ومبحوثة، كما نشير إلى أن العدد يختلف من مقاطعة لأخرى، ومن فصل دراسي إلى آخر، وذلك حسب درجات الإشباع la saturation.

[52] DIANE, GRIN-LAJOIE. (2002) L'utilisation de l'ethnographie dans l'analyse du rapport à l'identité Université de Toronto, canada, p 74.

[53]LAURIER Eric (2010) Participant Observation, in Key Methods in Geography, Edited by Nicholas Clifford, Shaun French and Gill Valentine, Editorial arrangement and Introduction . Nick Clifford, Shaun French and Gill Valentine p 116

نشير في الأخير إلى أننا وظفنا مجموعة من الأدوات والوسائل لتقديم النتائج، إذ تمت الاستعانة بالعمل الكارطوغرافي من خلال بعض البرامج ARCGIS (,ERDASIMAGINE, SASPLANET,GOOGLE EARTH).

11 . أجزاء وفصول البحث

الجزء الأول: تطور الإنتاج العمراني والخصائص الاجتماعية والديمغرافية بالدار البيضاء

الفصل الأول: في تأريخ الإنتاج العمراني والتخطيط الحضري لمدينة الدار البيضاء: خلال هذا الفصل، سنحاول أن نستهل الدراسة بالتطرق إلى السياق العام لإنتاج المجال الجغرافي بالمدينة، وسنركز على فترة الحماية الفرنسية التي شهدت المدينة خلالها عدة مخططات حضرية، كما سنشير إلى التخطيط الحضري خلال فترة الاستقلال وإلى غاية مخطط بانسو 1984. وسنعمل على إبراز مكانة المجال المدروس ضمن تاريخ تخطيط المدينة.

الفصل الثاني: الخصائص المجالية والاجتماعية للدار البيضاء: خلال هذا الفصل، سنتطرق إلى الخصوصيات الاجتماعية والديمغرافية الخاصة بالمدينة، لتحديد مكانة المجال المدروس (أنفا ومولاي رشيد) ضمن الخصائص العامة للمدينة، وتبرير سبب اختيار هذه المقاطعات كمجال للدراسة وتبيان علاقة هذه المؤشرات مع المجال المعاش. كما سنتحدث عن الخصائص المجالية للمدينة من خلال المخطط التوجيهي الأخير 2008-2010.

الجزء الثاني: دينامية المجال المخطط والمجال المعاش بمقاطعتي مولاي رشيد وأنفا من خلال نظرية المجال المعاش عند ارمون فريمون.

الفصل الثالث والرابع: تم تخصيص هذه الفصول لتشخيص واقع الثلاثية المجالية (المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش) بمقاطعتي مولاي رشيد وأنفا، وذلك بمنظور وأساليب كيفية وتقنيات إثنوغرافية، بهدف استثمارها في التحليل الكيفي.

الجزء الثالث : المقاربة الكيفية لدينامية التمثلات المجالية والاجتماعية وتفاعلاتها مع المجال المعاش.

الفصل الخامس: التمثلات المجالية والاجتماعية: مقاربة في المستقر والممارسات المجالية: خصص هذا الفصل للحديث عن الارتباطات بين المجال المعاش والتمثلات الاجتماعية والمستقر (عمارة المكان)، وذلك بالاعتماد على عينة دراسية، وبمنهجية كيفية إثنوغرافية. أيضا تم تخصيص محور للحديث عن الممارسات المجالية والتنقلات اليومية وانعكاساتها على المجال المعاش.

الفصل السادس: انعكاسات المجال المعاش على مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية والحق في المدينة: حاولنا خلال هذا الفصل إبراز دور الخصوصيات المجالية والاجتماعية التي تتمتع بها كل مقاطعة في تباين المجال المعاش. كما حاولنا تقديم بعض النماذج الأمريكية في التعامل مع التمايزات المجالية. كما تم تخصيص محور للحديث عن المجال المعاش والحق في المدينة، وذلك لتبيان العلاقة بين المجال المعاش ومسألة الحق في المدينة والشعور بالانتماء إلى المدينة والرغبة في المدينة.

الجزء الأول

تطور الإنتاج العمراني والخصائص الاجتماعية والديمغرافية بالدار البيضاء

مقدمة الجزء الأول

تعتبر دراسة إنتاج المجال في أبعاده التاريخية والسياسية إحدى المعالم الرئيسية في فهم الظاهرة المجالية الحضرية في شموليتها، إذ يساهم استنباط الضوابط المتحكمة في إنتاج المجال في تفسير وتحليل ما يشهده المجال الحضري اليوم من تطورات. تجمع مختلف الأدبيات الجغرافية المهتمة بالمجال المعاش على دور المعرفة التاريخية للمجال المخطط والمجال المدرك في إعطاء تأويلات خاصة بالمجال المعاش، كما أن لهذه المعرفة دورا مهما في تغليب الحس العلمي على الحس العام المشترك. من خلال هذا الطرح، ارتأينا أنه من الضروري العودة إلى الجذور التاريخية المساهمة في إنتاج المجال الحضري لمدينة الدار البيضاء، وذلك لما لهذا العامل من دور في تفسير وتحليل السياق العام للإنتاج السياسي للمجال الحضري للدار البيضاء.

حينما تقر معظم المدارس الجغرافية على أن الجغرافيا علم مجالي بامتياز، فهذا يعني اعتمادها على أبعاد مجالية -بشكل أساسي- في دراستها للظواهر، فهي تدرس مجالية spatialité la التجمعات والمجموعات البشرية، وتدرس الطريقة التي ينتج بها المجال، ونمط استعماله وتهيئته وممارسته وتمثلاته. فموضوع الجغرافيا هو فك رموز حياة المجتمعات البشرية عن طريق استجواب بنياتها المكانية وتحولاتها، أي كشف العلاقة الجوهرية consubstantialité بين المجال والمجتمع. لا يمكن الكشف عن هذه العلاقة دون استحضار الجانب المخفي والمتحكم في الإنتاج العمراني خلال العهد الاستعماري بالمدينة، فالقول بأن المستعمر كان له الدور الهام في وضع الأسس التعميرية الأولى للمدينة يتطلب تحديد المحددات والمتغيرات التي كانت وراء اختيارات المخططين المعماريين في عهد الاستعمار. أيضا دراسة الطريقة التي أنتج بها المجال الحضري لمدينة الدار البيضاء تقتضي تحديد العوامل المؤثرة في الفاعلين الرسميين في التخطيط الحضري.

تعتمد الجغرافيا في مقاربتها للظواهر على المجال، باعتباره أحد العناصر الفاعلة والمشاركة في نظام التفاعلات المركبة، والتي تنتج بشكل مستمر المجتمعات في خصوصيتها الجغرافية، فالجغرافيا هي شرح المجتمع بواسطة المجال[54]. لذا يتطلب فهم نظام التفاعلات المركبة المجالية الخوض في مكوناته وخصائصه ومميزاته السوسيومجالية (الفقر والأمية والبطالة ومعدل النشاط والمؤشرات الديمغرافية، طريقة إنتاج المجال في بعده السياسي).

في صلب المقاربة الجغرافية، لا يمكن إغفال دور المقاربة الإمبيريقية الإحصائية الخاصة بالمعطيات الثانوية les données secondaires في تأصيل مفهوم المجال المعاش، إذ تساهم الترابطات بين المؤشرات الإحصائية في تفسير خلفيات المجال المعاش. وقد تم تخصيص الجزء الأول من هذه الدراسة للحديث عن:

- تاريخ التخطيط الحضري(المجال المخطط) بالمدينة في شموليته، لتبيان دوره في المجال المعاش.
- الخصائص المجالية والاجتماعية والديمغرافية لمقاطعات مدينة الدار البيضاء، لتحديد التفاوتات السوسيومجالية بالمدينة، وتحديد مكانة المجال المدروس (أنفا ومولاي رشيد) ضمن الهياكل العامة بالمدينة، وإظهار أسباب اختيار هاتين المقاطعتين دون غيرهما.

[54]BAVOUX Jean Jacques (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3ème édition, paris, p 92.

الفصل الأول

في تأريخ الإنتاج العمراني والتخطيط الحضري لمدينة الدار البيضاء

مقدمة الفصل الأول

يبدأ تحليل الحاضر وفهم التناقضات الحالية والتغيرات الاجتماعية المرتبطة بالمجال بالرجوع إلى الماضي، قبل العودة إلى الوقت الحاضر لرسم الظواهر التي يمكن أن تتحقق في المستقبل[55]. فكلما كانت هناك عملية إنتاج للمجال، هناك تاريخ يجب تحديد دوره في هذا الإنتاج[56]. ذلك أن المجال صيرورة مرتبطة بأحداث تاريخية ساهمت في ما يلاحظ اليوم من تطورات وتغيرات مجالية. لقد أجمعت معظم الأدبيات الجغرافية المهتمة بالمجال على دور السياق التاريخي في فهم عمليات إنتاج وإعادة إنتاج المجال.

انطلاقا من هذا الطرح، سيتم التركيز خلال هذا الفصل على تاريخ إنتاج المجال الجغرافي للمدينة كواقع، بأشكاله وهياكله وضوابطه ومرجعياته، إذ دفعنا تعميق الفهم حول المجال الجغرافي بالمدينة إلى تخصيص هذا الفصل للحديث عن تاريخ التخطيط الحضري بالمدينة. وذلك من خلال التطرق إلى المخططات التوجيهية والمهندسين الحضريين الذين وضعوا بصماتهم في تعمير المدينة.

كما سنحاول تقديم التصاميم التي عرفتها المدينة منذ فرض الحماية الفرنسية على المغرب، إذ شكلت هذه الفترة مرحلة انطلاق التعمير بالمدينة بمعايير جديدة. فالبحث في المعرفة التاريخية للمجال الجغرافي لمدينة الدار البيضاء من شأنه منح تفسيرات إضافية لواقع المدينة الحالي، بالإضافة إلى تقديم شروحات حول التغيرات التي حدثت في المجال المخطط.

1: في تأريخ المدينة قبيل فرض الحماية على المغرب

يتطلب الحديث عن تأريخ مدينة الدار البيضاء قبيل الحماية الفرنسية الإشارة إلى أهم ما عرفته المدينة خلال القرن التاسع عشر. سيتم التركيز خلال الخوض في هذا التاريخ على البعد الاقتصادي والتجاري للمدينة، بالإضافة إلى التطرق إلى أهم الضغوط العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية التي ساهمت في احتلال المدينة.

ساهم تطور النشاط التجاري لمدينة الدار البيضاء منذ بداية القرن 19 في تطوير مكانتها كسوق جهوية، إذ أضحت مركزا تجاريا ومنافسا قويا لمينائي طنجة والرباط، مما جعلها محط اهتمام الشركات التجارية والملاحية. وأصبحت بذلك مركزا لاستقطاب القنصليات والجاليات الأجنبية، وقطبا مهما للخطوط البحرية من الخارج وللقوافل التجارية من الداخل[57]. كما كانت تلعب دورا تجاريا رئيسيا، نظرا لموقعها الجغرافي المهم، وموانئها وأراضيها الزراعية الخصبة. سمحت هذه العوامل للمدينة أن تصبح سوقا كبيرا لسهل الشاوية[58].

اشتد التنافس بين الدول الأوربية على احتلال مواقع تجارية بالدار البيضاء، وذلك من أجل الاستفادة من خيرات المغرب وأسواقه ابتداءً من النصف الأول للقرن التاسع عشر. وتكرس ذلك بعقد معاهدات صداقة وتبادل

---

[55] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000, p XV.

[56] المرجع السابق ص57

[57] شويكي المصطفى (1996)الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الطبعة الأولى، ص 19

[58] RACHIK, Abderrahmane (2002) Casablanca, l'urbanisme de l'urgence, imprimerie NAJAH el Jadida, Casablanca, p 17

المنافع بين المغرب وبعض الدول الأوربية، منحت هذه المعاهدات نفوذا وامتيازات للأجانب على حساب الدولة المغربية.

كما شكل الاحتلال العسكري الفرنسي للدار البيضاء سنة 1907 فرصة للمبادرة الحرة من أجل تكثيف وجودها، وتعزيز نفوذها بهذه المدينة، فالجالية الأوربية التي كان لها الدور الأساسي في تهيئ هذا الاحتلال، ستستغله من أجل إخضاع تطور المدينة لمتطلبات المبادرة الحرة والنظام الرأسمالي، كما أن التطور الكبير والسريع الذي شهدته أعداد الأوربيين بالدار البيضاء بعد الاحتلال العسكري قد أبرز الدور المسند لهذه الجاليات في العمليات الاستعمارية، وخاصة منها ما يتعلق بالمصالح الاقتصادية. فتصاعد توافد الأوربيين وخاصة منهم الفرنسيين ساهم في فتح المجال أمام توسع المبادرة الحرة[59].

أخذت المدينة تتوسع في ظل هذه الوضعية التي تداخلت فيها عدة عوامل، أهمها رغبة الأوربيين في الاستحواذ على خيرات أراضي الشاوية، والاستفادة من حبوبها الفلاحية وأصوافها وماشيتها وأسواقها لتصريف منتوجاتهم. بالإضافة إلى طموح الأغنياء المغاربة لاحتلال مواقع الربح والكسب، وانتهازية الوصوليين من السماسرة والوسطاء. وقد دفع عامل الاحتياج لدى شريحة عريضة من المواطنين- خاصة في سنوات الجفاف- إلى الهجرة الجماعية نحو الدار البيضاء من مناطق سوس ودرعة، بالإضافة إلى قبائل الشاوية ودكالة وعبدة ووردیغة، وكذا الهجرة من مدن أخرى كالرباط ومكناس وفاس واجبالة ومدن الشمال[60].

أشارت بعض الدراسات إلى أن الإستراتيجية التي تحكمت في إنتاج مدينة جديدة إلى جانب النواة العتيقة جعلت المجال الحضري الحديث يتهيكل وظيفيا وعمرانيا واجتماعيا وفق متطلبات المبادرة الحرة. ورغم الطابع الفوضوي الذي نعتت به المدينة الناشئة، فقد جاءت وفق تقسيم وظيفي واضح للمجال، جعل الصناعة تتجه نحو الشرق وأحياء الفيلات نحو الغرب والتجارة والخدمات في الوسط[61]. كما جاء تحديد المدار الحضري سنة 1912 في نصف دائرة شاسعة، تمتد من رأس العنق (أنفا) في الغرب إلى رأس عكاشة في الشرق، ليترك الباب مفتوحا أمام المبادرة الحرة.

على المستوى الديمغرافي، جاءت النشأة الحديثة للدار البيضاء موازية لتوسع كبير للأجانب بالمدينة، كما ارتفعت نسبتهم من مجموع سكان المدينة من 4 % سنة 1907 إلى 36 % سنة 1921. فقد استقطبت المدينة الناشئة -إلى جانب المغاربة الفارين من ضراوة التدخل الاستعماري العسكري والاقتصادي بالبوادي- الأوربيين الفارين من ضراوة الحرب بأوربا. وبذلك تميزت هذه المرحلة بتوسع كبير للمدينة عمرانيا وديمغرافيا واقتصاديا[62].

فإذا كانت الدار البيضاء قبل سنة 1907 محاطة من جميع جوانبها بأسوار عالية تحميها من كل غزو محتمل- قدرت مساحتها بنحو 50 هكتار حسب أول خريطة للمدينة القديمة والتي وضعها المهندس المعماري إيليس طونسي سنة 1906- ، فإنها كانت منفتحة تجاريا، وأخذ نشاط مينائها يتسع وينمو بوثيرة مرتفعة. فقد كانت المدينة سنة

[59] شويكي المصطفى (1996)، المرجع السابق ، ص 22
[60] السنوسي، محمد معنى.(2017) الدار البيضاء الإنسان،..والزمان..والمكان: تاريخ وتطور، الطبعة الأولى، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص 51، ص 53
[61] شويكي، المصطفى. (1996) الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الطبعة الأولى، ص 24
[62] شويكي، المصطفى. المرجع السابق، ص 27

1907 تعرف ازدهارا كبيرا نتيجة للتطور الاقتصادي الذي عرفته طيلة القرن التاسع عشر، وقد نتج هذا التطور عن موقع المدينة على المحيط الأطلسي، وعن توفرها على مرسى عميق، وغنى منطقتها بمختلف المواد التي كانت أوربا في حاجة إليها[63].

2: الإنتاج العمراني للمدينة خلال الحماية: المخططات والتصاميم

تعتبر تصاميم التعمير من أهم وسائل إنتاج وهيكلة المجال الحضري. وحيث أن سياسة الدولة في ميدان التعمير لا تميز الدار البيضاء عن باقي المدن المغربية، فإن تصاميم التعمير بمثابة الترجمة الفعلية للخصوصية التي تطبع سياسة الدولة تجاه هذه المدينة. شهدت الدار البيضاء إبان الاستعمار بعض المحاولات الرئيسية للتخطيط العمراني، تختلف فيما بينها من حيث الظروف التي تمت فيها، ومن حيث المجال الذي همته. لكن هذه الاختلافات وغيرها مهما بلغت من الأهمية، فهي لا تعني تباين الأهداف المتوخاة من هذه المخططات، ولا تخفي استمرارية التوجهات التي تحكمت فيها[64].

2-1: هنري بروست والإنتاج الدائري للمدينة

أعطى مخطط بروست للمدينة مظاهرها العمرانية الأولى، إذ عرفت فيه المدينة حركة تعميرية مهمة في بداية القرن 20، بسبب دينامية مينائها والدور الاقتصادي الذي أصبحت تلعبه. فقد دفعت هذه الدينامية بليوطي سنة 1917 إلى استدعاء المهندس بروست من أجل بلورة تصميم لتهيئة مدينة الدار البيضاء، وقد اعتمد التصميم على مبدأ وظيفي يرتكز على التنطيق والتمييز بين السكان الأوروبيين والمغاربة[65].

تشير الدراسات في هذا الصدد إلى أنه بعد فرض الحماية على المغرب ظهرت بعض التصرفات العدائية للساكنة البيضاوية تجاه الساكنة الأوروبية. وخلال سنة 1914، برزت بعض أشكال العنف كالحرائق وبعض السلوكات العدوانية[66]، وتضيف أنه من أجل احترام مبدأ الفصل بين الساكنة الأوروبية والساكنة المغربية، كان من الضروري على بروست أن يطرح مشروع مدينة جديدة بعيدة عن المدينة المغربية القديمة بكلمترين عبر عرض كامل للمدينة الأوروبية[67].

ثم إن فكرة التعايش بين الساكنة المغربية والساكنة الأوروبية [68] التي جاء بها المخطط أدت إلى ظهور مدينة جديدة عصرية أوروبية بجوار المدينة القديمة. وانطلاقا من هذه المدينة، أخذ المجال الحضري للدار البيضاء في التوسع، إذ في البداية وبجوار الأحياء الأوروبية، تم إنشاء أحياء صفيح (إعادة إنتاج المجال) من قبل المغاربة الذين كانوا يشتغلون في فيلات ومساكن الأوروبيين، كما هو الشأن بالنسبة لمنطقة بولو وفيلات درب غلف وباشكو، ثم بعد

---

[63] السنوسي، مرجع سابق، ص 56

[64] شويكي، المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط،، ص 90

[65] رشيق عبد الرحمان: جريدة الإتحاد الاشتراكي ، 14-06-2014

[66] Casablanca Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident ; p 56 (1968) ANDRE. Adam.

[67] Casablanca Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident ; p 56 (1968) ANDRE. Adam.

[68] Ibid. p 57

ذلك أدمجت المناطق التي كانت عبارة عن هوامش المدينة في المدار الحضري، كما تم الانفتاح على اتجاهات أخرى خصوصا الشمال والشمال الشرقي الذي بدأ يخصص للمجالات الصناعية كما يوضح مخطط بروست 1917.

مخطط بروست 1917

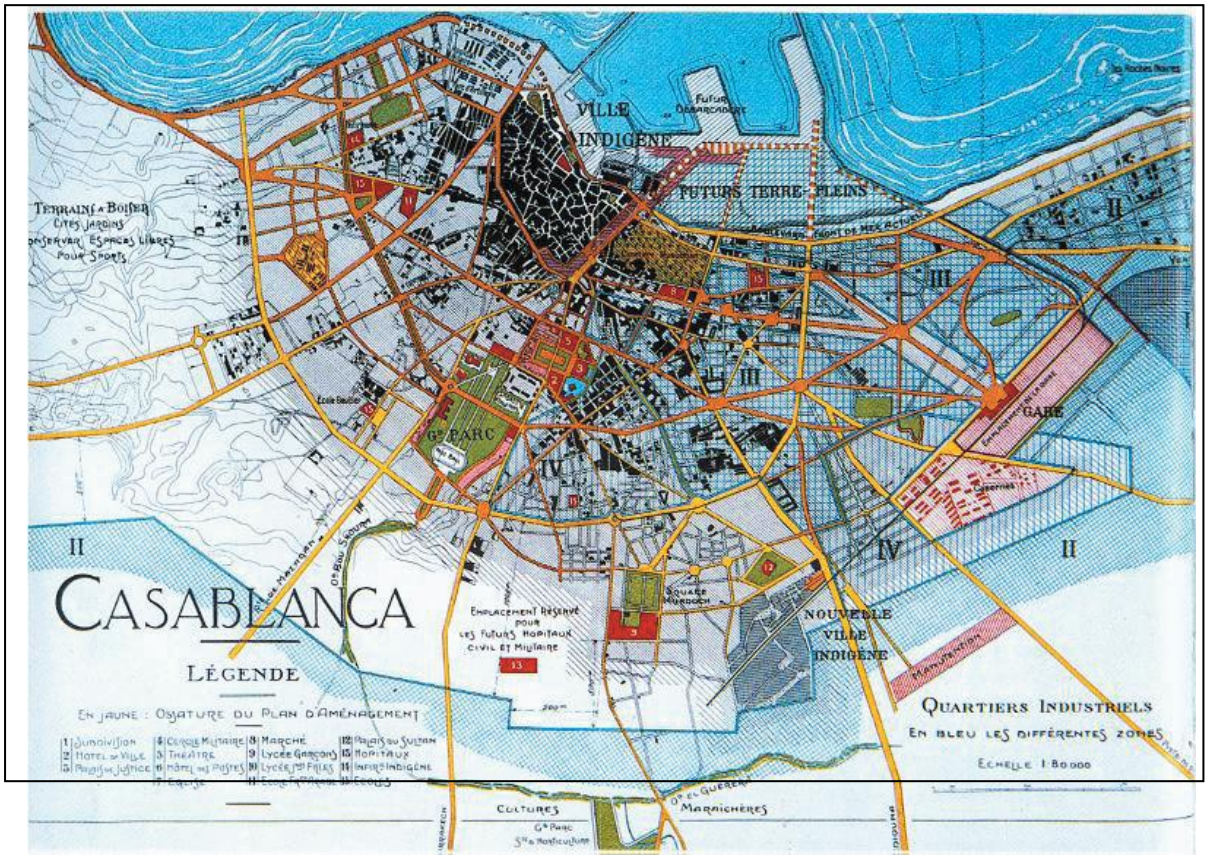

المصدر: وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، جهة الدار البيضاء الكبرى، المجالات: التحديات والطموحات، المفتشية الجهوية للاسكان والتعمير والتنمية المجالية للدار البيضاء الكبرى، 2010.

ساهم هذا المخطط في ما تعرفه المدينة حاليا من هيكلة، من خلال تجميع التجارة والصناعة والأنشطة الاقتصادية بين الميناء ومحطة القطار من جهة، وشرق المدينة القديمة من جهة ثانية، واعتبرت تلك المناطق منذ ذلك الحين بمثابة نقط ارتكاز وتوسع الأنشطة الاقتصادية في اتجاه باقي أرجاء المدينة.

من جملة التوجهات الكبرى التي جاء بها المخطط، نسجل تشجيع القطاع الخاص في الاستمرار في نشاطه داخل المدار الحضري وخارجه، عبر ليونة قانونية في الضوابط العمرانية، الشيء الذي أفرز العديد من التجمعات السكنية في شكل مراكز حضرية شبه مستقلة عن الدار البيضاء، مثل الواحة (الوازيس) وعين برجة وحي المطار وبوسيجور وبولو وعين السبع والتي بدأت في التوسع منذ تلك الفترة[69].

إذا أخذنا مثال مقاطعة عين السبع، نشير هنا إلى أن انتقال الساكنة الأوروبية من 298 سنة 1926 إلى 1836 سنة 1931 بنسبة 43,8 %[70] يبين حجم الثقل الأوروبي على ضواحي المدينة في ذلك الوقت. كما ساهم التواجد

[69]: التعمير بين المركزية و اللامركزية ، الشركة المغربية للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى ص 7)1993(البكريوي عبد الرحمان

[70]: الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية، مرجع سابق ص 71)1996(شويكي المصطفى

الأوربي في المنطقة في إنعاش القطاع الصناعي، والذي عزز من الشركات الصناعية التي وضعت قدمها في المنطقة منذ تأسيس شركة électricité centrale سنة 1920 بمنطقة الحي المحمدي، وهو ما يفسر دور الجذور التاريخية لطابع التصنيع الذي تعرفه منطقة عين السبع، من هنا تتضح مساهمة مخطط بروست في وضع معالم تمحور الصناعة في اتجاه مدينة المحمدية.

قادنا تحليل هذا المخطط في البداية إلى بعض الاستنتاجات، نستهلها بالإشارة إلى أن تركيز المخطط على تسهيل الوصول إلى الميناء من كل المراكز -وخاصة الأوروبية منها- يجعلنا نستنتج أن الهدف من هذا التخطيط هو خدمة الرأسمال والاقتصاد الخاص بالمصالح الاستعمارية، إذ تم توظيف المجال باعتباره أحد عناصر الإنتاج، وأحد المقومات الاقتصادية، الشيء الذي يجعل الأهداف الحقيقية للتخطيط الحضري والمتمثلة في تهيئة المجال حسب حاجيات الإنسان المجالية، ووفق نموذج العدالة المجالية والاجتماعية بعيدة عن مرامي مخطط بروست، ونركز بالأساس على غياب البعد الإنسي والأخلاقي والبيئي في هذا المخطط.

نستخلص مما سبق أن المخطَط جاء لتلبية المصالح الأوروبية وخاصة الفرنسية في المغرب، مقابل إهمال واضح لمصالح المغاربة وتهميشهم. مع العلم أنه في اللحظات الأخيرة لهذا المخطط، ولما تعالت الأصوات المغربية المطالبة بالإصلاحات وعدم التهميش وضرورة تجاوز التفاوتات السوسيومجالية خلال الأربعينات خرجت إلى الوجود بعض بوادر الإصلاح، رفضتها الجالية الأوروبية مطالبة باستقدام مخطط آخر يراعي مصالحها بشكل أساسي.

كان المجال المعاش حاضرا بقوة في مخطط بروست، إذ حاول واضع التخطيط تلبية معظم حاجيات ورغبات الجالية الأوربية، عبر إبعادها عن الساكنة المغربية، وتمتيعها بعقارات مهمة، لن تجعلها مضطرة للتمرد على المجال عبر إضافات مجالية أخرى. كما تبنت السلطات الاستعمارية مقاربة إيديولوجية في التخطيط للمدينة، من خلال العمل على تعزيز التواجد الأوربي في القطاع الغربي الجنوبي (أنفا)، وحصر الساكنة المغربية في المدينة القديمة وهوامش المركز.

2 - 2 : ميشيل إكوشار والإنتاج الخطي لمدينة الدار البيضاء

نعث تصميم بروست بالمتجاوز لتبرير محاولة تقديم تصميم جديد يخدم نفس الأهداف الاستعمارية. وبالفعل، تم سنة 1944 استقدام مهندس جديد من فرنسا (كورتوا). لكن هذه المرة كان على واضع التصميم مواجهة واقع جديد، يتمثل في التوسع الكبير الذي شهدته أحياء السكن المغربي بالمدينة المغربية الجديدة، بالإضافة إلى استفحال ظاهرة الصفيح. لذا جاءت محاولة التخطيط الجديدة لتخصص حيزا واسعا للسكن المغربي، الشيء الذي أثار سخط الأوربيين. حيث أدى خروج تصميم كورتوا عن المبادئ التي رسخها تصميم بروست إلى ظهور معارضة قوية ضده، أدت إلى الاستغناء عنه بدعوى تطلب انجازه لتكاليف باهضة[71].

[71] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، ص 94

اقترح مخطط إكوشار خيارا إراديا يكمن في تطور المدينة على طول الساحل الأطلنتي باعتبارها مدينة خطية وصناعية، يمتد طولها على 30 كلم. تم خلال هذا المخطط تأكيد وتعزيز مبدأ مخطط هنري بروست، والفاصل بين المناطق الصناعية والعمالية في الشرق والمناطق السكنية في الغرب (أنفا). كما عمل على تنمية المراكز الصغيرة في المناطق القروية من أجل وضع حد للهجرة القروية نحو المدن الكبرى[72].

من أبرز سمات هذا التصميم، إضفاؤه للمشروعية على إنتاج وهيكلة المجال الحضري كما أفرزته المبادرة الحرة، وذلك عن طريق إدماجه للتجمعات السكنية التي تعددت وتوسعت خارج النطاق الذي مسه المخطط العمراني السابق، كما جاء من أجل ترسيخ الكثير من الاختيارات التي جاء بها سابقه، ومن أجل تحديد التوجه المستقبلي للمدينة[73].

يدفع التأمل في واقع المدينة إلى تسجيل بعض أهداف المخطط، مثل خلق منطقة صناعية في اتجاه المحمدية، وتزكية التوسع نحو الشمال الشرقي الذي فرضه توسع الصناعة في ذلك النطاق (مولاي رشيد). كما عكست منطقة عين السبع والبرنوصي بعض مظاهر مخطط إكوشار في التوسع، إذ يلاحظ تحكم توسع الصناعة في التوجيه المستقبلي لتوسع المجال الحضري، وفي هيكلة هذا المجال عن طريق التوجه الجديد المعطى لمحاور المواصلات[74].

في مقابل ذلك، تتميز منطقة الجنوب الغربي للمدينة (أنفا) بتركز السكن الراقي وانعدام شبه كلي للصناعة، وهذه أيضا من أسس مخطط إكوشار. ومن الخطوط العريضة لهذا المخطط أيضا، نسجل الطريق السيار الرابط بين الدار البيضاء والرباط لتسهيل عملية ربط الاتصال بين شمال المدينة وباقي المحاور، كما تم إنشاء شارع الحزام الكبير للإحاطة بالمجال الحضري للمدينة، وتأمينه من المخاطر.

أعطى المخطط أولوية لسكن المغاربة، وذلك من خلال السكن الاجتماعي الظاهر بمنطقة سيدي عثمان والحي الحسني وحي العنق (مقاطعة أنفا) لإعادة إيواء ساكنة دور الصفيح. وقد ساعدته في ذلك بعض الظهائر، كتلك الخاصة بامتلاك الأراضي للمنفعة العامة أو الخاصة بتوفير رصيد عقاري احتياطي مهم لضبط توسع المدينة مستقبلا. وكأن إكوشار يعمل بسياسة إرضائية بين الساكنة الأوروبية والساكنة المغربية. وبهذا، فقد ساهم إكوشار في دخول الدولة ميدان اقتناء الأراضي وتشييد السكن المغربي في شكل وحدات سكنية من حجم 8×8، وقد شكلت محاولة إكوشار هذه حلا لمعضلة السكن المغربي[75].

رغم كون المغرب عرف الاستقلال سنة 1956، إلا أنه ظل يشتغل بهذا المخطط في المدينة، وذلك لملء الفراغ القانوني والتنظيمي للمجال الحضري، في انتظار خروج تصميم جديد يراعي التحولات المجالية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المجتمع البيضاوي، ويراعي المخاطر الأمنية التي بدأت تظهر في الأفق.

[72] المملكة المغربية : وزارة الإسكان و التعمير و التنمية المجالية 2010، جهة الدار البيضاء الكبرى ، ص 36
[73] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، ص 96
[74] شويكي المصطفى (1996) الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية، ص 74
[75] شويكي المصطفى ،(1994)، مرجع سابق ص 96

قادنا تحليل هذا المخطط في البداية للإشارة إلى أن إيكوشار مهندس معماري استقدم في عهد إريك لابون سنة 1946. عرف عن إكوشار أنه من أتباع المهندس المعماري المشهور لوكوربيزيي[76] صاحب ميثاق أتينا 1933، هذا الميثاق الذي يؤكد على أربع وظائف أساسية للمدينة وهي: العمل والتنقل والسكن وترفيه الذات والروح، حيث يؤكد الميثاق على ضرورة التوفيق بين التنظيم العمراني والحاجيات الأساسية للإنسان، وخاصة مسألة الصحة الناتجة عن استثمار الإنسان لشروط الطبيعة (الشمس والاخضرار والفراغ والمساحات). بالإضافة إلى منع إقامة المباني على أطراف الطرق والساحات، مما يعرضها للضجيج والغبار والغازات السامة، وفرض إقامتها وسط حدائق خاصة تؤمن الشمس والهواء والهدوء، مع ضرورة فصل حركة السيارات عن حركة المشاة.

تم إدراج هذه المضامين لمعرفة مكانتها ضمن مجال الدار البيضاء، أو بعبارة أخرى، أين هي الدار البيضاء من ميثاق أتينا الذي يعد إكوشار من رواده؟ صحيح أن أهم فكرة في الميثاق هي التنطيق، وقد طبق إكوشار هذه الفكرة في المدينة، إذ قسمت إلى عدة نطاقات مثل مجال السكن والصناعة والإدارة والتجارة. كما قسمت بعض المناطق إلى مجالات وظيفية مثل تقسيم المنطقة السكنية إلى حي الفيلات وحي السكن المختلط (عمارات وفيلات وأحياء السكن الاقتصادي). إلا أن البعد الإنسي والبعد الجمالي والبيئي غاب عن المدينة في المخطط. وإن وجدت هذه الأبعاد، فإنها توجد في الأحياء الأوروبية (أنفا)، وهذا تمييز وميز بين هذه الأحياء والأحياء المغربية، وهذا ما تؤكده المقولة المشهورة لإكوشار "**لقد نسينا المغاربة خلال 40 سنة ".**

استفاد إكوشار كثيرا من سابقيه، الشيء الذي جعل مخططه يأتي كحل توفيقي لإرضاء أكبر عدد من الأطراف المعنية بالتخطيط العمراني، وخاصة الأوساط السياسية التي كانت تواجه ظروف المطالبة بالاستقلال، وهذا ما جعل تصميمه يكون بمثابة خطوة هامة نحو تحكم الدولة في إنتاج وهيكلة المجال الحضري[77].

3: إنتاج المدينة بعد الحماية: الهيكلة المجالية والإدارية

بعدما عرفت الدار البيضاء - وعلى غرار باقي المدن المغربية- فترة فراغ قانوني منذ حصول المغرب على الاستقلال، ظهرت عدة مشاكل في الأفق، سواء المرتبطة بالتنظيم الحضري أو انتشار الإختلالات المجالية وتنامي ظاهرة المضاربات العقارية، وازدياد انتشار السكن غير اللائق وظهور مشاكل أمنية وأخرى سوسيومجالية.

سارع المسؤولون عن التعمير بالمدينة إلى وضع الدراسات الأولية لإخراج مخطط توجيهي للتهيئة الحضرية للدار البيضاء، والتي بدأت منذ سنة 1976. إلا أن ظهور بعض الأحداث، ولعل أبرزها انتفاضة الخبز بالمدينة[78]، أدى

[76] هو صاحب فكرة المدينة المشعة أو المدينة الوظيفية ، أول من وظف التنطيق في المدينة

[77] شويكي، المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، ص 98

[78] أزمة الخبز " أو الكوميرة كما سماها إدريس البصري "، فبعد قرار الزيادة في أسعار المواد الغذائية الأساسية دعت الكنفدرالية الديمقراطية للشغل إلى إضراب عام، ليس فقط كأداة لصياغة المطالب الاجتماعية، ولكن اعتبر كوسيلة للضغط على السلطة السياسية في الثمانينات. لم تتخيل الدولة المغربية أنها ستواجه نفس المخاطر التي واجهتها تونس في عام 1978. وعلى الرغم من تراجع الحكومة، من خلال الموافقة على خفض بنسبة 50 ٪ الزيادات المتوقعة في الأسعار ، لم تتردد النقابات في الدعوة إلى الإضراب للحصول على الإلغاء الكامل للزيادات المطبقة على المواد الغذائية الأساسية. إن بدء دعوة CDT لإضراب عام في 20 يونيو 1981 مهد الطريق لأعمال شغب عنيفة في مختلف مدن البلاد. سرعان ما غمرت النقابات والسلطات المحلية بحجم أعمال الشغب وطبيعتها العنيفة والمدمرة. في حركة التحريض العنيف التي استمرت يومين. تم تسجيل عدة آلاف من الاعتقالات في الدار البيضاء

إلى التعجيل بظهور المخطط إلى الوجود، والذي خرج في الجريدة الرسمية سنة 1985، بعدما تمت المصادقة عليه سنة 1984.

1-3: الإنتاج العمراني للدار البيضاء في ظل التصميم التوجيهي بانسو 1984

كان وراء إنجاز هذا التصميم مكتب دراسات أجنبي تحت إشراف المهندس المعماري "ميشيل بانسو"، وكان الهدف منه محاربة الفوضى الحضرية التي شهدتها المدينة جراء النمو غير المنتظم، والذي أدى إلى تشتت المجال الحضري بها. فلأول مرة ومنذ الاستقلال، قدم هذا التصميم تحليلا للمشاكل والإختلالات التي تعرفها المدينة، مثل النقص في الأراضي القابلة للتعمير، ومشاكل في السوق العقارية، وعدم التوافق بين سياسة تمويل السكن والقدرة الشرائية للساكنة، وسوء تقسيم المهام، وندرة الأراضي المخصصة للصناعة، وانعدام المرافق العمومية المهمة وصعوبة التنقل[79]. وبذلك، تعتبر هذه التوجهات من بين الخطوط العريضة التي جاء المخطط لمعالجتها.

جاء هذا المخطط المديري الجديد بمجموعة من الإجراءات والمبادئ التوجيهية الأساسية لهيكلة المدينة والتحكم في تطورها. كما برمجت الوثائق التعميرية المعدة لتفعيل التوجهات الواردة في التصميم المديري الجديد العديد من العمليات العمرانية الرئيسية للتنمية الحضرية. ومن أهم مرتكزات هذا المخطط نجد: توفير سكن لائق لساكنة الدار البيضاء في أفق سنة 2000، وضمان سهولة المواصلات والاقتصاد أقصى ما يمكن من المسافات، والتخفيف من التفرقة بين الأنشطة والسكن، وضمان فعالية النقل العمومي، والربط بين ميناء الدار البيضاء والمحمدية وتحسين جودة المجالات العمومية والبنايات[80]. كما جاء هذا المخطط بمجموعة من التوجهات التي همت قطاعات حيوية، من بينها:

إنتاج الأنشطة الاقتصادية: تبنى المخطط نفس توجهات المخططات السابقة، إذ ساهم في تركيز الصناعة في الشمال الشرقي للمدينة (مولاي رشيد) وفي اتجاه المحمدية، وهذا ما يلاحظ اليوم من خلال تركز الأحياء الصناعية شمال شرق مدينة الدار البيضاء، والتي تعتبر كمناطق الإنتاج الصناعي بامتياز، حيث تتواجد بها حوالي 60% من المقاولات الموروثة عن الحماية الفرنسية، إلى جانب ثلثي أكبر المقاولات الصناعية بجهة الدار البيضاء الكبرى (حسب تقسيم 16 جهة). تتواجد أهم الوحدات الصناعية بكل من الصخور السوداء وعين برجة ولاجيروند وعين السبع وسيدي البرنوصي، وهنا نذكر أن واضع التصميم كان قد قدر حاجيات التوسع الحضري من الأراضي المخصصة للصناعة إلى غاية سنة 2000 ب 1429هكتار بنسبة 12,8% من مجموع تراب المدينة [81]، وهي نسبة تم تجاوزها بفعل تنامي المجالات الصناعية.

إنتاج السكن: قدر التصميم حاجياته من الأراضي إلى غاية سنة 2000 ب 6459 هكتار بنسبة 57,8 % [82]، وهنا يلاحظ تزايد حظيرة السكن خلال الفترة الممتدة بين 1980 و2002 لتصل إلى 557700 وحدة سكنية. كما راهن واضع التصميم التوجيهي على الزيادة في كثافة أحياء الفئات الشعبية والمتوسطة، عن طريق فتحها بشكل مكثف

[79] المفتشية الجهوية للتعمير و السكنى و التنمية المجالية (2010) : المجالات التحديات و الطموحات ص 36

[80] شويكي، المصطفى. (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، ص 98

[81] شويكي، المصطفى (1996) الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية، ص 78

[82] جهة الدار البيضاء الكبرى (2010) المجالات التحديات و الطموحات، ص 49

أمام التوسع العمودي، وعدم تمييزه إلا بين نوعين من الكثافات: منخفضة لا تتعدى 28ن في الهكتار خاصة بأحياء الفيلات(أنفا)، ومرتفعة حوالي 355 ن في الهكتار في باقي الأحياء الشعبية. يتضح من خلال مقارنة مشاكل المدينة مع الحلول المقترحة من طرف التصميم المديري أن معظمها ظل مجرد شعارات، هدفها الأساسي تمرير حلول أقل ما يقال عنها أنها متحيزة. كما أن استلهام واضع التصميم المديري للحلول من الغرب، يحيل على أنه اتبع نفس أسلوب واضعي المخططات العمرانية السابقة [83].

من أهم الملاحظات المسجلة حول هذا المخطط نجد:

- ✓ غياب المجالات الخضراء ونخص بالذكر الحزام الأخضر الذي كان مقررا؛
- ✓ ساهمت مضامينه في تركيز الضغط على المجال الساحلي لجهة الدار البيضاء؛
- ✓ طغيان التعمير الفوضوي والعشوائي على التعمير التنظيمي؛

من خلال الإطلاع على مضامين المخطط وما هو منجز على أرض الواقع، نشير إلى أن أغلبية الاختيارات المسطرة في التصميم المديري لم تفعل، كما أن معظم توقعات تصاميم التهيئة للدار البيضاء المصادق عليها سنة 1989 انتهت مدة صلاحيتها منذ سنة 1999 دون إنجازات مهمة، ماعدا بعض التجهيزات البسيطة، إذ يلاحظ مثلا أن من بين 1351 مرفق عمومي مخصصة لقطاعات وزارة التربية والتعليم ووزارة الصحة والإدارات العمومية المختلفة، لم ينجز منها إلا 231 مرفقا عموميا خلال عشر سنوات، أي نسبة إنجاز ضعيفة لا تتجاوز 17 %، وأن حوالي 1013,40 هكتار التي كان على الدولة إقامة مسطرة نزع الملكية لها لم تقتني منها سوى 184 هكتارا (15,22 %)[84].

أخفقت تصاميم بانسو في تحقيق أهدافها، ومن بين ما حققته بشكل استعجالي نسجل إنشاء الهياكل الإدارية، وخاصة مقرات العمالات، وإقامة الوكالة الحضرية المكلفة بالتعمير، وتهيئة محيط القصر الملكي، بالإضافة إلى إنجاز بعض المشاريع الجزئية الأخرى، وكأن الهاجس الإداري الأمني كان وراء وضع هذا المخطط، وما صاحبه من تصاميم تهيئة، بينما ظلت الأهداف المتعلقة بالتنمية المحلية، وخلق بيئة متوازنة للمدينة ولسكانها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسكنية والترفيهية غائبة، لم يتم تحقيقها إلا بنسبة ضئيلة جدا. وهذا ما تؤكده الوثائق الرسمية[85]، إذ بعد مرور 10 سنوات، أظهرت الحصيلة التي أعدتها الوكالة الحضرية أن نسبة التجهيزات المنجزة في جميع الجماعات جد ضعيفة[86].

2-3: في تأريخ الهياكل الإدارية المنتجة للمدينة

بعد حصول المغرب على الاستقلال، تم تقسيمه إلى عمالتي الرباط والدار البيضاء وإلى 16 إقليم. قسمت الدار البيضاء لوحدها إلى جماعات تسير من طرف مستشارين منتخبين يسهرون على تسيير الشؤون الجماعية، ومن طرف

[83] شويكي، المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، ص 98

[84] جهة الدار البيضاء الكبرى (2010) المجالات التحديات و الطموحات ص 39

[85] السنوسي ، مرجع سابق، ص 147

[86] وزارة إعداد التراب الطني والبيئة والتعمير والإسكان –الحوار الوطني حول إعداد التراب- جهة الدار البيضاء (2010) ص 45.

السلطة المركزية المتمثلة في سلطة العامل، والذي يتمتع بسلطة حقيقية في كل ما يتعلق بتدبير شؤون المدينة على مستوى الخدمات الجماعية والتعمير والشرطة الإدارية[87].

عرفت المدينة خلال البدايات الأولى للاستقلال تقسيما في بنيتها الإدارية، نتج عنه توسع في نفوذها الإداري، إذ أصبحت عاصمة لمنطقة الشاوية، وارتبطت بها مجموعة من المراكز الحضرية والقروية. بلغ عدد السكان الحضريين لإقليم البيضاء حسب إحصاء 1960 ما مجموعه 1326153نسمة، وكانت الدار البيضاء تضم 965277 نسمة أي 72% من مجموع سكان الإقليم، وقد استفادت كثيرا من حركة الهجرة القروية التي عرفها المغرب سنوات الستينات، حيث استقطبت السكان من مختلف مناطق المغرب كما توضح الخريطة رقم 1.

خريطة رقم 1: الأصول الجغرافية لساكنة الدار البيضاء سنة 1971

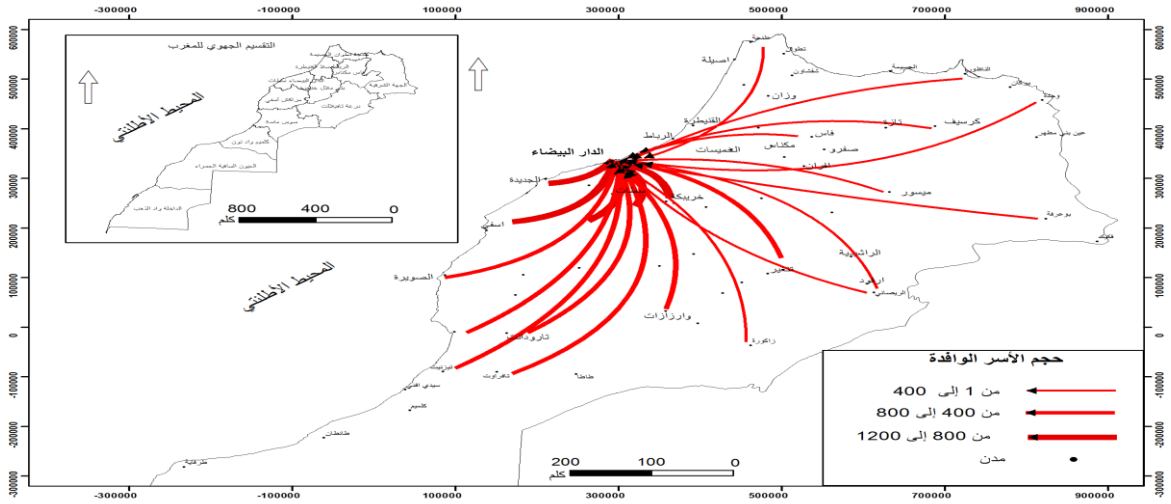

المصدر: Robert escalier(1980) : espace urbain et flux migratoire le cas de la métropole économique marocaine, Casablanca méditerranée, 3éme série, tome 38 1-1980, pp 3-14

في سنة 1971، سيعرف المغرب تنظيما إداريا شمل المجال الوطني ككل، نتج عنه تقسيم التراب الوطني إلى سبع مناطق اقتصادية. أصبحت البيضاء بموجب ذلك عاصمة للمنطقة الوسطى، والتي عرفت بدورها إنشاء أقاليم جديدة كانت في السابق مرتبطة بالبيضاء[88].

وقد شكلت سنة 1976 نقطة تحول أساسية في تطوير المؤسسات والهياكل الإدارية بالمغرب. إذ دخلت الدار البيضاء ابتداءً من هذا التاريخ في مسلسل إعادة هيكلتها الإدارية. فبموجب ظهير 30 شتنبر 1976 تم تقسيم مدينة الدار البيضاء إلى 5 جماعات حضرية (عين الذئاب وعين الشق ومرس السلطان وعين السبع وبن امسيك)، لتشكل أول مجموعة حضرية بالمغرب تقوم بمهام التنسيق بين الجماعات الحضرية، وتتدخل في بعض اختصاصات الجماعات مثل الأشغال العمومية والنقل العمومي والماء والكهرباء[89].

[87] المفتشية الجهوية للإسكان و التعمير و التنمية المجالية للدار البيضاء الكبرى (2010) المجالات التحديات و الطموحات ، ص 11
[88] بحار نعيمة (1987) تطور التقسيم الإداري بالدار البيضاء، كلية الآداب الدار البيضاء، مقال ضمن مجموعة أبحاث ودراسات حول الدار البيضاء، أعمال الندوة الثانية للدار البيضاء، ص 59
[89] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، ص 342

عرفت الدار البيضاء منذ سنة 1981 مرحلة جديدة من تطورها، تتميز بالرجوع القوي للدولة بواسطة أجهزة متعددة ومتباينة الاختصاصات. لكن هذا الرجوع لا يعني تهميش القطاع الخاص، بقدر ما يعني تكثيف حضور الدولة من أجل التحكم في تطور المجال الحضري[90]. غير أن التطور السريع الذي ستعرفه العاصمة الاقتصادية، سيفرض تنظيما إداريا جديدا داخل مجالها الحضري، قصد توفير ظروف ملائمة لتسيير وتنظيم هذا التوسع.

على إثر أحداث يومي 20 و 21 يونيو 1981 تم تقسيم المدينة إلى 4 عمالات، تم تحويل اختصاصات رئيس المجموعة الحضرية إلى ممثل السلطة بموجب ظهير 2 شتنبر 1980. وبذلك تم تكريس الوضع الخاص للدار البيضاء عن طريق تعزيز الإدارة المباشرة. ومع إنشاء الولاية عند تقسيم المدينة إلى أربع عمالات، تم تركيز عدد من اختصاصات العمال بيد الوالي.

وهكذا لم يؤدي تقسيم المدينة لعدة كيانات إدارية إلى تفتيت السلطة فقط، بل على العكس من ذلك، جاء هذا التجزيء مطابقا لتعزيز مكانة ودور ممثل السلطة المركزية. بمعنى أن تجزيء المجال الحضري جاء من أجل مركزية القرار، وانتقل عدد العمالات إلى خمسة سنة 1985 عند إنشاء عمالة درب السلطان الفداء، والى ستة سنة 1990 عند إحداث عمالة البرنوصي زناتة، وإلى سبعة سنة 1994 عند إحداث عمالة المشور[91].

[90] شويكي المصطفى (1996) الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية، مرجع سابق، ص 32
[91] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، ص 344

خاتمة الفصل الأول

عرفت مدينة الدار البيضاء ومنذ نشأتها العصرية مجموعة من الاختلالات المجالية. ساهمت الحماية الفرنسية في طرح مخططات تعميرية، إلا أن تلك المخططات عوض أن تركز على ما هو مجالي وما هو مرتبط بالحاجيات المتعددة للساكنة المغربية ساهمت في تعميق تهميشها اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا، من خلال الاهتمام بالجالية الأوربية على حساب الساكنة المغربية. فقد وضعت تصاميم بروست واكوشار معالم وتوجهات كبرى لازالت تحتفظ بها المدينة إلى اليوم، وذلك من خلال تعميق التناقض المجالي بين جنوب غربي خاص بالأحياء الراقية، وشمال شرقي مخصص للأنشطة الاقتصادية والصناعية وللسكن المغربي.

ساهمت المخططات الاستعمارية في الرفع من أثمنة العقار بهذه المناطق، وجعله في متناول الطبقات الغنية فقط، وكأنها حددت منذ ذلك الوقت من يسمح له بالعيش في هذه المناطق، الشيء الذي جعل الأجيال اللاحقة في باقي أحياء المدينة تعيش مظاهر الحرمان المجالي، وتفكر في التمرد على المجال.

عاشت أحياء الجنوب الغربي على وقع المخططات الحضرية الاستعمارية، والتي حاولت توفير معظم الحاجيات والرغبات المجالية من خلال السكن الواسع، والمساحات الخضراء، والمجالات المفتوحة والترفيهية، بالإضافة إلى تنوع الخدمات الاجتماعية كقطاع الصحة.

مقابل ذلك، عاشت الفئات الشعبية والفقيرة بإيعاز من المخططات المذكورة في هامش المدينة مختلف مظاهر تدني الخدمات المجالية والاجتماعية والبيئية، وهو ما تم تعزيزه من خلال المخطط المديري بانسو، الشيء الذي يجعل هذه المناطق عرضة لأي تمرد مجالي واجتماعي، وهو ما حصل سنوات الثمانينات. وبهذا يمكن القول على أن التخطيط دون مراعاة حاجيات ورغبات الساكنة (المجال المعاش النفسي والذهني) من شأنه القيام بإعادة إنتاج la reproduction مجالات أخرى من منظور ثقافي وذاتي، مما يؤشر على تفاوت بين إنتاج المجال وإعادة إنتاج المجال بالمدينة.

الفصل الثاني

الخصائص المجالية والاجتماعية للدار البيضاء

مقدمة الفصل الثاني

للإحاطة بمعظم المخططات التوجيهية التي عرفتها المدينة منذ النشأة العصرية إلى اليوم، كان من اللازم التطرق إلى المخطط المديري الأخير 2008-2010، والذي اعتبر آخر مخطط رسمي بالمدينة، فرغم صدور مخطط آخر سنة 2015-2017، فإنه يعتبر فقط مخططا تكميليا لمخطط2010. ولمعرفة أهم التوجهات والمبادئ والتحديات التي جاء بها المخطط المديري الأخير، تم تخصيص حيز من الفصل الثاني للتطرق إليها، وذلك بهدف الوقوف عن مدى حضور المجال المعاش في المخطط الأخير، ومدى الاستجابة لحاجيات ورغبات الساكنة، ومدى اهتمامه بالتناقضات المجالية بين مقاطعات المدينة، ومدى عمله على تخفيف التفاوتات التي رسختها المخططات في عهد الاستعمار أو في عهد الاستقلال (بانسو) بين مقاطعات الهامش ومقاطعات المركز.

خصصنا أيضا جزءًا من هذا الفصل لإثارة بعض الخصائص والمميزات الاجتماعية والديمغرافية في المدينة، وذلك بهدف الوقوف على الأبعاد المجالية والاجتماعية العامة بالمدينة، والتي من شأنها توضيح تفرد مقاطعة أنفا ومولاي رشيد ببعض الخصائص التي جعلتنا نختارهما كمجالين للدراسة.

أيضا سنحاول التطرق إلى الخصائص العامة للمدينة، والتي من شأنها إعطاء نظرة عامة حول الارتباطات بين هذه الخصائص الاجتماعية والديمغرافية (الفقر وعدد السكان والكثافة السكانية ومعدل الخصوبة والبطالة والأمية ومعدل النشاط) والمجال المعاش بأنواعه خلال تحليل الميكانيزمات المرتبطة به.

1: الإنتاج العمراني لمدينة الدار البيضاء في ظل المخطط التوجيهي 2008-2010

بعد ضعف نسبة الانجاز الخاصة بالمخطط المديري بانسو لسنة 1984، عرف المجال الجغرافي الذي كان يندرج ضمن جهة الدار البيضاء الكبرى (حسب التقسيم القديم 16 جهة) مخططا آخر سنة 2010، شمل كافة تراب الولاية، وكان يهدف حسب ديباجته المدرجة في تقريره التبريري le rapport justificatif إلى إزالة مظاهر الاحتقان بالمدينة، والعمل على تخفيف تركيز النشاط والإسكان في الضواحي، وإمداد المدينة بالأراضي التي تلبي الاحتياجات، وتصحيح الاختلالات المجالية (خصوصا في الشرق)، وإدراج مشاريع التنمية الحضرية التي تحسن صورة المدينة[92].

جاء التصميم المديري للتهيئة الحضرية للدار البيضاء الذي صودق عليه بمرسوم السيد الوزير الأول رقم 2.09.669 بتاريخ 31 دجنبر 2009 ، والصادر بالجريدة الرسمية رقم 5806 بتاريخ 21 يناير 2010، بمجموعة من المقترحات التي تنخرط بصفة عامة في التوجهات العامة لتصميم التنظيم الوظيفي لإعداد الفضاء المتربولي الأوسط الرباط-البيضاء[93]، أي أنه جاء برؤية شمولية تكميلية تبتغي حل المشاكل المجالية في شموليتها.

تم إعداد المخطط التوجيهي من طرف مجموعة مكاتب الدراسات الفرنسية AUC/AURIF وتحت إشراف الوكالة الحضرية للدار البيضاء. وقد جاء بمجموعة من التوجهات المهتمة بالقطاعات الحيوية، (السكن والصحة

[92] SDAU (2010) . P 4

[93] جهة الدار البيضاء الكبرى، (2010) المجالات التحديات و الطموحات ص 44

والصناعة والمشاريع الحضرية والسياحة والتعليم)، وقد همت مشاريعه مدينة الدار البيضاء وضواحيها، إذ تم الانفتاح على الضواحي بغية تفعيل مقاربة تنموية شاملة بين المركز والهامش، من خلال إدراج مجموعة من المشاريع الخاصة بالسكن والصناعة والسياحة بجماعات الضواحي (دار بوعزة والرحمة وبوسكورة وأولاد صالح وزناتة). إلا أن ما يهمنا نحن في هذا المخطط هو توجهاته بالنسبة لمدينة الدار البيضاء، أي البحث في مسألة تغطيته لمشاكل المدينة ولمسألة التناقضات المجالية بين مقاطعات المركز والهامش.

خريطة رقم 2: مدينة الدار البيضاء حسب المخطط التوجيهي لسنة 2008-2010.

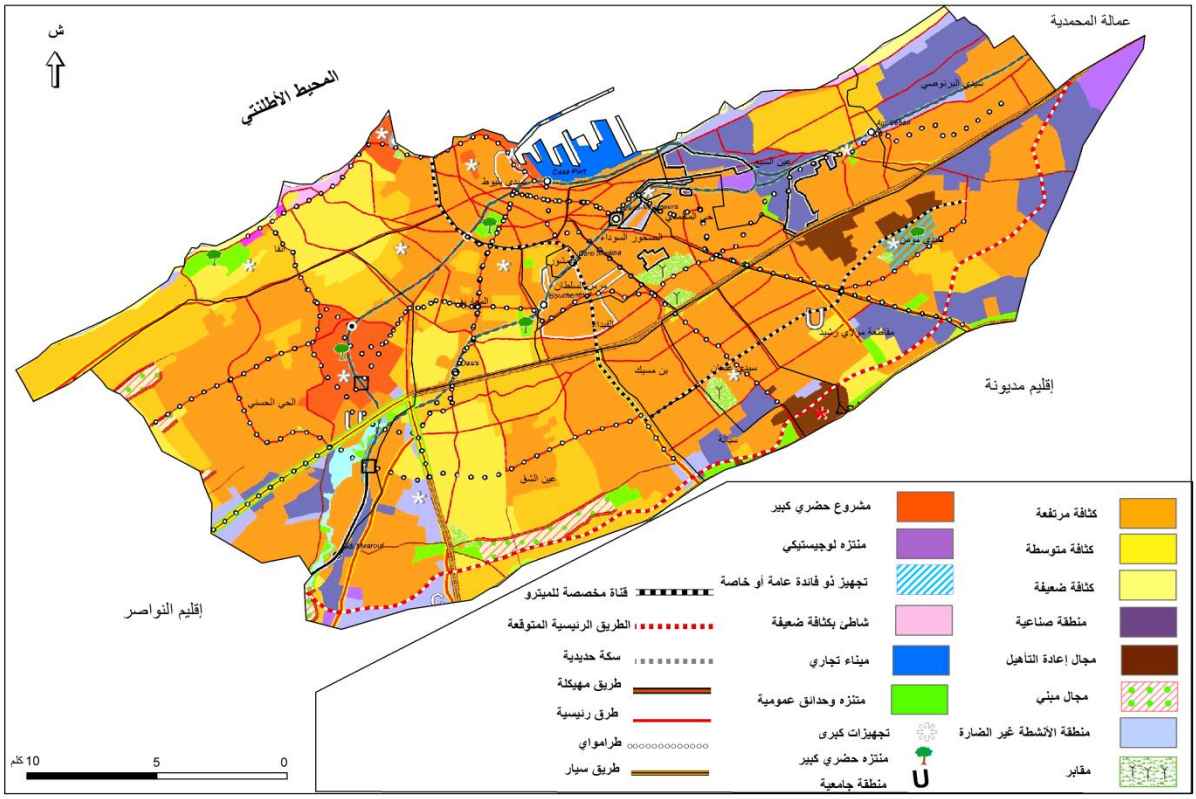

المصدر : المخطط التوجيهي 2010

يلاحظ من خلال القراءة الأولية للمخطط المديري إدراج مجموعة من المنتزهات والحدائق العمومية والمساحات الخضراء، وذلك لدعم البنية التحتية كمشاريع مستقبلية. وقد تم تركيزها في مقاطعة أنفا[94] والمعاريف وسيدي بليوط وعين الشق، مع وجود استثناءات عبارة عن مساحات صغيرة في كل من مقاطعات سباتة وسيدي عثمان ومولاي رشيد.

رسخ التصميم المديري تواجد القطاع الصناعي في مقاطعات الشمال (البرنوصي وعين السبع) والشمال الشرقي (سيدي مومن ومولاي رشيد)، مع وجود استثناءات في بعض مقاطعات الهامش. في مقابل ذلك، عزز الهياكل الترفيهية

[94] مثل مشروع إعادة تهيئة حديقة السندباد، يدخل هذا المشروع ضمن تهيئة منطقة لاكورنيش الساحلية، غرب مدينة الدار البيضاء على مساحة 40 هكتار في الموقع المخصص حاليا لحديقة السندباد، وسيكون بجانب المشروع مناطق سياحية حول الحديقة من فنادق ومتاجر.

والسياحية والمنتزهات في القطاع الغربي، ونخص بالذكر مقاطعة أنفا التي برمجت بساحلها مجموعة من المشاريع السياحية والتجارية والترفيهية[95].

إضافة إلى ذلك، حدد التصميم بعض المشاريع الحضرية الكبرى في مقاطعتي أنفا والحي الحسني المتضمنة لأكبر مشروع حضري بالدار البيضاء، والمتمثل في مشروع " قلب البيضاء"[96]. هذا بالإضافة إلى بعض المشاريع الحضرية[97] المتنوعة في باقي مقاطعات المدينة.

وجه التصميم بعض مجالات إعادة التأهيل نحو الهامش، ونخص بالذكر مقاطعات سيدي مومن ومولاي رشيد وسيدي عثمان. أما على مستوى البنية التحتية، فقد أدرج التصميم المديري مجموعة من الطرق وخطوط الترامواي وقنوات الميترو. منها ما رأى النور ، ومنها ما لا يزال في طور الانجاز، ومنها ما لم يوضع له حجر الأساس مثل قنوات الميترو.

كقراءة نقدية للتصميم، يلاحظ الاستمرار في تكريس التناقضات المجالية بين الهامش والمركز، من خلال تدعيم الصناعة في الشمال والشمال الشرقي، وتخصيص القطاع الغربي للسياحة والترفيه والمنتزهات. نفس الملاحظة سجلت حول توزيع المساحات الخضراء والمنتزهات، أي أن واضع التصميم وجد نفسه مكرها على السير تبعا لخطى سابقيه، ولم يعمل على تخفيف الهشاشة التي تعاني منها مقاطعات الهامش، من خلال الكثافة المرتفعة وضعف المساحات الخضراء وضعف الخدمات الاجتماعية. وهو ما سنشير إليه بالأرقام والإحصائيات خلال محاور لاحقة خاصة بمسألة اللاعدالة المجالية.

رفع هذا المخطط التوجيهي مجموعة من التحديات التي همت تراب ولاية الدار البيضاء الكبرى –سابقا-، من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

تحدي التنمية الاقتصادية: يتمثل في إعادة توزيع الأنشطة الصناعية والتجارية والخدماتية، وذلك بتوطين الصناعة واللوجستيك في محور المحمدية-النواصر، تم جعل محور أنفا-سيدي معروف-النواصر خاصا بالخدمات،

---

[95] مثل فضاء ميكامول للتسوق والترفيه والتبضع ، وهو فضاء تجاري ضخم، يضم شركات ومؤسسات تجارية ذات علامات عالمية، تم تشييده على شاطئ سيدي عبد الرحمان بمنطقة عين الذئاب على مساحة تقدر بحوالي 10 هكتارات يضم ما يزيد عن 200 متجر، وفضاءات ومطاعم ومقاهي وساحات للترفيه وقاعات سينمائية من طرف الخواص.

[96] مشروع المدينة الجديدة أنفا، وهو عبارة عن حي سكني وتجاري وسياحي ضخم، وسط المدينة، سيقام على مساحة 350 هكتار في المكان الذي كان مخصصا لمطار الدار البيضاء أنفا بمقاطعة الحي الحسني، والذي أطلق عليه مدينة أنفا الجديدة قلب الدار البيضاء وسيوفر هذا المشروع تجهيزات وبنايات فندقية عصرية، وتجزئات سكنية لبناء فيلات فاخرة، وحدائق ومساحات خضراء ومركبات تجارية ومراكز ترفيهية، وفضاءات مخصصة للثقافة والفن والرياضة.

[97] مشروع جوبا لاند منتزه للشباب والأطفال ، سيبنى على مساحة 6 هكتارات شرق المدينة بمنطقة عين السبع، يخصص للترفيه والتنشيط، وسيتوفر هذا المنتزه على تجهيزات ترفيهية حديثة ذات مستوى عال، لفئات الشباب والأطفال وقاعات للسينما والعروض المسرحية ومختلف الأنشطة الثقافية والفنية، ورياض الأطفال ومطاعم ومقاهي.

- ✓ مشروع منتزه الترفيه الحسن الثاني، يشيد على مساحة قدرها 100 هكتار بموقع مقالع لافارج بمقاطعة سيدي مومن ، وهو منتزه ضخم سيجهز تجهيزا حديثا للترفيه والألعاب يضم منشآت سياحية وفندقية...
- ✓ مشروع مارينا الدار البيضاء ، يقع هذا المشروع على مساحة 23 هكتارا منها 7 هكتارات على البحر، بمنطقة تمتد على الساحل من بداية أبواب المدينة القديمة إلى حدود مسجد الحسن الثاني.
- ✓ مشاريع من أجل تحسين السير والتنقل والجولان والوقوف بالمدينة، تضم هذه المشاريع تهيئة مجموعة من الشوارع وإحداث محاور طرقية إضافية وبناء أنفاق جديدة في كل من شارع الزرقطوني والمقاومة وعبد الرحيم بوعبيد، وإعادة تصميم ملتقيات الطرق وإحداث ممرات خاصة بالحافلات بشوارع الجيش الملكي ومحمد الخامس و2 مارس، ومحطات وقوف السيارات ، بالإضافة إلى إحداث خطوط جديدة للترامواي.
- ✓ مشروع وصال الدار البيضاء –الميناء ، هذا المشروع يروم إعادة تحويل نشاط جزء من المنطقة المينائية للدار البيضاء ... كما يتوخى إطلاق ورش كبير للتأهيل، يشمل مجموع الدار البيضاء ، من خلال إحداث مركز حضري جديد على صعيد المدينة وتجمعاتها، وتثمين الحي التاريخي للمدينة العتيقة وساحلها السياحي، وإبراز المدينة بشكل واضح كوجهة رائدة للسياحة الثقافية وسياحة الأعمال والرحلات البحرية.

وتوطين السياحة في محور المحمدية-داربوعزة. كما يهدف أيضا هذا التصميم المديري إلى تنظيم مناطق استقبال الأنشطة التجارية الكبرى، بتوطينها في مناطق (الهراويين –سيدي مومن-النواصر-زناتة).

كما دعا إلى مواجهة مشاكل السياحة بالمنطقة، والمتمثلة في الافتقار إلى المرافق والتجهيزات السياحية ونقص المساحات الخضراء وقدم الهياكل والمنشآت السياحية، وأشار أيضا إلى تطوير الحرف والصناعة التقليدية، وذلك بإنشاء مجمع كبير خاص بهذا النوع من الصناعات.

تحدي النقل: يصل عدد التنقلات في اليوم حوالي 8 ملايين، موزعة ما بين 6 ملايين للراجلين و500000 للدراجات الهوائية والنارية، و1,5 مليون للسيارات الفردية والحافلات وسيارات الأجرة. ومن المنتظر أن يصل عدد التنقلات سنة 2030 إلى ما بين 13 و 15 مليون، جزء كبير من هذه الزيادة يشمل السيارات الفردية نظرا لارتفاع مستوى عيش الساكنة؛ إذ سينتقل من 320000 سيارة اليوم إلى 1,3 مليون سيارة سنة 2030، أي ارتفاع بمعدل أربعة أضعاف، لذلك تم التخطيط لتجهيز المدينة بوسائل نقل صديقة للبيئة، متمثلة في أربع خطوط للترامواي، بالإضافة إلى تشييد بعض الأنفاق، وإنشاء شبكات طرقية جديدة، من شأنها تخفيف الضغط على المحاور الرئيسية للمدينة ولولاية الدار البيضاء الكبرى بصفة عامة[98].

يرى المخطط أن حوالي ثلث الطرق المخصصة للتداول العام تستغل من قبل سيارات الأجرة، لذلك يسعى التصميم إلى إحداث نقلة نوعية وكمية في مجال النقل العام لمواجهة التحديات المستقبلية، وتجنب اختناق السيارات وتأثيراتها السلبية على الاقتصاد والبيئة ونوعية الحياة[99].

يؤكد اهتمام المخطط التوجيهي لسنة 2008 -2010 والتصميم الوظيفي لإعداد المجال المتروبولي الأوسط الرباط-البيضاء بمدينة الدار البيضاء على حجم وتشعب مشاكل أكبر مدينة في المغرب، والمتراكمة منذ أول تصميم توجيهي عرفته خلال فترة الحماية. فهذه المدينة التي تعتبر من أولى الحواضر التي عرفت مخططات وتصاميم تهيئة كانت ولازالت تبحث عن مخرج لمشاكلها، جزء كبير من هذه المشاكل مرتبط بالتصاميم الأولى. فمعظم المخططات التوجيهية وضعت بلمسات أجنبية وفرنسية بالخصوص. لهذا، فقد ساهمت هذه اللمسات كما يوضح الواقع في تغيب الثقافات المحلية والخصوصيات المغربية والبيضاوية خاصة.

يساهم إدماج خصوصيات السكان ومحاولة تلبية حاجياتهم في التعامل مع قضايا التهيئة، باعتبار أن الغرض الأساسي من التهيئة هو الإنسان. إلا أن الواقع يشير إلى خلاف ذلك، من خلال تضارب مصالح الرأسمال مع مصالح المجتمع، الشيء الذي دفع ثمنه قاطن المدينة الدائم البحث عن تحقيق رغباته، واضعا في اعتباره أن له الحق في المدينة.

عرفت الدار البيضاء إلى جانب وثائق التعمير المتمثلة في المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية وتصاميم التنطيق والتهيئة عدة مخططات عمرانية استعجالية، تتميز بكونها لحظية، وتكون نتيجة ظهور مشاكل داخل المجال الحضري. وبهذا يكون الإنتاج العمراني للمدينة قد مر من مجموعة من المراحل التي حاولت الخروج بالمدينة من التناقضات التي تعرفها، إلا أن المتأمل في ما جاء به المخطط الأخير يجد أنه قد ركز توجهاته لتنمية مناطق ومقاطعات

[98] SDAU (2010) p 8
[99] SDAU (2010) p 8

على حساب أخرى، الشيء الذي سينعكس على الأبعاد الاجتماعية لساكنة المدينة، وهو ما أكدته أرقام المندوبية السامية للتخطيط من خلال إحصاء 2014.

2: المؤشرات الديموغرافية والاجتماعية لمدينة الدار البيضاء في ظل إحصاء 2014

يعتبر المجال الاجتماعي منتوجا اجتماعيا ووسيلة للإنتاج والسيطرة والقوة والهيمنة[100]. وهو مجال لتفاعل العلاقات الاجتماعية والمكانية، من خلاله تدرس المظاهر الجغرافية التي يولدها ذلك التفاعل، بالإضافة إلى توضيح التمثلات والأفعال الاجتماعية للفاعلين فيه. من هذا المنظور، يعتبر المجتمع البيضاوي جزءا من هذه المنظومة المتعددة التداخلات والأشكال والمكونات والعلاقات الاجتماعية والمجالية.

تقتضي الدراسة المنهجية للمجال الاجتماعي وللظاهرة الجغرافية الوقوف عند بعض المعطيات الإحصائية المساهمة في إعطاء فكرة عن الوضعية الاجتماعية للمدينة، والتي من خلالها يمكن تحليل الظاهرة المجالية. فدراسة المجال الاجتماعي والتفاعلات الاجتماعية تقوم على الفاعلين في المجال. لذا سيتم التركيز خلال هذا المحور على الأفراد والساكن البيضاوي.

فإذا كانت الجغرافية الإنسية تهتم بدارسة حاجيات وتمثلات الإنسان في المجال، وتعطي قيمة عليا للإنسان في الدراسة، وإذا كان القالب المعرفي لهذه الدراسة يندرج ضمن براديغم الجغرافية الإنسية، فحري بنا التذكير ببعض المعطيات الكمية الخاصة بالساكن البيضاوي، والتذكير هنا ليس غاية في حد ذاته، وإنما وسيلة لدراسة البنية الديمغرافية والاجتماعية والمساهمة في البرهنة العلمية للمجال المعاش والحياة اليومية والسلوكية للفاعل المجالي.

اعتمدنا على مجموعة من المؤشرات الإحصائية، من بينها: عدد السكان والكثافة السكانية والوضعية الاجتماعية ومعدل الخصوبة والبنية العمرية واستغلال السكن ومعدل التمدرس ونسبة الأمية ومعدل الفقر الشامل ونوعية السكن، مستغلين في ذلك نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014.

2-1: مؤشر تطور السكان والكثافة السكانية بالدار البيضاء

انطلق الحديث عن الوضعية الديمغرافية بالإشارة إلى عدد سكان مقاطعات المدينة والكثافة السكانية من خلال إحصاء سنة 2014، (الخريطة رقم 3)

خريطة رقم 3: الكثافة السكانية وعدد السكان بمقاطعات مدينة الدار البيضاء سنة 2014

[100] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000. P 10,11

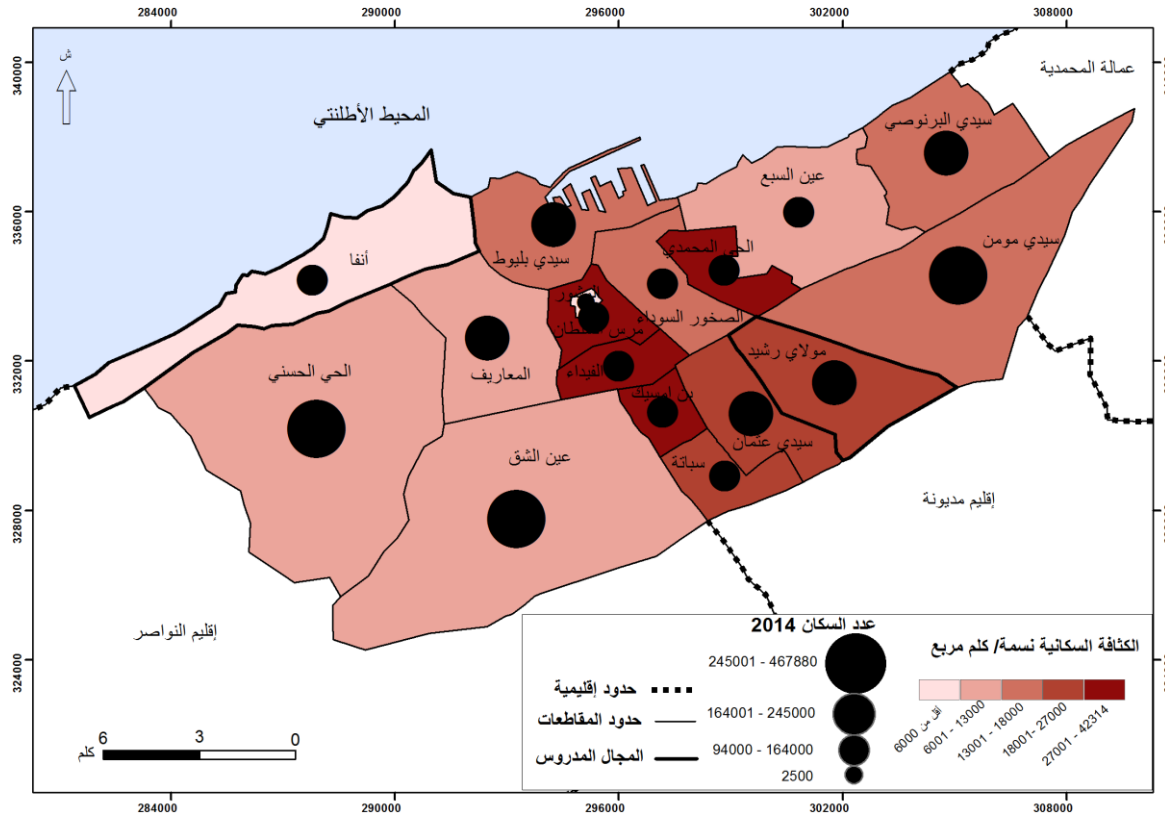

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014 (عمل شخصي)

تعرف المقاطعات المتاخمة لمركز المدينة (الخريطة رقم 3) -من قبيل سيدي البرنوصي وسيدي مومن ومولاي رشيد وسيدي عثمان وعين الشق والحي الحسني- تركزا بشريا مهما، إذ تتراوح ساكنة المقاطعات المذكورة ما بين 200000 و460000 نسمة. في حين أن باقي المقاطعات مثل الحي المحمدي وبن امسيك ومرس السلطان وأنفا وسيدي بليوط والمعاريف والصخور السوداء فتسجل أقل من 200000 نسمة. ورغم هذه الكثافة الضعيفة، فإن بعض هذه المقاطعات تسجل فيها أعلى الكثافات السكانية، كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعات بن امسيك والفداء والحي المحمدي، إذ تصل فيها الكثافة إلى أكثر من 34000 نسمة في الكيلومتر مربع.

شهدت مدينة الدار البيضاء نفس مسار الانتقال الديمغرافي[101] الذي عرفه المغرب منذ حصوله على الاستقلال، فقد عرفت سنوات الستينات والسبعينات والثمانينات ارتفاعا في معدل الولادات وانخفاضا في معدل

[101] تعد نظرية الانتقال الديمغرافي للسكان معالجة علمية منطقية لتغيرات وتحولات سكانية على امتداد الزمن لمجتمعات بشرية ضمن نطاق جغرافي وزمني محددين. وتشير النظرية إلى أن مؤشرات الخصوبة والوفاة تبدوان بمستويات مرتفعة، وتتجهان للانحدار إلى مستويات منخفضة نتيجة نمو وتطور الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية والتنموية، وبما تشمله من تطور الخدمات التعليمة والصحية والبيئية ومختلف الخدمات الاجتماعية الأخرى للسكان ، وغالبا ما وصفت نظرية الانتقال الديمغرافي بأنها تنتظم في ثلاث مراحل رئيسة، حيث تبدأ بمعدلات منخفضة نسبيا للنمو السكاني نتيجة ارتفاع معدلات المواليد والوفيات معا ، يتبعها مرحلة الانفجار السكاني التي تنجم عن انخفاض معدلات الوفيات، وبقاء معدلات الخصوبة مرتفعة وتنتهي بالعودة مره أخرى إلى معدلات منخفضة للنمو السكاني، بسبب انخفاض مستويات الخصوبة والوفيات. **(احمد عواد الخوالدة مراحل الانتقال الديموغرافي وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأردن، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3 العدد، 43، 2016)**

الوفيات، بفعل تحسن الوضع الصحي ومستوى التغذية أسوة بباقي مدن المغرب؛ إذ انتقل عدد السكان حسب نتائج الإحصاء من مليون نسمة سنة 1960 إلى 2,4 مليون نسمة سنة 1982. لكن ابتداءً من سنوات التسعينات، ومرورا ببداية الألفية الثالثة إلى غاية إحصاء سنة 2014، ستعرف معظم مقاطعات المدينة استقرارا في عدد السكان، أكثر من ذلك ستعرف بعض المقاطعات تطورا سلبيا كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعات بن امسيك ومرس السلطان وسيدي بليوط، إذ انخفض بها عدد السكان خلال الفترة البيإحصائية 2004-2014. في حين ستشهد بعض المقاطعات زيادة مهمة، كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعات سيدي مومن وعين الشق والحي الحسني، كما توضح الخريطة أسفله.

خريطة رقم4: نسبة التزايد السنوي لسكان مقاطعات الدار البيضاء (2004-2014).

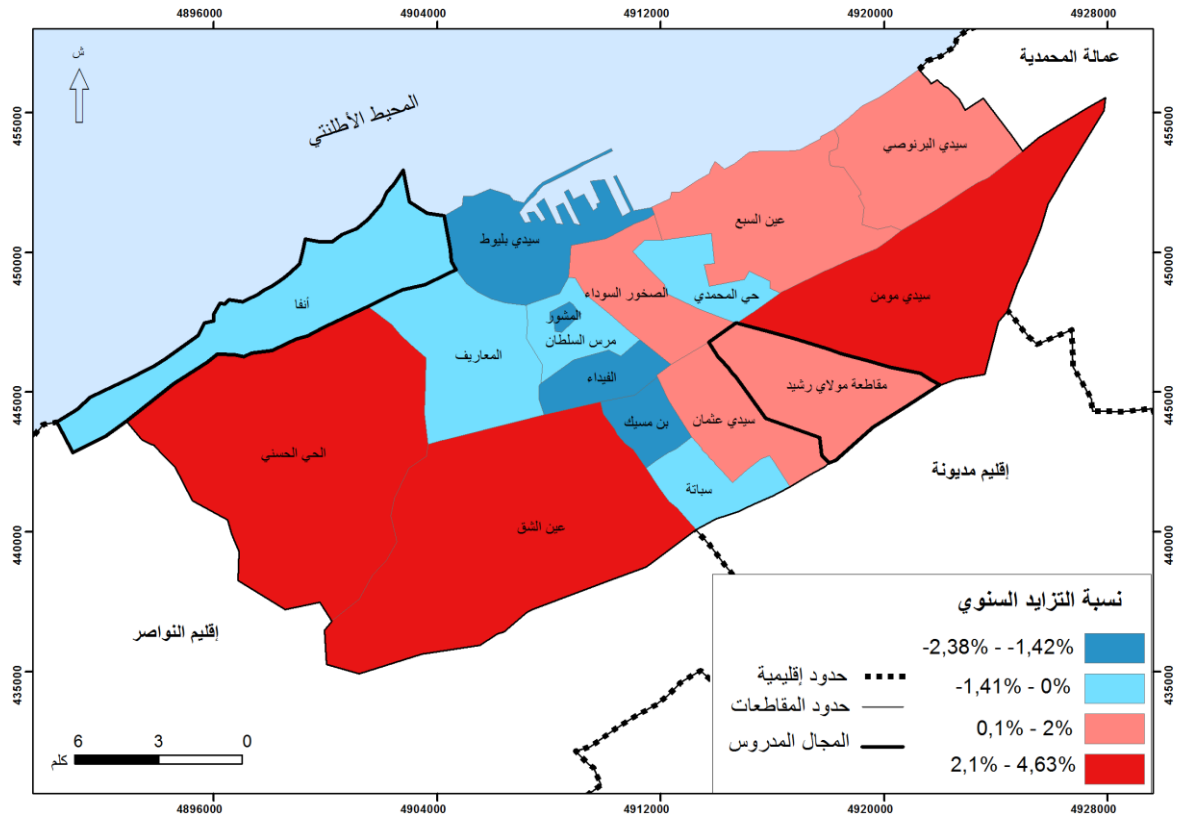

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2004، 2014 (عمل شخصي)

لا يمكن تفسير نسبة تطور السكان فقط بزيادة أو نقصان الزيادة الطبيعية، وإنما هناك مجموعة من العوامل المتداخلة والمفسرة، من قبيل إعادة إسكان بعض ساكني دور الصفيح، ونقلهم إلى مقاطعة أخرى كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعة الحي المحمدي، والتي عرفت عملية إعادة الإسكان الخاصة بساكني الحي الصفيحي "كاريان سنطرال" وما يعرفه من حمولة ديمغرافية. أيضا نسجل دور العامل الإداري في عملية جمع ودمج المقاطعات وما تخلفه هذه العملية من ارتفاع أو انخفاض في عدد السكان.

يتدخل أيضا عامل البحث عن المدينة والحق والرغبة في المدينة، أي البحث عن الاحتياجات الانتروبولوجية والاجتماعية المتأصلة في المجتمع الحضري[102]، من قبيل الحاجة إلى التحضر التكنولوجي والحاجة إلى التميز وإلى إثبات الذات والتعارف وتبادل الاستثمارات والبحث عن الاستقلالية، والحاجة إلى تجميع الطاقات المنتشرة في الأوساط الحضرية والانفتاح على العالم الخارجي والحاجة إلى رمزية المدينة[103]. أضف إلى ذلك الحاجة إلى الأنشطة الترفيهية، والفنية والممارسات الثقافية والسلوكية بالمدينة. فالرغبة في المدينة هي الرغبة في هذه الاحتياجات.

إن المتأمل في تاريخ التمدين بالمغرب يجد أن معدل التمدين قد انتقل من 29% سنة 1960 إلى 61,4% سنة 2014[104]، وهذا يؤكد رغبة الفرد المغربي في السكن بالمدينة. على الرغم مما تخفيه هذه الأرقام من اعتبارات سياسية وانتخابية، إلا أن هذا لا يخفي الهجرة القروية الكبيرة التي عرفها المغرب منذ حصوله على الاستقلال نحو مدينة الدار البيضاء، والتي تعتبر الوجهة المفضلة للمغاربة منذ فترة الاستعمار إلى اليوم.

بالموازاة مع الانخفاض في عدد سكان بعض المقاطعات، عرف معدل الخصوبة الكلي هو الآخر تراجعا في معظم مقاطعات المدينة، فكما توضح الخريطة رقم 5، شهدت معظم مقاطعات مركز المدينة تراجعا في معدل الخصوبة، كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعات أنفا وسيدي بليوط والمعاريف ومرس السلطان والحي المحمدي والصخور السوداء والفداء. أما بعض المقاطعات فقد حافظت على نفس المعدل المسجل سنة 2004، أي ما بين 2 و 2,16 كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعة مولاي رشيد وسيدي مومن، وتعتبر مقاطعة سيدي عثمان المقاطعة الوحيدة التي عرفت ارتفاعا في معدل الخصوبة.

وافق تراجع معدل الخصوبة الكلي بالدار البيضاء وثيرة تراجع معدل الخصوبة بالحواضر المغربية. فعلى المستوى الوطني، انتقل المعدل من 2,5 سنة 2004 إلى 2,2 سنة 2014، وانتقل من 2,1 على مستوى الحواضر المغربية سنة 2004 إلى 2 سنة 2014، أي أن المغرب بصفة عامة والدار البيضاء بصفة خاصة قد دخلت في أواخر المرحلة الثانية وبداية المرحلة الثالثة من الانتقال الديمغرافي، والتي تعرف تراجعا في معدل الولادات مع الاستمرار في انخفاض معدل الوفيات.

خريطة رقم 5: معدل الخصوبة الكلي بمقاطعات مدينة الدار البيضاء (2004-2014)

[102] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000, p 95

[103] المرجع السابق ، ص 95

[104] المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

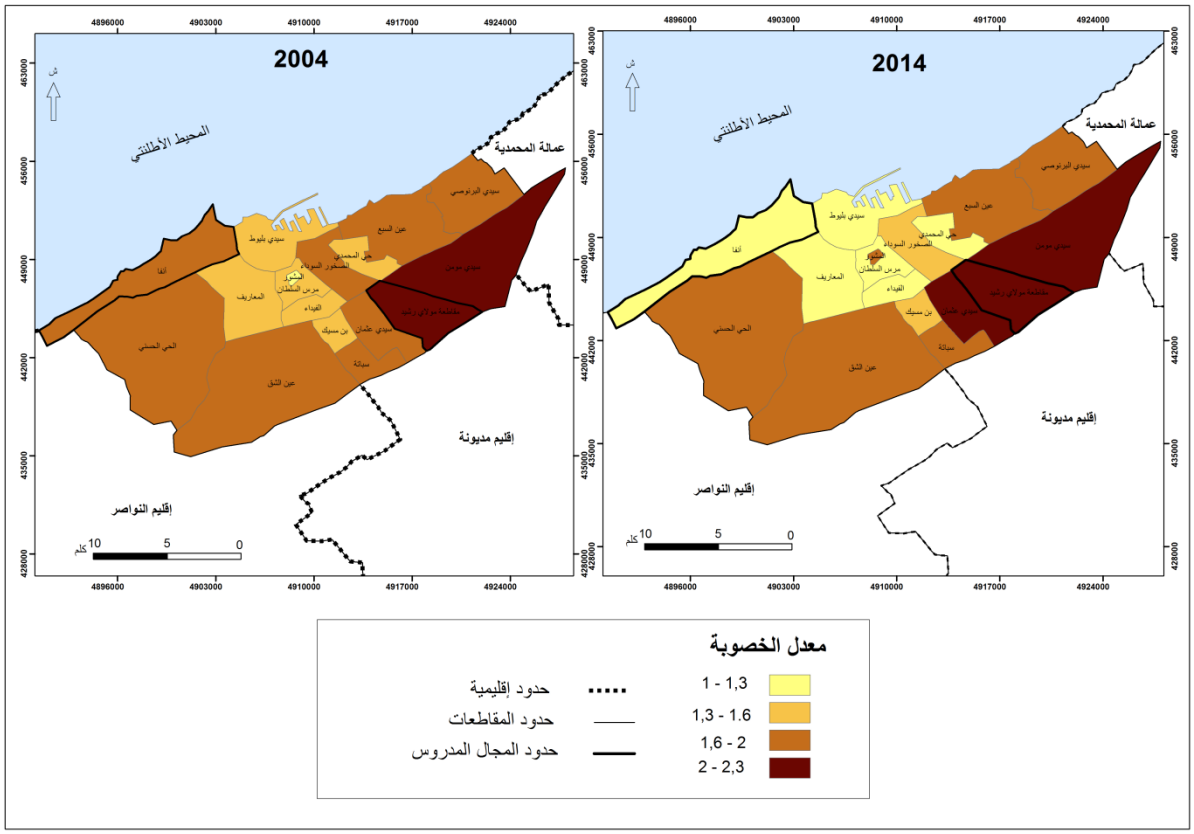

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014 (عمل شخصي)

2-2:البنية العمرية لساكنة مدينة الدار البيضاء

تعتبر دراسة البنية العمرية للساكنة وسيلة لاستخراج مؤشرات تسهم في التفسيرات الخاصة بتمثلات الساكنة لمجالها المعاش، أو في تفسير بعض السلوكات الخاصة بجغرافية الحياة اليومية سواء في المناطق التي تعرف هيمنة الفئة الشابة، أو ارتفاع في معدل الشيخوخة، أو الفئة العمرية أقل من 15 سنة. فهذا من شأنه تحديد التوجه العام الذي يمكن أن يتخذه المجال المخطط مستقبلا، أو تفسير المجال المدرك وما يعرفه من تغيرات ومظاهر الرفض والتمرد المجالي.

تتراوح نسبة الفئة العمرية الشابة ما بين 15 و 59 سنة (الخريطة 6) بمعظم مقاطعات المدينة ما بين% 63,19 كأقل نسبة ببلدية المشور، و 66,67% كأعلى نسبة بمقاطعة الفداء. في ما يخص الفئة العمرية لأقل من 15 سنة، فقد سجلت ببلدية المشور أدنى نسبة وصلت 17 %، وبلغت بمقاطعة سيدي مومن أعلى نسبة وصلت 27 %. أما بالنسبة للفئة العمرية أكثر من 60 سنة، فقد سجلت بمقاطعة سيدي مومن أدنى نسبة بحوالي 6,95 %، في حين سجلت بمقاطعة المشور أعلى نسبة بحوالي 19,68%.

تعرف معظم مقاطعات مركز المدينة نسبا مهمة من الفئة العمرية أكثر من 60 سنة، كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعات سيدي بليوط والمعاريف ومرس السلطان والفداء وأنفا والمشور. حيث سجل بها ما بين 14% و19%. غير أنه يلاحظ أن المقاطعات المتاخمة لمركز المدينة (سيدي مومن والبرنوصي ومولاي رشيد والحي الحسني) تتميز بأهمية الفئة العمرية أقل من 15 سنة (ما بين 25 و27%).

الخريطة رقم 6:البنية العمرية لساكنة مقاطعات الدار البيضاء سنة 2014

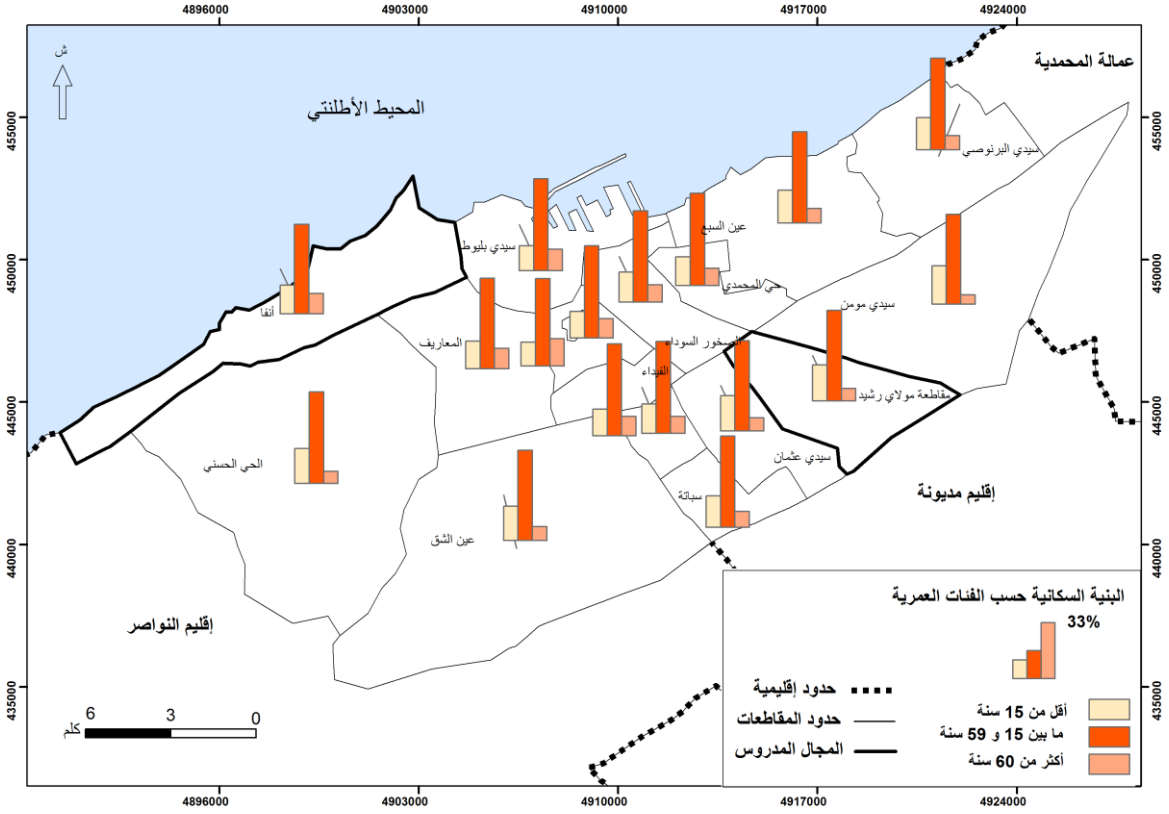

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط إحصاء 2014(عمل شخصي)

3-2: مؤشر الأمية بمقاطعات مدينة الدار البيضاء

يعتبر مؤشر نسبة الأمية[105] من بين المحددات المهمة في فهم مظاهر التعديل التي طرأت على المجال الجغرافي للمدينة. وهنا يمكن طرح السؤال التالي: هل كلما ارتفعت نسبة الأمية في مقاطعة معينة زادت احتمالية معرفة تلك المقاطعة لتعديلات عدة في مجالها المخطط والمدرك؟ وهل هناك ارتباط بين الأمية والمجال المعاش؟ وما هي المقاطعات التي تعرف تعددا في مظاهر رفض المجال وبالتالي تعديله؟

يتضح (الخريطة رقم 7) أن أعلى نسب الأمية (ما بين 18% و 22%) قد سجلت بكل من مقاطعات مولاي رشيد وبن امسيك سيدي عثمان والحي المحمدي، في حين أن أدنى النسب سجلت بكل من مقاطعات أنفا والمعاريف وعين السبع والصخور السوداء والمشور، إذ تراوحت فيها النسب ما بين 10% و 14% . بينما شهدت باقي المقاطعات نسبا متراوحة ما بين 14% و 18 %. لن ندخل في إشكالية البحث عن عوامل تباين نسبة الأمية من مقاطعة إلى أخرى،

[105] نسبة السكان الذين تبلغ أعمارهم 10 أعوام فما فوق والذين لا يستطيعون القراءة والكتابة إلى إجمالي السكان في نفس العمر.(**تعريف خاص بالمندوبية السامية للتخطيط)**

بقدر ما سنحاول استثمار هذه المعطيات الإحصائية في تحديد مجالات الاشتغال من جهة (أنفا ومولاي رشيد)، وفي تفسير تباين المجال المعاش من منطقة إلى أخرى من جهة أخرى.

الخريطة رقم 7: ن

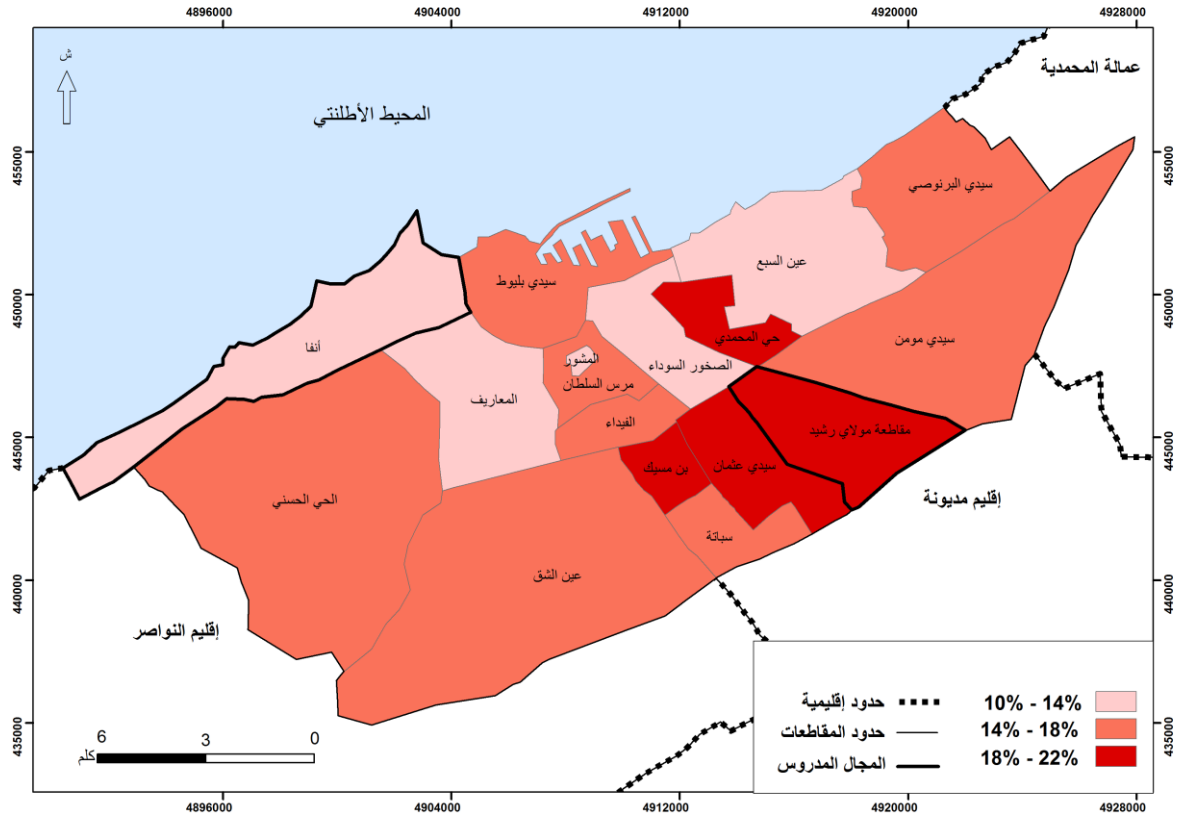

سبة أمية السكان البالغين 10 سنوات فأكثر بمقاطعات الدار البيضاء سنة 2014

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014(عمل شخصي)

4-2: مؤشر المستوى التعليمي لساكنة مدينة الدار البيضاء

يعد المستوى التعليمي للسكان مؤشرا على مدى تنمية الموارد البشرية، ولهذا المتغير تأثير على نمط عيش السكان ومستواهم الثقافي، وعلى سلوكهم الديمغرافي والاجتماعي والاقتصادي والمجالي. فقد عرف المستوى التعليمي للسكان غير المتمدرسين في مدينة الدار البيضاء تطورا إيجابيا ملحوظا خلال العشر سنوات الفاصلة بين إحصاء 1994 و 2004، حيث ارتفعت نسبة المتعلمين، وتراجعت نسبة الأمية من 30 % إلى 22 %. كان التراجع مهما بالنسبة للأمية عند الإناث التي تقلصت ب 19 نقطة ووصلت إلى 30%. بالمقابل انتقلت نسبة المتمدرسين الذين تابعوا تعليمهم العالي من 5,6 % إلى 10.1%، ورغم أن تطور المستوى التعليمي كان عاما في كل مقاطعات المدينة إلا أن وثيرته تباينت فيما بينها[106].

[106] ابن زاهر عبد السلام (2013-2014) دور التجهيزات العمومية بمدينة الدار البيضاء في الهيكلة المجالية والتأطير الاجتماعي، حالة تجهيزات التعليم العمومي الابتدائي والثانوي، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، ص 223.

بخصوص السنة الإحصائية 2014، يظهر أن توزيع نسبة غير المتمدرسين متباين بين مقاطعات المدينة. سجلت (الخريطة رقم 8) أعلى النسب بكل من مقاطعات سيدي عثمان وسيدي مومن ومولاي رشيد وابن امسيك، إذ تراوحت ما بين 24% و27 %، وسجلت أدنى النسب بمقاطعات أنفا والمعاريف والصخور السوداء والمشور، حيث تراوحت فيها النسب ما بين 15% و18% .

في نفس السياق، إذا أخذنا مؤشر التعليم العالي وتباينه بين مقاطعات المدينة، فإننا نجد أن أعلى معدلات التعليم العالي سجلت بمقاطعات أنفا والمعاريف والمشور والصخور السوداء (ما بين 15 و29%)، في حين أن أدنى النسب سجلت بمقاطعات سيدي عثمان وسيدي مومن ومولاي رشيد وابن امسيك، إذ تراوحت ما بين 5 و 7 %، الشيء الذي يغري بمقارنة بين المجال المعاش وجغرافية الحياة اليومية في المقاطعات التي تعرف أعلى مستوى تعليمي، والمقاطعات التي تعرف تدني مستوى التعليم العالي وارتفاع في نسبة السكان غير المتمدرسين.

الخريطة رقم 8: مستوى تمدرس ساكنة مقاطعات مدينة الدار البيضاء سنة 2014

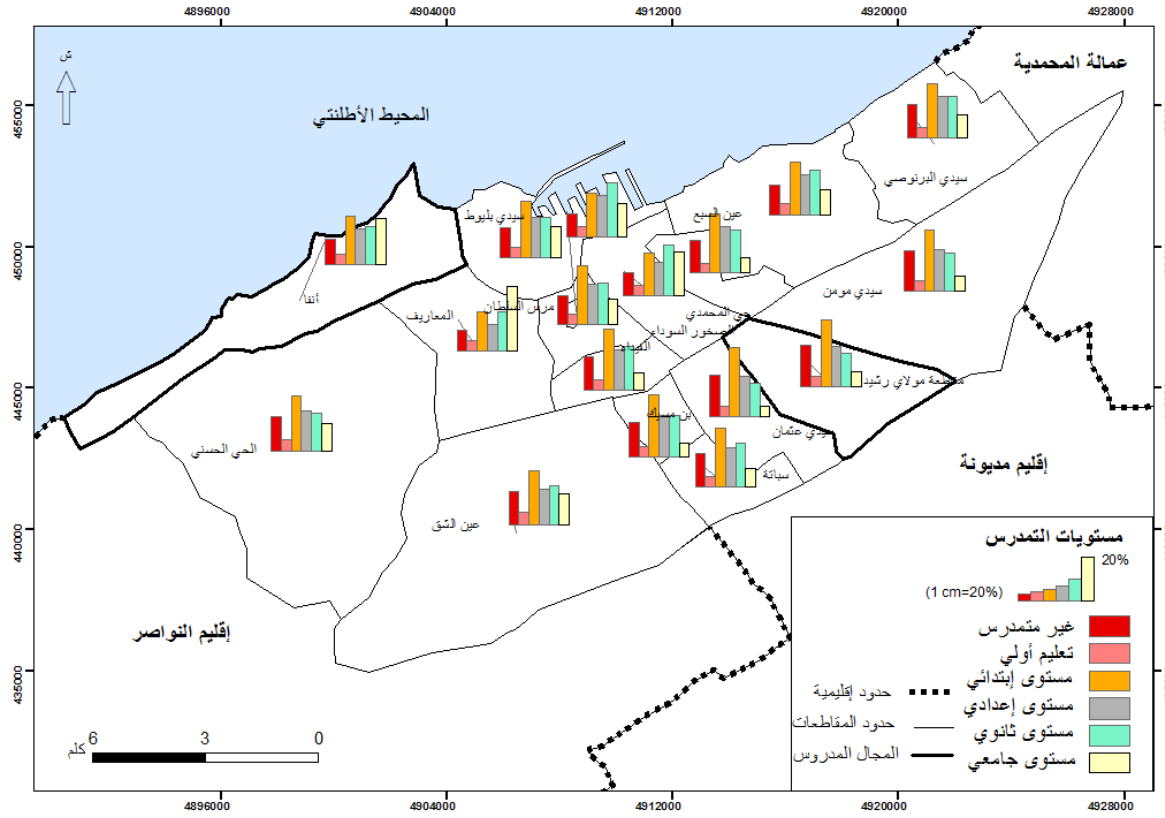

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014(عمل شخصي)

5-2: مؤشر الوضعية العائلية لمقاطعات مدينة الدار البيضاء

يقتضي الحديث عن الوضعية الاجتماعية لساكنة المدينة الإشارة إلى الوضعية العائلية لسكان المقاطعات، كما أن الحديث عن المجال المعاش يتطلب التذكير ببعض المؤشرات الخاصة بالوضعية العائلية. فقد ربط أرمون

فريمون خلال دراسته للمجال المعاش في منطقة نورماندي بين المجال المعاش والوضعية العائلية، إذ يمكن أن يتأثر هذا المجال بغلبة مؤشر على حساب مؤشر آخر.

يتضح (الخريطة رقم 9) أن نسبة العزاب هي الغالبة في المدينة. إذ يسجل في كل مقاطعة أكثر من 50% من العزاب، مع زيادة طفيفة مسجلة في مقاطعة سيدي عثمان التي بلغت فيها النسبة حوالي53%، وأدنى نسبة مسجلة بأنفا 48 %. نفس الشيء بالنسبة للمتزوجين، هناك معدلات متقاربة، مع تسجيل مقاطعة الصخور السوداء لأعلى معدل (43%)، وتسجيل بلدية المشور أدنى نسبة (36%). في ما يخص نسبة الطلاق، فهي مرتفعة في سيدي بليوط حوالي 3,68%، ومنخفضة في سيدي مومن (1,54%). نشير أيضا إلى أن نسبة الأرامل مرتفعة في المشور، إذ بلغت حوالي 9,03 %، بينما سجلت نسبة منخفضة بسيدي مومن (3,10%).

الخريطة رقم 9: الوضعية الاجتماعية لسكان مقاطعات مدينة الدار البيضاء سنة 2014

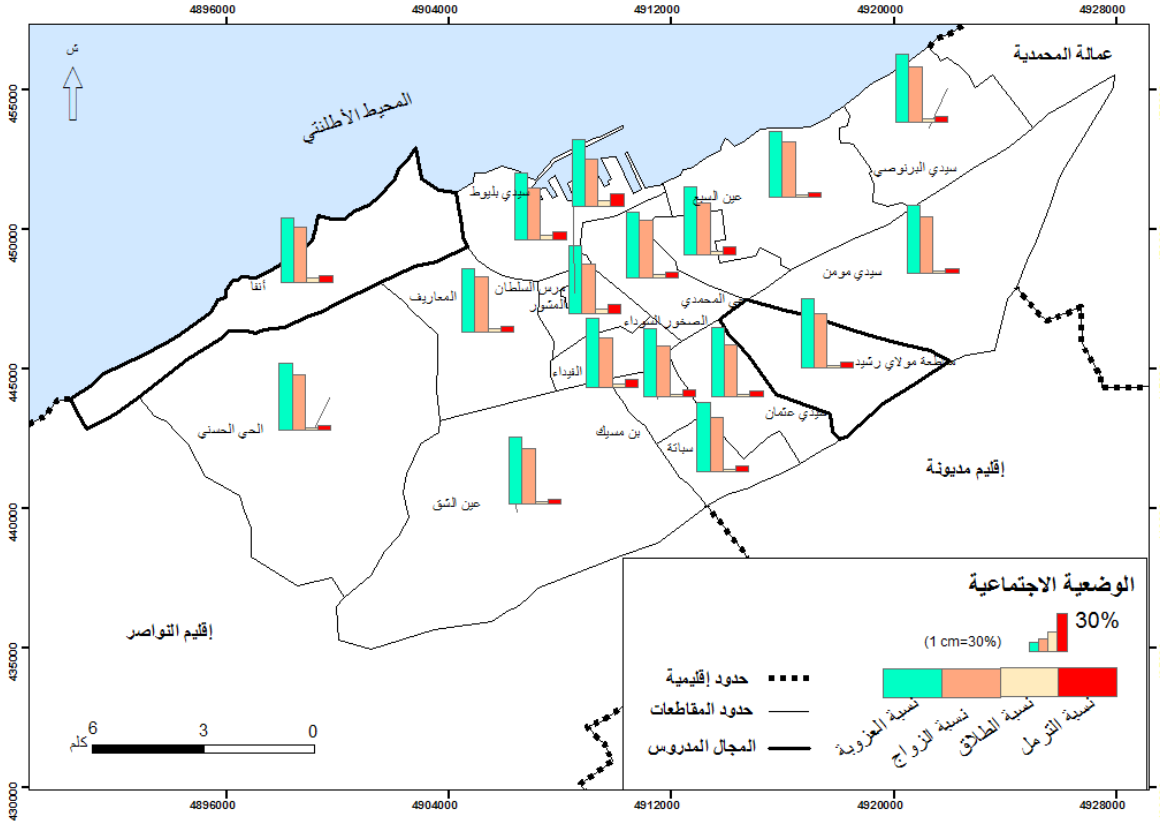

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014(عمل شخصي)

2-6: مؤشر الفقر بمقاطعات المدينة وعلاقتها بالمجال المعاش

تميزت معظم الدراسات التي أنجزت حول المجال المعاش بالارتباط بمجالات جغرافية فقيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كانت الدراسات التي قام بها كابي GALLAIS.J متمحورة حول مناطق فقيرة، مثل دراسته المنجزة حول حوض النيجر من خلال كتابه le delta intérieur du niger. Etude de géographie régionale. أو من خلال دراساته لبعض قبائل العالم المداري. لهذه الأسباب وغيرها، تم تبني مؤشر الفقر كمحدد في اختيار مجالات الدراسة، إذ

اعتمادا على هذا المؤشر، تم اختيار مقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا كمجالين للدراسة، باعتبارهما يعرفان تباينا واضحا في معدلات الفقر.

في ما يخص مؤشر الفقر بمقاطعات المدينة، يتضح (الخريطة رقم 10) أن نسبة الفقر الشامل تنتشر بشكل كبير في مقاطعات الهامش (مولاي رشيد وسيدي عثمان وابن امسيك وسباتة) إذ وصلت فيها النسبة إلى 3,5%، مشكلة بذلك أعلى النسب، في حين أن أدنى النسب سجلت بمقاطعات المركز، ونخص بالذكر مقاطعات أنفا والمعاريف والصخور السوداء، إذ تراوحت فيها النسب ما بين 0,5 % و1,5 %، بينما سجلت بباقي الجماعات الأخرى معدلات ما بين 1,5% و2,5%.

خريطة رقم 10: نسبة الفقر الشامل بمدينة الدار البيضاء سنة 2014

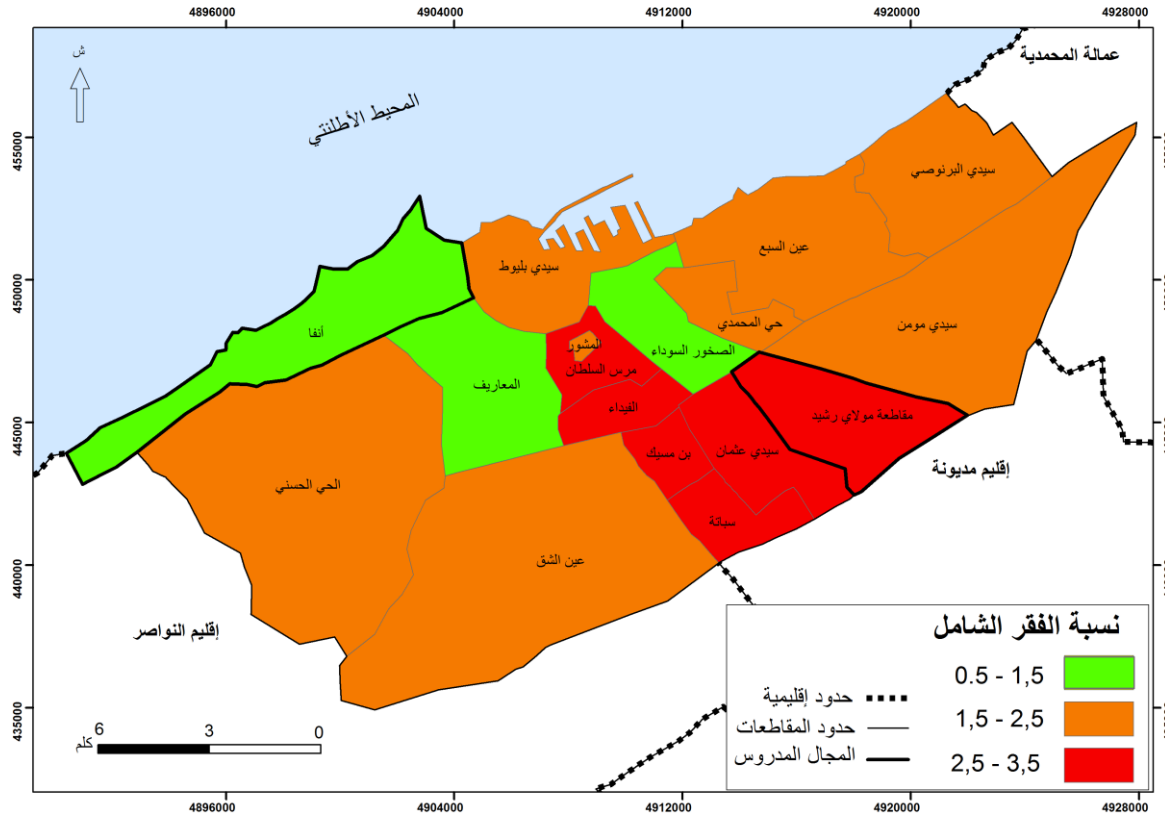

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014 (عمل شخصي)

2-7: نوعية السكن بمقاطعات المدينة

يتضح في ما يخص نوعية السكن (الخريطة رقم 11) أن سكن العمارات هو السمة الغالبة على معظم مقاطعات الدار البيضاء، مع تسجيل مقاطعة الصخور السوداء لأعلى نسبة وصلت إلى 69%، في حين أن أدنى النسب مسجلة بمقاطعات بن امسيك وسيدي عثمان والفداء، إذ تتراوح فيها النسب ما بين 5% و 8%.

يتركز سكن الفيلات بشكل ملحوظ في منطقة المشور المحاذية للقصر الملكي (23%)، كما تتواجد الفيلات أيضا في مقاطعات أنفا والمعاريف وعين السبع بنسب تتراوح ما بين 12% و17%. تراجعت نسبة السكن الصفيحي

بالمدينة بعد اعتماد الدولة لبرامج القضاء على دور الصفيح، وأصبحت شبه منعدمة في بعض المقاطعات كمرس السلطان والفداء والحي المحمدي وابن امسيك التي تتراوح فيها النسب بين 0,5 % و 2%، في حين لا زال هذا النوع من السكن منتشرا في مقاطعات سيدي مومن، عين السبع وأنفا وسيدي البرنوصي وسيدي عثمان بنسبة ما بين 10% و22%.

خريطة رقم 11: نوعية السكن بمقاطعات الدار البيضاء سنة 2014

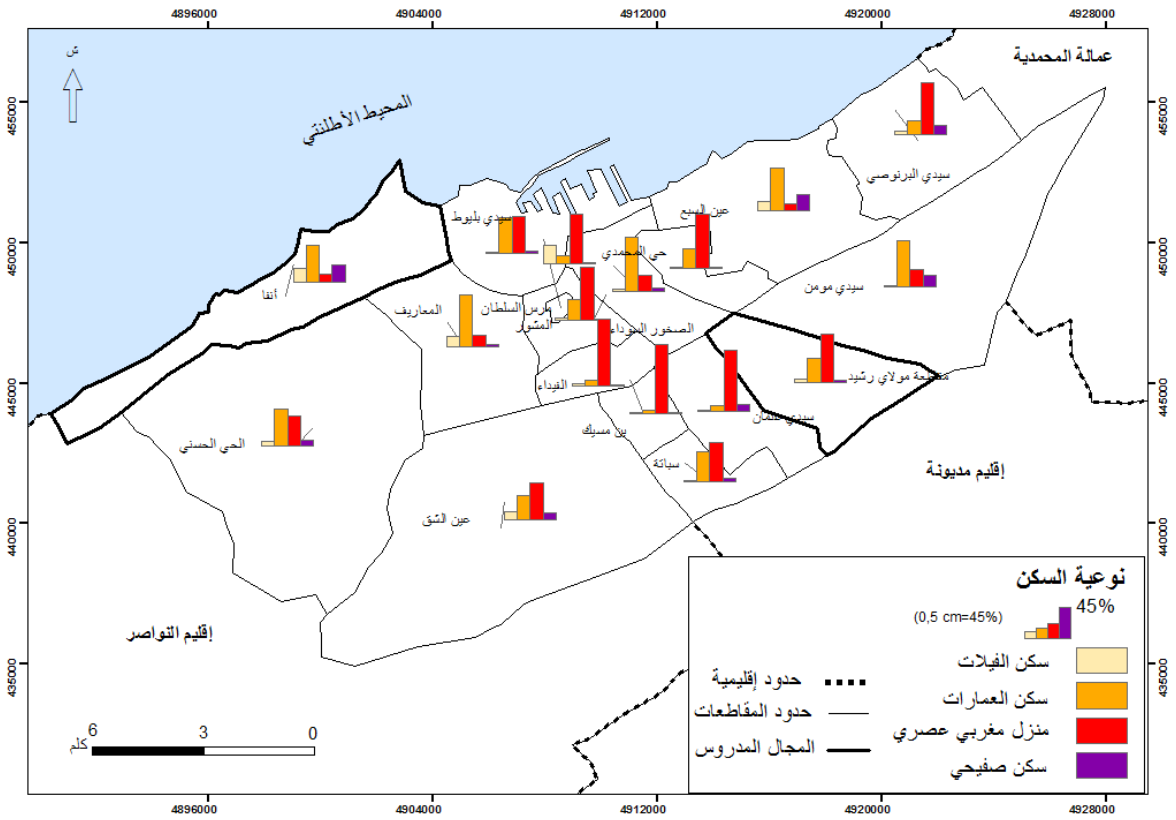

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط إحصاء 2014 (عمل شخصي)

خاتمة الفصل الثاني

أظهرت الرؤية النقدية للهيكلة المجالية لمدينة الدار البيضاء -من خلال التصميم المديري الأخير- على أن التخطيط الحضري المعتمد لم يأخذ بعين الاعتبار المقاربة الإنسية والعدالة المجالية والاجتماعية في التدبير المجالي. ولم يستطع الحد من التناقضات المجالية التي خلفتها المخططات الاستعمارية، وهذا ما يتضح من خلال تزكية القطاع الصناعي وبعض الأنشطة الاقتصادية الأخرى في الشمال والشمال الشرقي، في مقابل تخصيص القطاع الغربي للسكن الراقي والترفيه والسياحة.

وانطلاقا من المؤشرات الاجتماعية لمقاطعات المدينة حسب إحصاء 2014، نخلص إلى استمرار ثنائية المركز المتمتع بجودة الحياة والموروثة عن الحقبة الاستعمارية، والهامش المخصص لباقي الشرائح الاجتماعية المتميزة بهشاشة الحياة الحضرية والاجتماعية والاقتصادية.

أكدت نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 على الفرضية الخاصة بالمركز والهامش، إذ أظهرت الإحصائيات المعلنة من قبل المندوبية السامية للتخطيط حجم الهشاشة التي تعرفها مقاطعات الهامش، من خلال ارتفاع الأمية والبطالة والفقر وضعف مستوى التمدرس وتدني معدل النشاط وارتفاع الكثافة السكانية. في مقابل ذلك، تتميز مقاطعات المركز بمؤشرات اجتماعية واقتصادية ايجابية.

استمرار التباين يطرح أكثر من سؤال حول الرؤية التكاملية والتشاركية بين مؤسسات الدولة، والمتمثلة في المندوبية السامية للتخطيط والوكالة الحضرية المهتمة بالتخطيط وإعداد التصاميم، إذ تشير أرقام المندوبية إلى وجود خلل اجتماعي ومجالي بالمدينة، لكن واضع التصميم يرى غير ذلك، إذ عزز جودة الحياة الحضرية بمقاطعات دون الأخرى.

خاتمة الجزء الأول

يسجل المتأمل في واقع المجال المدرك للمدينة بعد سلسلة التصاميم المديرية الاستعمارية وصولا إلى التصميم المديري الأخير حجم التفاوتات والتناقضات المجالية والاجتماعية، والتي تتم تزكيتها من قبل واضع التصميم باعتباره رمزا من رموز مؤسسات الدولة، إذ يتضح من خلال محتوى التصاميم مدى أهمية البرامج والمشاريع الحضرية التي تبرمج في مقاطعات القطاع الغربي والجنوب الغربي، مقابل ما يسجل في القطاع الشمالي والشمالي الشرقي.

فإذا كانت سياسات التقويم الهيكلي لسنوات الثمانينات قد عبرت الدولة من خلالها بشكل صريح عن أهمية القطاع الاقتصادي مقارنة مع باقي القطاعات، فإن تصاميم التعمير الخاصة بمدينة الدار البيضاء قد ترجمت هذه التوجهات، وذلك من خلال التنطيق المخصص للمدينة، والذي يعزز مصالح مقاطعات المركز الاقتصادية والرأسمالية التي ترى أنها المتحكم في إنتاج المجال وفي توجه التعمير بالمدينة، باعتبارها تمتلك جميع أنواع الرساميل (الرأسمال المادي والاقتصادي والاجتماعي والرمزي). الشيء الذي يؤكد على مكانة هذا القطاع.

أما مقاطعات الهامش فقد عاشت مع معظم تصاميم التعمير مظاهر الهامشية. وهو ما يجعلنا نتساءل عن ردة فعل ساكنة الهامش أمام هذا الوضع، ونتساءل عن مسألة التهدئة الاجتماعية والاحتقان الاجتماعي بالهامش، ونتساءل عن الإحساس بالمواطنة والشعور بالانتماء إلى المدينة والى الوطن. دفعتنا هذه الازدواجية في التعامل المجالي مع مقاطعات المدينة إلى التساؤل عن ازدواجية التمثلات الاجتماعية للمجال ولعمارة المكان، وعن اختلاف المجالات المعاشة في نفس المدينة، وعن اختلاف التعاطي المجالي الخاص بالخدمات الاجتماعية، وعن مسألة اللاعدالة المجالية والاجتماعية، وعن اختلاف تباين الحق في المدينة.

الجزء الثاني

ديناميةالمجال المخطط والمجال المعاش بمقاطعتي مولاي رشيد وأنفا من خلال نظرية المجال المعاش عند أرمون فريمون

مقدمة الجزء الثاني

يتأسس المجال المعاش انطلاقا من مجالات التمثل والمعبر عنها بواسطة رموز مركبة مرتبطة بالجانب الظاهر والخفي للحياة الاجتماعية، فهو مجال مهيمن من خلال تعديله والرغبة في مطاوعته للمخيال والتصور[107]. تتطلب مقاربة هذا المجال العودة إلى الفرد في فردانيته وعنفوانه والهويات الاجتماعية والمجالية التي يكونها في تفاعله مع المجال الاجتماعي المحيط به.

يلعب الفرد دورا مهما في دراسة المجال المعاش، باعتباره منظومة نفسية واجتماعية شاملة وميالة إلى التخيل، تأخذ بعين الاعتبار تأثيرات الجماعة والإثنيات والنوع الاجتماعي والسن والطبقة التي تؤثر عليه[108]، إذ يعتبر الفرد أصغر وحدة معقدة غير مقسمة في المجتمع[109]. يأتي تخصيص هذا الجزء لدراسة المجال المعاش بكل من مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا، وذلك للوقوف على تمثلات الساكنة المتباينة من حيث المؤشرات الاجتماعية والثقافية.

تتطلب دراسة المجال المعاش ومقاربة علاقات الإنسان بالمجال التركيز على الارتباط الوجداني للفرد مع المجال، ويتجلى هذا الأخير في السلوك الفردي والجماعي والإدراك والتمثلات والثقافة. ذلك أن سلوك الإنسان في المجال غالبا ما يتأثر بالوجود المادي للمجال. فإذا كان هذا الأخير يلائم متطلبات وحاجيات الفرد، فالمجال يبقى كما خطط له، وإن لم يوافق تطلعاته فسرعان ما يكون هذا المجال عرضة للتمرد والتعديل حتى يطاوع رغبات الإنسان في المجال. من هنا وجب طرح السؤال: أليس من الممكن تشخيص هذه الرغبات قبل تخطيط المجال؟

حينما يقر هنري لوفيبر بأن المجال المعاش هو مجال التمثلات والتصورات والمجال الخارج عن القانون، والمجال الذاتي والمجال المهيمن والذي يحاول المخيال الذاتي تعديله[110]، فهو يشير بذلك إلى أن المجال المعاش ينقسم إلى قسمين: قسم خاص بالمجال الذي قام الإنسان بتعديله وتجسيده في الواقع المعاش، والذي تم بناؤه انطلاقا من الفرد[111]، وقسم خاص بمجال تحقيق الرغبات والحاجيات التي مازالت في المخيال الفردي. وحينما يؤكد على أن هناك مجموعة كاملة من العناصر التي تساهم في تشكيل تمثلات المجال المعاش (الرموز والصور والتاريخ والوضعية السكنية التي تساهم في تغيير الفكر المجالي والجانب الخفي للحياة الاجتماعية)[112]، فهذا تأكيد على أن دراسة المجال المعاش تتطلب استخلاص تلك العناصر لتكتمل الرؤية التحليلية للمجال المعاش.

سنحاول من خلال هذا الجزء تشخيص المجال المخطط لمعرفة تصور السلطة التخطيطية للمجال (مقاطعة أنفا ومولاي رشيد)، بعد ذلك تأتي مرحلة الإشارة إلى المجال المدرك باعتباره مجالا يدركه الفرد في حياته اليومية المعاشة وفي تنقلاته. وستخصص المرحلة الأخيرة- الخاصة بكل مقاطعة- لدراسة المجال المعاش، سواءَ المجال المعاش الممثل،

[107] DI MEO, Guy. (2014) Introduction à la géographie sociale, Armand colin, paris, p 41.
[108] Ibid. p 42
[109] DODIER, Rodolphe. (2009) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, Sciences de l'Homme et Société. Université du Maine, p 19
[110] DI MEO, Guy. (2014) Introduction à la géographie sociale, Armand colin, paris, p 41.
[111] Ibid. p 41
[112] LEFEBVRE, Henri, (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000 p 50-49

والذي تم تعديله حسب رغبات الفرد، أو المجال المعاش المتخيل والذي مازال حبيسا في نفسية الأفراد ويتمنون تحقيقه، باعتباره مجال الحاجيات والرغبات التي يسعى الفرد إلى تجسيدها في مجاله.

الفصل الثالث

ثلاثية المجال بمقاطعة مولاي رشيد: مقاربة المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش

مقدمة الفصل الثالث

حينما تحدث هنري لوفيبر عن إنتاج المجال، أشار إلى أنه لا يجب المزج بين تاريخ المجال وإنتاجه بوصفه واقعا بأشكاله وتمثيله وبالتسلسل السببي، أو ما يسمى بالتاريخية. وإنما لابد من الأخذ بعين الاعتبار العادات والقوانين والأفكار والأيديولوجيات والهياكل أو المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية (الهياكل الفوقية) والقوى المنتجة (الطبيعة وتنظيم العمل والتقنيات والمعرفة).

فعلاقات الإنتاج لها دور يجب تحديده في إنتاج المجال، إذ لا يصبح المجال ملموسًا تمامًا ويتلقى محتواه دون الإجابة على الأسئلة الواجب طرحها وهي: "من ينتج؟ "ماذا ينتج؟ كيف ينتج ؟ لماذا ولمن؟ بدون طرح هذه الأسئلة والبحث في الإجابة عنها، لا يوجد سوى مجال مجرد[113].

تم تخصيص هذا الفصل للحديث عن المجال المخطط والمجال المعاش الخاص بمقاطعة مولاي رشيد. سنستهل المقاربة بالإشارة إلى تاريخ نشأة المقاطعة، خصوصا ما كان واردا في التصميم الأولي للمقاطعة، والوقوف على الغايات التي وجدت المقاطعة أصلا لتحقيقها، وهل هذه الغاية منطقية وتم اتخاذها بشكل عقلاني؟ أم أنها اتخذت بشكل استعجالي؟ وذلك في ظل الأحداث التي عرفتها المدينة سنوات السبعينات والثمانينات، باعتبارها فترة نشأة المجال المدروس.

سيحيل التطرق لتاريخ النشأة إلى التعرف على المنتج والإجابة عن السؤال من ينتج؟ أما السؤال ماذا أنتج؟ فلا يمكن الإجابة عنه دون الإشارة إلى المجال المدرك المادي باعتباره نتيجة الإنتاج. تقتضي الإجابة عن الأسئلة المرتبطة بالكيف ولماذا ولمن؟ الوقوف عند المجال المخطط أو تصميم المقاطعة. فنجاح أو فشل عملية الإنتاج رهين بما ستفرزه نتائج دراسة المجال المعاش. ذلك أنه كلما كان الفارق كبيرا إلا ودل ذلك على بعد المسافة بين رغبات وحاجيات الساكنة وبين ما تخططه الدولة. فإذا كان المجال المخطط لا يلائم المجال المرغوب فيه، وجب التنبيه للمسألة، ما دمنا نتحدث عن التنمية المستدامة والتخطيط الحضري المستدام، والتخطيط التشاركي الديمقراطي الإنسي.

خصصنا محورا للحديث عن المجال المعاش الممثل (مجال إعادة إنتاج المجال) بالنسبة لمقاطعة مولاي رشيد، وذلك عبر جرد الأماكن التي شهدت تعديلات وممارسات ذاتية على المجال، إذ سنقوم في البداية بوضع خريطة شاملة وعامة، تتضمن تموضعات نقطية لمعظم المجالات التي شهدت تمردات على المجال، وهي ناتجة عن تحريات ميدانية، بعد ذلك سندرج بعض الصور التي توضح نوعية التغيرات والتعديلات التي عرفها المجال بعد الممارسة الذاتية للأفراد. وفي الأخير سنقوم بتفييء النتائج الميدانية الخاصة بأنواع المجالات المعاشة، حسب نوع التعديل، وحسب المؤشرات الاجتماعية التي أشار إليها هنري لوفيبر(السن والجنس والوضعية الاجتماعية والمعايير وثقافة الأفراد والمخيال الشخصي). على أساس أن نخصص المحور الأخير من الفصل للحديث عن المجال المعاش النفسي للوقوف على الحاجيات والرغبات المجالية المتنوعة للساكنة.

[113] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, 57Economica, 4ème édition, 2000 P

1: السياق التاريخي لنشأة مقاطعة مولاي رشيد

تعتبر مقاطعة مولاي رشيد من المقاطعات الحديثة النشأة في مدينة الدار البيضاء، والتي ارتبط تعميرها ببعض المخططات والقرارات الوزارية الخاصة بالسكن. فخلال سنة 1975، وارتباطا بالسياسة الجديدة المتعلقة بالمجالات الهامشية، تم إعطاء الأولوية للسكن الحضري في الميزانية العامة للدولة، إذ قرر وزير الإسكان آنذاك إرضاء حاجيات الطبقات الاجتماعية الفقيرة من السكن، عبر خلق ثلاثة مشاريع سكنية كبرى، منها مشروع سيدي البرنوصي في الشرق، والذي خصص له عقار يناهز 170 هكتار، ثم مشروع الألفة في الغرب والذي غطى حوالي 172 هكتارا، وفي الأخير مشروع عين الشق في الجنوب (120 هكتار)، ومشروع مولاي رشيد في الجنوب الشرقي على مساحة تقدر ب 420 هكتارا[114].

تزامن تأسيس مشروع مولاي رشيد مع الانطلاقة الفعلية لمخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية 1973-1978، والذي أحل التعمير المساند محل التعمير الموجه، وفتح الباب على مصراعيه أمام المبادرة الخاصة. تفاقمت مشاكل السكنى والتعمير، وظل تدخل الدولة ينصب بالأساس على توفير التجزئات السكنية بدون تجهيزات في كثير من الأحيان. وعلى إثر أحداث 1981، أقدمت الدولة على مباشرة إنتاج السكن في إطار جديد، يتمثل في إشراك الرأسمال في تمويل مشاريع مندمجة عن طريق اللجوء إلى القرض العقاري والسياحي. ويشكل مجمع مولاي رشيد النموذج الأكثر تعبيرا عن هذه السياسة الجديدة، والتي جاءت أيضا من أجل فتح مجالات جديدة للتعمير أمام الرأسمال، بواسطة المناطق الصناعية المجهزة من طرف الدولة والمندمجة في مشاريع اجتماعية[115].

تميز تاريخ تأسيس مشروع مولاي رشيد بالمرور من مجموعة من المحطات التاريخية الهامة، والتي بدأت منذ فترة الاستعمار، خاصة خلال أربعينات القرن الماضي. تشير الخريطة رقم 12 إلى أربع محطات تاريخية هامة في تطور المجال المبني بمقاطعة مولاي رشيد. هناك مجالات تم بناؤها قبل سنة 1975 ، مثل حي بورنازيل الذي تم تشييده خلال فترة الاستعمار، والذي حمل اسم أحد الجنرالات الفرنسية وأحد رموز الاستعمار الفرنسي بالمدينة "هنري بورنازيل". وهناك مجالات تم بناؤها ما بين 1975 و1995، والمتمثلة في المجموعات الست لمشروع مولاي رشيد، بالإضافة إلى المنطقة الصناعية والسوق العشوائي في حي الفلاح. كما نسجل أيضا مجالات تم بناؤها ما بين 1995 و2005 والمتمثلة في حي البركة والمسيرة1 و2 وحي الرحمة.

[114]RACHIK, Abderrahmane.(2002) CASABLANCA, l'urbanisme de l'urgence, Casablanca, p 102
[115]شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، ، ص 189-190.

خريطة رقم 12: تطور المجال المبني بمقاطعة مولاي رشيد

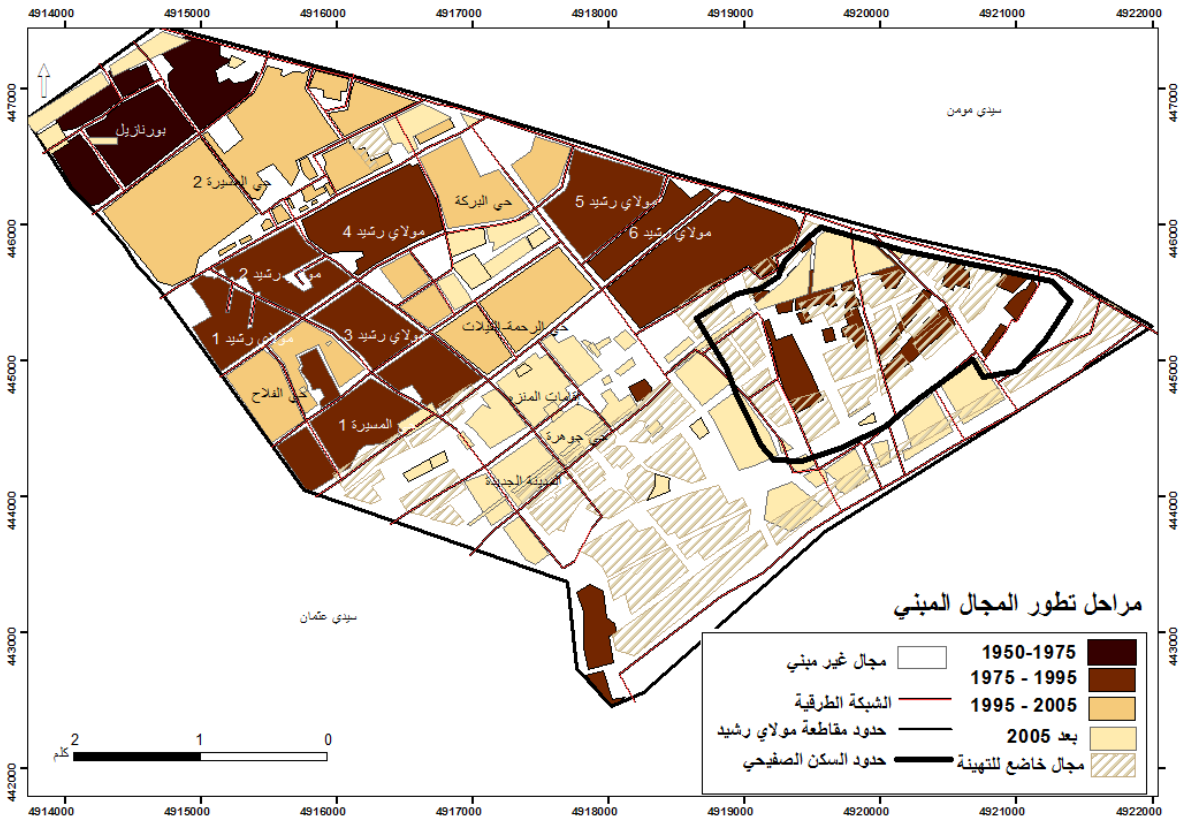

المصدر : Google earth-sasplanet (عمل شخصي)

يتضح أيضا أن الانطلاقة الفعلية لتأسيس منطقة مولاي رشيد كانت خلال الفترة ما بين 1975 و1995 . وهنا نذكر أن مشروع مولاي رشيد قد ارتبط بإطلاق مشروع بن امسيك في عام 1982، والذي نص على إنشاء مدينة جديدة متمثلة في مولاي رشيد، وذلك لاستيعاب أكبر عدد من أحياء الصفيح، إذ ركز المشروع على توفير 13500 مسكن لساكنة يبلغ عددها 80000.

امتد مشروع مولاي رشيد الجديد على مساحة 350 هكتارًا، منها 15 هكتارا مخصصة للمساحات الخضراء، و31 هكتارا لحي الفيلات، و30 هكتارا للإسكان الجماعي، بالإضافة إلى المنطقة الصناعية (35 هكتارا). وكليات وملعب رياضي، وغيرها من المرافق الاجتماعية والثقافية التي كانت ستساهم في استكمال هذا المشروع[116].

أقدمت وزارة الإسكان خلال سنة 1987 على بناء 6991 سكن جديد في موقع مولاي رشيد الحالي. وفي نفس الموقع، قامت الوزارة المعنية ببناء مشروع المسيرة، والذي سمح ببناء أكثر من 2447 سكن جديد خاص بعملية إعادة إسكان دور الصفيح بالمسيرة نهاية 1987. وقد ركز المخطط المديري SDAU على تخصيص مساحة مهمة للسكن

[116] تصميم تهيئة مولاي رشيد سنة 1989

الاجتماعي في مولاي رشيد كما يوضح الجدول الآتي:

جدول رقم 1: إستغلال المجال في مولاي رشيد حسب المخطط المديري 1984

نوع الاستغلال	المساحة بالهكتار	النسبة المئوية
أحياء إعادة الإسكان	150	42,8
منتزهات	15	4,2
الصناعة	60	17,1
تجهيزات(كليات،مستشفى...)	40	11,4
فيلات	55	15,7
سكن جماعي	30	8,5
المجموع	350	100

Abderrahmane RACHIK 2002, CASABLANCA, l'urbanisme de l'urgence, , Casablanca, p 1 23

يتضح (الجدول رقم 1) من خلال النسبة المهمة المخصصة لأحياء إعادة الإسكان أن مجموعات مولاي رشيد الست تم تأسيسها في الأصل من أجل عملية إعادة إيواء دور الصفيح، خصوصا دور الصفيح الكائنة بمقاطعة ابن امسيك. وقد تم تدعيم هذه العملية بتجهيزات عمومية تساهم في عملية استقرار الساكنة، وفي تلبية حاجياتهم بعد إعادة إسكانهم. وهذا ما يؤكده تصميم التهيئة لسنة 1989.

خريطة رقم 13: تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد لسنة 1989

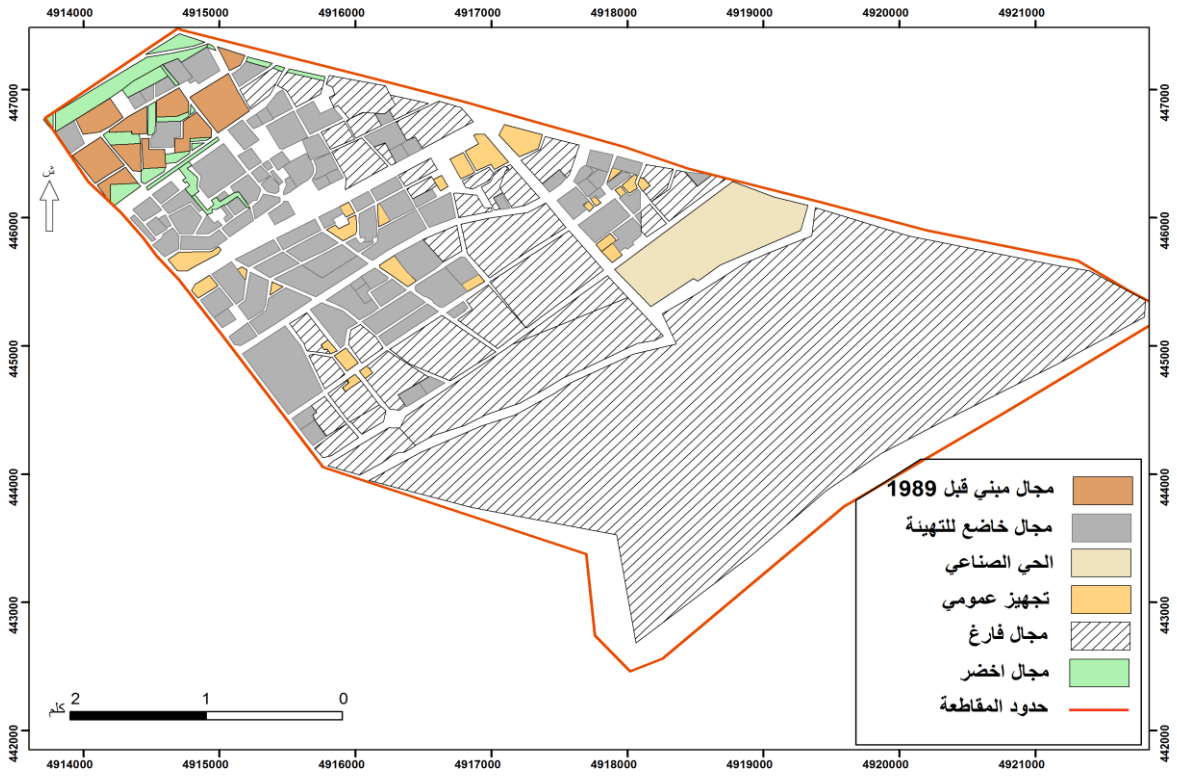

المصدر: تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 1989-بتصرف

لكن السؤال الذي يطرح هنا هو: هل تخصيص حي بكامله لإعادة إيواء دور الصفيح من شأنه المساهمة في خلق تهدئة اجتماعية بالمنطقة؟ ألا يشكل هذا خطرا على حياة السكان خاصة وأن منطقة مولاي رشيد اعتبرت لزمن طويل والى اليوم منطقة متوترة؟ ألم يكن من الأفضل توزيع سكان دور الصفيح خلال عملية إعادة إسكانهم على مناطق مختلفة بالمدينة بشكل متساوي؟ إلى أي حد حضرت المقاربة الإنسية في تخطيط مولاي رشيد في البداية؟ وكما هو معلوم أن هذه المقاربة تركز في معظم توجهاتها على الإنسان في فردانيته وفي خصوصيته وفي شموليته، وأنها لا تركز فقط على الإنسان المتعقل المتميز بالحكمة، بل تهتم بدراسة الإنسان في وجدانيته وفي عفويته [117].

أظهرت نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994-أول إحصاء بعد تأسيس مقاطعة مولاي رشيد- أن هذا الأخير عرف انتشارا مهما لنسبة الأمية (حوالي 35 %) وضعف معدل التمدرس (حوالي 88%)، وهي النسبة الأضعف بين مقاطعات المدينة سنة 1994. كما عرفت المنطقة أيضا انتشار معدل البطالة بنسبة 20%، وكان متوسط حجم الأسرة بالحي يتكون من أكثر من 6 أشخاص[118] . فالحديث عن هذه المؤشرات وسرد تاريخ تأسيس المنطقة سيساهم لا محالة في تفسير أهم التمظهرات المجالية لمولاي رشيد، كما سيساهم في تحليل تمثلات الساكنة للمجال وفهم خصوصيتها الثقافية.

2: البنية الديمغرافية والاجتماعية لمقاطعة مولاي رشيد وعلاقتها بالمجال المعاش

ركزت الأدبيات الجغرافية الخاصة بدراسة المجال المعاش على أهمية المؤشرات الديمغرافية في فهم وتحليل وتأويل النتائج. في هذا الإطار، أشار ارمون فريمون خلال حديثه عن منهجية دراسة المجال المعاش إلى أن العمر والجنس يمثلان أهم العناصر التي يجب أن يعتمد عليها التحري الميداني الخاص بالمجال المعاش[119]. كما أكد على أنه لدراسة التركيبة الإقليميةrégionale combinaison يجب الإشارة إلى ثلاثة مفاهيم أساسية وهي: التفاعلات والدينامية والصورة والبنية. يتطلب تحليل هذه الأخيرة تحديد العناصر التالية: عناصر البيئة المادية والأنشطة الاقتصادية ، **والتركيبات الديمغرافية للسكان**، والتنظيمات السياسية، والأبعاد الثقافية[120]. في هذا الإطار، جاءت فكرة التطرق إلى الخصوصيات الديمغرافية لساكنة مقاطعة مولاي رشيد، وذلك لما لها من دور في تحديد التباينات.

2-1: بنية السكان حسب المراحل العمرية والجنس بمقاطعة مولاي رشيد

تتطلب دراسة السلوك تحليل مراحل تكوين ونشأة الإنسان في المجال، وذلك حسب المراحل العمرية. لذا حدد ارمون فريمون ثلاث مراحل عمرية يمر منها الإنسان، وهي: مرحلة الطفولة- في هذا الصدد أشار J.Piaget [121] إلى أربعة

[117] BAVOUX, Jean Jacques (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, paris, p 210

[118] الإحصاء العام للسكان والسكنى (1994)

[119] FRÉMONT, Armont. (1999) La région espace vécu, Editions Flammarion, p 125,126

[120] المرجع السابق، ص 135

[121] من مواليد 1896 في نيوشاتيل في سويسرا، توفي في 16 سبتمبر 1980 في جنيف، عالم أحياء سويسري وعالم نفسي وأخصائي منطقي وعالم المعرفة المعروف عن عمله في علم النفس التنموي ونظرية المعرفة الوراثية (أو البنيوية الجينية)

مراحل[122] رئيسية في تكوين المجال عند الطفل- ثم مرحلة البلوغ والرشد، وفي الأخير تأتي مرحلة الشيخوخة[123]. وهي نفس المراحل الموظفة في الدراسة.

عرف توزيع سكان مقاطعة مولاي رشيد من حيث السن والجنس بعض التغيرات ما بين سنة 2004 وسنة 2014. ويتميز هذا التوزيع بهيمنة فئة السكان النشيطين (ما بين 15 و59 سنة)، حيث بلغت نسبتهم 65,3 %. تليها الفئة البالغة من العمر 6-14 سنة بنسبة 14,6%، وتأتي الفئة أقل من 6 سنوات في المرتبة الثالثة بنسبة 11,3%. في حين سجلت الفئة العمرية أكثر من 60 سنة نسبة8,8%[124]. في هذا الصدد، أشار ارمون فريمون إلى أن المجال المعاش لكبار السن يتأثر بمجموعة من العوامل، منها التقاعد عن العمل وضعف القدرات البدنية وانخفاض التناغم الاجتماعي وخصائص التكيف . يُنظر إلى المجال المعاش في مرحلة الشيخوخة على أنه مرحلة استرجاع لمرحلة الطفولة ومرحلة البلوغ، فالمجال المعاش في السنوات الأخيرة للإنسان يتحول إلى ذاكرة للأماكن التي عاش فيها الإنسان في الماضي[125].

المبيان رقم 1: توزيع ساكنة مقاطعة مولاي رشيد حسب السن والجنس سنة 2014

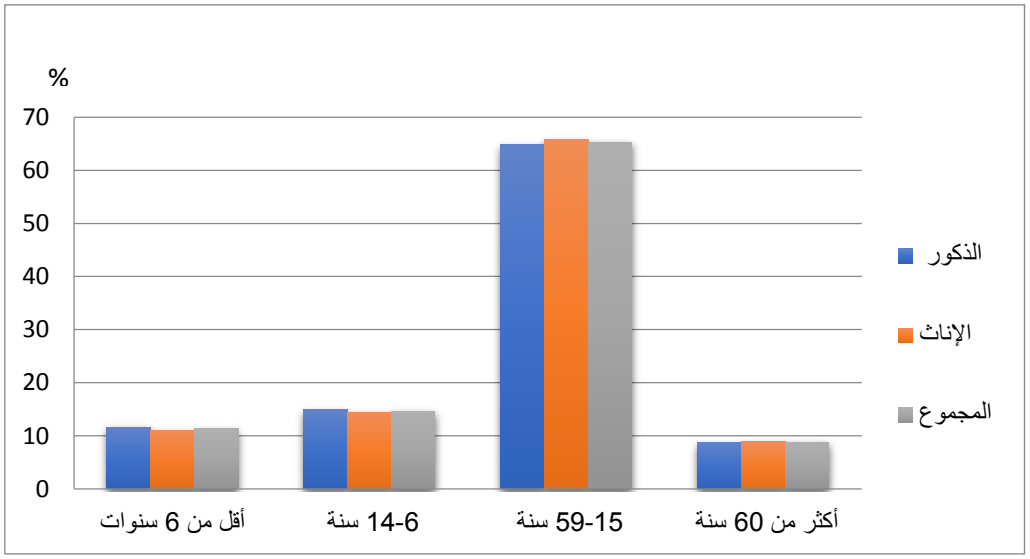

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014.

2-2: الوضعية العائلية حسب الجنس بمقاطعة مولاي رشيد

تساهم عدة مكونات في تكوين المجال المعاش عند البالغين، من بينها: تجربة الزواج والوظيفة الأولى والوصول إلى أماكن جديدة في الحياة والخدمة العسكرية والهجرة. كما تساهم واجبات والتزامات الشخص مع الأشخاص المقربين في تكوين تمثل حول المجال المعاش[126]. أكثر من ذلك، يتكون المجال المعاش بشكل عام من مجموعة من

[122]- الطفولة الأولى: من الولادة إلى ثلاث سنوات- الطفولة الثانية: من ثلاث إلى ست سنوات- الطفولة الثالثة: من ست سنوات إلى اثني عشر سنة
[123] FRÉMONT, Armont. La région espace vécu, Editions Flammarion, p : 72(1999)
[124] جميع المعطيات الإحصائية مأخوذة من الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014.
[125] FRÉMONT, Armant. (1999) La région espace vécu, Editions Flammarion 73 p :
[126] Ibid. 69,71 p :

الأبعاد الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية (القرابة والصداقات والأحياء والطبقات الاجتماعية)[127]. ولتوضيح هذا البعد الاجتماعي للمجال، كان من الضروري تقديم إشارات عن هذه الوضعية.

المبيان رقم 2: الوضعية العائلية لساكنة مولاي رشيد حسب الجنس سنة 2014

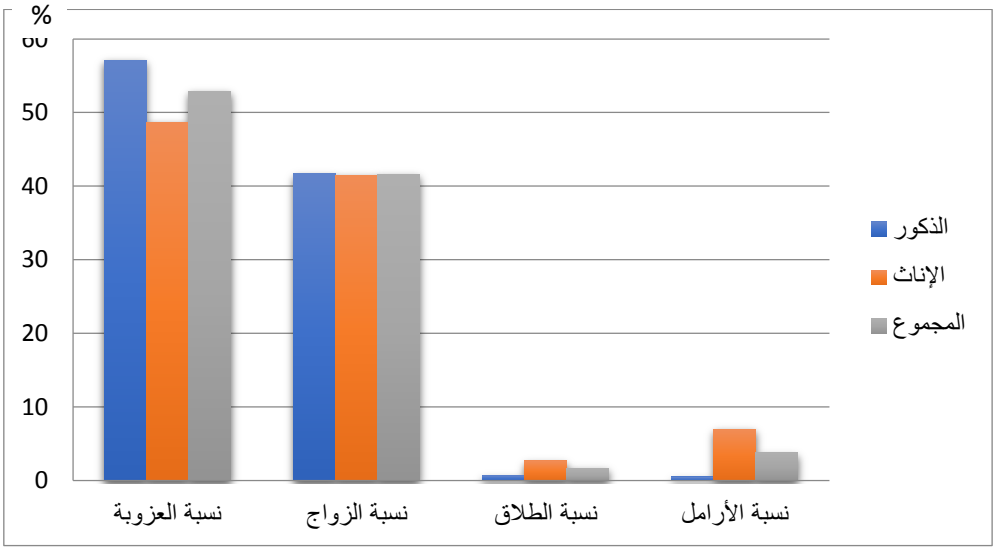

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء، 2014.

يوضح المبيان رقم 2 مدى هيمنة نسبة العزوبة على باقي الحالات الاجتماعية، حيث بلغت 52,9%، في حين سجلت نسبة الزواج 41,6 %، ووصلت نسبة الأرامل 3,8 %، وكانت نسبة الطلاق من أضعف النسب (حوالي 1,7 %). وهي النسب التي سنستثمرها في فهم العلاقة بين الإنسان والمجال المعاش.

2-3: معدل الأمية ومستوى التمدرس بمقاطعة مولاي رشيد

يعتبر الكشف عن الجوانب غير المرئية (قوائم التعداد والبيانات الوصفية والدراسات الخاصة بالأمية والمستويات التعليمية) من أهم الخطوات المتبعة في فهم آليات إنتاج وتحليل المجال المعاش، إذ تسمح هذه المعطيات بدراسة تطور التمثلات مجاليا وزمنيا. أكثر من ذلك، تؤثر مجموعة من العناصر في السلوك الإنساني داخل المجال (الحالة الاجتماعية والشخصية)، إذ تفرض هذه العناصر على الإنسان صورة معينة للأماكن التي يعيش فيها[128].

[127] المرجع السابق ص: 75
[128] نفسه ص 65

المبيان رقم 3: معدل الأمية بمقاطعة مولاي رشيد حسب الجنس سنة 2014

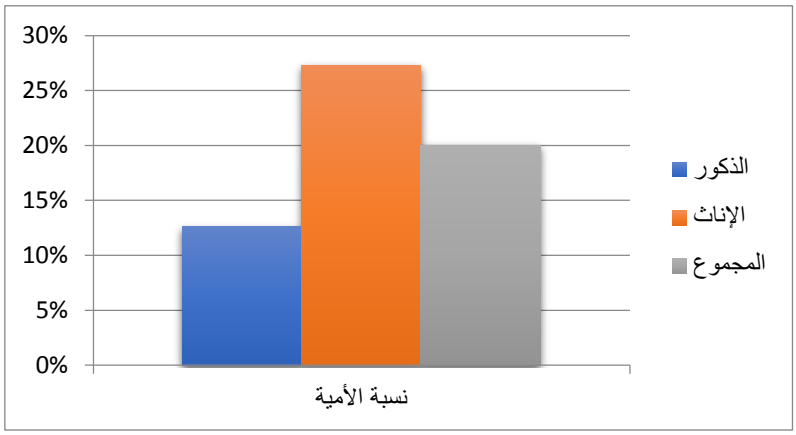

المصدر المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

يبرز المبيان رقم 3 مدى أهمية وارتفاع نسبة الأمية في المقاطعة مقارنة مع باقي مقاطعات المدينة (حوالي 11 % في مقاطعة أنفا والمعاريف). فقد بلغت حوالي 20%، وتتفاوت هذه النسبة بين الذكور (12,6%) والإناث (27,3%)[129].

يعتبر المجال المعاش اقتصاديا: هو مجال التخطيط الموجه للاستجابة للحاجيات الاجتماعية. وسياسيا مجال السيطرة الديمقراطية على إرادة الدولة، ومجال الإدارة الذاتية العامة. وثقافيا مجال التصورات الذهنية والثقافية في المجال[130]. لن يتأتى الوقوف عند المستوى الثقافي وعلاقته بالمجال دون التطرق إلى المستوى التعليمي في المجال المدروس، لنرى مدى ارتباط هذه المؤشرات بالمجال المعاش.

يوضح المبيان رقم 4 مدى ارتفاع نسبة غير المتمدرسين ونسبة السكان الذين لم يتجاوزوا المستوى الابتدائي، إذ تشكل الفئتان حوالي 55 % من مجموع مستويات التمدرس. وهو مؤشر سنرى من خلال نتائج البحث الميداني أهميته في تفسير مسألة الخروج عن نظامية القانون في استغلال المجال، علاوة على حجم وكمية هذه التمردات المجالية.

المبيان رقم 4: مستوى التمدرس لساكنة مقاطعة مولاي رشيد سنة 2014

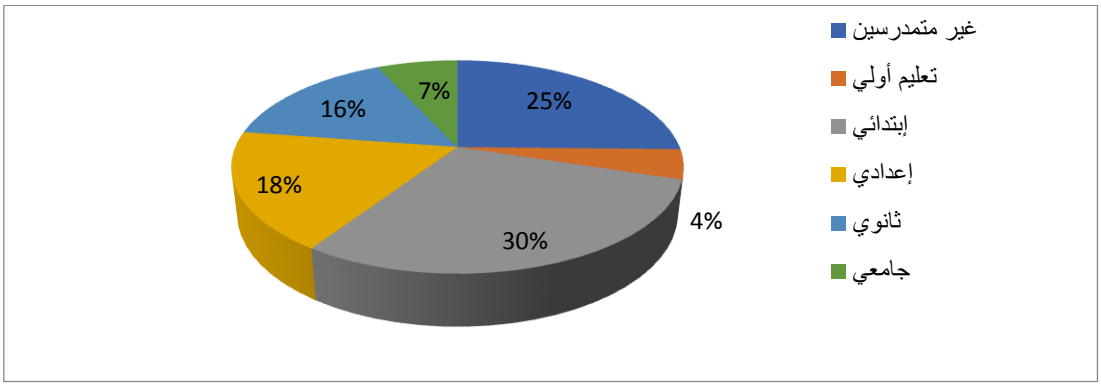

[129] المعطيات الإحصائية مأخوذة من الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

[130] FRÉMONT Armont. (1999) La région espace vécu, Editions Flammarion, p : 253

المصدر المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

4-2: نوعية السكن بمقاطعة مولاي رشيد سنة 2014

تعتبر نوعية السكن في المجال من عناصر الاشتغال على المجال المعاش، ولهذا المعطى دور في تفسير المجالات التي تشهد تعديلات وتجسّد رغبات الساكنة في المجال، بمعنى البحث في المجال الأكثر تعديلا من قبل السكان: السكن العصري أم سكن الفيلات أم سكن العمارت أم السكن العشوائي؟

يوضح المبيان رقم 5 مدى أهمية حضور السكن المغربي العصري في مقاطعة مولاي رشيد بنسبة بلغت 63%، يليه سكن العمارات بنسبة 31 %، وباقي النسب موزعة بين السكن العشوائي وسكن الفيلات.

المبيان رقم 5: نوعية السكن بمقاطعة مولاي رشيد سنة 2014

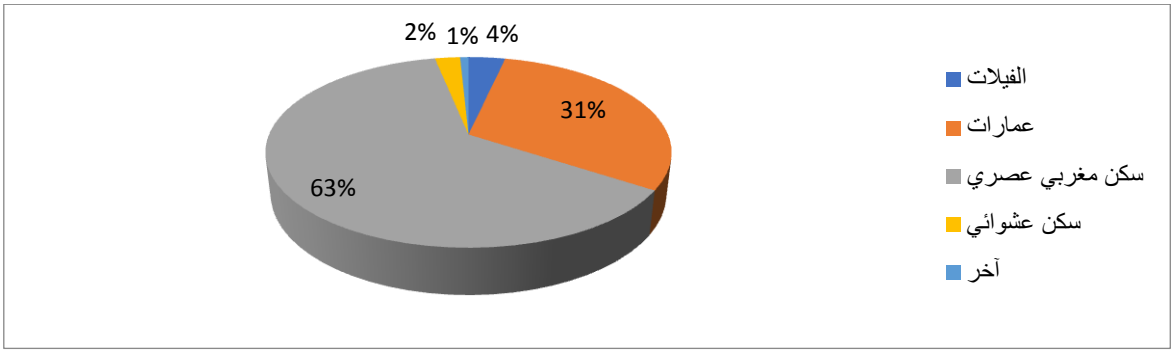

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

تعتبر مسألة ملكية الأرض أو السكن من الجوانب المهمة في فهم المجال المعاش، لذا تم إدراج الجدول رقم 2 لهذا الغرض، والذي يوضح هيمنة نسبة السكن المتملك (66,3 %)، وهو أيضا معطى سنستثمره في الدراسة.

جدول رقم 2: نوع ملكية السكن بمقاطعة مولاي رشيد سنة 2014

نوع ملكية السكن	النسبة
سكن متملك	66,3
سكن مكتري	27,2
آخر	6,5

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

3: مظاهر تعقد المجال المخطط بمقاطعة مولاي رشيد

يعتبر التخطيط الحضري بمثابة إستراتيجية تدخل الإدارة بأدوات منهجية ووثائق مرجعية لتنظيم استعمال المجال، وتقنين أو تحديد هذا الاستعمال لكل منطقة من مناطق المدينة، وتخصيص وظيفة لكل منه قصد تحقيق

تكامل أجزائها وانسجام أطرافها وبالتالي حسن تنظيمها وتعميرها[131]. تقتضي الدراسة المجالية الإشارة أولا إلى توجه الدولة والمنصوص عليه في تصاميم التهيئة والمخططات المديرية، ثم بعد ذلك التطرق إلى المجال كما هو مدرك، على أن تأتي مرحلة رصد المجال كما هو مرغوب فيه في المرحلة الثالثة.

يعرف المجال المخطط l'espace conçu أو المصمم بكونه مجالا تم التخطيط له من قبل المهندسين المعماريين والمخططين الحضريين بواسطة المخططات والرسوم البيانية، وفق الرؤية العامة لتصور السلطات العامة. فهو مجال مجرد، نقيسه من خلال الخطط، وهو مجال مفروض على مستعمليه. وأحيانًا نجد عناصر ومكونات في المجال المخطط، لكن في الواقع نجد ما يخالف ذلك.[132]

للوقوف عند التفاوت بين ما يخطط له وما يوجد في أرض الواقع، كان من اللازم إدراج تصميم التهيئة الأخير(2012) الخاص بمقاطعة مولاي رشيد. في البداية، وقصد تحقيق صورة متكاملة، انطلقت عملية الرصد من التصميم المديري 2010 لولاية الدار البيضاء الكبرى (التقسيم القديم)، وأهم توجهاته المستقبلية الخاصة بالمقاطعة، لتقدير مدى توافقه مع توجهات تصميم التهيئة، باعتباره وسيلة لتنفيذ التوجه العام للمخطط التوجيهي.

يشير المخطط المديري 2010 (الخريطة رقم 14) إلى سبعة معطيات مساحية، وأربعة معطيات خطية. توضح المعطيات المساحية تخصيص المنطقة الجنوبية الشرقية للصناعة والأنشطة غير الضارة، وتخصيص مساحات في المنطقة الجنوبية للفضاءات الخضراء والمنتزهات والحدائق العمومية. بالإضافة إلى إدراج أقصى جنوب المقاطعة كمنطقة لإعادة التهيئة. كما بين المخطط المديري توزيع الكثافة السكانية المستقبلية للمقاطعة. وتشير المعطيات الخطية إلى وجود خط لقناة مخصصة للمترو وخط لطريق رئيسية متوقعة وأخرى للطرق الرئيسية والمهيكلة.

خريطة رقم 14 : مقاطعة مولاي رشيد حسب المخطط التوجيهي للدار البيضاء الكبرى سنة 2010

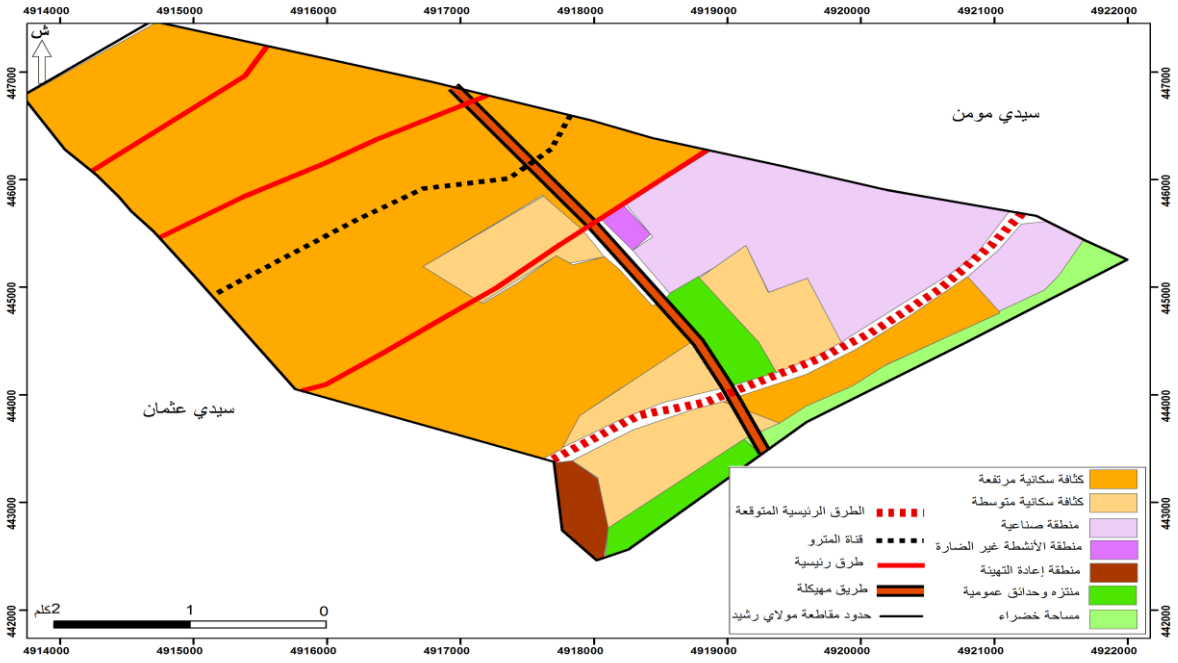

المصدر: المخطط المديري للدار البيضاء الكبرى2010 (بتصرف)

[131] البكريوي، عبد الرحمان. (1993) التعمير بين المركزية واللامركزية، الطبعة الأولى، ص 33.

[132] DI MEO, Guy. (2014) Introduction à la géographie sociale, Armand colin, paris, p 41.

يشير تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد (الخريطة رقم 15) إلى معطيات أخرى لا يتوافق معظمها مع ما جاء به المخطط المديري، حيث يظهر التصميم معطيات مفصلة ودقيقة يتوقع إنجازها خلال المدة الزمنية المخصصة لتصاميم التهيئة (10 سنوات) مثل:

- تخصيص أقصى الشرق لبناء قطب جامعي عمومي (غير وارد في المخطط المديري)؛
- تخصيص مناطق للسكن المغربي العصري خاصة في الجنوب الشرقي؛
- عدم إدراج مشاريع حضرية مكان السكن الصفيحي المتواجد في وسط الجنوب الشرقي؛
- ترك مساحات بدون تحديد نوعية استغلالها، خصوصا المناطق الجنوبية التي مازالت تتوفر على رصيد عقاري مهم، مع ترك مجال السكن العشوائي قائما دون تحديد مصيره؛
- تخصيص أكثر من 33 منطقة كمجالات خضراء، من خلال تعزيز مناطق قديمة وإدراج أخرى جديدة؛
- برمجة تجهيزات تعليمية (14 مدرسة ابتدائية، و 10 إعداديات، و6 ثانويات تأهيلية وملحقة جامعية وتجهيزان عموميان للتعليم)؛
- تجهيزات عمومية أخرى (4 مراكز اجتماعية- 5 ملاعب رياضية- 10 مراكز صحية- 7 مساجد- مركزان للتكوين المهني- مركز للدرك الملكي- 5 أسواق عمومية- 3 دور الشباب- 7 مراكز تجارية- مركز للوقاية المدنية- مركز للشرطة)؛

توضح مقارنة توجهات المخطط المديري وتوجهات تصميم التهيئة وجود اختلافات وتباينات، حيث نسجل مثلا توسيع المخطط التوجيهي للمنطقة المخصصة للصناعة في الشمال الشرقي، في حين قلص تصميم التهيئة تلك المساحة.

من ناحية أخرى، ركز المخطط المديري على تشييد منتزهات وحدائق عمومية، لكن تصميم التهيئة أشار فقط إلى مساحات خضراء دون تحديد نوعية استغلالها. أيضا هناك إشارة لقناة مخصصة للميترو وخطوط لطرق رئيسية متوقعة في المخطط التوجيهي، لكن لا وجود لهذه القنوات في تصميم التهيئة.

خريطة رقم 15: تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد سنة 2012

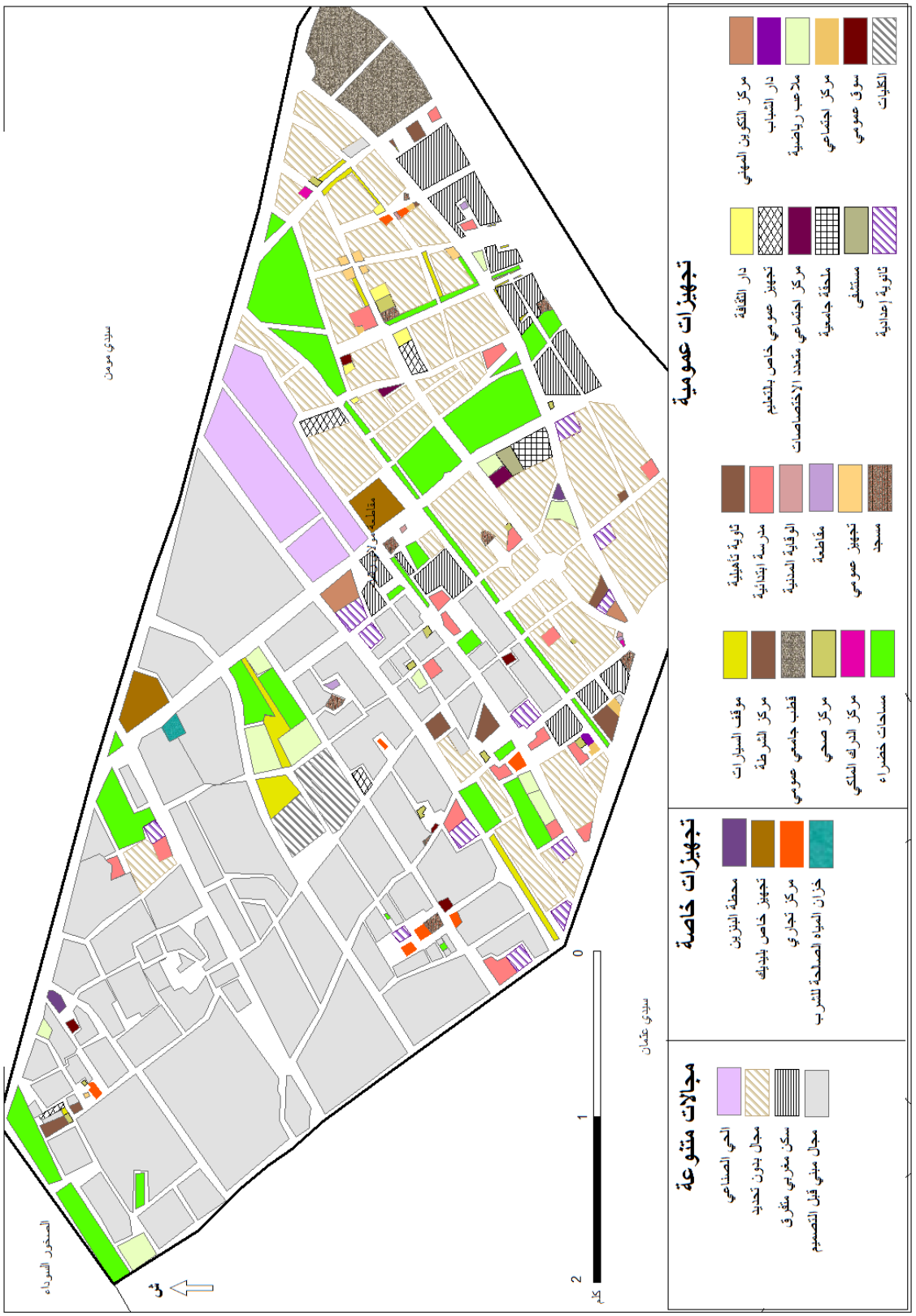

المصدر تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 2012.

من خلال ملاحظة توجهات الدولة تجاه المقاطعة وفق تصميم التهيئة، يتضح أن المقاطعة ستجهز بمجموعة من التجهيزات العمومية والمعطيات المساحية، والتي ستساهم في الرفع من جودة الحياة بالمقاطعة، فإلى أي حد تم تفعيل مقتضيات توجهات السلطات التخطيطية تجاه المنطقة؟

خريطة رقم 16: تركيبية تصميمي تهيئة مقاطعة مولاي رشيد (1989 و 2012)

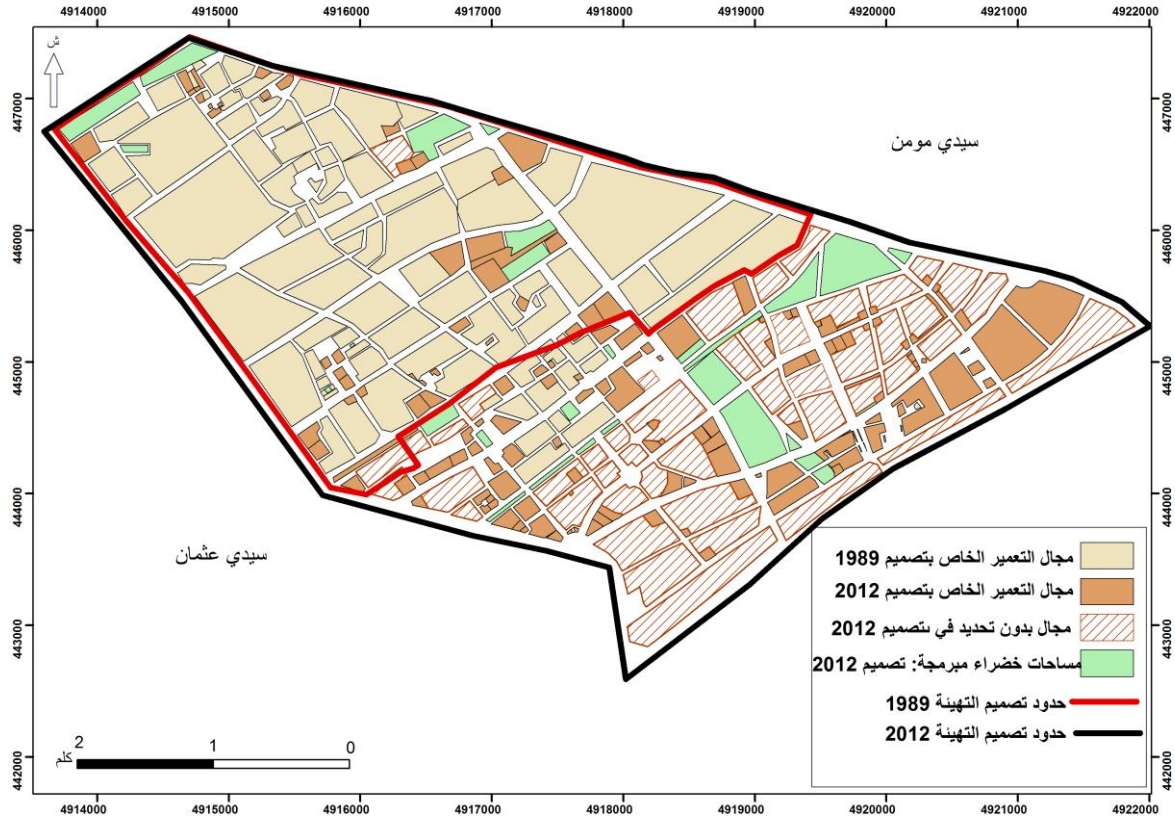

المصدر: تصاميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 1989-2012 (عمل شخصي)

تشير المقارنة التركيبية (الخريطة رقم 16) لما جاء به تصميم التهيئة لسنة 1989 وتصميم 2012 إلى امتدادات وإضافات مهمة لتصميم 2012. يتضح أيضا المجال الذي كان يشمله تصميم 1989، والذي كان يهدف في رمته إلى تحقيق غاية إعادة الإسكان، إذ نلاحظ غلبة الجانب التعميري الخاص بالسكن على حساب الجوانب الأخرى (التجهيزات العمومية والمساحات الخضراء والمساحات المفتوحة)، وهو ما يؤشر على أهمية السكن في ذلك الوقت على حساب المستلزمات الضرورية للعيش. وهذا ما أكده تصميم 2012، من خلال عودته لمجال تصميم 1989، وعمله على تجهيز تلك المناطق بمجموعات من التجهيزات التعليمية والترفيهية والصحية والرياضية والمساحات الخضراء.

أيضا عمل تصميم 2012 على تنويع أشكال السكن، من خلال ظهور سكن العمارات التشاركي في كل من المنزه والمدينة الجديدة، وظهور السكن العالي الجودة في كل من المسيرة 1 وحي الهدى. كما نسجل أيضا اهتمام التصميم الجديد بملاعب القرب، وبالنوادي ودور الشباب، وهو ما كان غائبا في تصميم 1989. فهل سيتم تفعيل هذا الاهتمام على أرض الواقع أم أن تلك التجهيزات ستبقى حبيسة التصميم الورقي.

4: المجال المدرك واستعمال المجال بمقاطعة مولاي رشيد

أكد ارمون فريمون في إطار رؤيته للمجال في العلوم الإنسانية على ضرورة إيجاد مرجعية فكرية وعلمية تؤطر الموضوع مفاهيميا. ففي هذا السياق، اعتمد على ثلاث مرجعيات رئيسية تتمثل في: علم النفس وعلم التحليل النفسي وعلم اجتماع المجال. فالمجال المعاش يتكون بشكل عام من مجموعة من الأبعاد الاجتماعية.

لتوضيح البعد الاجتماعي للمجال، ميز أرمون فريمون بين المجال المتملك والمغترب والمنظم. ولتفسير الجانب التنظيمي استدعى عناصر مجالية مثل: الطريق وشارع المدينة والأزقة والأحياء. ففي رأيه، تلعب هذه العناصر دورا مهما في تنظيم الأنشطة اليومية للأفراد والجماعات من خلال قيمها ووظائفها الرمزية. كما تساهم في التأثير على تمثلات الإنسان لمجاله المعاش، إذ من خلالها يحدد الإنسان مدى انسجامه وتأقلمه مع المجال، وانطلاقا منها يحدد حاجياته الموجودة في ذهنه ومخيلته [133].

تتمثل الحقيقة الحضرية في مجال المسارات والشبكات الرابطة بين أماكن العمل والحياة الخاصة والترفيه، وفي مجال العلاقات الاجتماعية الخاصة بالإنتاج وبإعادة الإنتاج[134]. فلا يمكن تجسيد هذه المجالات دون الإشارة إلى المجال المدرك الخاص بمقاطعة مولاي رشيد، والذي سنستخلصه انطلاقا من التحريات الميدانية المدعومة برؤية المقاطعة عبر الصور الجوية الحديثة[135]، كالشكل رقم 1 الخاص بمنطقة تقاطع حي الفلاح مع حي المسيرة، والذي يوضح نوعية المجال الذي تدركه ساكنة المنطقة خلال تنقلاتها اليومية وخلال ممارساتها لأنشطتها المجالية، والذي يبين أيضا مجال الحياة والمجال المادي للممارسات اليومية المعتادة للأفراد.

الشكل رقم 1: مقتطف من صورة جوية لتقاطع حي الفلاح مع حي المسيرة.

77 La région espace vécu, Editions Flammarion, p :)1999([133] FRÉMONT, Armont.
[134] DI MEO, Guy. (2014) Introduction à la géographie sociale, Armand colin, paris, p 41.
[135]اعتمدنا في هذا الإطار على صور جوية انطلاقا من ثلاثة مصادر وهي: موقع الصور الفضائية بالوكالة الحضرية للدار البيضاء، برنامج sasplanet 2019، وأخيرا الصور الفضائية المأخوذة من موقع Google earth لسنة 2019.

المصدر : برنامج sasplanet 2019

على مستوى ميدان الدراسة، مكنتنا تقنية الاستشعار عن بعد والصور الجوية والجولات الميدانية من التعرف على ما هو موجود أصلا في المقاطعة، والتعرف على مجال الممارسات المجالية والحقيقة الحضرية. وقد تمثل الهدف من هذه العملية في تمحيص مدى تطبيق تصميم التهيئة أو السير في تطبيقه، باعتبار أنه ظهر سنة 2012، والصور الجوية توضح ما أنجز إلى غاية سنة 2019 (الخريطة رقم 17، والشكل رقم 2).

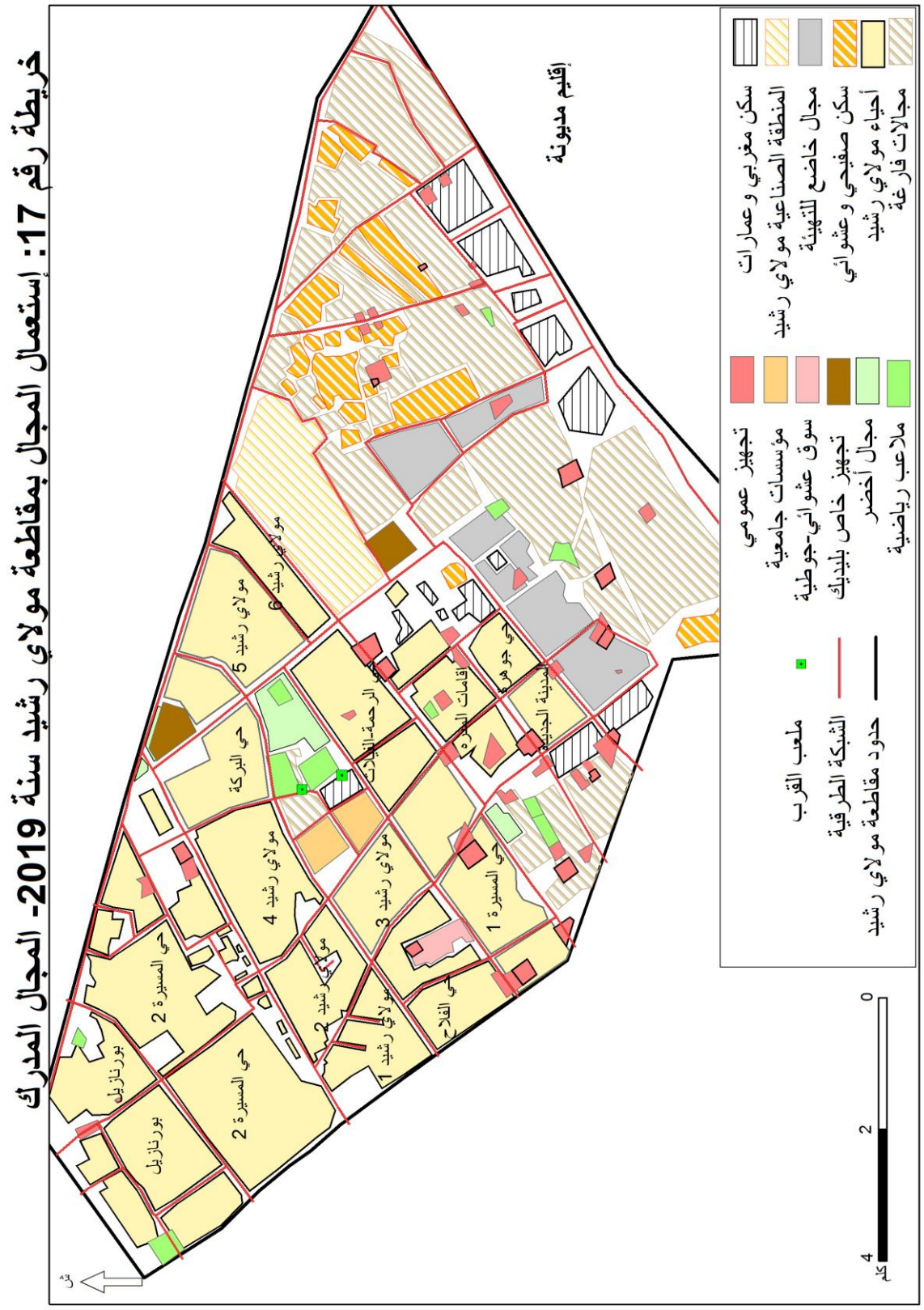
خريطة رقم 17: إستعمال المجال بمقاطعة مولاي رشيد سنة 2019- المجال المدرك
إقليم مديونة
سكن مغربي و عمارات
المنطقة الصناعية مولاي رشيد
مجال خاضع للتهيئة
سكن صفيحي و عشوائي
أحياء مولاي رشيد
مجالات فارغة
تجهيز عمومي
مؤسسات جامعية
سوق عشوائي-جوطية
تجهيز خاص بليديك
مجال أخضر
ملاعب رياضية
ملعب القرب
الشبكة الطرقية
حدود مقاطعة مولاي رشيد
0
2
4
كلم
المصدر: برنامج ساسبلانيت 2019-عمل ميداني 2020-2019
حي المسيرة 2
بورنازيل
حي البركة
مولاي رشيد 5
مولاي رشيد 6
مولاي رشيد 4
مولاي رشيد 2
حي الرحمة-الهلالات
إقامات الهدى
حي جوهرة
المدينة الجديدة
مولاي رشيد 3
حي المسيرة 1
مولاي رشيد 1
حي الفلاح

الشكل رقم 2: صورة جوية لمقاطعة مولاي رشيد سنة 2019

انطلاقا من الهيكلة والمورفلوجية العامة للمقاطعة والتوزيع العام للأحياء ونوعية استغلال المجال العام، تتضمن المقاطعة ست مجموعات سكنية (مولاي رشيد 1- 2- 3- 4- 5 -6)، تتكون في معظمها من سكن مغربي عصري (مساكن إعادة الإسكان)، وهي التي شكلت اللبنة الأولى لتشييد المقاطعة سنوات الثمانينات والتسعينات. تتضمن

المقاطعة أيضا حي المسيرة 1 و2 (مساكن عبارة عن سكن مغربي عصري قديم)، وحي بورنازيل (سكن العمارات في معظمه) في أقصى الشمال الغربي للمقاطعة.

نسجل أيضا تواجد مجموعة من الأحياء: حي الفلاح (سكن مغربي عصري) وحي البركة (سكن العمارات) وحي جوهرة (سكن العمارات والسكن الاقتصادي) والمنزه (سكن العمارات) والمدينة الجديدة (سكن مغربي عصري) وحي الرحمة (سكن الفيلات) ومجالات مفتوحة فارغة بدون استعمال.

تتضمن المقاطعة أيضا سوقا عشوائية صفيحية ممتدة على مساحة شاسعة، كما تظهر الصور الجوية ندرة المساحات الخضراء (الغابة الخضراء فقط)، وانتشار السكن العشوائي بما فيه الصفيحي في مناطق مختلفة، خصوصا الجنوبية الشرقية. وأخيرا نشير إلى وجود مجالات مهيأة للبناء في المناطق الجنوبية المحادية لجماعة الهراويين، واحتفاظ المنطقة الصناعية بنفس المساحة المخصصة لها.

جدول رقم 3: نسبة الإنجاز الخاصة بتصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد.

ما خطط له	ما هو موجود في الواقع	نسبة الانجاز[136]
القطب الجامعي الجديد في الجنوب الشرقي	غير موجود لغاية كتابة هذه الأسطر	0 %
المجالات الخضراء الشاسعة المخطط لها	نادرة، باستثناء الغابة الخضراء وبعض المناطق في أقصى الشمال الغربي	13 %
الحي الصناعي	موجود في المنطقة دون أي تعديل	-
الملحقة الجامعية في الجنوب	غير موجودة	0 %
السكن الصفيحي (تركه دون تحديد مصيره مع تقليص مساحته)	لا زال منتشرا في مجموعة من المناطق مع اتساع انتشاره	-
تجهيزات تعليمية وعمومية ومراكز اجتماعية	معظمها لم يوضع له الحجر الأساس	11 %
5 ملاعب رياضية	ملاعب قرب خصوصا في المسيرة	27 %

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

يتضح من خلال الجدول رقم 3 أن الخطاب السياسي والتعميري المدرج في تصميم التهيئة لم يفعل في مجمله، والمؤشرات الدالة على الإنجازات الخاصة بالتصميم تدل على ذلك. فالعديد من التجهيزات التي تضمنها التصميم لم تنجز بعد. وبهذا تكون محاولة الخروج بمقاطعة مولاي رشيد من الأزمات الاجتماعية والثقافية السلبية والتناقضات والتفاوتات التي تعرفها مقارنة مع باقي المقاطعات، والتي لزمتها منذ النشأة لا تزال محط أماني ساكنة المنطقة.

ارتباطا بالمؤشرات الإحصائية المتضمنة للمعطيات الاجتماعية والديمغرافية (معطيات المندوبية السامية للتخطيط إحصاء 2014)، والتي توضح التباين والتفاوت بين مقاطعة مولاي رشيد وباقي مقاطعات المدينة، يتبين أن المقاطعة تعد الأكثر فقرا وانتشارا للأمية والهشاشة وضعف مستوى التمدرس، فمن خلال هذه المؤشرات يصبح تفعيل تصميم التهيئة ضرورة وليس اختيارا أو مجرد خطاب أديولوجي سياسي.

[136] النسب المئوية تم حسابها عبر تقنية géométry في برنامج arc gis

فإذا كانت الدراسات تشير إلى أن "المشروع المندمج لمولاي رشيد الذي جاء للحد من التمييز بالنسبة لسكان الصفيح بابن امسيك قد حل مشكل السكن دون باقي المشاكل الاجتماعية، وخاصة منها مشاكل الشغل والدخل وبالتالي المستوى المعيشي، وجاء اندماجهم عن طريق تهميشهم مجاليا وبتزايد ارتباطهم بالمنطقة الصناعية المحدثة ضمن مشروع الإسكان، وبقي الاندماج منحصرا في توفير بعض التجهيزات التحتية والاجتماعية والمصالح الإدارية "[137] فإن الواقع يؤكد بقاء الوضع على ما هو عليه منذ سنة 1994، أي استمرار التهميش المجالي وضعف التجهيزات الاجتماعية والعمومية، والتي لا تراعي معايير الشبكة المعيارية (الإحصاء العام للسكان سنة 2014). فعلى الرغم من إدراج العديد من التجهيزات ومشاريع إعادة التهيئة في التصميم فإن الواقع يشير إلى ضعف نسبة الإنجاز.

5: المجال المعاش الممثل: معاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي بمقاطعة مولاي رشيد

نظر امانويل كانط إلى المجال باعتباره فئة أساسية من الفهم الإنساني، لأنه جعل من الممكن -مع الزمن- إمكانية تمثيل الأشياء. فالجغرافيا في اعتقاده تخصص كوريولوجي، لا يمكن ولا يجب أن نستثني فعل التوطين أو التموقع. فالسؤال أين؟ يسبق كل الأسئلة الأخرى[138]. من جهته، اعتبر بافو bavoux التحليل المجالي مقاربة للتموقعات المكانية approche des localisations والتفاعل المجالي، باعتبارها عناصر فاعلة في الوظائف الاجتماعية. تعطي هذه المقاربة مكانا مركزيا للسؤال أين؟[139] فالسؤال أين يحدد كيف يكون الكيف كما تصوره هايدغر.

في هذا الإطار، كان من اللازم الوقوف عند التموقعات المكانية للمجالات التي شهدت تمردا وتعديلا من قبل الفرد، باعتباره أهم وحدة فاعلة في التفاعلات المجالية والاجتماعية. ففهم النظام المجالي يتطلب فهم الترابطات بين الأماكن والجمع بين التفاعلات المكانية والوظيفية والمجالية الوظيفية. فأساس النظام هو تنظيمه وتمييزه، ومبدؤه التوضيح[140].

أفضى تتبع أحياء وأزقة وشوارع مقاطعة مولاي رشيد لمدة لا تقل عن سنتين إلى استخلاص مجموعة من التمردات المجالية التي طرأت على المجال والتي تظهر للملاحظ، إذ أن هناك تمردات ذاتية تطرأ على بعض الأماكن داخل المساكن أو العمارات والدالة هي الأخرى على مجالات معاشة حسب حاجيات الساكنة، لكن هناك صعوبة للولوج إلى تلك المناطق، خصوصا وأن البحث في المنطقة المدروسة تتخلله عدة مخاطر وصعوبات ناتجة عن تحفظ الساكنة. بالإضافة إلى صعوبة الولوج إلى جميع المساكن، فاكتفينا في معظم أطوار الدراسة بما رصدته أعيننا عبر الملاحظة الإثنوغرافية الميدانية، وما استخلصناه من بعض الصور الجوية الخاصة بموقع الوكالة الحضرية بالدار البيضاء.

[137] شويكي، المصطفى. (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا ، ص 530

[138] BAVOUX, Jean Jacques. (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, paris, p 86

[139] المرجع السابق ص163

[140] المرجع السابق ص 148

وباستعمال تقنية GPS المدعومة بتحريات ميدانية استطعنا تحصيل مجموعة من المعطيات الخاصة بالمجال المعاش الممثل والمعدل، ندرجها في البداية على شكل توطن نقطي في خريطة، لتوضيح حجم التعديلات التي شهدها المجال، وإظهار الفروق بين أحياء المنطقة والعلاقة بين نوع السكن وحجم التعديلات أو التمردات المجالية.

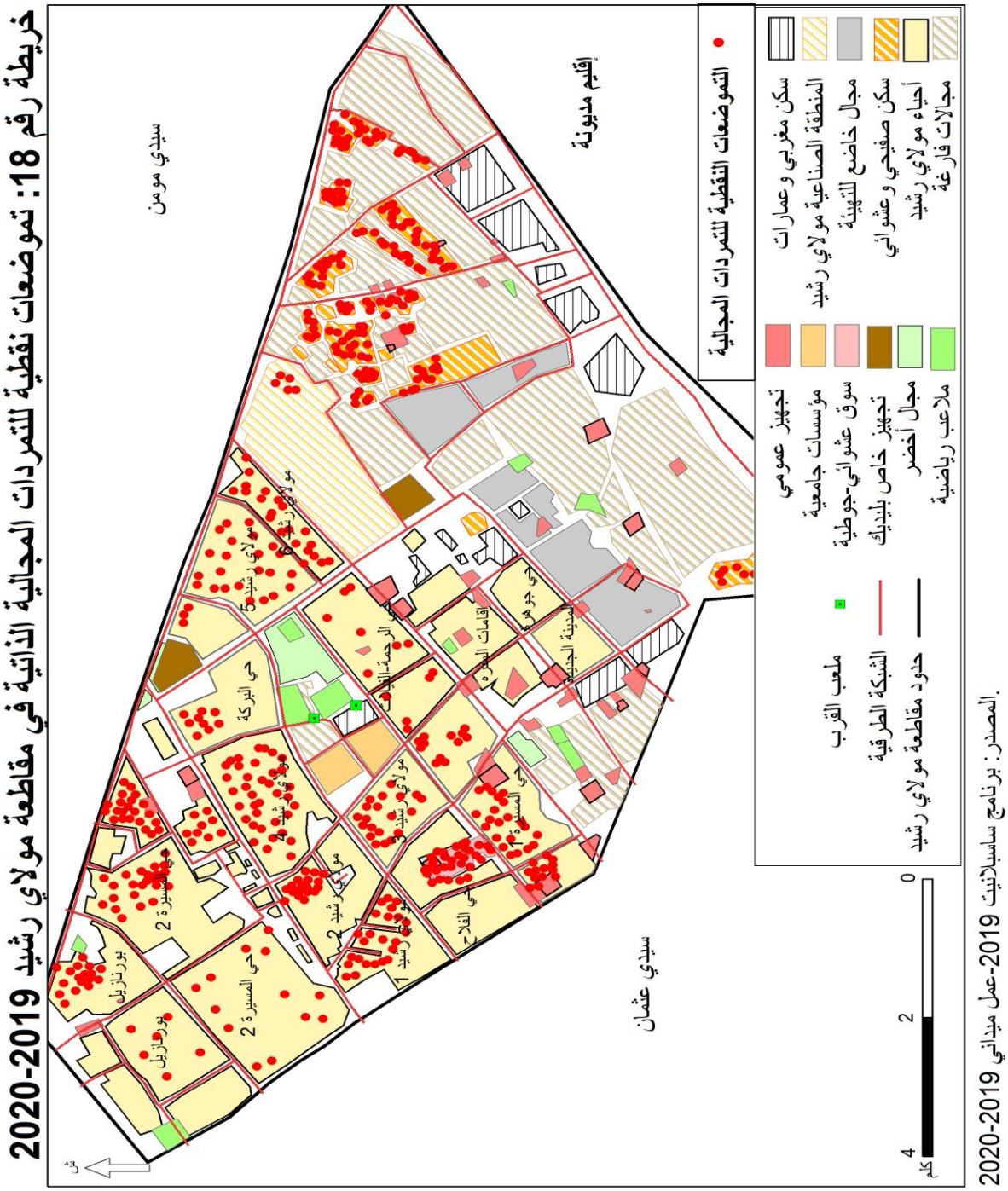

لتسهيل تفسير وتحليل خريطة التموضعات النقطية للمجال المعاش المجسد في الواقع، يمكن عنونتها بخريطة أماكن أشكال التناقض والاختلاف بين الإنسان والمجال. وقد ترجمت هذه التناقضات على شكل تمردات مجالية في الشكل والمضمون من طرف الفرد الدائم البحث عن تطويع المجال وفق مصالحه الخاصة، ومن خلال تصوره النفسي والاجتماعي لمجاله المعاش.

لتوضيح تلك الأشكال الناتجة عن التمردات المجالية، وإظهار تلك المتغيرات بشكل أوضح ندرج بعض الأمثلة المستقاة من واقع مقاطعة مولاي رشيد[141]:

الصورة رقم 1: مجالات مضافة للسكن وسط العمارت (إقامات الهدى، حي المسيرة 2)

[141] جميع الصور مأخوذة من خلال بحث ميداني سنة 2019-2020 وهي لأماكن مختلفة بمقاطعة مولاي رشيد

عدسة الباحث: 2-6-2019

الصورة رقم 3: تحويل مجال مفتوح إلى مجال أخضر (مولاي رشيد 3)

عدسة الباحث 11-10-2019

الصورة رقم 4: تحويل ملكية خاصة إلى مجال أخضر.

إصلاح مفاتيح
السيارات

الصورة رقم 5: تحويل مجال عام إلى ملكية خاصة لغرض السكن.

عدسة الباحث : 5-1-2020

الصورة رقم 6: تحويل مجال عام إلى ملكية خاصة لغرض إضافة مجال أخضر

عدسة الباحث 10-2-2020

الصورة رقم 7: تحويل جنبات المنزل إلى مكان مخصص للعمل وتشويه الواجهة.

عدسة الباحث : 15-1-2020

كقراءة أولية لخريطة التموضعات النقطية لحجم التمردات المجالية الذاتية التي تعرض لها المجال، نشير إلى بعض الأحياء التي تعرضت بشكل كبير لتعديلات ذاتية من قبل الأفراد والمجموعات، فعلى سبيل المثال، تتميز مجموعات مولاي رشيد الست (1-2-3-4-5-6)وحي المسيرة 1و2، وحي الفلاح بكثرة التمردات المجالية من قبل السكان. تليها أحياء السكن الصفيحي التي تعتبر في معظمها تعديل مجالي حسب تصور مجال السكن. ويأتي حي الرحمة (حي الفيلات) وحي بورنازيل وحي البركة في المرتبة الأخيرة من حيث التمردات على المجال. في حين تعتبر أحياء إقامات المنزه وجوهرة والمدينة الجديدة وأحياء السكن المغربي العصري المبني خلال سنوات 2018-2019 خصوصا المتوطن في أقصى جنوب المقاطعة الأقل تعديلا وتمردا من قبل الساكنة، بل هناك أحياء حافظت على نفس ما جاء به تصميم التهيئة من معايير البناء والاستغلال دون أي تعديل.

يقوم الجغرافيون بتفكيك المجال وتمييز العناصر القابلة للعزل والاندماج واستخراج الهياكل الرئيسية لها وفك رموز الأشكال والوظائف والديناميات[142]. من خلال هذا الطرح، ارتأينا وضع قراءة ثانية تتضمن تصنيفات لهذه الأحياء حسب نوعية السكن وتاريخ إنشاء الحي. يمكن الخلوص إلى أن الأحياء الأكثر قدما من حيث النشأة هي المعرضة بشكل كبير للتمردات المجالية، من قبيل مجموعات مولاي رشيد الست، والتي أنشئت في الأصل من أجل إعادة إسكان قاطني دور الصفيح بابن امسيك سنوات الثمانينات والتسعينات. وهي أحياء تتضمن سكنا مغربيا عصريا قديما، وتضم ساكنة قادمة من السكن الصفيحي بن امسيك سيدي عثمان.

[142] BAVOUX, Jean Jacques, (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, paris, p 88

تعتبر أحياء الفيلات (حي الرحمة) وبعض أحياء سكن العمارات (السكن التشاركي ببورنازيل وحي البركة وبعض التجزيئات في حي المسيرة)- وهي أحياء أنشئت في معظمها منذ بداية الألفية الثالثة، وتضم ساكنة مختلطة ومتنوعة الأصول الجغرافية - أقل تمردا على المجال مقارنة مع باقي الأحياء.

نشير في التصنيف الثالث للخريطة المدروسة (خريطة التموضعات المجالية) إلى أصناف المجالات المعدلة من قبل الأفراد والجماعات، إذ نجد مجالات تم تعديلها لأغراض سكنية، حيث يتم أحيانا إضافة مساحة بجانب المنزل تكون عبارة عن بناية قصديرية، أو إضافة غرفة ثانوية على سطح البناية، أو تحويل المساحات المخصصة للمجال الأخضر حسب التصميم إلى غرف مقسمة بين ساكنة الطابق السفلي، أي تغيير المشهد العام للبناية من خلال تعديلات ذاتية.

أيضا نسجل مجالات تم تعديلها لأغراض مهنية ، إذ يتم تحويل جزء من السكن إلى أماكن للعمل. أكثر من ذلك تم تغيير جزء كبير من مساحة حي الفلاح إلى سوق عشوائية صفيحية (جوطية) عبر مراحل زمنية منذ تأسيس المقاطعة. كما لاحظنا مجالات تم تعديلها ذاتيا للحصول على مساحات خضراء إضافية تكون بجانب المنزل ، أو تكون من خلال استغلال مساحات فارغة وسط الأزقة ، لتكون عبارة عن ملاذ أخضر ومتنفس لساكنة وجدت نفسها مرغمة على إحداث ظروف عيش أحسن من تلك التي وفرها المجال.

يقتضي التحليل المجالي بعد الإجابة عن السؤال أين ؟ الإجابة عن الأسئلة الأخرى المندرجة تحث لوائه ،. وتفاديا للعموميات يتطلب تعميق التحليل الإشارة إلى مقومات وشروط وآليات إنتاج المجال ، فبالنسبة لمفهوم الإنتاج ، فإنه لا يصبح ملموسًا تمامًا ولا يتلقى محتواه إلا بالإجابة على الأسئلة التي يطرحها: "من ينتج المجال ؟ ماذا أنتج ؟ كيف أنتج ؟ لماذا ولمن أنتج ؟[143]

اقتضى وضع إجابات لهذه الأسئلة القيام بتحريات ميدانية وإجراء مقابلات فردية مع الفاعلين في المجال المعاش الممثل ، وقد شملت هذه المقابلات 300[144] مبحوثا قاموا بتعديلات وتمردات على المجال. وللحصول على المعلومة ، حاولنا بطريقة إثنوغرافية البحث في تفاصيل ذاتيتهم المجالية بمعظم أحياء المقاطعة.

نستهل تحليل التباينات الواردة في الخريطة (خريطة التموضعات النقطية) باستحضار نظرية أرمون فريمون الخاصة بالمجال والصورة ، إذ أن المجال عبارة عن صورة تشيد من خلال التصور والسلوك النفسي القائم بين البشر والمجال ، ويتم ترجمة هذه العلاقات من خلال المجال المعاش. كما تؤثر مجموعة من العناصر في السلوك الإنساني المرتبط بالمجال (التربية والتعليم والثقافة والعمر والجنس والحالة الاجتماعية والعائلية والشخصية) ، وتفرض هذه العناصر على الإنسان صورة معينة للأماكن التي يعيش فيها[145] ، وذلك حسب المنهجية المدرجة في الخطاطة أسفله:

[143] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000 p 84

[144] تم استثمار المقياس الذي اعتمد عليه ارمون فريمون في دراسته لمنطقة النورماندي، وفي دراسته للمناطق الحضرية في مدينة كان الفرنسية.، حيث اعتمد على مقياس 1\400

Fremont Armand (1980) L'espace vécu et la notion de région. In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, n°41-42,. Analyse régionale. Réflexions critiques, concepts, techniques, études de cas. P52

[145] FRÉMONT, Armont. (1976) La région espace vécu, Editions Flammarion, 1999, p 69

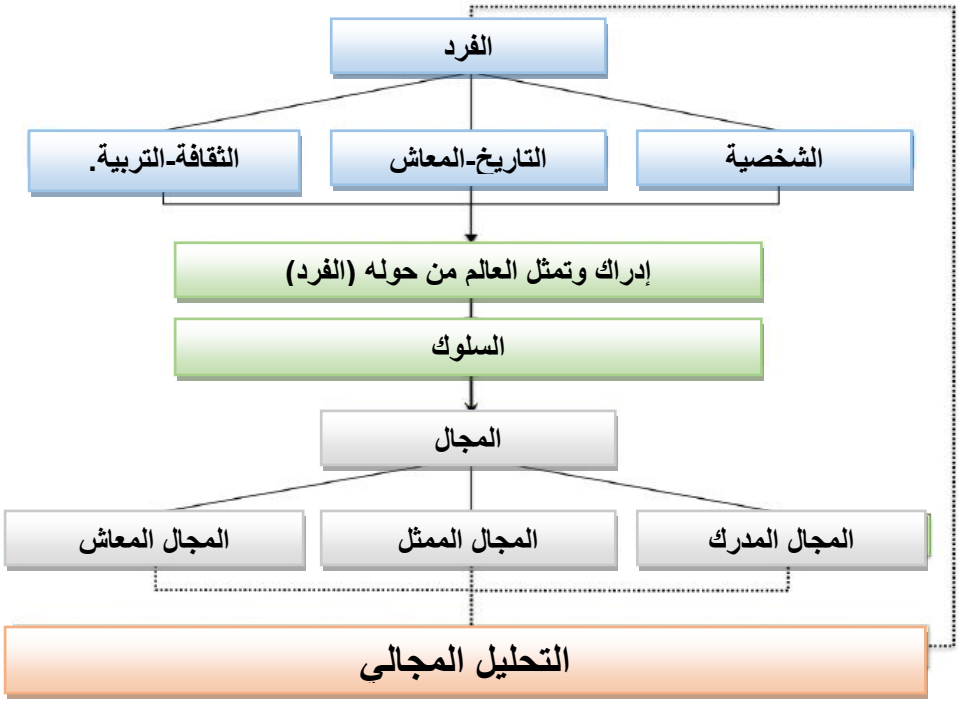

المصدر: Aymeric Morizot. La compréhension de l'espace dans les enquêtes de mobilité et de transport. Géographie 10 p 2010

اعتمادا على هذه المنهجية، ارتكزت المقابلات الفردية التي أجريت مع الفاعلين المتمردين على المجال على معرفة مستوى تمدرسهم ومستواهم التعليمي ونسبة الأمية في صفوفهم، وأصلهم الجغرافي والسن والجنس والانتماء الاجتماعي والشخصية والتاريخ الخاص بإنتاج مجالهم الممثل، والفترة الزمنية التي شيدت فيها معظم التمردات، وعلاقة السياسة بذلك. وسنحاول هنا تقديم أهم النتائج وتبيان مدى ارتباطها بالسجلات les registres المختارة، على أساس أن تساهم هذه الأخيرة في فهم الهيكلة العامة للمجال المعاش الممثل، كمرحلة أولى، واستنتاج المميزات العامة للمجال المعاش، والتي من شأنها فرز نظرية عامة حول المجال المعاش الممثل في مقاطعة مولاي رشيد، ومقارنتها بما ستفرزه نتائج المجال المعاش الممثل في مقاطعة أنفا.

1-5: قياس مستوى التمدرس والأمية وارتباطهما بالمجال المعاش الممثل

تبين من خلال وصف البنية الاجتماعية والديمغرافية لمقاطعة مولاي رشيد أن نسبة الأمية بالمقاطعة بلغت 20,05%، وهي من أكبر النسب -على غرار مقاطعة بن امسيك وسيدي عثمان-. في ما يخص مؤشر مستوى التمدرس فإن مقاطعة مولاي رشيد تتميز بهيمنة نسبة غير المتمدرسين ونسبة الساكنة التي لا تتعدى المستوى الابتدائي بما مجموعه 55%، أما الإعدادي والثانوي فلا تتعدى نسبته 34%، والتعليم الجامعي 7%.

مقارنة هذه النسب مع باقي مقاطعات المدينة يجعلنا نشير إلى أن مقاطعة مولاي رشيد تعرف غلبة نسبة غير المتمدرسين وذوي التعليم الابتدائي. كما تسجل أدنى النسب الخاصة بالتعليم الجامعي. **فهل ارتفاع هذه النسب له علاقة مباشرة بالتمردات المجالية؟** هذا ما سنحاول الوقوف عنده من خلال التحريات الإثنوغرافية.

إذا كان ارمون فريمون يصر على قوة العلاقة بين المحقق والمستجيب، والتي يجب أن تتميز بالتلقائية والثقة المتبادلة، مع ضرورة الصرامة والإقامة العلمية للعين والخطاب[146]، فإننا نشير إلى أن بحثنا الميداني تميز في معظم مراحله بالتعامل بشكل تلقائي وعفوي مع المبحوثين. وقد أفرز تفريغ المقابلات والتحريات الإثنوغرافية التي أجريت مع الأفراد الذين تمردوا على المجال وأحدثوا به تغيرات ذاتية حسب حاجياتهم على النتائج الآتية:

جدول رقم4: مستوى التمدرس والأمية عند الفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة مولاي رشيد

الحي	عدد المشاركين	مستوى التمدرس	العدد	النسبة المئوية	مؤشر الأمية	النسبة المئوية
مولاي رشيد 1	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	17 5 3	68% 20% 12%	15 من أصل 25 لا يعرفون القراءة أو الكتابة	60%
مولاي رشيد 2	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	19 4 2	76% 16% 8%	17	68%
مولاي رشيد 3	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	21 4 0	84% 16% 0%	18	72%
مولاي رشيد 4	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	16 4 5	64% 16% 20%	13	52%
مولاي رشيد 5	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	22 2 1	88% 8% 4%	19	76%
مولاي رشيد 6	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	18 7 0	72% 28% 0%	16	64%
حي المسيرة 1	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	14 6 5	56% 24% 20%	10	40%
حي المسيرة 2	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	15 8 2	60% 32% 8%	14	56%
بورنازيل	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	8 12 5	32% 48% 20%	6	24%
حي الفلاح	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	18 7 0	72% 28% 0%	14	77%
حي البركة	12	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	6 2 4	50% 16% 34%	5	20%
أحياء السكن العشوائي والصفيحي)	25	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	21 4 0	84% 16% 0%	17	68%
حي الرحمة	13	-غير متمدرس -الثانوي بسلكيه -جامعي	2 8 3	15 61 23	0	0

[146] FRÉMONT, Armont. (1976) La région espace vécu, Editions Flammarion, 1999, p 123

المجموع	300					

المصدر : تحريات ميدانية سنة 2019-2020

أبانت نتائج التحريات والمقابلات الميدانية أن سكان الأحياء التي سجلنا سابقا أنها أكثر عرضة للتمردات المجالية (مجموعات مولاي رشيد الستة 1-2-3-4-5-6، حي المسيرة 1-2 وحي الفلاح والسكن الصفيحي) تعرف ارتفاع نسبة غير المتمدرسين ب 72% (181 فردا من أصل 250) ، كما تعرف ارتفاع نسبة الأمية (أكثر من 40 %)، في حين أن الأحياء التي عرفت قلة التمردات المجالية (حي بورنازيل وحي البركة وحي الرحمة) تتميز بارتفاع مستويات التمدرس (مستوى مرتفع من التعليم الثانوي والجامعي) وانخفاض معدل الأمية مقارنة مع باقي الأحياء. وضعتنا التحريات الميدانية أمام استنتاج ميداني وهو ارتباط مستوى التمدرس والأمية بالتمردات المجالية.

يفسر انخفاض مستوى التمدرس وارتفاع نسبة الأمية عند المتمردين على المجال بكون المقاطعة في الأصل حسب الإحصاء الأخير تتميز بارتفاع الأمية وانخفاض مستوى التمدرس، وهو ما تم التأكيد عليه في التحريات الميدانية. كما أن هذه الفئة تتميز بغياب وعي مجالي يساهم في الحفاظ على المجال كما هو مخطط له. وهو ما يلاحظ من خلال تدني القيم الأخلاقية المجالية، فكل تعديل في المجال لا يتم إلا بمباركة عون السلطة (المقدم)، تواطؤ هذا الأخير من خلال مظاهر الرشوة والفساد مع الفاعل في إعادة إنتاج المجال ساهم في ارتفاع نسبة التعديل المجالي عند هذه الفئة، ونحن نعلم أن في المغرب أي تعديل في المجال يكون في علم السلطات المحلية بطرق مختلفة. وبهذا يكون الفرد المتمرد على المجال والسلطات المحلية من عناصر الفاعلين في معاودة إنتاج المجال وفق ما هو ذاتي وثقافي. أيضا تقاطع المصلحة الخاصة لهؤلاء الفاعلين ساهم في تعدد مظاهر التعديلات المجالية.

2-5: الأصل الجغرافي والاختيارات المجالية الممثلة

حدد الأصل الجغرافي كثاني العناصر المعتمدة في تفسير التمثلات المجالية المجسدة، واعتمادا على القراءات البيبليوغرافية الخاصة بمدينة الدار البيضاء عامة ومقاطعة مولاي رشيد خاصة، ركزنا في هذا الأصل الجغرافي على ثلاث مجالات أساسية وهي: السكن الصفيحي (الكاريان) السابق لابن مسيك وسكن صفيحي داخل مدينة الدار البيضاء، ومنطقة ثالثة خارج الدار البيضاء بصفة عامة.

جدول رقم 5: الأصول الجغرافية للمتمردين على المجال في مقاطعة مولاي رشيد

الأصل الجغرافي	العدد	النسبة المئوية
كاريان ابن امسيك	225	%75
حي صفيحي داخل المدينة	60	%20
خارج مدينة الدار البيضاء	15	%5
	المجموع: 300	%100

المصدر: بحث ميداني: 2019-2020

يبرز الجدول رقم 5 أن معظم المتمردين على المجال قادمون من السكن الصفيحي لابن امسيك بنسبة 75%، تليه نسبة القادمين من أحياء صفيحية داخل المدينة. وقد أشرنا خلال سرد تاريخ النشأة إلى أن مقاطعة مولاي رشيد تعتبر منطقة إعادة إسكان دور صفيح ابن مسيك. لكن هذه العملية -وكما تبين من خلال تحرياتنا- لم يواكبها تذويب ميداني لحاجيات الساكنة في المجال.

قدم الجدول فكرة مفادها أن الفئة التي تمت إعادة إسكانها لم تكن راضية عن العملية، وعبرت عن ذلك من خلال تمردها على المجال شكلا ومضمونا. أيضا من خلال مضامين ووثائق تصميم تهيئة المقاطعة لسنة 1989، نلاحظ أنه لم يركز على حاجيات الساكنة بقدر ما ركز على حاجيات الدولة المتمثلة في إعادة الإسكان، أي الاهتمام بالسكن على حساب الحاجيات المجالية الأخرى.

فالأحياء التي تم تشييدها سنوات الثمانينات والتسعينات، والتي لم تأخذ في مراحل إنتاجها سوى بعد استغلال المساحة لاستخراج أقصى ما يمكن من مباني السكن تكاد توصف في منطق الرفاه الاجتماعي بالصناديق من حيث المساحة والشكل الداخلي الذي لم يراعي الخصوصية الثقافية للمجتمع في كل مكوناته، والصورة أسفله توضح ذلك:

الصورة رقم 8: حجم الغرف المخصصة للسكن (مولاي رشيد 4)

عدسة الباحث، 4-11-2019

أصبح الفرد الذي تمت إعادة إسكانه مستهلكا لا منتجا، وهدفا لا محورا من كل عمليات الإنتاج، إذ لم تتوافق وتتطابق أحياء إعادة الإسكان التي أنتجت لتدبير الأزمة ولو نسبيا مع الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لهذه الشريحة من السكان. فالمدبر لهذه العملية والواضع لتصورها الهندسي لم تكن له من المعرفة ما يكفي بحاجيات هذه الساكنة وبأولوياتها وبخصوصياتها الاجتماعية والثقافية. مما أثر بشكل سلبي على استغلال المجال، فالتغيير في المضمون يعتبر في منطق المستغل كرد فعل ضد إقصاء حاجياته في الإنتاج[147].

أيضا لتحليل ارتفاع نسبة التمرد على المجال عند الفئة التي يعود أصلها الجغرافي لكاريان ابن مسيك قمنا باستحضار الأصل الجغرافي لساكنة كاريان بن امسيك قبل الاستقرار في المنطقة سنوات الثمانينات. يعود أصل

[147] جعفر عادل (2012)، إنتاج المجال: من التعمير الإجباري إلى التعمير التوافقي، جودة المجال جودة الحياة ، ص 8

ساكنة كاريان بن امسيك إلى مجموعة من المناطق القروية في مختلف المغرب، خصوصا الجنوب الشرقي (تنغير وورزازات وأكذز وزاكورة والراشيدية وأرفود والريصاني) والشمال الشرقي (منطقة وجدة وبوعرفة) ومناطق مختلفة في سوس وتارودانت ونواحي مراكش ودكالة وعبدة[148]. ففي ظل موجات الجفاف التي عرفها المغرب سنوات الستينات والسبعينات، حاولت هذه الفئة الاستقرار في مدينة الدار البيضاء باعتبارها أكبر قطب مستقطب للساكنة الباحثة عن العمل.

تتميز الساكنة القروية بالمغرب عموما بالسكن الواسع الريفي، سواء المتفرق أو المتجمع، بعد مجيء الساكنة للمدينة والاستقرار في سكن صفيحي وآخر غير لائق، حاولت في البداية توسيع تلك المساكن الصفيحية وجعلها تشبه السكن الريفي الواسع، وبعد عملية إعادة الإسكان التي تمت في منطقة مولاي رشيد على إثر المشروع المندمج لمولاي رشيد سنة 1984، لازالت تلك الساكنة متشبثة بالسكن الواسع الذي لم تجده في مخططات الدولة التي أعدت لهم فقط تجزئات سكنية لا تتعدى 50 و60 مترا، وأمام إكراه ضيق السكن، سارعت الساكنة بعد ضمان الملكية إلى توسيع السكن وإضافة غرف للسكن أو العمل، فحدثت فوضى حضرية غيرت من المشهد الحضري للمجال. وبهذا تكون للأصول الريفية أدوارا مهمة في فهم التمردات المجالية والتعديلات الذاتية.

3-5: المجال المعاش الممثل وعلاقته بالسن والبنية السوسيومهنية

عند تأكيد ارمون فريمون على أن تشكيل علاقات الإنسان بالمجال يتم من خلال التجارب، وحسب أعمار الإنسان[149]، فهو لا ينفي باقي العناصر الأخرى بقدر ما يؤكد على دور هاذين العاملين. ومن هنا كان لزاما التمييز بين المجال المعاش الممثل حسب السن والمهن. تتميز مقاطعة مولاي رشيد بشكل عام بهيمنة الفئة الشابة القادرة على العمل 15-59 بنسبة 65,3% من مجموع السكان. وتتميز أيضا بارتفاع عدد الإناث، إذ وصل عددهن حسب إحصاء 2014 إلى **123 809**ن مقابل **121 675**ن من الذكور[150]. لكن الملاحظ هو أن معظم المجالات المعاشة الممثلة من إنتاج الذكور دون الإناث، وإن وجدت بعض الحالات التي أنتجت بتوصية من الأم بعد وفاة الزوج أو بتوصية من الزوجة أو الجدة، إلا أن التركيز كان على القائم بالفعل المجالي دون وساطة، ولإظهار مدى ارتباط السن بالمجال المعاش الممثل، ندرج الجدول الآتي الخاص بالذكور فقط:

[148] ESCALLIER, Robert (1980) Espace urbain et flux migratoire : le cas de la métropole économique marocaine, Casablanca, In: Méditerranée, troisième série, tome 38, 1-1980 p 15

[149] FRÉMONT, Armont. (1976) La région espace vécu, Editions Flammarion, 1999, p 64,65

[150] الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

جدول رقم 6: تباين المجال المعاش الممثل حسب السن بمقاطعة مولاي رشيد

السن	العدد	النسبة المئوية
أقل من 15 سنة	7	%2
ما بين 15-59	268	%89
أكثر من 60	25	%9
	المجموع: 300	% 100

المصدر: بحث ميداني: 2019-2020

يبدو من خلال الجدول رقم 6 أن المجال المعاش الممثل (مجال إعادة الإنتاج) حاضر بقوة في صفوف الفئة العمرية 15-59، مقابل ضعفه في صفوف الفئة العمرية أكثر من 60 سنة، في حين جاءت الفئة أقل من 15 سنة في المرتبة الثالثة. في ما يخص الأخيرة، شكلت مجالات اللعب وخصوصا مكان لعب كرة القدم أهم مظاهر التمردات المجالية التي قامت بها، وذلك لحاجتها لمتنفس ترفيهي، وحاجتها لخلق مستوى للتعايش مع المجال، مادام المجال المدرك لا يستجيب لحاجيات هذه الفئة، وقد وجدت بالضبط في أحياء مجموعات مولاي رشيد الست، إذ أن هذه المجموعات تكاد تخلوا من ملاعب القرب أو مجالات الترفيه باستثناء الغابة الخضراء.

لا يمكن تفسير علاقة هيمنة الفئة الشابة 15-59 بالمجال المعاش الممثل دون العودة إلى مكونات هذه الفئة، خصوصا على مستوى البنية السوسيومهنية، ولتبيان ذلك ندرج جدولا خاصا بالبنية السوسيومهنية لتلك الفئة المكونة من 268 فردا.

جدول رقم 7: البنية السوسيومهنية والمجال المعاش الممثل بمقاطعة مولاي رشيد.

المهن	العدد	النسبة المئوية
المهن الحرة والحرفيون	**176**	**%65**
الموظفون	**28**	**%10**
التجار	**33**	**%12**
مشتغلون في القطاع الخاص	**31**	**%13**
المجموع	**268**	**%100**

المصدر: بحث ميداني: 2019-2020

يبرز الجدول رقم 7 الخاص بالبنية السوسيومهنية للمتمردين على مجالهم أن أصحاب المهن الحرة والحرفيين هم الأكثر تمردا على المجال والفاعلين في معاودة إنتاج المجال، وهو ما تنبه إليه لوفيبر حينما تحدث عن الفاعلين الآخرين في إعادة الإنتاج، حيث أشار إلى دور بعض القوى الإنتاجية الأخرى كالفاعلين في الحرف اليدوية والصناعة

الناشئة[151]. وذلك بقيام هذه الفئة بتغيير شكل البناية لاستخراج مكان إضافي للعمل، أو إضافة مساحة بجانب المنزل الخاص كمكان للعمل. أحيانا يتم كراء جنبات المنزل لأصحاب المهن، خصوصا في حي الفلاح القريب من السوق العشوائي (جوطية)، والصور أسفله توضح ما أشرنا إليه:

الصورة رقم 9: محل لبيع الأثاث المستعمل

عدسة الباحث 11-12-2019

الصورة رقم 10: كشك لبيع الجرائد.

عدسة الباحث 11-12-2019

الصورة رقم 11: محل لإصلاح المفاتيح.

عدسة الباحث: 11-12-2019

بعد المهن الحرة، تأتي فعالية فئة التجار من حيث المجال المعاش الممثل، والتي تقوم هي الأخرى بالتمرد على المجال لإضافة مساحة أخرى للمحل التجاري أو خلق مساحة وسط مجال فارغ، والأمثلة على هذا متعددة في مجموعات مولاي رشيد الست.

سجلت أدنى النسب في صفوف الموظفين والمشتغلين في القطاع الخاص، يقوم هؤلاء الأفراد بإضافة غرف إضافية على سطح المنزل، أو إضافة مكان بجانب المنزل (مهيأ بالقصدير) يكون مخصصا لركن السيارة، أو يكون المجال المعاش الممثل عبارة عن إضافة مساحات خضراء بجانب المنزل كما وضحت الصور السابقة. فإذا كانت المدينة تتحدد انطلاقا من الوضع الذي يفرزه توزيع الشغل[152]، فإن هذا الأخير قد ساهم بشكل كبير في إعادة إنتاج المجال الذاتي المعاش بمقاطعة مولاي رشيد[153].

4-5: الحالة الاجتماعية واختيارات المجال المعاش الممثل

تساهم عدة مؤشرات في تكوين المجال المعاش، من أهمها الحالة العائلية، إذ تساهم واجبات والتزامات الشخص مع الأشخاص المقربين في تكوين تمثل حول المجال المعاش[154]. تخضع عملية إعادة إنتاج المجال إلى عوامل

[151] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000, p .93

[152] Aydalot p (1980) l'entreprise dans l'espace urbain. Ed. Economica. PARIS p 61

[153] نشير هنا إلى المهن التي حاولنا تفييئها خالية من القطاع غير المهيكل، رغم انتشاره في مجال مولاي رشيد بكثرة، وهذا راجع إلى كون التحريات ركزت على المجال المتمرد والقائم بالفعل المجالي، فبعد ملاحظتنا للمجال المعاش الممثل أو الذي أعيد إنتاجه، آنذاك نحاول التقرب من القائم بالفعل عبر الملاحظة المشاركة والتحريات الإثنوغرافية، لاستخلاص بعض المعلومات الخاصة بالفاعل، لهذا في الغالب المشتغلون في القطاع غير المهيكل دائما في تنقل مستمر، ويصعب تحديد قيامهم بأي تمرد مجالي، مادام بحثنا خاليا من الاستمارة.

[154] FRÉMONT Armont. (1976), la région espace vécu, Editions Flammarion, p 69

متعددة، منها ما يأخذ طابعا اجتماعيا وذاتيا، ومنها ما يأخذ بعدا نفسيا ووجدانيا. ولتبيان هذا الارتباط بين الحالة العائلية والتمرد على المجال في مقاطعة مولاي رشيد، تم تبني هذا المؤشر والذي سيساهم في طرح بعض الميكانيزمات المتحكمة في المجال المعاش.

بشكل عام وحسب الإحصاء الأخير (2014)، تتميز المقاطعة بهيمنة نسبة العزوبة (52,9%)، تليها نسبة المتزوجين(41,6%)[155]. وبشكل خاص، ولتبيان الحالة العائلية للفاعلين في عملية إعادة إنتاج المجال تم إدراج الجدول الآتي:

جدول رقم8: الوضعية الاجتماعية للمتمردين على المجال بمقاطعة مولاي رشيد

الوضعية الاجتماعية	العدد	النسبة المئوية
المتزوجون	**253**	%84
العازبون	**23**	%7
الترمل	**10**	%3
المطلقين	**14**	%6

المصدر: بحث ميداني 2019-2020

يبرز الجدول رقم 8 مدى المساهمة الكبيرة لفئة المتزوجين في معاودة الإنتاج المجالي بنسبة 84%، وخلال إجراء بعض المقابلات الفردية الإثنوغرافية مع بعض المتزوجين الفاعلين في العملية، يتضح أن معظمهم قاموا بالعملية بعد زواج أحد أبنائهم، إذ يضطرون لإضافة غرف على سطح المنزل، أو إضافتها في البهو الخاص بالمساحات الخضراء وهي حالة السيد مبارك في حي المسيرة القاطن في سكن العمارات (سكن تشاركي)، الذي حوّل مساحة خضراء وسط العمارة لإضافة غرفة إضافية بعد زواج ابنه:

- **أعيش في هذه الشقة منذ سنة 2002، ولدي أربعة أبناء، حينما أردت تزويج أحدهم، اضطررت لتحويل هذا المكان لغرفة إضافية، وإبني الآن يعيش فيها رفقة زوجته وابنه، فلا نملك مالا لشراء شقة أخرى، فهذه الشقة التي تراها لم نسدد ديونها بعد(مبارك، 59 سنة، حي المسيرة 2).**

بعد فئة المتزوجون، تأتي فئة العزاب، وجدت هذه الفئة بكثرة في مجموعات مولاي رشيد الست، والتي يقوم فيها الفاعلون في إعادة إنتاج المجال بتحويل جزء من مساحة مخصصة لأماكن خضراء إلى مواقف للسيارات أو الدراجات النارية، وهي حالة الصحراوي الذي قام بتحويل مساحة مخصصة لسكن العمارات إلى موقف للدراجات النارية:

- **منذ تشييد شركة الضحى لعمارات حي الهدى وأنا اشتغل كحارس للدراجات النارية، قمت بالاستيلاء على هذا المجال بعد أخذ ورد مع بعض السماسرة، لكن بعد جهد جهيد استطعت تحرير هذا المكان، وأصبحت معروفا بأني صاحب المكان، ولن يتجرأ حارس آخر**

[155] الإحصاء العام للسكان والسكنى، 2014

بمضايقتي هنا، أوراقي عند أصحاب الجماعة والشرطة، وهم يعرفون أني القائم بالحراسة هنا.(الصحراوي، 35 سنة، حي الهدى المسيرة).

دفعنا تحليل تصريح هذا الفاعل المتمرد على المجال من جهة إلى اعتبار ضعف فرص الشغل بالمقاطعة من عوامل التمرد ومعاودة إنتاج المجال، ومن جهة أخرى، قوله أن الجماعة والشرطة وهم من رموز ومؤسسات الدولة على علم بقيامه بإعادة إنتاج ذلك المجال، فهنا يمكن القول لا الجزم بأن السلطات لها دور في هذه العمليات، أي أنها تقوم بتبسيط المساطر القانونية لتدبير المصالح وتجاوز النزاعات التي يمكن أن تنجم عن ضعف فرص الشغل بالمنطقة. في هذا الإطار، وحسب ماركس وإنجلز، لا يخلو مفهوم الإنتاج وإعادة الإنتاج من الغموض، لقد أنتج البشر أشكالًا قانونية وسياسية ودينية وفنية وفلسفية وأيديولوجية، إذ يشمل الإنتاج بالمعنى الواسع أعمالاً متعددة وأشكالًا مختلفة، حتى لو لم تكن هذه الأشكال تحمل علامة المنتجين والإنتاج[156]، من هنا وجب عدم الحكم على مجال تمت إعادة إنتاجه من خلال بعد واحد، وإنما تتطلب المسألة استحضار مختلف الأشكال والأبعاد.

5-5: نوع ملكية السكن وعلاقتها بإعادة إنتاج المجال بمقاطعة مولاي رشيد

لتوضيح الصورة أكثر حول إعادة إنتاج المجال، كان من الضروري الإشارة إلى نوعية السكن الذي تعرض كثيرا إلى إعادة الإنتاج. على الرغم من كون بعض المجالات العمومية الموجودة وسط الأزقة ووسط الأحياء هي الأخرى تعرضت لإعادة إنتاج، من قبيل إضافة مساحات خضراء وملاعب صغيرة لممارسة كرة القدم، وهي مجالات تدخل ضمن الملك العام. يطغى على المقاطعة بشكل عام سكن الملكية الخاصة بنسبة 66,3%، مقابل 27,2[157]% لسكن الكراء. يبرز الجدول رقم 9 تفاوت مجالات إعادة الإنتاج بين سكن الملكية الخاصة وسكن الكراء- وهو جدول خاص بالسكن دون المساحات التي تدخل ضمن المجال العام-.

جدول رقم9: تفاوت مجالات إعادة الإنتاج بين سكن الملكية الخاصة وسكن الكراء بمقاطعة مولاي رشيد

نوع السكن	العدد	النسبة المئوية
الملكية الخاصة	196	%87
الكراء	8	%5
رهن	19	%8
المجموع	223	%100

المصدر: العمل الميداني 2019-2020

يوضح الجدول رقم 9 أن أهم المجالات التي عرفت تمردات مجالية سجلت بمنطقة سكن الملكية الخاصة (87%)، تليها نسبة سكن الرهن (8%)، وأخيرا سكن الكراء. ومرد ذلك التفاوت حسب بعض المقابلات الإثنوغرافية يعود إلى كون أصحاب الملك الخاص لهم الحرية في التصرف في ملكيتهم، عكس المكتري الذي يواجه عقبات صاحب المنزل أو المحل التجاري.

[156] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, p 83 Economica, 4ème édition, 2000,

[157] المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

- **إنه منزلي، أعدله حسب رغبتي وحاجياتي، كنا نعاني في سكن الكاريان في ابن امسيك من الضيق، ولما انتقلنا إلى هنا أواخر الثمانينات وبداية التسعينات، استمرت معاناتنا من ضيق السكن، إلا أنه في سنة 2011، قمت بإضافة غرفتين على سطح المنزل، وغرفة إضافية بجانب المنزل، من القصدير. (لحسن، 58 سنة، مالك لمنزل في مولاي رشيد 4).**

حينما ذكر هذا المشارك سنة 2011، استحضرنا وضعية المغرب خلال هذه السنة، فوجدنا أنها فترة تزامنت مع أحداث الثورات التي شهدتها بعض البلدان العربية، ونحن نعلم أن المغرب لم يسلم من هذه الأحداث، من خلال ظهور مجموعة من الحركات الاحتجاجية. فهل يمكن اعتبار تساهل الدولة مع عمليات إعادة إنتاج المجال خلال هذه الفترة سياسة من سياسات التهدئة الاجتماعية؟

يتميز المجتمع المغربي عامة والمجتمع البيضاوي خاصة بحب الملكية أو التملك، باعتباره يندرج ضمن الضمانات المستقبلية التي يمكن أن تضمن لك مستقبلا بدون مخاوف حسب المعتقدات والتقاليد، أيضا يتميز السكن في الدار البيضاء بغلاء الكراء، وهو ما دفع بالقاطن إلى البحث عن بدائل متمثلة في ملكية السكن.

بعد تملك ساكن مولاي رشيد للسكن عبر عمليات إعادة الإسكان خلال سنوات الثمانينات وبداية التسعينات، كان النمو الديمغرافي بالمقاطعة لا يزال متواضعا، إذ وصل خلال إحصاء 1994 ما مجموعه167909 نسمة[158]، وارتفع العدد إلى 210731 نسمة حسب إحصاء 2004[159]. وبلغ العدد سنة 2014 ما مجموعه 245484 نسمة[160]. إذا تأملنا الدينامية الحضرية للمقاطعة حسب المجال المدرك، نجد أنها لم توازي الدينامية الديمغرافية والنمو الديمغرافي الذي تضاعف بالمقاطعة، فلم تجد الساكنة أمام هذا الإكراه سوى التمرد على المجال بإضافة مجالات أخرى للملك الخاص. فحينما أشرفت الدولة على عملية إعادة الإسكان لم تضع بعين الاعتبار إشكالية النمو الديمغرافي والعمل على خلق مجالات وتجزئات سكنية قادرة على استيعاب الساكنة المتزايدة. وهو ما انعكس على المشهد الحضري للمقاطعة من خلال تعدد مظاهر التمرد على المجال، إذ قامت الساكنة بوضع تصورها الخاص بالدينامية الحضرية التي كان يفترض أن تتم بشكل مخطط ومنظم.

5-6: دور الدولة والمبادرة الحرة والرأسمال الخاص في معاودة إنتاج المجال بمقاطعة مولاي رشيد

لا يتم إنتاج وإعادة إنتاج المدينة من خلال الهياكل المادية لوحدها عن طريق بنائها أو تجديدها، بل يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها أيضا بواسطة استغلال هذه الهياكل من طرف السكان[161]. هذا وتتحكم مجموعة من العوامل غير المرئية في هذا الاستغلال الذي يؤدي إلى إعادة الإنتاج، فعلى الرغم من كون الفاعل المباشر في التمرد على المجال هم الأفراد، إلا أن ذلك الفعل هو عبارة عن رد فعل لغياب فعل رسمي موجه من قبل الفاعلين الرسميين في إنتاج المجال من الناحية السياسية والاقتصادية. فالأفراد بصفة عامة هم فاعلون، يتخذون القرارات، ولديهم القدرة الانعكاسية الذاتية،

[158] الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994.
[159] الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004
[160] الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.
[161] BAREL Y, (1973) La reproduction sociale. ED. Anthropos, Paris, p 439

ويقومون ببناء استراتيجيات عبارة عن إجراءات، ويكونون قادرين على مناقشة أي خلفية لمقاومة عرض الخيارات غير المختارة، حتى أنهم في معظم الحالات، سعداء للغاية بالخيارات التي اتخذوها، ونادراً ما يندمون على فعل ما[162].

للحديث عن المساهمة السياسية والاقتصادية في إعادة إنتاج المجال من منظور ذاتي، سنستحضر أزمة السكن بمدينة الدار البيضاء، ذلك أنها "*ليست مجرد نتيجة لعدم التطابق بين العرض والطلب ولكنها بالأساس أزمة عدم ملائمة العرض للطلب، وذلك لأن الإنتاج يتجه أكثر فأكثر نحو الفئات الميسورة التي هي أقل عددا ولا يستجيب للحاجيات المتصاعدة للفئات المحدودة الدخل، ويرتبط ذلك بالمنافسة القوية التي تدور حول العقار، بحيث أن الإنتاج المعد للفئات الأولى يتسبب في ارتفاع الأسعار، وبالتالي يحد من إمكانيات الاستجابة لحاجيات الفئات الأخرى، خاصة وأن الدولة لم تعد تتدخل في السوق العقارية. وهنا تكمن بعض أسباب انتشار السكن غير القانوني خارج المدار الحضري*"[163].

لا تقتصر عدم ملاءمة العرض للطلب فقط من الناحية الكمية، أي عدد المساكن، بل تتعداها إلى الناحية النوعية المرتبطة بجودة السكن، ومدى استجابته لحاجيات الساكنة ولعدد الأفراد في الأسرة والمستويات العمرية لهؤلاء الأفراد، فالسكن الموجه للفئات المحدودة الدخل محكوم بضعف إنجاز المشاريع، وهي نفس الفكرة المسجلة حول تصميم التهيئة الخاص بالمقاطعة لسنة 1989. عدم مواكبة المشروع لما جاءت به التصاميم دفع بالأفراد إلى التمرد على المجال قصد البحث عن المفقود فيه، فقام الفرد بإعادة إنتاج مجالات جديدة تلبية لرغباته.

أيضا تساهل الدولة مع هذه العمليات هو اعتراف ضمني بوجودها، واعتراف بعدم استجابتها لحاجيات السكان. يعتبر غياب المساحات الخضراء وملاعب القرب والتجهيزات العمومية الموصى بإنجازها من قبل التصميم خير دليل على مساهمة الدولة في إعادة إنتاج المجال، إذ قامت الساكنة بإعادة إنتاج مجالات خضراء وملاعب ومساجد القرب، وفتحت مجالات أخرى خاصة بالعمل والتجارة، كان من المفروض أن تقوم الدولة بذلك وبتخطيط فعال. فإلى متى سيتم تغييب المقاربة التشاركية الإنسية وإشراك الساكن المحلي العارف بخصوصياته الثقافية في تدبير المقاطعة؟

إن التعمير الذي يحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يتوقف على 3 عناصر هي: تخطيط حضري فعال وسياسة عقارية فاعلة لخدمته وهما يرتكزان على إعتمادات مالية دائمة ومجندة من طرف الدولة والجماعات المحلية[164]، أي أن المسؤول عن الهيكلة المجالية للمقاطعة هو الدولة، وإذا تم تركيز الاهتمام بفئة دون الأخرى، من شأن ذلك إعادة إنتاج مجالات أخرى، تكون بمباركة الدولة من خلال التغاضي عنها.

إن جماعة ما، ما أن تستقر في جزء من المجال حتى تشرع في تحويله بحسب تصورها الخاص لما ينبغي أن يكون عليه هذا المجال. ولكن هذه الجماعة في نفس الوقت تخضع وتتأقلم مع الأشياء المادية التي تقوم بها. إنها

[162] DODIER, Rodolphe (2009,) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains p23

[163] شويكي المصطفى،(2003) تدبير المدن الكبرى بالوطن العربي: حالة الدار البيضاء، نص مداخلة لم ينشر ، الملتقى الثالث للجغرافيين العرب حول المدن الكبرى في الوطن العربي، ، ص 5

[164] مقداد، الهادي. (2000) السياسة العقارية في ميدان التعمير و السكنى طبعة أولى ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ص 3

تتحصن في الإطار الذي بنته. إن المكان يتغير تحت تأثير الجماعة. كما أنها هي بدورها تتأثر به" (م. هالفاكس)[165]. في هذا الإطار وعلى المستوى المحلي، قامت الدولة من جهتها بنقل وإعادة إسكان ساكنة الحي الصفيحي ابن امسيك في مولاي رشيد مساهمة بذلك في عملية استقرار الساكنة في ذلك المجال، واعتبرت السكن كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي خصوصا بعد أحداث الثمانينات، وقصد تكييف المشهد تم تحويل ذلك المجال حسب تصور الساكنة نفسها، وذلك بغية التأقلم مع المجال المدرك والمفروض عليها، وانتقلت بذلك من مجال إلى تراب من خلال العلاقة الترابية[166] la territorialité التي كونتها مع ذلك التراب. ومنتجة بذلك لمجالها الاجتماعي المعتمد في تركيبته على الثلاثية المعهودة: المجال والمجتمع والزمن[167]، ومعتقدة أنها في مجال خارج عن القانون، من السهولة التمرد عليه ومواجهة الدولة من خلاله. وهي حالات كثيرة، نستحضر كمثال على ذلك نموذجا من مولاي رشيد 3:

- **لا أحد يستطيع أن يتدخل فيما أقوم به، لا الدولة ولا المقدم(عون السلطة) ولا أي كان، إني في مكان تخشى الدولة أصلا أن تلجه عبر مؤسساتها. ونحن معروفون منذ القدم بكوننا فقط أولاد حي مولاي رشيد، هذه الأرض معروفة بخروجها عن القانون والكل يفعل ما يشاء، وقلما تجد الشرطة في دورية هنا، نتعامل في الحي وكأننا في دولة لوحدها، لكن بمجرد تجاوزنا لمدار سيدي عثمان أو سيدي مومن، فإن الأمر يختلف. (لحسن، 49 سنة، حي مولاي رشيد3).**

لا يمكن إغفال دور صاحب الرأسمال والمهندس والمعماري في عملية إعادة الإنتاج، فهم كفاعلين أساسيين في عملية الإنتاج مطالبين وملزمين في ظل الأزمة العمل على وضع قاعدة بيانات تتقاطع فيها العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية، لتشكل أرضية تتحكم في القواعد المسيرة لمختلف عمليات الإنتاج المعماري، فالمهندس مطالب بالاهتمام بالعلاقة الجدلية الكائنة بين التطورات الطبيعية والتحولات الثقافية، وترجمتها إلى رسوم وخطوط وتقنيات.

إذن فالفهم ومعرفة الأفكار والثقافات السائدة سيمكن من إنتاج المجال المحلي، بناءً على حاجيات المستهلك في الشكل والمضمون، ويمكنه من التعايش مع المجال بدل إدراكه وفرض الذات عليه. ومن زاوية أخرى سيمكن هذا المنطق في الإنتاج من تحقيق مبدأ الملاءمة والتلاؤم ثم التوازن بين الإنسان والمجال والزمان. ومن هنا، فالفهم والمعرفة كآليات إجرائية في عملية إنتاج المجال ستنتج الملاءمة بين الثقافة المحلية والمجال[168].

كمثال على ذلك، قامت شركة الضحى -كرأسمال مادي وعقاري خلال تشييدها لمجمع إقامات الهدى بالمسيرة- بتغييب الحاجيات الضرورية للسكن (ملاعب قرب والمساحات خضراء والأمتار الكافية للسكن)، أكثر من ذلك قامت باحتساب المساحات المخصصة للمناطق الخضراء ضمن أمتار سكن الطابق السفلي، أي أن مقتني سكن السفلي سيستفيد من 7 أمتار إضافية كانت مخصصة للمجال الأخضر كما وضحت الصور السابقة. فغياب الملاءمة

[165] المالكي عبد الواحد 2015، الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز، فاس، ، ص 7

[166] هي تلك العلاقة التي ينسجها الفرد أو الجماعة مع التراب والتي تؤسس للهوية الترابية. هذه العلاقة تقوم وتترسخ من خلال آليات اجتماعية وثقافية ونفسية، كما أنها تتجاوز الطابع المجرد لعلاقة الفرد ومجال عيشه كما هو الشأن بالنسبة للعلاقة البيولوجية للحيوانات مع ترابها. ذلك أن العلاقة الترابية في حالة الإنسان تستمر كما يستمر الشعور بالهوية الترابية حتى خارج الإطار الترابي والمرجعي

[167] DI MEO, Guy. BULEON Pascal (2005) L'espace sociale lecture géographique des sociétés, Armand colin, paris, p 17

[168] عادل جعفر(2012)، إنتاج المجال: من التعمير الإجباري إلى التعمير التوافقي: جودة المجال جودة الحياة، مرجع سابق، ص 7

بين الثقافة المحلية والمجال كان ولا زال قائما، فلم نسمع بقيام شركة عقارية بوضع قاعدة بيانات لحاجيات الساكنة قبل تشييدها للمجال، وهذا ما فتئت تنادي به الجغرافية الإنسية، أي استحضار الإنسية في التدبير المجالي.

إذا كانت السببية مفهوما أساسيا لفهم التفاعل والتماسك بين المكونات المجالية، ومكونا إجرائيا لتأكيد وجود صلة بين المتغير التوضيحي الأول والمتغير التوضيحي الثاني الذي يعتبر كنتيجة للمتغير الأول[169]، فإن مقاربة المجال المعاش الممثل (مجال إعادة الإنتاج) لمقاطعة مولاي رشيد قد مكنتنا من الوقوف عند مجموعة من المتغيرات التوضيحية المساهمة في فهم العمليات الخفية والمرئية المرتبطة بإعادة الإنتاج.

ساعدتنا هذه المقاربة على الإجابة عن الأسئلة: من ينتج؟ ماذا؟ كيف ؟ لماذا ولمن؟[170]، يعتبر الفرد المساهم المباشر في إعادة الإنتاج من خلال تمرده على المجال، وتعتبر الدولة والفاعلين الرأسماليين والعقاريين فاعلين غير مباشرين في العملية. وإذا اعتبرنا هؤلاء الفاعلين(الرسميين وغير الرسميين) كمتغير توضيحي أول في العملية، فإن تداخل المؤشرات الاجتماعية والديمغرافية الخاصة بالعينة المدروسة والمذكورة سابقا يعتبر متغيرا توضيحيا ثانيا ساهم في فهم العملية في شموليتها.

التساؤل عن الكيف، هو تساؤل عن السياق العام لعملية إعادة الإنتاج. وهذا السياق مرتبط بتاريخ وظروف النشأة الأولى للمقاطعة، بالإضافة إلى ارتباطه بالخصوصيات الاجتماعية للساكنة الفاعلة في عملية إعادة الإنتاج. وقد ربطنا تلك الظروف بعملية إعادة إسكان دور صفيح ابن امسيك وما واكبها من تصاميم تهيئة والتي لم تواكبها أجرأة فعلية للمقترحات.

لماذا ولمن؟ أوضحت الدراسة أن تلك المجالات المعاشة الممثلة وجدت لسد حاجيات الساكنة التي لم تستطع التعايش مع المجال المدرك المفروض عليها والمجال المخطط الذي لم تشارك في إعداده، فقامت بإنتاج مجال يلائم تطلعاتها.

لا تعطينا المدينة إلا ما وضعناه فيها[171]، وما سجلناه خلال هذا المحور من الدراسة، هو أن مجالات إعادة الإنتاج ما هي إلا نتيجة للتدبير السياسي الموضوع بشكل أو بآخر من طرف الدولة، وهي أيضا نتيجة لثقافة الفرد في المجال. فالفرد دائما يحاول مطاوعة المجال لمصلحته الخاصة.

6: المجال المعاش النفسي :مجال الرغبات المجالية بمقاطعة مولاي رشيد

استوحت الدراسة نموذج التحليل الخاص بالمجال المعاش (مجال التمثلات والرغبات) من بعض الأبحاث التي قام بها مجموعة من الباحثين في موضوع المجال المعاش مثل الدراسات التي قام بها كل من أرمون فريمون وجون كايي وجاك شوفاليي وبيرتران.

[169] BAVOUX, Jean Jacques, (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, paris p 149-150

[170] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000,Paris, p 84

[171] SANSOT, P. (1971) Poétique de la ville, Ed KLINCKSIECK paris .p 50 Armand FREMONT, Jean GALLAIS, Jacques CHEVALLIER, Michel-Jean BERTRAND

والمدرجة في كتاب espaces vécus et civilisations، وخصوصا الدراسة المنجزة حول الحوض النورماندي من طرف أرمون فريمون أو الدراسة المنجزة حول منطقة le raincy بفرنسا الخاصة بتمثلات ساكنة بعض الأحياء السكنية.

وعلى الرغم من كون الدراسات المذكورة ركزت على المجال كما هو معاش بشكل يومي أو أسبوعي أو بشكل شهري وسنوي -وهي الفقرة التي سنتحدث عنها في الجزء الثالث من الدراسة وبالضبط المحور الخاص بالمستقر وأنماط العيش والسلوك في المجالات المعاشة، والمحور الخاص بالممارسات المجالية وأنواعها-، إلا أنها أعطت المعالم الكبرى والمناهج لدراسة مجال التمثلات الخاصة بالفرد. وإذا كان الفرد قبل كل شيء كائنا اجتماعيا يستمد مرجعيته من الوسط الاجتماعي الذي يحدد موقع الفرد داخل الحقل الاقتصادي وعلاقات الإنتاج، ويحدد مواقفه وتصوراته السياسية والإيديولوجية[172]، فإنه من اللازم تحديد تلك المرجعية والمواقف والتصورات المجالية الخاصة بالفرد. ودراسة تصورات الفرد في المجال من ناحية حاجياته ورغباته.

أكد ارمون فريمون في إطار حديثه عن المجال المعاش في العلوم الإنسانية على ضرورة إيجاد مرجعية فكرية وعلمية تؤطر الموضوع مفاهيميا. في هذا السياق، اعتمد على ثلاث مرجعيات رئيسية: علم النفس وخصوصاً علم النفس الوراثي، وعلم الاجتماع (خصوصا علم الاجتماع ذو المرجعية الماركسية) والتحليل النفسي. تعامل ارمون فريمون مع التحليل النفسي للمجال من خلال دراسة الإنسان الانفرادي ورغباته في المجال، بهدف الحصول على صورة للمجال المتخيل والمشترك مع الآخرين. فالإنسان يصبح اجتماعيا من خلال مشاركة رغباته مع الآخرين[173].

تتميز المجالات بكونها غير مستقرة، والمعاش المجالي le vécu spatial يتحول ويتنوع[174]. تقتضي دراسة هذا التحول والتنوع وتقصي رغبات الإنسان الانفرادي القيام بتحريات ميدانية، والاستعانة بعينة مدروسة ومنهجية. تتجلى أولى معالم هذه المنهجية في الاعتماد على المعايير التي أشار إليها هنري لوفيبر وهي: السن والجنس والوضعية الاجتماعية وثقافة الفرد والمخيال والصورة الشخصية للأماكن[175].

ترتكز هذه المقاربة على تحري ميداني ضم 687 فردا، تتراوح أعمارهم ما بين 12 و63 سنة، من الجنسين، كما تتكون هذه العينة من فئات اجتماعية متباينة حسب نوعية السكن ونوع المهنة. وقد شمل البحث الخاص بالمقاطعة 17 حيا، بما فيها أحياء السكن العشوائي والصفيحي المتواجد في الشمال الغربي للمقاطعة.

حاولنا الاشتغال على مستويين، مستوى الماكرو، أي التصور العام لساكنة مولاي رشيد من حيث رغباتها وحاجياتها، لنرى مدى ملاءمتها مع المجال كما هو مخطط في شموليته. وللقيام بذلك قمنا بتزويد العينة المدروسة بأوراق وخرائط صماء تضم الأحياء المبنية للمقاطعة، وتضم المجالات الفارغة بغية تحديد حاجياتها في تلك المجالات، مادامت الجغرافية الإنسية تهتم بحاجيات الإنسان في المجال. وطلب منهم تحديد تصورهم الذاتي والنفسي والمخيالي للمجال، وقمنا بتفييء النتائج حسب السن والجنس والمهنة ونوع الحي، وخرجنا في الأخير بتصور عام للمقاطعة كما أراد الفرد.

[172] DI MEO, Guy. (1987) Objectivation et représentation des formations socio-spatiales, de l'acteur au territoire, revue, annales de géographie, nu 573, paris p 573
[173] FRÉMONT Armont. (1976) La région espace vécu, Editions Flammarion, 1999, p 85
[174] Espace vécu et civilisations, (1982) coordination J Dresch, éditions du centre national de la recherche scientifique, 15, quai Anatole France – 75700 Paris p 53
[175] DI MEO, Guy. (2014) Introduction à la géographie sociale, Armand colin, Paris, p 43.

خصص المستوى الثاني من الدراسة لمقياس كبير جدا، أي مستوى الميكرو، وهنا قمنا بتزويد عينة وصلت إلى 150 فردا من العينة العامة، وطلب منهم تحديد حاجياتهم في الحي، وقمنا بتفييئها أيضا حسب السن والجنس والمهنة والحي. وذلك بهدف الوقوف على ميكانزمات التباين بين المستويين واستخلاص التوجهات الكبرى للمجال المعاش للمقاطعة.

6-1: عوامل تباين المجال المعاش النفسي على المستوى العام: الماكرو

من خلال الاطلاع على النتائج الأولية للدراسة، تبين أن العناصر المجالية الممثلة في الخرائط والمعبرة عن رغبات الفرد في المجال ترتكز على بعض العناصر الأساسية مثل المجالات الخضراء ومجالات الترفيه والسكن والتجهيزات العمومية والمقسمة بدورها إلى التجهيزات الرياضية والتجهيزات الصحية والتجهيزات التعليمية والتجهيزات التجارية والمساجد وخط الطرامواي وعناصر أخرى متنوعة. كما أن هناك أفراد عبروا عن رغبتهم في إزالة أحياء سكنية والعمل على جعلها فارغة، أو تغيير ذلك الحي من حي سكني إلى مجال آخر. تفيء النتائج سيتم وفق هذا التصنيف، وحسب الفئات المحددة سابقا (السن والجنس والمهنة ونوعية السكن).

6-1-1: علاقة تراتبية عناصر توطين المجال المعاش بمتغير السن بمقاطعة مولاي رشيد.

تتفاوت عناصر توطين المجال المعاش (مجال الرغبات) وحجم ترددات في الأوراق والخرائط الصماء المقدمة حسب الفئات العمرية، كما يوضح الجدول الآتي:

جدول رقم 10: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش حسب السن بمقاطعة مولاي رشيد.

الفئات العمرية	المجالات الخضراء	مجالات الترفيه	مجالات السكن	تجهيزات رياضية	تجهيزات صحية	تجهيزات تعليمية	تجهيزات تجارية	مساجد	خط الطرامواي	عناصر أخرى
أقل من 19 سنة	23 18.69%	44 44.89%	11 8.20%	34 62.96%	13 19.69%	44 50%	4 11.76%	4 7.27%	6 50%	5 21.73%
29-20	44 35.77%	25 25.51%	44 32.83%	14 25.92%	12 18.18%	24 27.27%	14 41.17%	10 18.18%	5 41.66%	4 17.39%
39-30	51 41.46%	15 15.30%	65 48.51%	6 11.11%	18 27.27%	20 27.72%	15 44.11%	7 12.72%	1 8.33%	8 34.78%
أكثر من 40	5 4.06%	14 14.28%	14 10.45%	0 0%	23 34.84%	0 0%	1 2.94%	34 61.81%	0 0%	6 26.08%
المجموع	123 17.90%	98 14.26%	134 19.50%	54 7.86%	66 9.61%	88 12.81%	34 4.95%	55 8.00%	12 1.75%	23 3.35%
المجموع العام 687										

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

يتضح (الجدول رقم 10) أن بعض عناصر التوطين تحظى بأهمية على حساب بعض العناصر الأخرى. حيث يأتي توطين مجالات السكن كأولوية لدى الفئة المشاركة في الدراسة، وذلك بنسبة 19.50%، وهي حاضرة بقوة في صفوف الفئة العمرية 30-39 بنسبة 48.51%، مقابل تدنيها في صفوف الفئة العمرية أقل من 19 سنة بنسبة

8.20%. وقد أدى ظهور السكن ضمن أولويات توطين الرغبات في المقاطعة إلى ضرورة استحضار ما تنبه إليه المصطفى شويكي سنة2003، وذلك عندما ذكر أن حاجيات المدينة من السكن قد تزايدت بشكل مضطرد، الشيء الذي جعل العجز يتراكم ويتخذ صبغة أزمة خانقة تمس فئات اجتماعية واسعة. وتتخذ هذه الأزمة شكل معضلة تتجسد على ثلاث مستويات: 1) العجز المزمن لإنتاج السكن الذي يتفاقم من جراء تراجع دور الدولة في هذا الميدان. 2) معضلة أحياء الصفيح التي لا تنفصل أبعادها الاجتماعية عن تشعباتها السياسية والمجالية والاقتصادية. 3) التدهور المتصاعد لظروف السكن في الأحياء القديمة وأحياء السكن الاجتماعي وأحياء السكن غير القانوني، التي تجعل مشكلة السكن غير اللائق تتخذ أبعادا مهولة[176].

خريطة رقم 19: المجال المعاش: مجال الرغبات الخاصة بالسكن بمقاطعة مولاي رشيد.

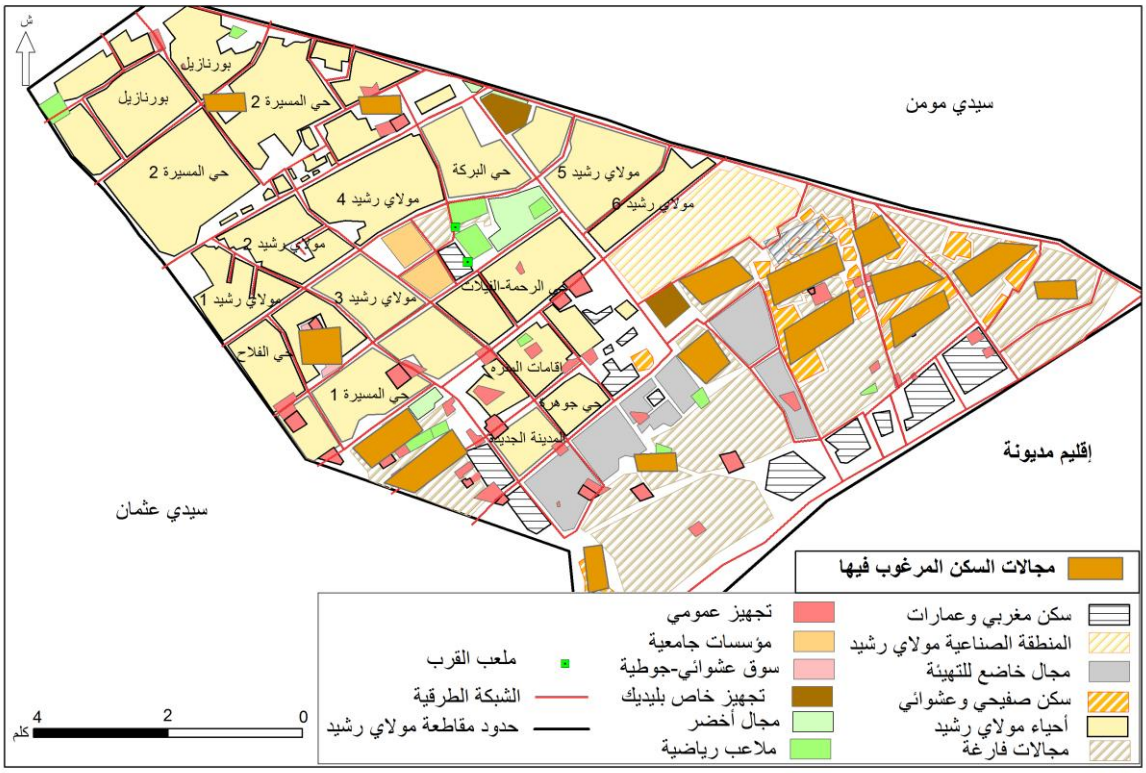

المصدر :برنامج ساس بلانيت+ البحث الميداني 2019-2020

يتضح (الخريطة رقم 19) أن مجالات السكن الصفيحي عرفت إضافة مجالات السكن (سكن العمارات والسكن المغربي العصري) من قبل العينة المدروسة، مع وجود أماكن أخرى في أحياء المقاطعة، وخصوصا المجموعات الست التي تتميز بارتفاع في الكثافة السكانية وبوجود السكن المغربي القديم الذي يعود إلى سنوات الثمانينات والتسعينات. أكثر من ذلك، هناك فئة اجتماعية عبرت عن رغبتها في إزالة أحياء بكاملها وتركها فارغة، أو تعويضها بمجال أخضر أو ترفيهي، كما يوضح الشكل رقم 3 الذي يعود لبعض المبحوثين:

[176] شويكي المصطفى، (2003) تدبير المدن الكبرى حالة الدار البيضاء، نص مداخلة لم ينشر، الملتقى الثالث للجغرافيين العرب حول المدن الكبرى في الوطن العربي، ، ص 5

الشكل رقم 3: مجال معاش خاص برغبات بعض المبحوثين في مقاطعة مولاي رشيد

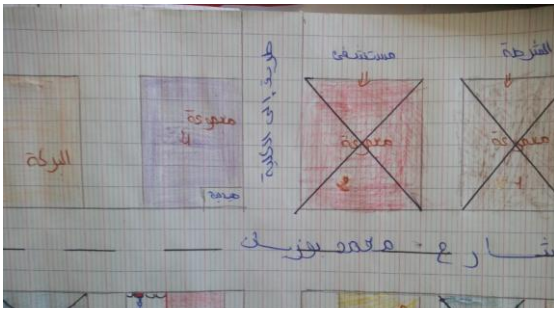

بحث ميداني 2019-2020

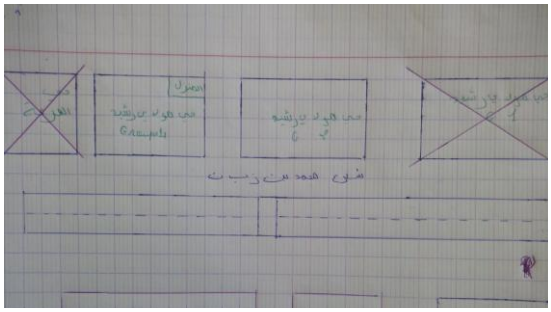

بحث ميداني 2019-2020

يلاحظ أيضا في ما يخص مجالات السكن المضافة أن بعض المجالات تمت إضافتها مكان المجالات الخضراء المدرجة في تصميم التهيئة الأخير، وهو وما يؤشر على الرغبة في السكن أكثر من غيره، نظرا لحاجيات الساكنة لهذا القطاع الحيوي، والذي تأثر بارتفاع النمو الديمغرافي بالمقاطعة.

يفسر ارتفاع نسبة المجالات المضافة الخاصة بالسكن في مناطق السكن الصفيحي بالأوضاع المتردية التي تعيشها ساكنة هذه المنطقة، من خلال غياب أبسط ظروف العيش الكريم، وانتشار الجريمة وأماكن بيع المخدرات غير المراقبة والمنتشرة في صفوف جل أرجاء السكن الصفيحي، إذ ترى هذه الساكنة أن من حقها الاستفادة من عمليات إعادة الإسكان التي تعرفها المدينة، وهي تستنكر بذلك تأخر استفادتها من العملية، حيث استفادت مجموعة من الدواوير المتميزة بحداثتها من العملية واستثناء دور الصفيح بمولاي رشيد من العملية. تعود أسباب هذا التأخر إلى الموقع غير الاستراتيجي للمنطقة والذي لا يستهوي سواء الاستثمار العمومي أو الخصوصي، كما أن تموقعها في منطقة هامشية وبعيدة عن المركز والساحل جعلها تتميز بنوع من اللامبالاة من قبل واضع التخطيط الحضري بالمقاطعة.

تأتي المجالات الخضراء في المرتبة الثانية من حيث توطين عناصر المجال المعاش النفسي، حيث وصلت نسبتها 17.90%، وحظيت هذه المجالات بأهمية كبيرة في صفوف الفئة العمرية 30-39 سنة، وسجلت أدنى نسبة في صفوف الفئة العمرية أكثر من 40 سنة. وتوضح الخريطة رقم 20 المجالات الأكثر تمثيلا من قبل العينة.

خريطة رقم 20: المجال المعاش: مجال الرغبات الخاصة بالمجالات الخضراء في مقاطعة مولاي رشيد

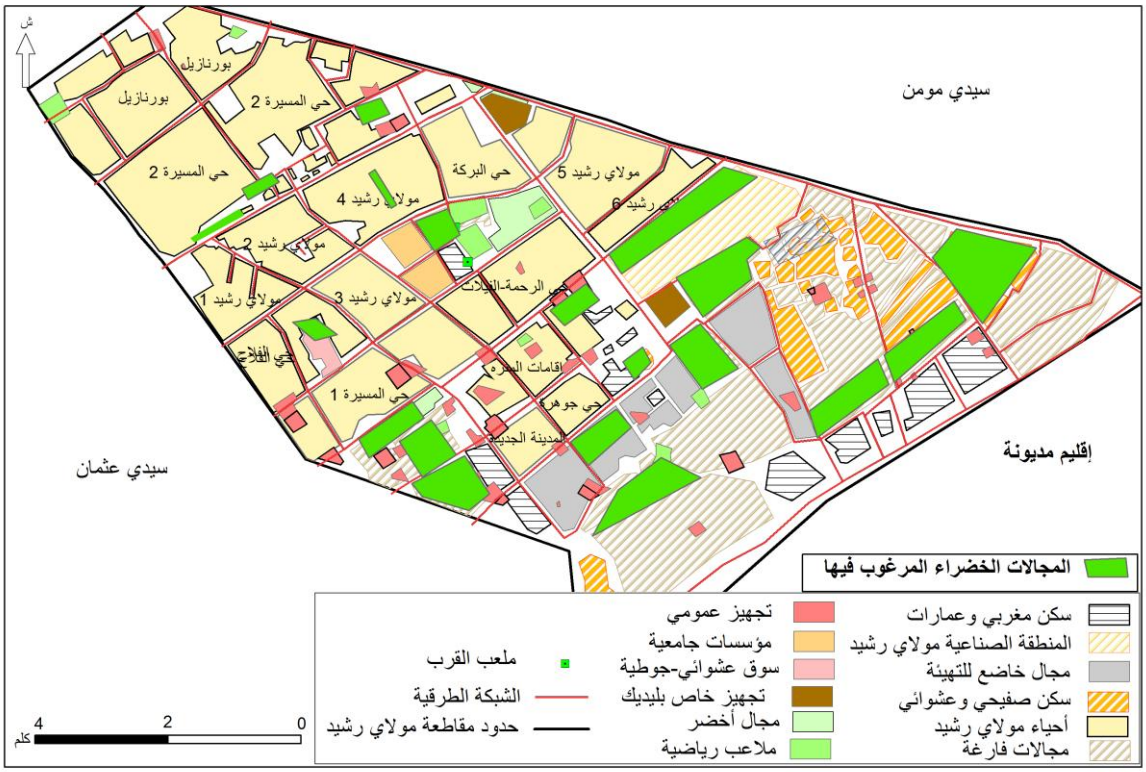

المصدر: بحث ميداني: 2019-2020

سجلت المقارنة بين ما جاء به تصميم التهيئة على مستوى المساحات الخضراء وما أكدت عليه العينة المدروسة فارقا كبيرا بين ما يخطط له وما هو مرغوب فيه من قبل الساكنة. فهذه الأخيرة، أكدت على رغبتها في امتلاك مساحات خضراء في مجالات شاسعة، وهي تفصح بذلك عن رفضها لمضمون تصميم التهيئة، معبرة عن أهم مبادئهم الخصوصية والثقافية.

فإذا كان تدبير المجال من الإنسان ولصالح الإنسان، فحري بالمخطط مشاركته في إعداد هذا التصميم، فعدم القيام بهذه العملية سيؤدي إلى تقوية مجالات إعادة إنتاج. لذلك أحسن ما يمكن إنتاجه في ظل هذه المبادئ هو المعمار « الديمقراطي »، والذي يستطيع التوفيق بين الثقافة والفكر والحداثة بحثا عن المدينة المعبرة عن الثقافة الشعبية بواسطة الأشكال والألوان والمضمون والوظائف[177].

جاءت مجالات الترفيه في الرتبة الثالثة بحضورها لدى 14.26% من العينة المدروسة، وهي واردة بقوة في صفوف الفئة أقل من 19 سنة بنسبة 44.89%. كما سجلت نسبة مهمة في صفوف الفئة ما بين 20 و29 سنة (25.51%)، وسجلت أدنى نسبة لدى الفئة العمرية أكثر من 40 سنة. ولعل ارتفاع هذه النسبة في صفوف الفئة أقل من 19 سنة يؤكد حجم النقص المسجل في صفوف هذا الصنف من المجالات، والذي تعاني منه الفئة المذكورة

[177] جعفر عادل، 2012 إنتاج المجال: من التعمير الإجباري إلى التعمير التوافقي جودة المجال جودة الحياة ، ص 9

باعتبارها الفئة الأكثر حاجة إلى تلك المجالات. أشار المخطط المديري 2010 إلى بعض المناطق في مقاطعة مولاي رشيد المخصصة للمنتزهات والحدائق العمومية، إلا أن تصميم التهيئة لم يرد فيه أي تفصيل خاص بمجالات الترفيه. أي أن هناك تنافر أيضا بين ما يخطط له وما هو مرغوب فيه. توضح الخريطة رقم 21 مجالات الترفيه الأكثر توطينا من قبل العينة المدروسة:

خريطة رقم 21: المجال المعاش: مجال الرغبات الخاصة بمجالات الترفيه في مقاطعة مولاي رشيد

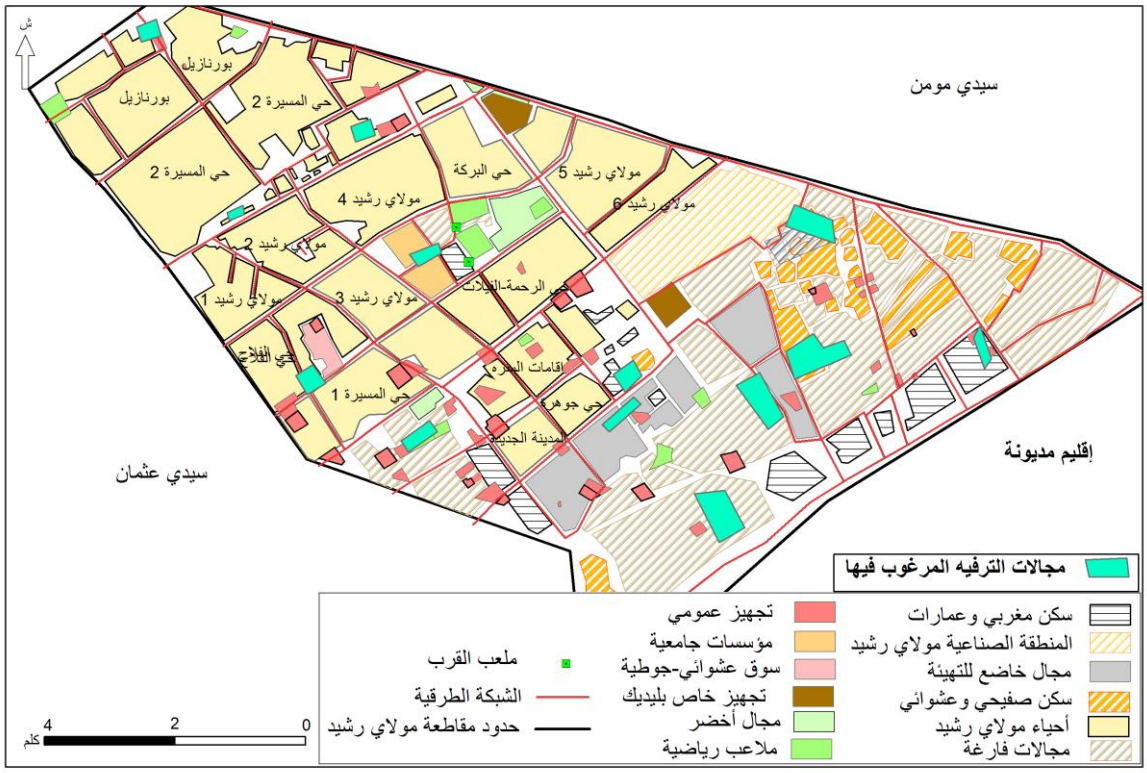

المصدر: بحث ميداني 2019-2020

أظهرت عملية توطين المجال المعاش النفسي بروز بعض العناصر المرغوب فيها، فعلى الرغم من محدوديتها في التمثيل فهي لا تخلوا من أهمية، مثل التجهيزات التعليمية (12.81%) والتجهيزات الصحية (9.61%) الحاضرة بقوة في صفوف الفئة العمرية أكثر من 40 سنة، والتجهيزات الرياضية (7.86%) المعبر عنها بشكل كبير من قبل الفئة العمرية أقل من 19 سنة، والمساجد (8.00%) الممثلة بنسب مهمة في صفوف الفئة العمرية أكثر من 40 سنة، وبعض العناصر الأخرى (3.35%) والمكونة أساسا من الحمامات والمقاهي والمطاعم، والتي تدخل في معظمها ضمن التجهيزات الخاصة أو المبادرة الفردية.

يبرز تحليل تباين هذه النسب الخاصة بعناصر التوطين حجم التطابق بين ما عبرت عنه الساكنة من حاجيات وما هو ناقص في المجال المدرك، وبين ما هو غير موجود في تصميم التهيئة كمجالات الترفيه. كما أن ارتفاع نسبة على حساب نسبة أخرى يحمل في طياته بعض الدلالات، فالأسبقية المعطاة للسكن تفيد أن هناك أزمة سكن في المقاطعة وجب الوقوف على خلفياتها.

لا يمكن محاسبة التاريخ على مخلفاته بقدر ما وجب توجيه الاهتمام إلى تصميم التهيئة (المجال المخطط). فإذا كان السكن أحد مقومات الحياة والعيش الكريم، فمن اللازم النزول إلى مقياس كبير جدا، والوقوف عند الرغبة في المجال للوصول إلى مستوى المواطنة والتي تتحقق عبر التكامل الحضري. يعتبر السكن أحد مرتكزات المدينة المضيافة وأحد مقومات الاندماج الحضري المجالي. فـالتكامل الحضري مرحلة ضرورية للمواطنة، ولكنها ليست كافية في عالم تتآكل فيه الهويات بسبب النظام العالمي الجديد للهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية. ويعد هذا تحد هائل لهذا القرن الناشئ، بالنظر إلى الانفتاح على العالم الخارجي ومسامية الحدود التي يتم إنشاؤها تدريجيا[178].

6-1-2: تأثير تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي بمتغير الجنس بمقاطعة مولاي رشيد

إذا كان التباين واضحا بين الفئات العمرية في توطين المجال المعاش النفسي، فإن التمييز بين الإناث والذكور في توطين العناصر المجالية يعتبر من ركائز التعبير عن هذا المجال. وفي هذا الإطار، يقر أرمون فريمون على أن المجال المعاش الخاص بالإناث يختلف عن نظيره الخاص بالذكور[179]. وتشكل هذه المقاربة مدخلا لدراسة نظرة المرأة القاطنة بمقاطعة مولاي رشيد حول اختياراتها ورغباتها في المجال، ومقارنتها مع التوجه الذكوري. ولتبيان تلك التباينات المجالية بين الذكور والإناث، تم إدراج الجدول الآتي:

جدول رقم 11: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الجنس بمقاطعة مولاي رشيد.

الجنس	المجالات الخضراء	مجالات الترفيه	مجالات السكن	تجهيزات رياضية	تجهيزات صحية	تجهيزات تعليمية	مراكز تجارية	مساجد	خط الطرامواي	عناصر أخرى
الذكور	35 28.45%	40 40 .82%	81 60.45%	46 85.18%	23 34.84%	34 38.63%	8 23.53%	51 92.73%	4 33.33%	5 21.74%
الإناث	88 71 .54%	58 59.18%	53 39.55%	8 14.81%	43 65.15%	54 61.36%	26 76.47%	4 7.27%	8 66.66%	18 78.26%
المجموع	123 17.90%	98 14.26%	134 19.50%	54 7 .86%	66 9.60%	88 12.81%	34 4.95%	55 8.00%	12 1.75%	23 3.34%
المجموع 687										

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

يبرز الجدول رقم 11 مدى أهمية المجالات الخضراء عند الإناث، حيث وصلت نسبة توطين المجال الأخضر عندهن إلى 71 .54%، مقابل 28.45% عند الذكور. أي أن الإناث هن الأكثر تعبيرا عن الرغبة في المجالات الخضراء، خصوصا في صفوف قاطنات مجموعات مقاطعة مولاي رشيد الست. ويدل التعبير عن الرغبة في هذا المجال على أن المخطط لم يضع بعين الاعتبار المجال الأخضر وحاجيات المرأة في المجال العام، إذ ركز على السكن على حساب المساحة الخضراء، وأهمل متطلبات الإناث، وتوطين هذا المجال في المجالات الفارغة -كما وضحت خريطة المجالات

[178] NACIRI, Mohamed. (2017) « Désirs de ville » économie critique, impression :el maarif al Jadida ;Rabat, p 384-389

[179] FRÉMONT Armont (1976) . La région espace vécu, Editions Flammarion, 1999, p 88

الخضراء- دال أيضا على أن التنقل إلى تلك المناطق رغم بعدها عن السكن لا يعتبر مشكلا، في ظل الرغبة الجامحة في المجال الأخضر.

تعتبر منطقة "الغابة الخضراء" أهم مجال أخضر في مقاطعة مولاي رشيد، لكن وعلى الرغم من أهميتها، إلا أنها تتميز بالهيمنة الذكورية، الشيء الذي يجعل النساء دائما في بحث مستمر عن المجالات الخضراء للترفيه عن أنفسهن، وفي ظل افتقار مقاطعة مولاي رشيد لمجال أخضر آخر، قامت النساء بتوطين رغباتهن في مناطق مختلفة بالمقاطعة.

حظيت مجالات الترفيه بأهمية كبيرة عند الإناث على حساب الذكور، فمن مجموع 98 فردا، شكلت النساء حوالي 59.18% من النسبة العامة لتوطين مجالات الترفيه، مقابل 40.82% من الذكور. وقد تم تفسير ذلك من خلال استدعاء مؤشرين إحصائيين هما معدل النشاط ومعدل البطالة في المقاطعة برمتها.

تبلغ نسبة النشاط عند الذكور 74.2% مقابل 27.5% عند الإناث، وتبلغ نسبة البطالة عند الذكور 16.2% مقابل ارتفاعها في صفوف الإناث 28.6%[180]. فمن عوامل ارتفاع نسبة توطين مجالات الترفيه عند الإناث هو عدم خروجهن للعمل وضعف نسبة نشاطهن في المقاطعة، فأصبحن يبحثن عن ملاذ للترفيه عن أنفسهن داخل المقاطعة وعدم الاستسلام للحياة المنغلقة داخل الحي، وهي حالة السعدية (ربة بيت) في المجموعة 4:

- **أنا إمرأة غير متمدرسة، ولا أمتهن أي حرفة، وربة بيت، أحتاج كثيرا لأماكن الترفيه، أحب أن آخذ أبنائي في جولة قريبة في ظل عدم توفر زوجي على وسيلة تنقل، لكن (الله غالب)، أضطر للبقاء في الحي مادامت هذه الأماكن غير متوفرة في المقاطعة. (السعدية، ربة بيت ، 46 سنة، مولاي رشيد 4)**

تتم ترجمة آراء النساء في المدينة في تعبيرات تقدر بشكل إجمالي في: الجماليات المعمارية والحضرية، وجودة المناظر الطبيعية والنظيفة والمفتوحة والواضحة، والهدوء والطمأنينة، والمساحات الخضراء، والنبات والشجر. وهي من النتائج التي توصل إليها دي ميو Guy Di Méo خلال دراسة قام بها في مدينة بوردو الفرنسية[181].

أبان الجدول وخصوصا الخانة الخاصة بالسكن عن أهمية مجالات السكن عند الذكور، إذ وصلت النسبة إلى 60.45% مقابل ضعفها عند الإناث (39.55%). فطبيعة العلاقات الاجتماعية والقيم السائدة في مجتمعاتنا، والتي تفرض على الرجل مسؤولية التوفر على سكن لتأسيس أسرة تفسر هذه الهيمنة الذكورية في توطين مجالات السكن.

كقراءة سريعة لباقي العناصر، نسجل أهمية بعض المجالات في التوطين عند الذكور، من قبيل التجهيزات الرياضية والمساجد، مقابل هيمنة باقي العناصر الأخرى عند الإناث، حيث سجلت نسب مرتفعة عندهن على مستوى توطين التجهيزات الصحية والتعليمية والمراكز التجارية وخط الطرامواي.

[180] الإحصاء العام للسكان والسكنى، 2014

[181] DI MEO, Guy. (2012) LES FEMMES ET LA VILLE. POUR UNE GÉOGRAPHIE SOCIALE DU GENRE in : Annales de géographie /2 (n° 684), P 19

تأكد تزايد اهتمامات الذكور بالرياضة والمساجد، ومدى بقاء ثقافة الرياضة عند النساء في الأحياء الشعبية في مراحلها الأولى، حيث ما زلن يخجلن من ممارسة الرياضة في المجالات العمومية. أيضا بروز المساجد كأحد العناصر الأساسية المرغوب فيها، لا يفسر إلا بالعودة إلى الجانب الديني الذي يجعل تردد الرجل على المسجد من الأساسيات.

أظهرت دراسة العلاقة بين المجال المعاش ومتغير الجنس عن اختلاف تمثلات المجال المعاش بين الجنسين، الشيء الذي يدعوا إلى استحضار مقاربة النوع الاجتماعي في التخطيط للمجال، أي استحضار الحاجيات المجالية للمرأة قبل التخطيط، وأخذها بعين الاعتبار خلال التدبير المجالي. كما يتطلب هذا الأخير أيضا استحضار الأوضاع السوسيومهنية للجنسين قبل التخطيط للمجال وتدبيره.

3-1-6: ارتباط تراتبية عناصر توطين المجال المعاش حسب البنية السوسيومهنية بمقاطعة مولاي رشيد

لتوضيح الصورة أكثر حول المجال المعاش النفسي الخاص بالرغبات في المجال، وللاقتراب أكثر من جدلية المجتمع والمجال، كان من الضروري الوقوف على بعض الضوابط والخلفيات، من بينها علاقة الوضعية السوسيومهنية بالرغبات في المجال، بمعنى إلى أي حد تؤثر الوضعية السوسيومهنية في اختيار عناصر توطين المجال المعاش النفسي (مجال الرغبات)؟ لتبيان ذلك تم إدراج الجدول الآتي:

الجدول رقم 12: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب البنية السوسيومهنية بمقاطعة مولاي رشيد

البنية السوسيومهنية	المجالات الخضراء	مجالات الترفيه	مجالات السكن	تجهيزات رياضية	تجهيزات صحية	تجهيزات تعليمية	مراكز تجارية	مساجد	خط الطرامواي	عناصر أخرى
المهن الحرة والحرفيون	13 10.57%	2 2.04%	67 50%	5 9.26%	14 21.21%	4 4.54%	6 17.65%	15 27.27%	0 0%	2 8.69%
الموظفون (في القطاع الخاص والعام)	56 45.53%	18 18.37%	43 32.08%	10 18.52%	34 51.51%	10 11.36%	15 44.12%	10 18.18%	4 33.33%	5 21.74%
التجار	10 8.13%	10 10.20%	20 14.92%	5 9.26%	10 15.15%	8 9.09%	1 %2.94	23 41.82%	0 0%	1 4.35%
الطلبة والتلاميذ	44 35.77%	68 69.39%	4 2.98%	34 62.96%	8 12.12%	66 75%	12 35.29%	7 12.73%	8 66.66%	15 65.22%
المجموع	123 17.90%	98 14.26%	134 19.50%	54 7.86%	66 9.60%	88 12.81%	34 4.95%	55 8 %	12 1.75%	23 3.34%
المجموع 687										

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

من خلال ملاحظة الجدول رقم 12، وبعد التركيز على المجالات الأكثر تمثيلا والأكثر رغبة من قبل العينة (المجالات الخضراء ومجالات الترفيه ومجالات السكن) يتضح أن الموظفين في القطاع الخاص والعام كان لهم نصيب أكبر من حيث تأكيد رغبتهم في المجالات الخضراء بنسبة 45.53%، تليهم فئة الطلبة والتلاميذ، بنسبة 35.77%، وسجلت أدنى نسبة في صفوف التجار (8.13%). وهنا نذكر أن الجدول الخاص بالرغبات حسب الجنس أظهر ارتفاع نسبة الرغبة في المجالات الخضراء عند الإناث.

سجلت الملاحظة الثانية حول مجالات الترفيه، إذ يتضح أن فئة الطلبة والتلاميذ ركزت في اختياراتها على مجالات الترفيه بنسبة 69.39%، مقابل تسجيل أصحاب المهن الحرة والحرفيين لأضعف نسبة من حيث اختيار مجالات الترفيه 2.04%. لكن هذه الفئة كان لها نصيب مهم من حيث اختيار مجالات السكن واعتبارها من أولويات رغبات المجال، حيث وصلت نسبة الاختيار إلى 50%، جاءت بعدها فئة الموظفين في القطاع الخاص والعام بنسبة 32.08%، وسجلت أدنى نسبة من حيث اختيار مجالات السكن في صفوف الطلبة والتلاميذ (2.98%).

يعود تفسير هذه التباينات من حيث اختيار مجال الرغبات في المجال إلى المحور الخاص بالمجال المعاش الخاص بإعادة إنتاج المجال انطلاقا من منظور ذاتي وثقافي، حيث تم تسجيل مدى أهمية وكثرة هذه المجالات في صفوف أصحاب المهن الحرة والموظفين، والذين ما فتئوا يقومون بإعادة إنتاج مجالات لتلبية حاجياتهم المهنية والسكنية بالخصوص. تأكد خلال هذا المحور مدى حاجة المهنيين والحرفيين لمجالات للسكن والعمل. وقد تم تأكيد هذه الرغبة من خلال التعبير عنها من طرف عينة أخرى لم تقم بأي تمرد على المجال، لكنها مستعدة لذلك في ظل الخصاص الذي تعاني منه على مستوى السكن ومقر العمل.

لم يعد التخطيط الذي قام به الفاعلون في المجال خلال مراحل سابقة يوازي الدينامية الديمغرافية والحضرية لهذه الساكنة، وهي دعوة أخرى للجلوس مع الإنسان والتعمق في خباياه خلال التدبير المجالي. وهو نفس ما نادت به الجغرافية الإنسية، والتي ترى أن دراسة الإنسان القاطن-الساكن والإنسان المنتج والمستهلك لا زالت في حاجة إلى تعمق أكثر، وهي تحاول بذلك الاستماع إلى الناس، وملاحظة طقوسهم المجالية les rituels spatiaux الأكثر قربا منهم[182].

في ما يخص باقي عناصر الاختيار الخاصة بالتجهيزات العمومية وخط الطرامواي، سجلت أهمية اختيار التجهيزات الرياضية والتعليمية في صفوف الطلبة والتلاميذ حوالي 62.96% من إجمالي الرغبات الخاصة بهذا المرفق العمومي. وهو ما يؤكد أولوية هذه المرافق عند هذه الفئة والتي تلائم طموحاتها وأعمارها. وكانت التجهيزات الصحية والمراكز التجارية حاضرة بنسب مهمة في صفوف الموظفين في القطاع العام والخاص.

سجلت فئة التجار حضورها في اختيار المساجد كأحد العناصر الرئيسية في توطين مجال الرغبات. بينما عبر الطلبة والتلاميذ عن رغبتهم في مرور خط الطرامواي بمقاطعة مولاي رشيد، إذ وصلت نسبة التعبير 66.66%، أي أن هناك أزمة في النقل مرتبطة بالمدينة في رمتها، وهو الشيء الذي تنبهت إليه الدراسات، حيث أشارت إلى أن الأزمة بهذا المرفق العمومي قد تحولت إلى أزمة تدبير وبالتالي إلى أزمة حلول[183]، الانفراج في نظر ساكنة المقاطعة يتجلى في مد خط الطرامواي عبر مجال سكناهم.

[182] BAVOUX, Jean Jacques. (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, paris , p 211

[183] شويكي، المصطفى. (2003) تدبير المدن الكبرى حالة الدار البيضاء، نص مداخلة لم ينشر، الملتقى الثالث للجغرافيين العرب حول المدن الكبرى في الوطن العربي، ، ص 10

6-1-4: تبعية تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الحي السكنى بمقاطعة مولاي رشيد

يتكون المجال المعاش بشكل عام من مجموعة من الأبعاد والعلاقات الاجتماعية (الأحياء السكنية والطبقات الاجتماعية)، والتي تساهم في التأثير على تمثلات الإنسان لمجاله المعاش. فمن خلالها يحدد الإنسان مدى انسجامه وتأقلمه مع المجال، ويحدد أيضا حاجياته الموجودة في ذهنه ومخيلته[184]، ذلك أن ربط الأحياء السكنية بالطبقات الاجتماعية يظهر مدى التأثير المتبادل بين هذين البعدين، فساكن منطقة الفيلات تختلف تمثلاته نظريا مع ساكن الأحياء الشعبية أو ساكن دور الصفيح. ولتوضيح مدى حجم التطابق بين الانتماء الاجتماعي ونوعية اختيار عناصر التوطين أدرجنا الجدول الآتي:

جدول رقم 13: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الحي السكنى بمقاطعة مولاي رشيد

نوعية الحي السكني	المجالات الخضراء	مجالات الترفيه	مجالات السكن	تجهيزات رياضية	تجهيزات صحية	تجهيزات تعليمية	تجهيزات تجارية	مساجد	خط الطرام واي	عناصر أخرى
أحياء شعبية سكن مغربي عصري	44 35.77%	38 38.77%	44 32.83%	24 44.44%	33 50%	23 26.17%	14 41.18%	22 40%	6 50%	7 30.43%
سكن الفيلات	12 9.76%	13 13.26%	4 2.98%	6 11.11%	5 7.57%	2 2.27%	7 20.59%	3 5.45%	0 0%	3 13.04%
العمارات	45 36.58%	29 29.59%	22 %16,42	14 25.92%	18 27.27%	53 60.23%	13 38.23%	7 12.73%	6 50%	10 43.48%
السكن العشوائي والصفيحي	22 17.89%	18 18.37%	64 47.76%	10 18.51%	10 15.15%	10 11.36%	0 0%	23 41.82%	0 0%	3 13.04%
المجموع	123 17.90%	98 14.26%	134 19.50%	54 7.86%	66 9.60%	88 12.81%	34 4.95%	55 8%	12 1.75%	23 3.34%
المجموع 687										

المصدر: البحث الميداني: 2019-2020

يبرز الجدول رقم 13 مدى أهمية المجالات الخضراء عند قاطني الأحياء الشعبية وقاطني السكن المغربي العصري والعمارات، فحوالي 90% من الاختيارات المرتبطة بالمجالات الخضراء كانت مرتبطة بسكان الأحياء المذكورة، وضَح القيام بجولات ميدانية في هذه الأحياء حجم إعادة إنتاج المجال الأخضر. فالسكن المغربي العصري تم بناؤه

[184] FRÉMONT Armont (1976). La région espace vécu, Editions Flammarion, 1999, p 75.

خلال نشأة المقاطعة، آنذاك لم تكن المجالات الخضراء تحظى بالأولوية، وسكن العمارات تم تشييده من قبل الاستثمار الخاص والذي يهتم بمنطق الربح أكثر من أي بعد آخر.

لقد ساهم تحالف الدولة مع الفئات الفقيرة حول السكن من خلال مشروع مولاي رشيد الذي شيدت به 13500 وحدة سكنية[185] خلال مرحلة النشأة في تركيز الاهتمام حول السكن، واعتباره مشروعا استعجاليا على حساب المجالات الأخرى، ووسيلة للتهدئة والضبط الاجتماعي بعد أحداث الثمانينات، إذ يعتبر المجال وسيلة للإنتاج وأداة للمراقبة والسيطرة والنفوذ[186]. لذلك دفع تركيز الدولة والساكنة على السكن في ذلك الوقت بالساكنة اليوم إلى التعبير عن رغبتها في المجالات الضرورية للعيش الكريم، والمجال الأخضر واحد من هذه المجالات.

يفسر تدني نسبة توطين المجالات الخضراء عند قاطني الفيلات بامتلاك هذا النوع من السكن في تصميمه لمجالات خضراء، أضف إلى ذلك توفر معظم قاطني هذا الحي لوسائل نقل خاصة، جعلتهم لا يعترفون بالمسافة المجالية وبإشكالية الولوجية إلى المجالات الخضراء. فرغم وجود هذه المجالات في مناطق مختلفة في المدينة، إلا أن التواجد في نفس المدينة، لا يعني بالضرورة الاستفادة من تجهيزاتها. فالتفاوت الطبقي ساهم في استفادة طبقة وحرمان طبقة أخرى، كما أن التجهيزات الجماعية الحضرية غالبا ما تؤدي إلى تهميش الذين أقيمت من أجلهم، لكونها تخضع لمنطق النطاقية والتمييز الذي تخفي تبريراته التقنية أشكالا معينة لتنظيم الحياة الاجتماعية[187].

تتطابق نسب توطين مجالات الترفيه مع المجالات الخضراء حسب نوع الحي السكني، إذ عبر قاطنوا السكن المغربي العصري وسكن العمارات عن رغبتهم في مجالات للترفيه أسوة بالمجالات الخضراء. ومن المفارقات المسجلة أيضا من خلال التأمل في الجدول، نجد تأكيد سكان الحي المغربي العصري خصوصا القديم وسكان العمارت على مجالات إضافية للسكن. ومرد ذلك يعود بالأساس إلى ارتفاع الكثافة السكانية بهذه الأحياء، وارتفاع عدد الأفراد في كل غرفة، إذ تتميز مقاطعة مولاي رشيد بأعلى متوسط (1,62 فرد في كل غرفة)[188].

في ما يخص باقي عناصر التوطين (التجهيزات الرياضية والتعليمية والصحية والتجارية والمساجد)، فالملاحظ أن أهم نسب توطين هذه المجالات كتعبير عن الرغبة تكون من نصيب سكان الأحياء الشعبية وسكان العمارات. وهو أمر بديهي يستخلصه الباحث الميداني خلال جولاته، إذ سيلاحظ مدى حاجة هذه الأحياء لتجهيزات من ذلك القبيل. فالطبقات الشعبية التي تعرف بالغياب شبه التام للرأسمال مهما كانت طبيعتها محكوم عليها باختيار "الضروري"[189].

من خلال استقراء الجدولين السابقين (جدول الوضعية السوسيومهنية وجدول الأحياء السكنية)، يتضح من جهة مدى حجم التطابق بين اختيارات الفئة المكونة من أصحاب المهن الحرة والحرفيين والطلبة والتلاميذ، واختيارات الفئة القاطنة في الأحياء الشعبية وسكان العمارات. فقد حظيت المجالات الخضراء ومجالات الترفيه ومجالات السكن بأولوية عند الفئتين.

[185] شويكي، المصطفى. (1994)، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 459

[186] LEFEBVRE, Henri. (1974). La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000, p 22.

[187] CHAMBARDONS, JC. et LEMAIRE M (1970) Proximité spatiale et distance sociale. Les grands ensembles et leur peuplement REV. Française de soc nu 3-33 p 12

[188] المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

[189] BOURDIEU, Pierre. (1979), LA DISTINCTION, ED MINUIT ,PARIS, P 382

من جهة أخرى، جاء اختيار فئة التجار شبيها باختيار سكان الفيلات، إذ غالبا ما تسجل مستويات متدنية في توطين المجالات عند هاتين الفئتين. لن نجزم باعتبار قاطني الأحياء الشعبية والعمارات هم موظفين في القطاع الخاص أو العام، ونحسم في أن سكان الفيلات في أغلبيتهم تجار ورجال أعمال، لكن يمكن اعتبار الانتماء الاجتماعي مساهما في تحديد الاختيارات المرغوب فيها. فتمثلات الفاعلين تتغير حسب مواقعهم ومصالحهم، وحسب ملكاتهم بوصفها منظومة من البنى الإدراكية التي تكتسب من خلال التجربة الدائمة في موقع داخل المجال الاجتماعي[190].

من خلال النتائج المستخلصة من الجداول السابقة ولتقريب الصورة حول رغبات ساكنة مقاطعة مولاي رشيد، تم إدراج الخريطة رقم 22، وهي عبارة عن تجميع لمعظم الرغبات، وبمثابة صورة عامة للمجال المعاش النفسي مجال الرغبات:

[190] BOURDIEU, Pierre. (1987). CHOSES DITES, Collection Le sens commun Les Editions de Minuit P ,156

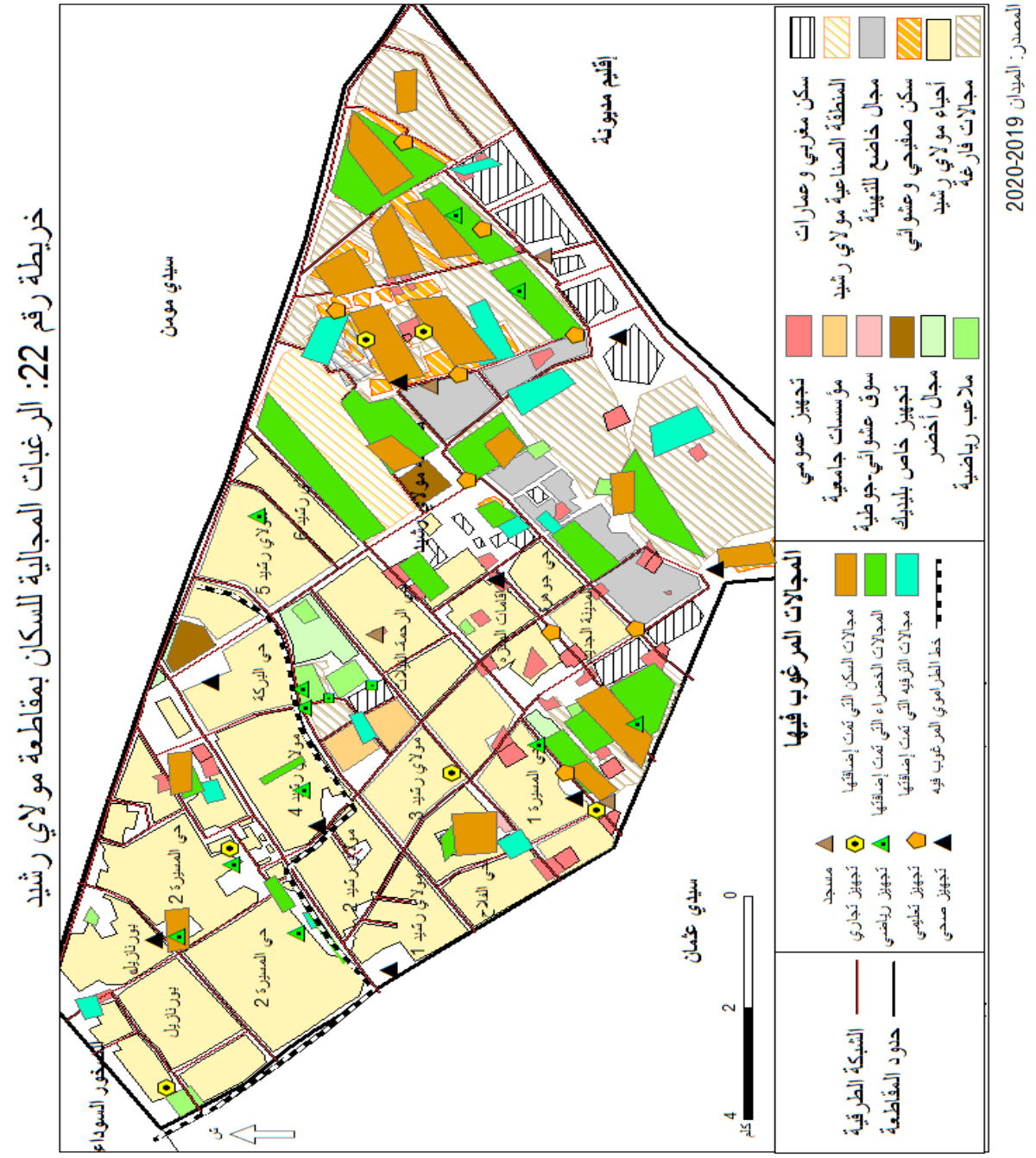

تستدعي الجغرافية الإنسية في مقاربتها التأمل la méditation والحدس l'intuition، كمحددات لعناصر المقاربة الإنسية، فهي فن يعالج الظواهر بحكمة وتعقل، مع الأخذ بعين الاعتبار ما وراء الطبيعة في المقاربة[191]. في هذا الإطار، قادنا فعل التأمل والحدس إلى استنباط بعض الأفكار المستخلصة من مقارنة المجال المخطط (تصميم التهيئة) والمجال المعاش كما هو مرغوب فيه، من أبرزها تسجيل حجم الفارق بين ما تخطط له الدولة ممثلا في واضعي التصاميم، وبين ما هو معاش ومرغوب فيه. أكثر من ذلك حتى التصميم لم تتم أجرأته بالكامل حتى تتم

[191] BAVOUX, Jean Jacques, (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, paris, 229p

المقارنة بشكل جيد، لكن استدعاء المجال كما هو مدرك قادنا إلى تأكيد فرضيتنا. فمقارنة ما هو موجود يظهر حجم ذلك الفارق المتحدث عنه.

6-2: تباين المجال المعاش النفسي على مستوى الميكرو بمقاطعة مولاي رشيد

إذا كان المجال المعاش مجال الجسد والوعي الحقيقي، ومجال المخيال والتمثل الذي يلتقي بحدود غير واضحة وديناميكية ومتحركة، والذي يجمع لكل فرد مخياله المجالي المتنوع[192]، فمن الضروري النزول إلى هذا المستوى الخاص بالفرد ورغباته في المجال لتحديد التنوع في المخيال المجالي l'imaginaire spatial للفرد.

للقيام بذلك خصص، هذا المحور لمقياس كبير جدا، أي على مستوى الميكرو، وهنا طلب من 147 فردا من العينة العامة في مولاي رشيد 2و3 و4 وحي المسيرة1 تحديد رغباتهم في الحي. وتم تفييئها أيضا حسب السن والجنس والمهنة. وذلك بهدف الوقوف على ميكانزمات التباين بين المستويين، واستخلاص التوجهات الكبرى للمجال المعاش للمقاطعة.

تشير القراءة الأولية للنتائج أن المجالات الخضراء والملاعب الرياضية والمسابح وتجهيزات القرب قد حظيت باهتمام كبير من لدن المستجوبين. فنادرا ما نجد توطينا للفرد خاليا من هذه المجالات. تشير الصور الجوية المعبرة عن المجال المدرك كما هو في الواقع إلى خلو هذه الأحياء من هذه المجالات، باستثناء ملعب وحيد تم تشييده في الآونة الأخيرة (دجنبر 2019). وهذا ما يوضحه الشكل الآتي:

[192] DI MEO, Guy. (2014) Introduction à la géographie sociale, Armand colin, p 117

الشكل رقم 4: صورة جوية لجزء من أحياء مولاي رشيد 2،4، حي المسيرة

المصدر: sasplanet 2019-2020

من خلال الصورة الجوية (الشكل رقم 4)، يتضح حجم المجالات الفارغة، كما يظهر حجم الخصاص في المجالات الخضراء ومجالات الترفيه. وهو الشيء الذي تم التعبير عنه من قبل الساكنة

كما توضح الأشكال والرسومات الآتية:

الشكل 5: نموذج لرغبات مجالية (إناث)

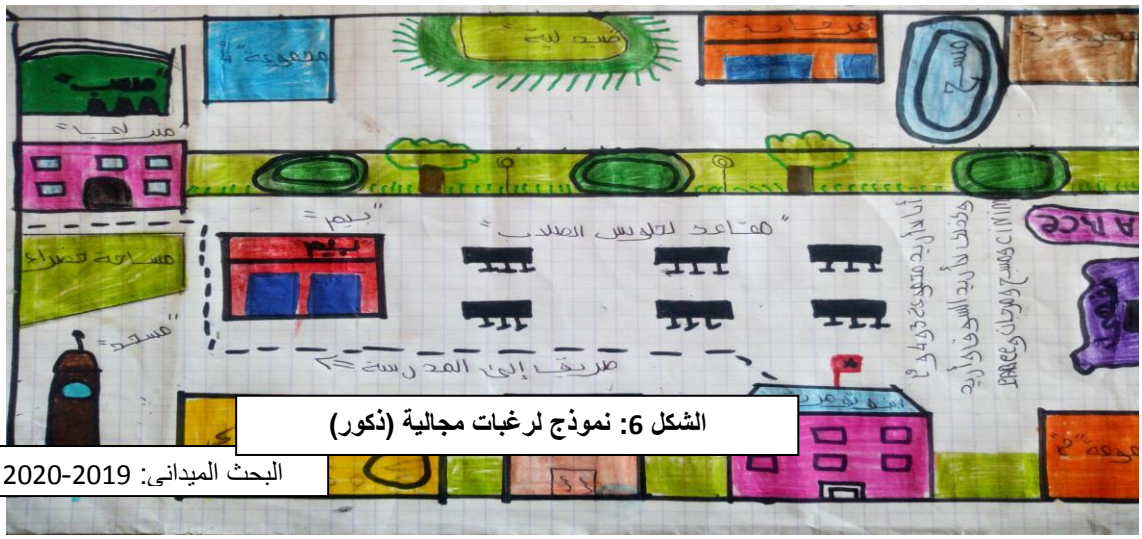

البحث الميداني: 2019-2020

الشكل 6: نموذج لرغبات مجالية (ذكور)

البحث الميداني: 2020-2019

الشكل 7: نموذج لرغبات مجالية 2 (إناث)

البحث الميداني: 2020-2019

لتوضيح الصورة أكثر، أدرجنا خريطتين، الأولى خاصة بالمجال كما هو مدرك، والثانية خاصة بالمجال المعاش النفسي، أي مجال الرغبات، وذلك لتباين حجم الفروق بين المجالين:

خريطة رقم 23: استعمال المجال في الأحياء المدروسة (مولاي رشيد 2 و4 و حي المسيرة)

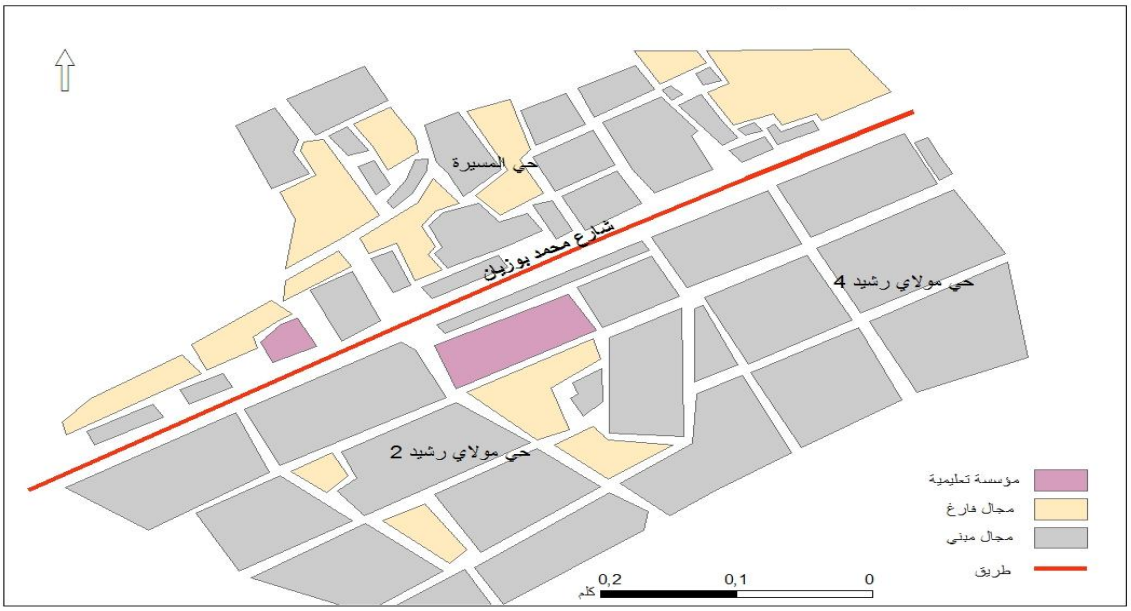

المصدر: البحث الميداني 2019-2020 و برنامج .sasplanet

خريطة رقم 24: المجال المعاش النفسي في الأحياء المدروسة (مولاي رشيد 2 و4 و حي المسيرة)

المصدر: البحث الميداني 2019-2020 و برنامج .sasplanet

يتضح من خلال خريطة المجال المعاش النفسي حجم الرغبة في التوفر على المجالات الخضراء، ومجال الحدائق والمسابح والمكتبات والتجهيزات التجارية. أكثر من ذلك، تبرز الخريطة حجم المجالات الفارغة، إذ عبرت العينة من خلال الرسومات عن رغبتها في إزالة أحياء بكاملها وجعلها كمتنفس. وقد أفرزت النتائج الخاصة بهذه الأحياء أن المجالات الخضراء تم توطينها بشكل كبير من قبل الإناث بنسبة 68%، كما تم توطين نفس المجالات بنسبة كبيرة من قبل الفئة العمرية أقل من 29 سنة (حوالي 69%). أما على مستوى المهنة، فقد كان للطلبة والتلاميذ والموظفين في القطاع العام والخاص نصيب أوفر في توطين المجالات الخضراء والحدائق 55 %.

عبر التلاميذ والطلبة بنسبة وصلت 82% عن رغبتهم في المسابح والملاعب، في حين عبر الموظفون والفئة العمرية ما بين 29 و49 سنة عن رغبتهم أكثر في بعض المراكز التجارية الكبرى، كمرجان ومحلات بيع الملابس المعروفة. وبهذا فقد ساهمت مقاربة المجال المعاش وفق مقياس كبير في تأكيد نتائج المقياس الصغير (على مستوى الماكرو)، أي أن الفرد في مقاطعة مولاي رشيد دائم البحث عن رغباته المجالية، وهو بذلك يعبر عن رفضه للمجال المدرك والمجال المخطط. وقد عبر عن هذا من خلال تعدد أشكال التنافر في التمردات المجالية المعبر عنها، وهي دعوة للجلوس مع الفرد قبل التخطيط لمجاليته.

خاتمة الفصل الثالث

تقتضي مقاربة المجال المعاش الوقوف أولا على المجال المخطط باعتباره نقطة انطلاق الدراسة، وهو المعبر عن التوجه السياسي والتعميري للسلطة التخطيطية. وتتطلب معرفة درجة تحقق المجال المخطط استدعاء المجال المدرك لمعرفة درجة تلاؤم ما يخطط مع ما هو مجسد في أرض الواقع. مكنت مقاربة ثنائية المجال (المجال المخطط والمجال المدرك) الخاص بمقاطعة مولاي رشيد من الوقوف على حجم الفارق بين المجالين، إذ أظهرت نسبة الانجاز ابتعاد المجال المدرك عن المجال المخطط، وهو ما يطرح عدة أسئلة حول الغاية من التصاميم، هل هي خدمة المجتمعي والاجتماعي، أم تدبير مصالح الرأسمال والاقتصاد؟

كان الهدف من المقاربة المحلية هو الوقوف عند حجم التباين بين ما هو مخطط وما هو مدرك في الواقع، وبين ما يرغب فيه الفرد. ولعل تسجيل تلك الفوارق يجعلنا نسائل واضع القرار التخطيطي الخاص بتهيئة هذه الأحياء، إذ كان من الممكن النزول إلى الميدان وتحديد رغبات الفرد قبل تمرير العقار إلى المنعشين العقاريين. إن استمرار الدولة في نفس النهج المتبع خلال الثمانينات والمعتمد على السكن على حساب باقي المجالات من شأنه أن يؤجج الاحتقان الاجتماعي الذي باتت تعرفه المدينة في ظل التفاوتات المجالية.

ساهمت المقاربة المحلية أيضا في الوقوف على مجموعة من المتغيرات الاجتماعية التي تربط بين المجال المعاش والفرد، حيث استخلصنا أن هذه المتغيرات لها دور في تباين المجالات المعاشة، وفي تحديد الاختيارات المجالية. فالمجال المعاش الخاص بالطلبة يختلف عن نظيره الخاص بالتجار والعمال والمهنيين والحرفيين. كما يختلف المجال المعاش حسب الجنس ونوعية السكن والسن، فلكل صنف ولكل فئة مجال معاش، والتخطيط الاستراتيجي للمجال يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الروابط بين الخصائص السوسيومهنية والديمغرافية خلال تبنيه لنموذج دون الآخر.

ركزت الدراسة على أهمية مفهوم المجال المعاش في مقاربة التحولات المجالية والاجتماعية والاقتصادية التي يعرفها مجال مقاطعة مولاي رشيد، وحاولت التأكيد على أن دراسة هذه التحولات لابد أن تمر من مقاربة المجال المعاش للإنسان. حاولنا الاستعانة بمجموعة من العلوم الإنسانية في دراسة المجال المعاش، خصوصا علم النفس وعلم الاجتماع، وهي دعوة من جهة للتركيز على هذه العلوم، فمن خلال علم النفس، يمكن دراسة تمثلات المجال بالنسبة للإنسان حسب الفئات العمرية المختلفة (مرحلة الطفولة ومرحلة البلوغ ومرحلة الشيخوخة)، وخلصنا في الأخير إلى بعض النتائج المتباينة.

حاولت الدراسة مقاربة بعض النظريات الاجتماعية والجغرافية والنفسية حسب الخصوصيات المحلية لمنطقة مولاي رشيد، ووجدنا اختلافا بين المجال المحلي (مولاي رشيد) والمجال المدروس حسب النظريات المعتمدة، فعلى الرغم من تشابه المجالات من حيث المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية، إلا أن المجال المعاش الموسوم في منطقة مولاي رشيد تميز بتأثره بالأصول الجغرافية وبالسياسات العمومية التي عرفتها مدينة الدار البيضاء عموما. أي أن المجال المعاش في الهامش الخاص بدول الشمال يختلف عن نظيره الخاص بالهامش في دول الجنوب. يتأثر الأول بشكل مباشر بالفرد وبخصوصياته الثقافية والذاتية، في حين يتأثر الثاني بالتاريخ والأصل الجغرافي والسياسة العمومية والحضرية.

حاولت الدراسة المساهمة في إظهار دور الخرائط والصور والنصوص السردية والرقمية التي تعطي معلومات عن الجوانب غير المرئية، والتي تدخل في إطار السياق التاريخي للأحداث، وهي دعوة إلى ضرورة الاهتمام بالجوانب التاريخية التي تلعب دورا مهما في تمثلات الساكنة للمجال.

الفصل الرابع

ثلاثية المجال بمقاطعة أنفا: مقاربة المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش

مقدمة الفصل الرابع

أشار هنري لوفيبر في مؤلفه 'إنتاج المجال la production de l'espace" إلى أن قلة من الناس اليوم يرفضون الاعتراف بتأثير الرأسمال والرأسمالية في القضايا الممارستية للمجال، من خلال بناء المباني إلى توزيع الاستثمارات وتقسيم العمل في جميع أنحاء العالم. تتكون الرأسمالية من العديد من العناصر (الرأسمال العقاري والرأسمال التجاري والرأسمال المالي)، وتتدخل كل هذه الرساميل في الممارسة المجالية، ولكل منها إمكانات أكبر أو أقل، ولا تخلو من نزاعات بين الرأسماليين[193].

يسجل المتأمل في عناصر الرأسمالية التي تبناها هنري لوفيبر تمركزها على مستوى مدينة الدار البيضاء في الأحياء ذات الصبغة الاستعمارية، والتي أسست في الأصل لتلبية حاجيات الساكنة الأوربية في الدار البيضاء. فقد ارتكزت سياسة السلطات الاستعمارية على جعل التمدين ينبني على التمييز بين المغاربة والأوروبيين، ويهدف على المستوى الاجتماعي إلى تدمير المجتمع الأهلي ثم قبوله فردا فردا في المدينة الجديدة المشيدة من طرف ولفائدة الأجانب[194]. فأصبحت المدينة رمزا للتمدين الحر، وجاء المجال الحضري بها يحمل طابعا رأسماليا[195].

يعتبر التخطيط الحضري الاستعماري أصل العديد من الأحياء بالدار البيضاء (المعاريف والصخور السوداء وبلفيدير وغوتييه والوازيس وبوسيجور وعين سبع وبورغون وأنفا). وقد كان لكل من هذه الأحياء شخصيته المورفولوجية والاجتماعية وحضوره البيئي، تشترك جميعها في الحجم الذي يسمح لكثافة العلاقات الاجتماعية المكافئة لاحتياجات الفئات الاجتماعية المعنية. ويكشف هذا على أن السلطات الاستعمارية اهتمت بإنشاء هياكل الاستقبال والإدارة اللازمة لإعادة إنتاج المجتمع الأوروبي، والتي ينبغي أن تكون نموذجًا لإعادة هيكلة المجتمع المغربي[196].

كان لهذه العوامل التاريخية والاقتصادية والرأسمالية دورا في اختيار مقاطعة أنفا كمجال للدراسة والمقارنة مع مقاطعة مولاي رشيد التي أنتجت من طرف ولصالح المغاربة، خصوصا قاطني دور الصفيح. فاعتبار أنفا مقاطعة ذات صبغة استعمارية ومقاطعة تتميز بتنوع الرساميل يغري بالخوض في مجالها المعاش الذي أنتج والذي أعيد إنتاجه.

سنحاول خلال هذا الفصل التطرق في بداية الأمر إلى بعض المقتطفات الخاصة بتاريخ تعمير منطقة أنفا، على أن نركز اهتمامنا على التعمير الذي شهدته المدينة خلال فترة الاستعمار والاستقلال، بعدها سنتطرق إلى الهيكلة الديمغرافية والاجتماعية بالمقاطعة وعلاقتها بالمجال المعاش، كما سنخصص محورا للحديث عن المجال المخطط للمقاطعة على مستوى التصميم المديري وتصميم التهيئة الأخير. ثم سنحاول إدراج المجال كما هو مدرك بالاستعانة بالميدان والصور الجوية.

---

[193] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000, p 16, 17
[194] LAROUI, Abd allah, (1970) L'histoire du Maghreb. Coll . maspero, paris, t2, p 114
[195] شويكي، مصطفى. (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 46 .
[196] CHOUIKI, Mustapha. (2000) LA RECOMPOSITION URBAINE A CASABLANCA : DU QUARTIER A LA VILLE DANS LA VILLE, Communication aux journées d'études sur la recomposition urbaine : Ségrégation et métissage culturel, Université Hassan II – Université Saint Denis, Casablanca, 26 – 27 octobre p 2

أكدت الأدبيات الجغرافية أن الباحث يجب أن يهتم بالطريقة التي يرى بها الفرد أو المجموعة الاجتماعية المدينة أو طريقة تمثلها، إذ لكل فرد صورة خاصة للحي والمدينة والبلد، وهذا التمثل جزئي وشخصي وغير مكتمل ورمزي. يتشكل المشهد الحضري من مجموعة من العناصر التي يتم إدراكها أو الاحتفاظ بها أو اختيارها بشكل مختلف، وهذه الجغرافية الخاصة بالتمثلات المجالية - المعروفة منذ زمن طويل بجغرافية الإدراك- ضرورية للغاية لفهم المدن ووضع الناس في بؤرة الاهتمام[197]. من خلال هذا الطرح وبعد التعرف على العناصر المدركة من قبل ساكنة أنفا على المستوى العام، ارتأينا مقاربة الصورة المجسدة والملاحظة والصورة المتخيلة للمجال لدى الساكنة.

إن مسألة إعطاء المعنى لما يلاحظ بالعين المجردة لمن الأهمية بمكان خلال الدراسة المجالية. فالصورة الذهنية التي تشكل الشخصية وتتوافق مع الثقافة تعتبر من أهم عناصر البيئة الاجتماعية للملاحظ. ودراستها تعتبر من عناصر الدراسة المجالية للمشهد الحضري. لذلك من الضروري التعرف على تمثل المجال في مخيال السكان.

1: مقتطفات من تاريخ نشأة أنفا

تتميز مقاطعة أنفا بقدم التعمير الذي يعود إلى القرون الوسطى، أكثر من ذلك، يرتبط تاريخ مدينة الدار البيضاء بنشأة منطقة أنفا[198] التي تعتبر الموطن الأول لنشأة المدينة. ونظرا لأهمية المنطقة، كان من اللازم الإشارة إلى تاريخ نشأة هذه المنطقة وعلاقته بتاريخ مدينة الدار البيضاء.

يرجح جل المؤرخين أن الفنيقيين القرطاجيين هم الذين قاموا بتشييد منطقة أنفا، نظرا لاهتمامهم بالتجارة البحرية، وكونهم قاموا ببناء عدة مدن على سواحل البحر، ونظرا لوجود مدينة تحمل نفس الاسم بشاطئ لبنان (أنفة أو أنفا) وهو تحريف كلمة (أنفين). وربما يعود الأصل الأول لهذه الكلمة إلى (أنف)، خصوصا وأن موقع (أنفا) اللبنانية وموقع (أنفا) المغربية عبارة عن أنف من الصخور ممدود داخل البحر[199].

تحدث هاشم المعروفي في كتابه عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء عن نشأة أنفا وقال:" *والذي يظهر لنا أن حانون لما حادا موقع أنفا التي نتكلم عليها، ووجده شبيها لموقع أنفا اللبنانية، شيد بها مركزا وسماه باسم أنفا، ووجه الشبه بينهما حسن الموقع ودخول الأنف من البر إلى البحر في كل منهما، وهذا الأنف الموجود بأنفا المغربية يسمى في اصطلاح البيضاويين بالعنق، وهو الآن حي من أحياء الدار البيضاء. فأنفا مشتقة من الأنف*[200]. ويرجح أن يكون سبب

---

[197] PAULET Jean-Pierre (2009) Manuel de géographie urbaine, Armand colin 3e édition, p 205

[198] أشارت الكتابات التاريخية إلى أربعة أسماء متقاربة من جنس واحد هي: أنفا، أنفا، أنف، إنف. وحاول كل مؤرخ أن يؤولها بالانتساب إما إلى العربية "أنف الوجه" أو الانتساب إلى الأمازيغية " الأنف" التي تعني الموقع المنخفض، وبعضهم يشير إلى أن أصل الكلمة عبري يختلف المؤرخون فيمن أسس مدينة أنفا قديما، التي حلت محلها الدار البيضاء حديثا إلى ثلاثة أقوال:

- الأول يقول: لما استقرت قبائل البربر بالمغرب ونزل زناتة تامسنا وتادلة ونزل صنهاجة دكالة، فبنى زناتة مدينة آنفا بتامسنا ومدينة داي بتادلة وبنى أمراء صنهاجة بدكالة مدينة طيط ومدينة أزمور ومدينة آسفي، ويقول بهذا القول " الصطلانوصي في كتابه تاريخ المغرب.
- والقول الثاني للحسن الوزان، ففي كتابه وصف إفريقيا ذكر أن انفا مدينة كبيرة بناها الرومان وهي تقع على شاطئ البحر المحيط.
- والقول الثالث للمؤرخ الرحالة مارمول في الجزء الثاني في كتاب إفريقا ، قال إن سكان مدينة أنفا ذوو عدد كثير وهي واقعة على شاطئ البحر الأطلسي بين أزمور والرباط، ثم قال: يعتبرها البعض أنها من جملة المدن الفنيقية التي بناها حانون وفق ديوان قرطاجنة. هاشم المعروفي، 1987 عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور، الجزء الأول، ص 16

[199] السنوسي محمد معنى(2017). الدار البيضاء ، الإنسان والزمان والمكان : تاريخ وتطور، دار النشر المغربية، طبعة أولى، ص 22

[200] المعروفي هاشم ، (1987) عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور، الجزء الأول، ص 19

التسمية هو نفسه، خصوصا أن أصل الفنيقيين كنعانيون، والذين كانوا يتكلمون اللغة العربية حسب جل المصادر التاريخية. وكان بناؤها حوالي القرن الثامن قبل الميلاد[201].

ظل اسم مدينة أنفا يتردد بعد دخول الإسلام إلى شمال أفريقا، فمر بها البرغواطيون والأدارسة والمرابطون والموحدون والمرينيون. وقد عرفت أنفا عصر ازدهارها في عصر دولة بني مرين، فتطورت من مختلف النواحي الاقتصادية والتجارية والعمرانية وعلاقات تجارتها مع المدن المغربية ومع الأوربيين. ولما كانت مدينة أنفا لها حركة نشيطة في التجارة والاقتصاد والفلاحة، وكان سكانها منظمين ومتمدنين[202] بسبب اتصالهم المباشر مع تجار أوربا، كذلك كانت لهم حركة نشيطة علمية بمدارسها وعلمائها المتخصصين في العلوم الإسلامية وطلبتها النجباء[203].

قبيل استعمار المغرب سنة 1912، ستعرف أنفا انبعاثا على مستوى الاهتمام السياسي وتطور المجال المبني بها، إذ سيتم بها تشييد أولى المباني العصرية سنة 1907 في إطار تهافت الأوروبيين على اقتناء الأراضي وعلى البناء. فخلال الفترة الممتدة ما بين 1907 و1918، تعددت الأحياء والتجمعات الحضرية خارج أسوار المدينة القديمة، والناتجة عن الصراع حول المجال بين الأوربيين من أجل الإثراء، فظهرت تجمعات شبه مختصة سكنية كأنفا وراسين.[204] وهي أحياء لمقاطعة أنفا حاليا.

ستعرف أنفا خلال الفترة الممتدة ما بين 1919 و1938 تشييد حي بورغون وتشييد أحياء الفيلات الأولى بمنطقة عين الذئاب. وستعرف المنطقة خلال الفترة الممتدة ما بين 1939 و1955امتدادا حضريا في إطار توسيع الأحياء الهامشية[205]. فقد خرج إلى الوجود حي العنق، كما ستعرف منطقة عين الذئاب امتدادا في اتجاه الجنوب الغربي.

يتضح أيضا (الخريطة رقم 25) أن الفترة الممتدة ما بين 1955 و1986 ستعرف توسعا على حساب حي عين الذئاب، كما ستظهر خلال هذه الفترة بعض أحياء الصفيح في المنطقة الشرقية لسندباد. وسيتم خلال الفترة الممتدة إلى غاية 2004 تشييد العديد من أحياء الفيلات في منطقة عين الذئاب. غير أنه ظلت معظم المساحات في الجنوب الغربي شبه فارغة، ماعدا تشييد بعض الفيلات أو بعض التجهيزات العمومية والخاصة.

---

[201] السنوسي، مرجع سابق، ص 23

[202] يشير الحسن الوزان في كتابه وصف افريقيا أن سكان انفا كانوا يتأنقون جدا في لباسهم بسبب العلاقات الوثيقة التي تربطهم بالتجار البرتغاليين والإنجليز، كما كان من بينهم رجال مثقفون ماهرون، لكن سببين اثنين عملا على تعاسة السكان ودمارهم. أولهما أنهم أرادوا العيش أحرارا دون أن تتوفر لهم الوسائل اللازمة، والثاني أنهم كانوا يسلحون في مينائهم الصغير زوارق خفيفة يقومون على متنها بالاتلاف والتخريب في شبه جزيرة قادس، وعلى طول الشواطئ البرتغالية، لدرجة أن ملك البرتغال قرر تدمير أنفا. فأرسل إليهم لهذا الغرض أسطولا مكونا من خمسين سفينة محملة بالجنود والمدفعية العظيمة، ولما رأى السكان الأسطول قادما إليهم أخذوا أنفس ما يملكون من متاع، واجتمعوا كلهم وفروا إلى الرباط وسلا تاركين مدينة خالية. الحسن الوزان، الجزء الأول 1 صفحات، 196 - 198

[203] السنوسي، مرجع سابق ، ص 24

[204] شويكي المصطفى، (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 184

[205] شويكي المصطفى، المرجع السابق ص 188

الخريطة رقم 25: تطور المجال المبني لمقاطعة أنفا (1907-2020)

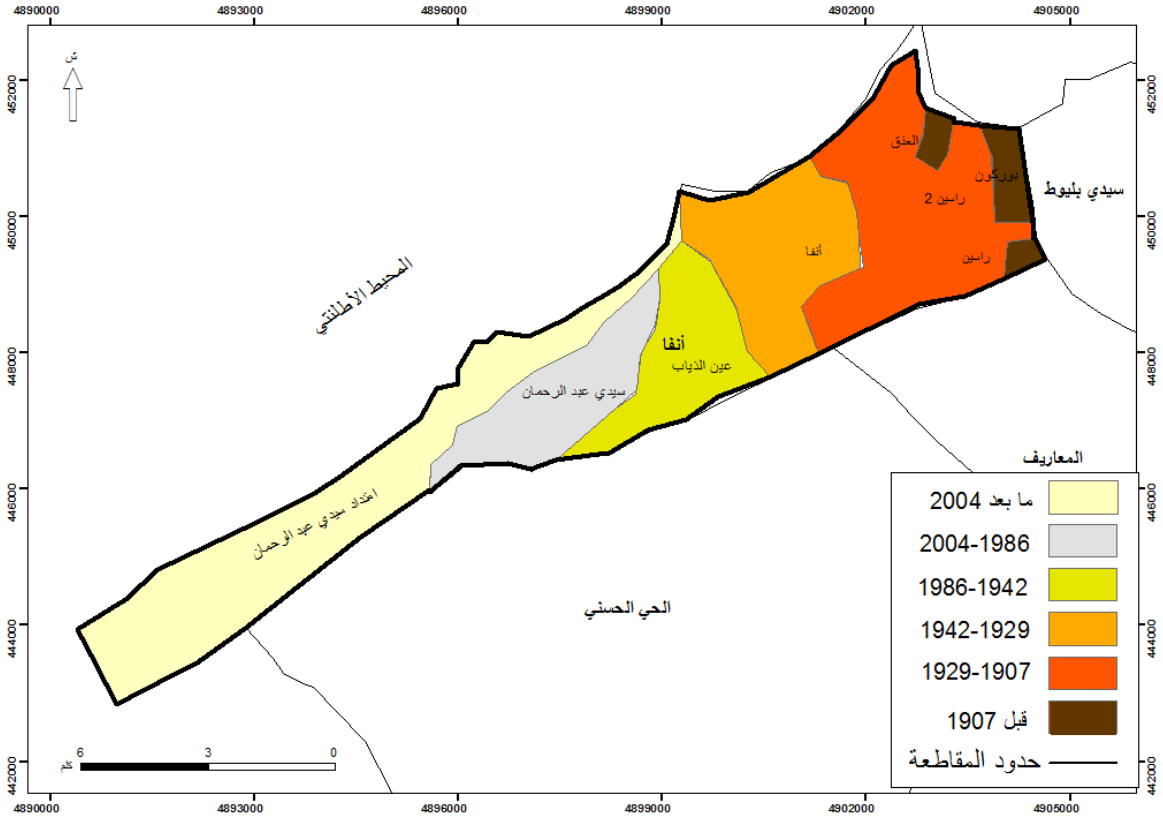

المصدر: وزارة الاسكان والتعمير والتنمية المجالية، جهة الدار البيضاء الكبرى، المفتشية الجهوية للإسكان والتعمير والتنمية المجالية للدار البيضاء الكبرى، 2010.

2: البنية الديمغرافية والاجتماعية وعلاقتها بالمجال المعاش في مقاطعة أنفا

أقرت الدراسات أن موضوع الجغرافيا هو مقاربة المجال باعتباره بعدا من الأبعاد الاجتماعية[206]. وهذه الأخيرة تحمل في طياتها محددات ثقافية وإنسية تتمحور حول الإنسان في المجال. ومن بين هذه المحددات تبرز المعطيات الاجتماعية والديمغرافية. فإذا كانت خرائط المعطيات الامبريقية المدرجة في الجزء الأول، والخاصة بالهيكلة الاجتماعية للدار البيضاء تحيل من جهة على كون مقاطعة مولاي رشيد تتميز بهيمنة المؤشرات الاجتماعية السلبية (ارتفاع معدل الفقر والأمية وارتفاع البطالة، وانخفاض معدل التمدرس) فإنها تشير من جهة أخرى إلى كون مقاطعة أنفا تتميز بمؤشرات اجتماعية تصنف على أنها ايجابية.

تحدث أرمون فريمون عن كون المجال المعاش مجال مختلف ومتنوع، والأكيد أن المؤشرات الاجتماعية والديمغرافية تعتبر من محددات هذا الاختلاف والتنوع. فدراسة هذه المحددات في مقاطعة أنفا التي تتميز بتركز

[206] BRUNET Roger et al, (1993) les mots de la géographie .Travaux de l'Institut de Géographie de Reims , p 98

الطبقة المهيمنة[207] وبامتلاك جميع أنواع الرساميل[208] سيجعلنا نقف على هذا الاختلاف والتنوع، ومعرفة مساهمة هذه المحددات في المجال المعاش الخاص بمقاطعة أنفا، وتحديد التباينات مع مقاطعة مولاي رشيد .

1-2: بنية السكان حسب المراحل العمرية والجنس بمقاطعة أنفا

لا تتشكل علاقات الإنسان مع المجال انطلاقا من المعطيات الأساسية أو الفطرية les données immanentes ou innées، بل تتحدد عبر التجربة المعاشة expérience vécu، وذلك من خلال المراحل العمرية والأشكال والهياكل[209]. فقد ركز علم النفس المجالي[210] على أهمية المراحل العمرية في تشكيل المجال المعاش عند الفرد، إذ يختلف تمثل المجال حسب كل فئة عمرية، وحسب الأجناس. وسيمنح جرد هذه المعطيات الديمغرافية في مقاطعة تتميز بخصوصيات ثقافية ورأسمالية ورمزية فريدة أرضية يمكن من خلالها تفسير المجال المعاش الممثل أو مجال إعادة الإنتاج، كما ستستثمر هذه المعطيات أيضا في تفسير المجال المعاش النفسي (مجال الرغبات)، وإعطاء أرضية للتحليل والتأويل.

المبيان رقم 6 : توزيع ساكنة مقاطعة أنفا حسب السن والجنس سنة 2014

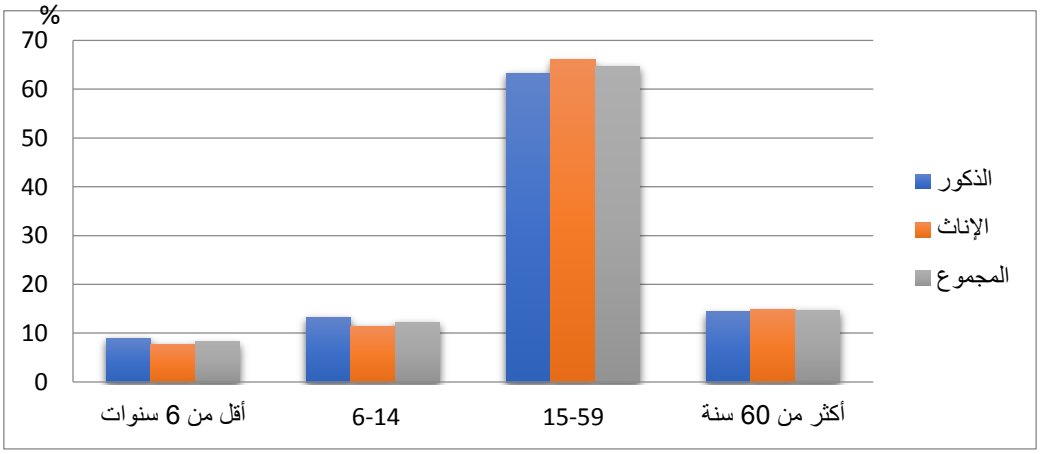

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

[207] قمنا بتصنيف مقاطعة أنفا على أنها تتميز بهيمنة الطبقة المهيمنة اعتمادا على معطيات المندوبية السامية للتخطيط والتي تشير إلى مؤشر مرتفع من حيث الدخل الفردي وتركز سكن الفيلات، بالإضافة إلى مؤشرات اقتصادية أخرى.

[208] حددها بيير بورديو في أربع أنواع وهي : الرأسمال الاقتصادي الذي يتكون من العوامل المختلفة للإنتاج) الأرض والمصانع والعمل(...ومجموع الثروات الاقتصادية: المداخيل والإرث والثروات المادية.

-الرأسمال الثقافي ويمثل كل المهارات الفكرية سواء تلك المنتجة من طرف المنظومة المدرسية أو تلك الموروثة عن طريق العائلة . يمكن أن يكون هذا الرأسمال في ثلاثة أشكال في الحالة المدمجة كاستعداد دائم للجسم) مثل التعبير بسهولة داخل جماعة (وفي الحالة الموضوعية كثروة ثقافية مثل امتلاك لوحات فنية ومؤلفات(وفي الحالة المؤسساتية بمعنى مثمن اجتماعيا) كما هو الحال بالنسبة للشهادات المدرسية(

-الرأسمال الاجتماعي ويعرف أساسا كمجموعة العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد أو الجماعة ، وامتلاك هذا الرأسمال يستلزم عملا لإقامة وصيانة العلاقات بمعنى عملا للألفة والدعوات المتبادلة والترفيه المشترك.

-الرأسمال الرمزي وهو يتعلق بمجموعة الطقوس التي لها علاقة بالشرف والاعتراف وهو في النهاية السمعة والسلطة التي يتمتع بها العون من خلال اكتسابه للأشكال الثلاثة الأخرى للرأسمال. وهذا النوع من الرأسمال يسمح بفهم أن التظاهرات المختلفة لقواعد حسن السلوك ليست فقط من متطلبات الضبط الاجتماعي وإنما لها كذلك مزايا اجتماعية ذات عواقب فعلية.

[209] FRÉMONT Armont (1976) La région espace vécu, Editions Flammarion, 1999.p : 65

[210] علم النفس المجالي: une psychologie de l'espace ، حسب ARMAND FREMONT ، يعتمد هذا العلم على المدرسة السلوكية والسلوكية الجديدة التي تهتم بدراسة وتحليل سلوك البشر، من خلال الإشارة إلى معظم العوامل المتحكمة في هذا السلوك

يتضح أن ساكنة مقاطعة أنفا (المبيان رقم 6) تتميز بأهمية الفئة العمرية ما بين 15-59 سنة بما مجموعه 64,7 %، وهو نفس التوجه العام لجميع مقاطعات المدينة، أي هيمنة الفئة الشابة النشيطة. حلت الفئة العمرية أكثر من 60 سنة بنسبة 14,7 % في المرتبة الثانية، وهي ثالث مقاطعة من حيث ارتفاع نسبة كبار السن بعد بلدية المشور(19,6%) ومقاطعة سيدي بليوط (15,4%). في حين جاءت الفئة العمرية ما بين 6-14 سنة في المرتبة الثالثة بتسجيلها لنسبة 12,3%، وجاءت الفئة العمرية أقل من 6 سنوات في الرتبة الأخيرة من خلال تسجيلها لنسبة 8,3%[211].

جاء جرد هذه المعطيات الإحصائية الخاصة بالمراحل العمرية، من خلال استحضار طرح بيير بورديو الذي أشار إلى أهمية السن في الدراسات المجالية التي قام بها في الجزائر، حيث ذكر أن المجال هو مجال للوضعيات الاجتماعية، والمجال الاجتماعي يبدأ تشكيله بالسن[212]. فدراسة المراحل العمرية في مجال يتميز بتباين الرأسمال، والبحث في العلاقة بين هذه المراحل العمرية والمجال المعاش من شأنه المساهمة في طرح قانون ونظرية اجتماعية مستنبطة من التحليل المجالي والتأويل الجغرافي.

2-2: متغير الوضعية العائلية le statut matrimonial حسب الجنس بمقاطعة أنفا

تأسست الجغرافية الاجتماعية تاريخيا من خلال جغرافية العلاقات بين المجموعات الاجتماعية في المجال. وتتكون هذه المجموعات من فئات اجتماعية، وهذه الأخيرة تنطبق على أي مجموعة من الناس من حيث المبدأ على أساس التصنيف- على سبيل المثال- حسب العمر والجنس ونوع الأسرة والحالة الاجتماعية[213]، فدراسة هذا التصنيف في مقاطعة أنفا والتي تتميز بتباين الفئات الاجتماعية من خلال التناقض المجالي والاجتماعي، والذي يظهر من خلال تواجد أغنى الأحياء بمدينة الدار البيضاء وتواجد أحياء فقيرة متركزة في مجالات السكن الصفيحي من شأنه إعطاء رؤية حول المحددات المباشرة وغير المباشرة المساهمة في إعادة إنتاج المجال والمجال المعاش النفسي.

تتميز مقاطعة أنفا (المبيان رقم 7) بارتفاع نسبة العزوبة من خلال تسجيلها 49%، تليها نسبة الزواج التي وصلت إلى 42,6 %. جاءت نسبة الترمل في الرتبة الثالثة، إذ بلغت 5,1%، وحلت نسبة الطلاق في الرتبة الأخيرة (3,3%). فإذا كانت المقاطعة تتميز بارتفاع نسبة العزوبة، هل سيؤثر ذلك في المجال المعاش للمقاطعة؟ وبالتالي استنساخ النظرية الاجتماعية الخاصة بالمجال المعاش المدروس من قبل أرمون فريمون في الجنوب النورماندي.

المبيان رقم 7: الوضعية العائلية لمقاطعة أنفا حسب الجنس

%

[211] جميع الإحصائيات مأخوذة من المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

[212] DI MEO, Guy, et BULEON Pascal (2005) L'espace social, lecture géographique des sociétés, ARMAND COLIN, , p 80-81

[213] DODIER, Rodolphe (2009) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains p 31

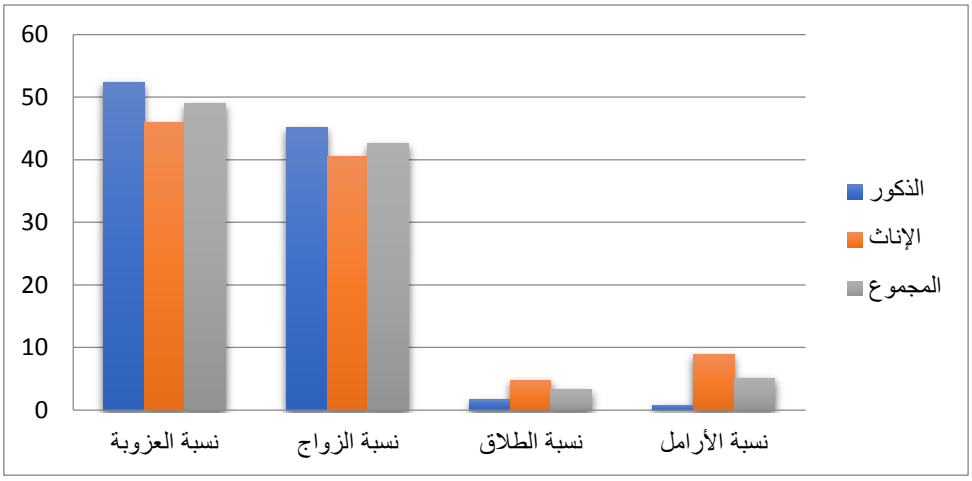

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

3-2: معدل الأمية ومستوى التمدرس بمقاطعة أنفا

تساهم الثقافة في تثمين المجال باعتباره امتدادا وحاملا للأنشطة وباعتباره ذاكرة، وتلعب دورا في توضيب سلوك الإنسان. ولفهم الأبعاد المجالية للثقافة، كان لزاما على الباحث الجغرافي تحليل المنطق المجالي للأنظمة الثقافية -وهذا دور الجغرافية الثقافية- وتحليل تأثير توزيع الحقائق الاجتماعية[214]. من بين تلك الأنظمة الثقافية ومن بين المؤشرات المعتمدة في فهم سلوك الإنسان في المجال نجد مؤشر الأمية، ومستوى التمدرس. فالإنسان باعتباره كائنا ثقافيا[215] تتدخل في كينونته مجموعة من الخصائص الفردية المساهمة في فعله الاجتماعي، ولفهم هذا الفعل، من الضروري التطرق لمؤشر الأمية ومستوى التمدرس. فإذا كنا قد ربطنا التمردات المجالية لساكنة مولاي رشيد بمؤشر الأمية ومستوى التمدرس، فبماذا يمكن ربطها في مقاطعة أنفا؟

تشير المعطيات (المبيان رقم 8) إلى ارتفاع نسبة الأمية في صفوف الإناث مقارنة مع الذكور، إذ وصلت عند الإناث 20,7%، مقابل 7,7% عند الذكور. وقد بلغت النسبة الإجمالية للأمية في المقاطعة حوالي 14,6%، وهي نسبة منخفضة مقارنة مع باقي مقاطعات المدينة. فهل هذا المعطى سيؤثر على عملية إعادة إنتاج المجال في المقاطعة؟

مبيان رقم 8: معدل الأمية بمقاطعة أنفا سنة 2014

%

[214] CLAVAL Paul, (2012) Géographie culturelle, une nouvelle approche des sociétés et des milieux, ARMAND COLIN, p 132-133

[215] RAIBAUD, Yves (2010) Géographie socioculturelle, L'Harmattan, p 41

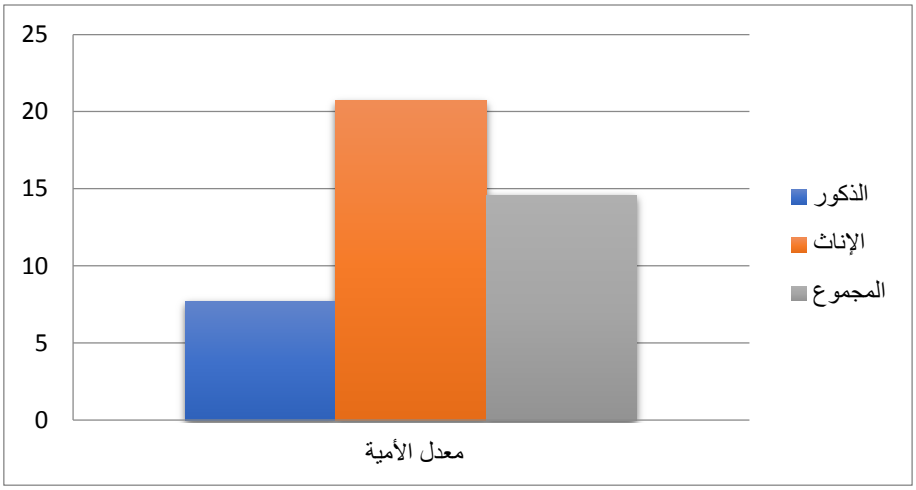

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

ركز ارمون فريمون في الدراسة الخاصة بالمجال المعاش التي قام بها في مدينة كان Caen (الشمال الغربي لفرنسا) على جمع مجموعة من المعطيات العامة حول الأشخاص المشاركين في البحث والبالغ عددهم 500 مبحوثا. من بينها السن والجنس والتربية والمستوى التعليمي[216]. وقد اعتمد على هذه المؤشرات من أجل المقارنة بين مجال معاش في منطقة هامشية في الحوض النورماندي، والتي كانت تتميز بجميع مؤشرات المجال الهش، وبين مجال معاش في تجمع حضري متمثل في مدينة كان الفرنسية، والتي تتميز بمعظم مظاهر المدينة الفرنسية[217].

بالنسبة لمستوى التمدرس، فالظاهر (المبيان رقم 9) أن مقاطعة أنفا تتميز بتقارب نسبة الساكنة التي لم تتجاوز مستوى الابتدائي (22%) مع نسبة الساكنة التي وصلت إلى التعليم الجامعي (21%)، وهي من بين المقاطعات التي تعرف ارتفاع نسبة التعليم الجامعي. فهل ارتفاع نسبة التعليم الجامعي من شأنه أن يؤثر على المجال الذي أعيد إنتاجه أو المجال المعاش النفسي؟ أيضا تتميز المقاطعة بنسبة مهمة من الساكنة التي وصلت إلى التعليم الثانوي (18%). فيما شكلت نسبة غير المتمدرسين ما مجموعه 18%، وسجلت أدنى نسبة في صفوف مستوى التعليم الأولي.

مبيان رقم 9: مستوى التمدرس بالنسبة لساكنة أنفا سنة 2014

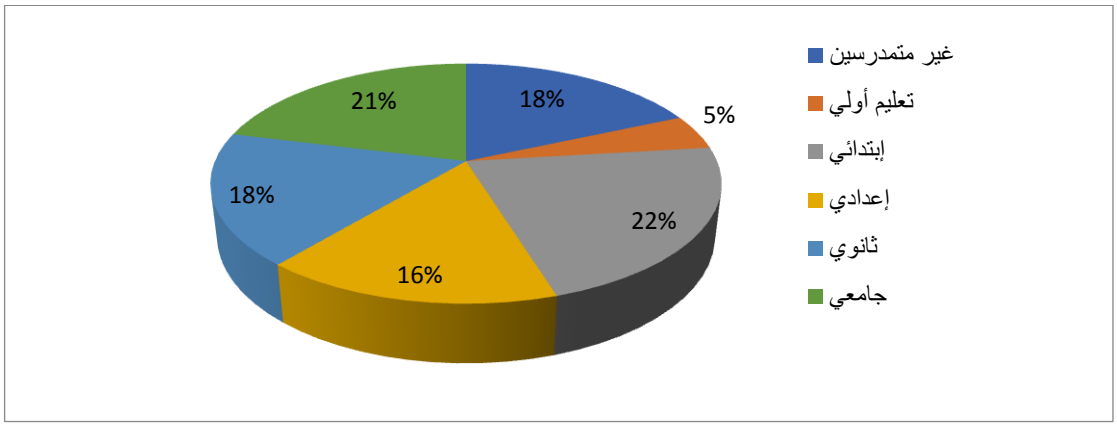

[216] FREMONT, Armand. (1980) L'espace vécu et la notion de région. In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, n°41-42, Analyse régionale. Réflexions critiques, concepts, techniques, études de cas. P52

[217] FREMONT, Armand. (1980). L'espace vécu et la notion de région. In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, n°41-42, Analyse régionale. Réflexions critiques, concepts, techniques, études de cas. P51

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

2-4: نوعية السكن بمقاطعة أنفا

أكد خبراء علم النفس المجالي على أن فهم السلوكيات في المجال يتطلب معرفة البيئة السلوكية، وهي جزء من عناصر البيئة المادية التي تضيف عدة معاني للموضوع المدروس، وانطلاقا من البيئة السلوكية سيتم اتخاذ الخيارات، ففهم السلوك يتطلب فهم البيئة المادية[218]. ومن عناصر هذه الأخيرة نجد السكن بأنواعه، إذ يعتبر تحديد نوعية السكن من بين المحددات غير المباشرة في فهم السلوك كما خلصنا إلى ذلك في الدراسة الخاصة بمقاطعة مولاي رشيد. فإلى أي حد ستساهم نوعية السكن بمقاطعة أنفا في تحليل المجال المعاش؟

مبيان رقم 10: نوعية السكن بمقاطعة أنفا سنة 2014

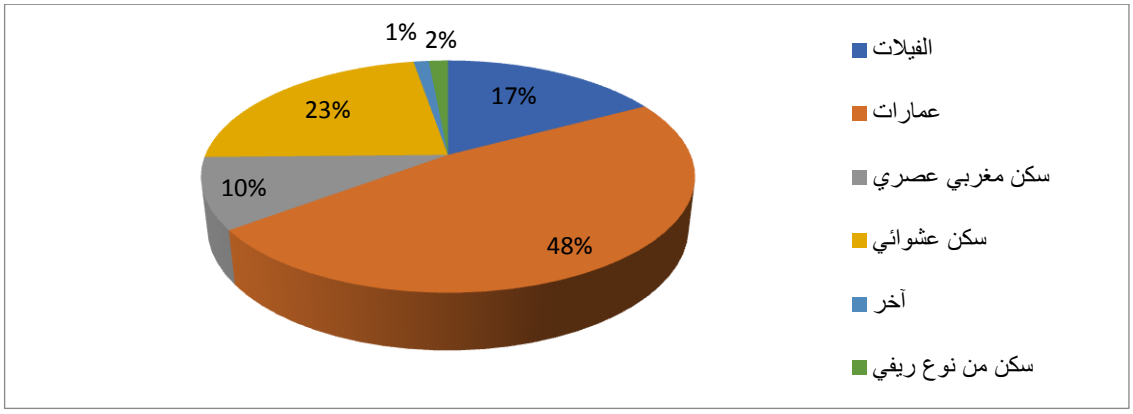

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

تبرز (المبيان رقم 10) أهمية سكن العمارات في المقاطعة، والذي وصلت نسبته إلى 48%، والمتركز في كل من حي العنق والراسين وبوركون والراسين2. كما تتميز المقاطعة بوجود السكن الصفيحي، إذ وصلت نسبته 23% والمتوطن في كل من قطاع العنق وسيدي عبد الرحمان وامتداد سيدي عبد الرحمان. بينما وصلت نسبة سكن الفيلات 17%، وهي من بين النسب المهمة في مدينة الدار البيضاء. أما السكن المغربي العصري والسكن من النوع الريفي فقد حل في الرتبة الأخيرة.

2-5: نوع ملكية السكن في مقاطعة أنفا

في كتاب Les mots de la géographie, dictionnaire critique، عرف المؤلفون الملكية على أنها حيازة لامتداد أرضي، وهذه الحيازة يمكن أن تكون فردية، لكن على أساس عمل جماعي، ويتم التعبير عنها من خلال استعمال المجال، وقد أكد المؤلفون على أهمية الملكية واستعمال المجال في فهم المجال الجغرافي[219]. وباعتبار المجال المعاش

[218] SCHMITZ, Serge (2015-2016) Géographie culturelle et politique, Département de géographie de l'Université de Liège Année académique pp : 8_9

[219] Reynaud Alain. Roger Brunet, Robert Ferras et Hervé Thery, Les Mots de la géographie, dictionnaire critique, 1992, coll. Dynamiques du territoire. In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, n°83-84, 1993. Espaces africains en crise. Formes d'adaptation et de réorganisation. pp. 148-154;

جزءًا لا يتجزأ ضمن منظومة المجال الجغرافي، ففهمه يقتضي الإشارة إلى نوع ملكية المجال في بيئة تتسم بمميزات تختلف عن باقي مقاطعات مدينة الدار البيضاء.

جدول رقم 14: نوع ملكية السكن بمقاطعة أنفا سنة 2014

نوع ملكية السكن	النسبة
سكن متملك	56.8
سكن مكترى	28.9
آخر	14.3

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

يتضح (الجدول رقم 14) أن مقاطعة أنفا تتميز بهيمنة السكن المتملك بنسبة 56,8%، مقابل ضعف السكن المكترى (28,9%)، في حين سجل السكن من نوع ملكية أخرى (الرهن والاستيلاء والقرابة) حوالي 14,3%. من شأن هذه المؤشرات المساهمة في إعطاء فكرة عن المجالات الأكثر تعديلا وتمردا.

3: تباين المجال المخطط لمقاطعة أنفا: تصاميم التهيئة

سجل تاريخ التعمير وتاريخ المخططات الحضرية بالدار البيضاء مدى أهمية مقاطعة أنفا عند واضعي المخططات، من خلال أهمية الخدمات الاجتماعية والمشاريع الاقتصادية والاجتماعية التي تمت أجرأتها بالمقاطعة. فإذا كان التاريخ قد أشار إلى أهميتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ورفع من مكانتها، فكيف يرى الحاضر والمستقبل تخطيطها الحضري؟

للإجابة عن هذا السؤال، كان لزاما الخوض في المجال المخطط لمقاطعة أنفا، والذي سنعتمد فيه على إدراج أهم المقتضيات التي جاء بها التصميم المديري لمدينة الدار البيضاء 2010 والخاصة بمقاطعة أنفا، والوقوف على تصميم التهيئة الخاص بالمقاطعة. وبعد تشخيص الوضع وجرد ما جاء به التصميم المديري وتصميم التهيئة، سنحاول الوقوف عند حجم الفارق بين الاختيارات العمومية في التصميم المديري وتصميم التهيئة، على أن تأتي مرحلة تحديد الفارق بين الاختيارات العمومية واختيارات الساكنة.

يشير المخطط المديري 2010 (الخريطة 26) إلى وجود بعض المشاريع المزمع تشييدها بالمقاطعة. من بينها، نسجل المشاريع والتجهيزات الحضرية الكبرى التي ستقام في منطقة تركز السكن الصفيحي في أقصى الشمال الشرقي للمقاطعة. أيضا يشير المخطط إلى منتزه وحدائق عمومية في منطقة سيندباد. هذا بالإضافة إلى بعض التوطنات الخطية المتمثلة في خط طرامواي جديد قادم من منطقة العنق مرورا بمنطقة أنفا وعين الذئاب عبر الخط الساحلي. أما باقي المعلومات الواردة في المخطط والخاصة بالمقاطعة فتبرز اختلاف الكثافة السكانية في المقاطعة.

أضاف التقرير التبريري Rapport justificatif الخاص بالمقاطعة مجموعة من الأهداف المزمع تحقيقها في أفق سنة 2030، من أهما:

- الحفاظ على الإمكانيات الطبيعية الساحلية للمقاطعة (الشاطئ والمسابح والمساحات الخضراء) باعتبارها ملاذ الساكنة البيضاوية الممارسة للأنشطة الرياضية؛
- تعزيز أنشطة الاستجمام على طول الساحل، من خلال إنشاء منطقة للاستجمام بين عين الذئاب والعنق، ومن خلال تطوير المنطقة الواقعة بين شارع لا كورنيش وشارع المحيط الأطلنتي؛
- تطوير مرافق ركوب الدراجات، عبر بناء شبكة متماسكة ومستمرة وآمنة، يمكن أن تلبي الاحتياجات اليومية والاستخدامات الترفيهية؛
- تعزيز شبكة الطرق بإضافة خطوط جديدة للطرامواي، وتشييد شبكة طرقية جديدة[220]؛

فإذا كان المخطط المديري قد وضع في عين اعتباره تحقيق كل هذه المشاريع، فهل سيسير تصميم التهيئة على نفس النهج، أي احترام أهم مقتضيات التصميم المديري؟

[220] Rapport justificatif des plans d'aménagement - PREFECTURE DE CASABLANCA – PLAN D'AMENAGEMENT DE L'ARRONDISSEMENT D'ANFA

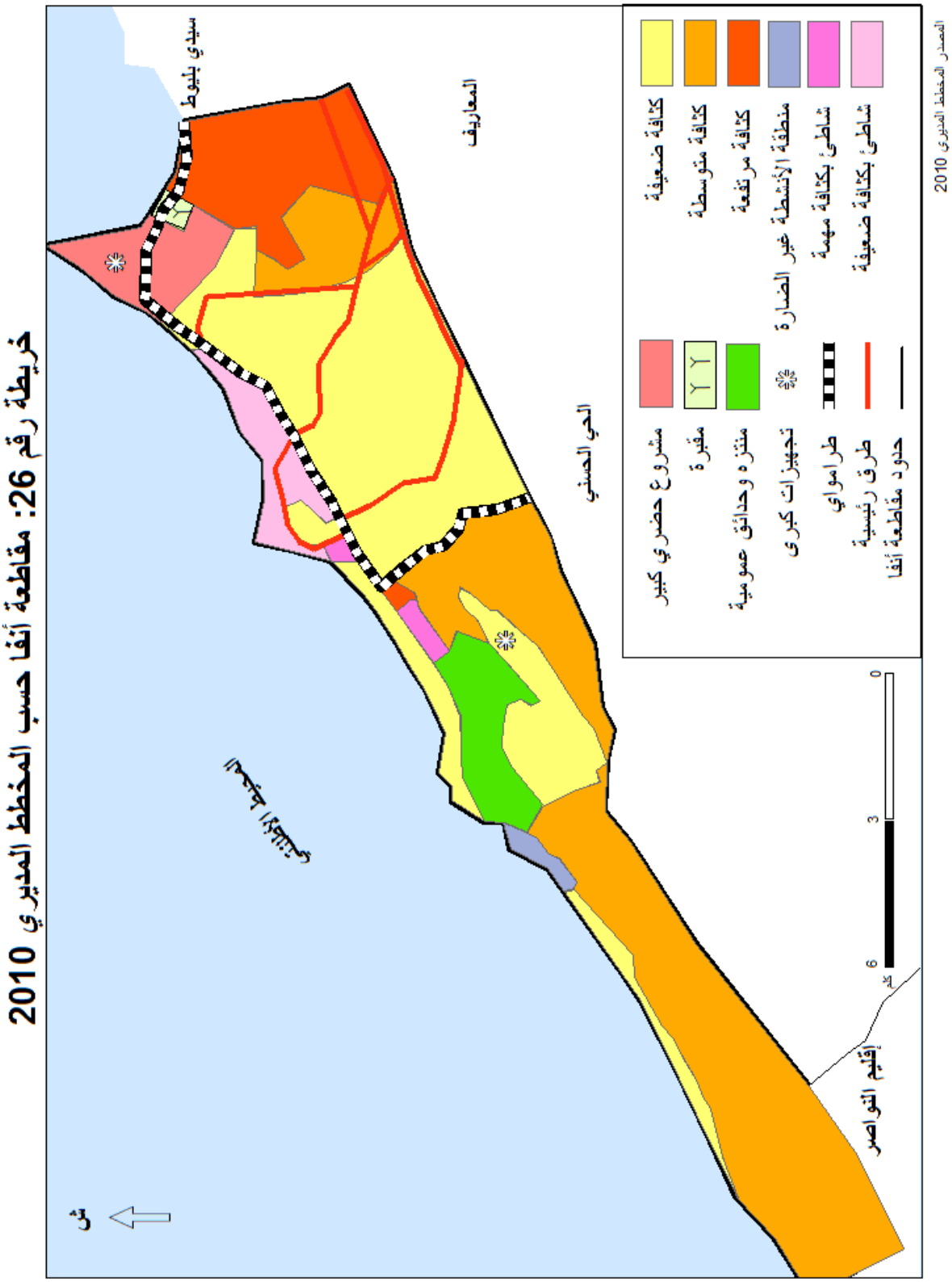

يشير تصميم تهيئة مقاطعة أنفا (الخريطة رقم 27) إلى بعض الاختلافات بين مضامين المخطط المديري وتصميم التهيئة. وقد اقتصر المخطط المديري على تحديد نوعية الكثافات السكانية وعلى ذكر بعض المشاريع

الحضرية الكبيرة في المنطقة الشمالية الشرقية، إلا أن تصميم التهيئة أشار في توجهاته إلى تخصيص تلك المنطقة للساحات العمومية، بالإضافة إلى مرور خط جديد للطرامواي في نفس المنطقة. وحفاظا على هوية المنطقة الرأسمالية، تضمن تصميم التهيئة مجموعة من التوجهات الهادفة إلى الحفاظ على منطقة أنفا كمنطقة مستقطبة وجاذبة للاستثمارات خاصة السياحية منها، باعتبارها تتوفر على خط ساحلي مهم وإمكانيات طبيعية[221] تغري بالاستثمار السياحي والتجاري. ومن أهم التوجهات المستقبلية التي جاء بها التصميم (النموذج التقريبي لتصميم التهيئة:الخريطة رقم 27)، نسجل:

- 6 تجهيزات ثقافية ومعهد للثقافة، ودار للشباب؛
- أكثر من 6 تجهيزات تعليمية، وحوالي 14 مؤسسة تعليمية موزعة بين المدارس الابتدائية والثانويات؛
- حوالي 8 تجهيزات رياضية، وأكثر من 9 تجهيزات عمومية؛
- إدراج خمس تجهيزات ومراكز صحية، ومركز لعلم الأوبئة ومعهد وطني لمصايد الأسماك؛
- تزكية بعض المساحات الخضراء؛
- تحويل بعض المجالات التي كانت تتميز بسيادة السكن الصفيحي والعشوائي إلى مجالات للسكن الفردي المخصص للفيلات، وهو المتركز في المناطق الجنوبية بشكل كبير؛
- إدراج بعض المشاريع الحضرية بالمنطقة الجنوبية الشرقية، وتزكية بعض المشاريع العمومية والخاصة، كمشروع سيندباد والمركز التجاري مروكومول، وسينما ميكاراما.[222]

تركت بعض المجالات بدون تحديد معالمها الكبرى على مستوى نوعية التجهيزات ونوعية استعمالها، والعودة إلى التفاصيل الدقيقة الخاصة بالتصميم توحي فقط إلى بعض شروط استعمالها على مستوى نوع الأنشطة غير المسموح بها، والأنشطة المسموح بها. تشير هذه الأخيرة في معظمها إلى كون المجالات الجنوبية التي تركت بدون تحديد معالمها أنها مخصصة للسكن الفردي من نوع الفيلات، وبعض المناطق المخصصة للسكن الجماعي المخصص للفئات المتوسطة. وكمثال على شروط هذه الاستعمالات، ندرج الأشكال الآتية المأخوذة من تصميم التهيئة:

الشكل رقم 8: توجهات تصميم تهيئة مقاطعة أنفا الخاصة بالمنطقة : SECTEUR D3 / D

[221] Rapport justificatif des plans d'aménagement - PREFECTURE DE CASABLANCA – PLAN D'AMENAGEMENT DE L'ARRONDISSEMENT D'ANFA

[222] تصميم تهيئة مقاطعة أنفا.2014

ARRONDISSEMENT: ANFA
ZONE: D **SECTEUR:** D3s

ACTIVITES

ACIVITES AUTORISEES	HABITAT INDIVIDUEL SOUS FORMES DE VILLAS PEUVENT S'ADJOINDRE EN NOYAUX INDEPENDANTS: LOGEMENT- COMMERCE- BUREAUX- TERTIAIRES- EQUIPEMENT DE PROXIMITE- HOTELLERIE
ACTIVITES INTERDITES	INDUSTRIE 1ére, 2ème ET 3ème CATEGORIE - DEPOT ET ENTREPOTS- COMMERCE SUR PARCELLES RESERVES AUX VILLAS SAUF INDICATION SUR P.A- ETABLISSEMENT D'ENSEIGNEMENT ET CLINIQUES SAUF SUR LE LINEAIRE COMMERCE ET SERVICE L2 ACCES AUX TERRASSES- CAMPING- CARAVANING- CARRIERE

REGLES URBANISTIQUES

COS	NON SPECIFIE
CUS	35%
MINIMUM PARCELLAIRE	600 m AVEC FACADE DE 22 m² - 10 000 m² AVEC FACADE DE 60 m²EN VILLEGIATURE
HAUTEUR MAXIMALE	(R+1) 8,00 m
IMPLANTATION PAR RAPPORT AUX VOIES	4 m
IMPLANTATION PAR RAPPORT AUX LIMITES SEPARATIVES	L=>4m

Editee le 03/03/2020 a 13:49 . Echelle: 1/14000

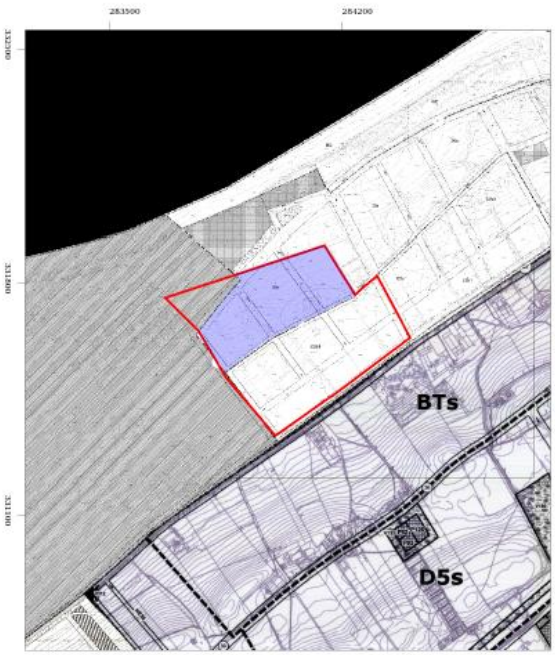

المصدر: تصميم تهيئة مقاطعة أنفا 2014

الشكل رقم 9: توجهات تصميم تهيئة مقاطعة أنفا الخاصة بالمنطقة : SECTEUR D1s1 / D

ARRONDISSEMENT: ANFA
ZONE: D **SECTEUR:** D1s1

ACTIVITES

ACIVITES AUTORISEES	HABITAT INDIVIDUEL SOUS FORMES DE VILLAS PEUVENT S'ADJOINDRE EN NOYAUX INDEPENDANTS: LOGEMENT- COMMERCE- BUREAUX- TERTIAIRES- EQUIPEMENT DE PROXIMITE- HOTELLERIE
ACTIVITES INTERDITES	INDUSTRIE 1ére, 2ème ET 3ème CATEGORIE - DEPOT ET ENTREPOTS- COMMERCE SUR PARCELLES RESERVES AUX VILLAS SAUF INDICATION SUR P.A- ETABLISSEMENT D'ENSEIGNEMENT ET CLINIQUES SAUF SUR LE LINEAIRE COMMERCE ET SERVICE L2 CAMPING- CARAVANING- CARRIERE

REGLES URBANISTIQUES

COS	
CUS	50% VILLAS EN BANDE - 40% JUMELEES ET ISOLEES
MINIMUM PARCELLAIRE	200 m² FACADE DE 10 m EN BANDE- 375 m² FACADE DE 15 m JUMELEES-500 m² FACADE DE 20 m ISOLEES
HAUTEUR MAXIMALE	NON SPECIFIE (R+1) 8,00 m
IMPLANTATION PAR RAPPORT AUX VOIES	4 m
IMPLANTATION PAR RAPPORT AUX LIMITES SEPARATIVES	L=>4m

فمثلا المجال داخل الإطار الأحمر (الشكل رقم 6)، يشير الجدول جانبه إلى أن الأنشطة المسموح بها في هذه المنطقة هي: سكن فردي من نوع الفيلات، ومجالات مخصصة للتجارة والمكاتب، ومجال لتجهيزات القرب والمستشفيات، في حين أن الأنشطة غير المسموح بها مثلا هي: الصناعة من الدرجة الأولى والثانية والمحاجر. تحاول

هذه التوجهات الحفاظ على مقاطعة أنفا كمنطقة للسكن الراقي الخاص بالفئات الغنية والمتوسطة، من خلال عدم إدراج أي مشاريع خاصة بالسكن الاقتصادي أو السكن المغربي العصري المتميز بطابقين أو ثلاثة طوابق.

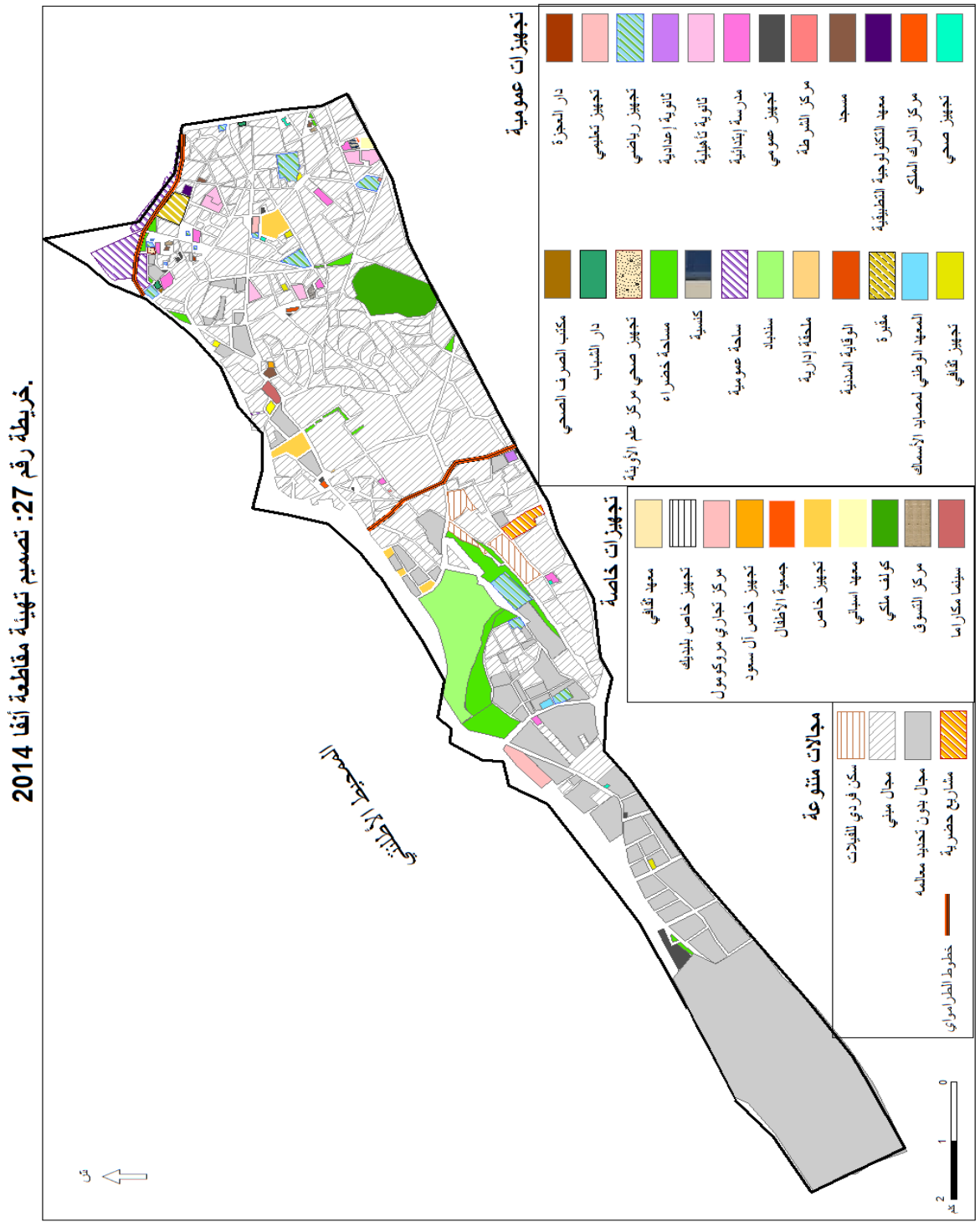
خريطة رقم 27: تصميم تهيئة مقاطعة أنفا 2014
المصدر : تصميم تهيئة مقاطعة أنفا 2014 بتصرف
تجهيزات عمومية
دار المحوزة
تجهيز تعليمي
تجهيز رياضي
ثانوية إعدادية
ثانوية تأهيلية
مدرسة إبتدائية
تجهيز عمومي
مركز الشرطة
مسجد
معهد التكنولوجية التطبيقية
مركز الدرك الملكي
تجهيز صحي
مكتب الصرف الصحي
دار الشباب
تجهيز صحي مركز طب الأوبئة
مساحة خضراء
كنسية
ساحة عمومية
سنديك
ملحقة إدارية
الوقاية المدنية
مقبرة
المعهد الوطني لمصايد الأسماك
تجهيز ثقافي
تجهيزات خاصة
معهد ثقافي
تجهيز خاص بلبديك
مركز تجاري ماروكومول
تجهيز خاص آل سعود
جمعية الأطفال
تجهيز خاص
معهد اسباني
كولف ملكي
مركز التسوق
سينما مكاراما
مجالات متنوعة
سكن فردي للفيلات
مجال مبني
مجال بدون تحديد معالمه
مشاريع حضرية
خطوط الطرامواي
شمال
كلم

دفعتنا توجهات وأهداف تصميم تهيئة المقاطعة لسنة 2014 إلى استدعاء تصميم المقاطعة السابق (تصميم 1989)، وذلك للوقوف على أوجه الاختلافات بين التصميمين، ومعرفة الإضافات التي قدمها التصميم الجديد للمقاطعة ونوعيتها، وهل فعلا قدم إضافات للمقاطعة؟

تشير المعطيات (الخريطة رقم 28) إلى كون حدود المقاطعة في السابق كانت لا تتعدى منطقة سيدي عبد الرحمان (مجال مروكومول حاليا)، وكان مجال امتداد سيدي عبد الرحمان تابعا للمجال الترابي للجماعة القروية دار بوعزة (سابقا). وقد أدمج تصميم التهيئة لسنة 2014 تلك المنطقة ضمن نفوذ مقاطعة أنفا، الشيء الذي يطرح عدة تساؤلات حول حيثيات إدماج هذا المجال ضمن مقاطعة أنفا، من قبيل: لماذا تم التركيز على الشريط الساحلي في الإدماج ولم يشمل الإدماج ما وراء شارع أنفا وطريق أزمور؟ لماذا ترك هذا الجزء تابعا لمقاطعة الحي الحسني؟

تبرز المقارنة أيضا أن المجال التعميري الخاص بالتصميم الجديد قد سار على نفس نهج التصميم القديم، ما عدى بعض الإضافات الخاصة بالتجهيزات العمومية والمساحات الخضراء والمرافق الترفيهية، أي أن التصميم الجديد يعتبر بمثابة مشروع تكميلي لما أقره واضع التصميم الأولي، لم تطرأ تغييرات على نوعية السكن أو التوجه التعميري، بل حافظت المقاطعة على خصوصيات الطبقات الاجتماعية وفق طبيعة الرساميل المتضمنة في المقاطعة، وهو ما يطرح تساؤلا حول التخطيط الموجه للفئات الميسورة والغنية، والتخطيط الموجه للفئات الهشة والفقيرة. فالمجال الاجتماعي غالبا ما يلعب دورا في مسار تحديد التخطيط العام للمدينة.

يسجل المتأمل في ما جاء به تصميم 1989 أن هذا التصميم يشمل مجموعة من التجهيزات العمومية الضرورية والمرافق والمساحات الخضراء ومجالات الترفيه (الرغبات المجالية للساكنة حاضرة)، كما يسجل أيضا غياب أي مساحات مخصصة للسكن الاجتماعي والاقتصادي أو السكن المغربي العصري أو مجالات إعادة الإسكان، إذ حافظ التصميم على سكن الفيلات الجماعي والفردي في معظم توجهاته. يحيل الثبات المسجل على استحضار الخصوصيات الاجتماعية لساكنة المنطقة قبل التخطيط لها، والسير على نفس نهج تصاميم الحقبة الاستعمارية التي ميزت مقاطعة أنفا عن باقي المقاطعات، من خلال تمتيعها ومنذ مخطط بروست بسكن الفيلات المخصصة للجالية الأوربية والأعيان المغاربة. لم يحاول تصميم 1989 إعادة هيكلة المقاطعة بتنويع السكن، ومحاربة مظاهر الاحتقان المجالي والاجتماعي بالمدينة، بل أكد على خصوصية المنطقة، وهو ما سار عليه تصميم 2014.

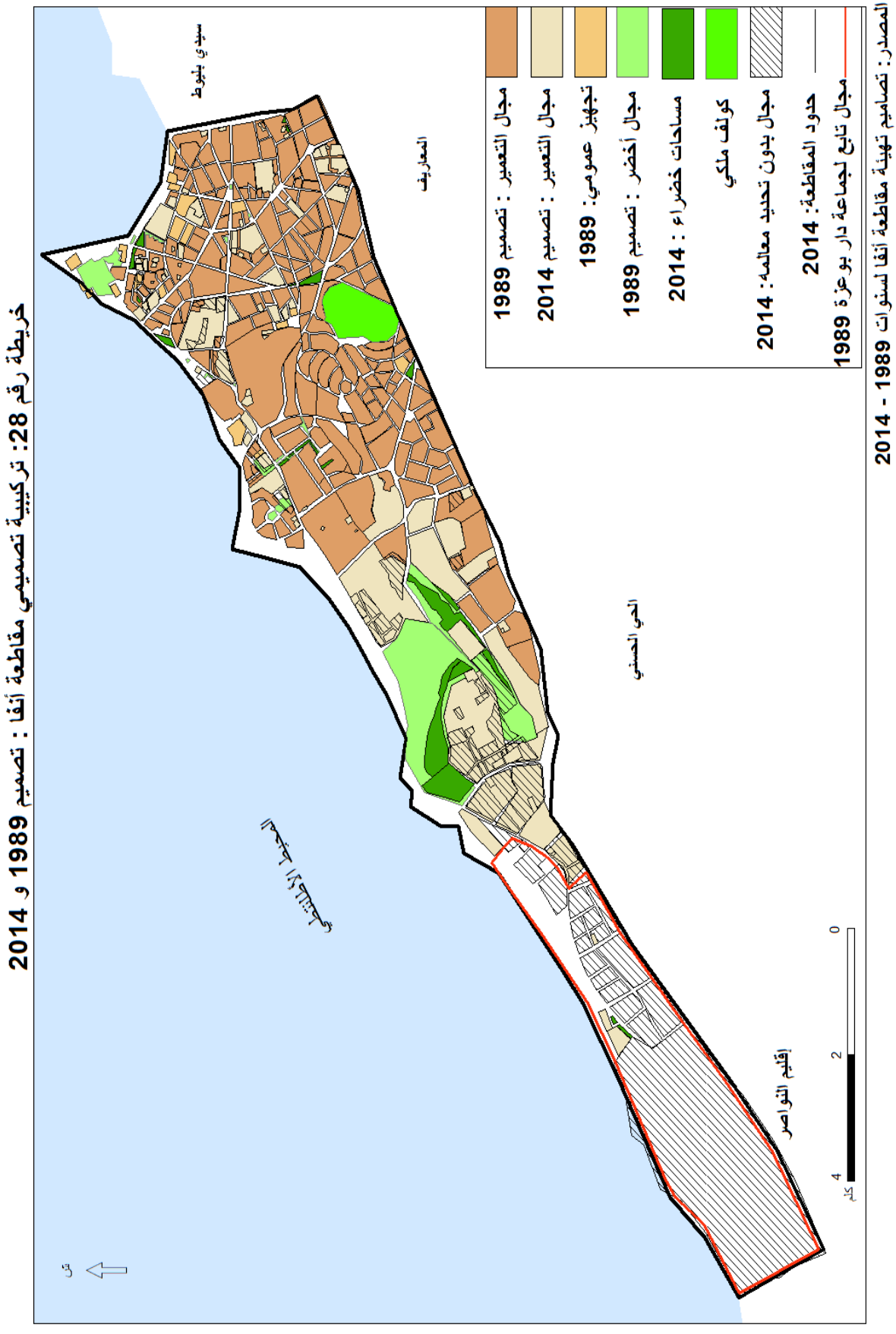
خريطة رقم 28: تركيبة تصميمي مقاطعة أنفا : تصميم 1989 و 2014
المصدر: تصاميم تهيئة مقاطعة أنفا لسنوات 1989 - 2014
مجال تابع لجماعة دار بوعزة 1989
حدود المقاطعة: 2014
مجال بدون تحديد معالمه: 2014
كولف ملكي
مساحات خضراء : 2014
مجال أخضر : تصميم 1989
تجهيز عمومي: 1989
مجال التعمير : تصميم 2014
مجال التعمير : تصميم 1989
سيدي بليوط
المعاريف
الحي الحسني
إقليم النواصر
0
2
4
كلم
ش

4: المجال المدرك واستعمال المجال بمقاطعة أنفا

صنف هنري لوفيبر المجال المدرك كبعد أولي في فهم إنتاج المجال، ويليه حسب اعتقاده المجال المصمم ثم المجال المعاش. وفي هذا الإطار، أشار إلى أن المجال اجتماعي بطبيعته، وأنه لا يمكن فصله عن الإنتاجات والتشكيلات الاجتماعية. فإنتاج المجال هو الإنتاج الاجتماعي للمجالات داخل الحياة الاجتماعية، ويمثل المجال المدرك "الأساس العملي" لتصور العالم الخارجي[223].

يعتبر مفهوم المجال المدرك مفهوما مشابها للمفاهيم الآتية: المجال المادي والمجال المجرد والأسطح المادية والبصرية. وهو أيضًا مرادف للمصطلح المجالي "الممارسة المجالية". حيث تحمل هذه الأخيرة في طياتها مجموعة من المحددات المكانية المميزة لموقع معين في المجتمع[224]. ويتطلب تعميق النظر في المفاهيم المشابهة للمجال المدرك والتي تحدث عنها لوفيبر(المجال المادي والمجرد) بحثا ميدانيا.

وللوقوف على هذا الأساس العملي لتصور مجال الإنتاجات الاجتماعية ومجال الحقيقة الحضرية بمقاطعة أنفا، وجب تحديد نوعية استعمال المجال، أي الإشارة إلى المورفلوجية العامة للمنطقة. كما أن تحديد مجال الممارسة المجالية، يتطلب مقياسا كبيرا. سنعتمد في الدراسة على الصور الجوية والتحريات الميدانية، لأجل تقريب الصورة والوقوف على إنجازات المخطط المديري وتصميم التهيئة الخاص بالمقاطعة.

لن يتأتى إدراك المجال الجغرافي لمقاطعة أنفا، أي المجال الذي تستعمله الساكنة في ممارساتها المجالية دون إلقاء نظرة عامة على مشاهد المقاطعة، والتي سنستخلصها من خلال مجموعة من النماذج المأخوذة من موقع الوكالة الحضرية والخاصة بالصور الفضائية. ولتوضيح مدى أهمية الصور في الدراسة، أدرجنا الأمثلة الآتية:

الشكل 10: صورة جوية لجزء من حي بوركون وحي راسين

المصدر : برنامج ساس بلانيت 2019

[223] LEFEBVRE, Henri. (1974). La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000, p : 232

[224] المرجع السابق، ص 233,

الشكل رقم 11 جزء من حي بوركون

المصدر : برنامج ساس بلانيت 2019

الشكل 12: صورة جوية لجزء من حي الفيلات

المصدر : برنامج ساس بلانيت 2019

الشكل 13: سكن صفيحي وسط الفيلات

المصدر : برنامج ساس بلانيت 2019

تتكون مقاطعة أنفا (الخريطة رقم 29) من سبعة قطاعات secteurs أو أحياء كبرى: "قطاع العنق" في أقصى الشمال الشرقي: يتكون في قسمه الشرقي من سكن العمارات، وفي قسمه الغربي من سكن الفيلات، ويتواجد في أقصى شماله السكن الصفيحي. يتواجد في جنوب منطقة العنق "قطاع بوركون" يتكون في معظمه من سكن العمارات ومن السكن المغربي العصري. وفي غرب هذا القطاع، نجد "قطاع الراسين 1و2": يتكون القطاع في جزئه الشرقي من سكن العمارات ذات الخمسة طوابق فأكثر، ومن الناحية الغربية، يتركز سكن الفيلات والمقسم إلى فيلات بمسابح، وفيلات بدون مسابح. نسجل أيضا تواجد السكن الصفيحي في هذا القطاع، والذي يتمركز بالضبط في منطقة الراسين 2، وهو ما يجعل القطاع يعيش في كنف التناقضات المجالية.

يعد قطاع أنفا من أكبر القطاعات المتواجدة بمقاطعة أنفا، ويتكون في مجمله من سكن الفيلات ذات المسابح، وهو خال من سكن العمارات أو السكن المغربي العصري. ويضم هذا القطاع أكبر مجمع للكولف بالدار البيضاء. يحاذي هذا القطاع من الناحية الجنوبية قطاع عين الذئاب: يتكون في معظمه من سكن الفيلات. تتخلله

بعض المساكن العشوائية والصفيحية، خصوصا في المنطقة المحاذية للساحل. يتواجد في الجنوب قطاع سيدي عبد الرحمان، والذي يتضمن حدائق سندباد. يتكون من سكن الفيلات ومن السكن الجماعي الخاص بالفيلات. كما يضم أيضا سكن جماعي عالي الجودة. بالإضافة إلى تواجد السكن العشوائي. وفي جنوب المقاطعة، نجد قطاع امتداد سيدي عبد الرحمان: يضم مجموعة من المساحات الفارغة، تتخللها مساكن متفرقة من نوع الفيلات ومن نوع السكن المغربي العصري والسكن العشوائي.

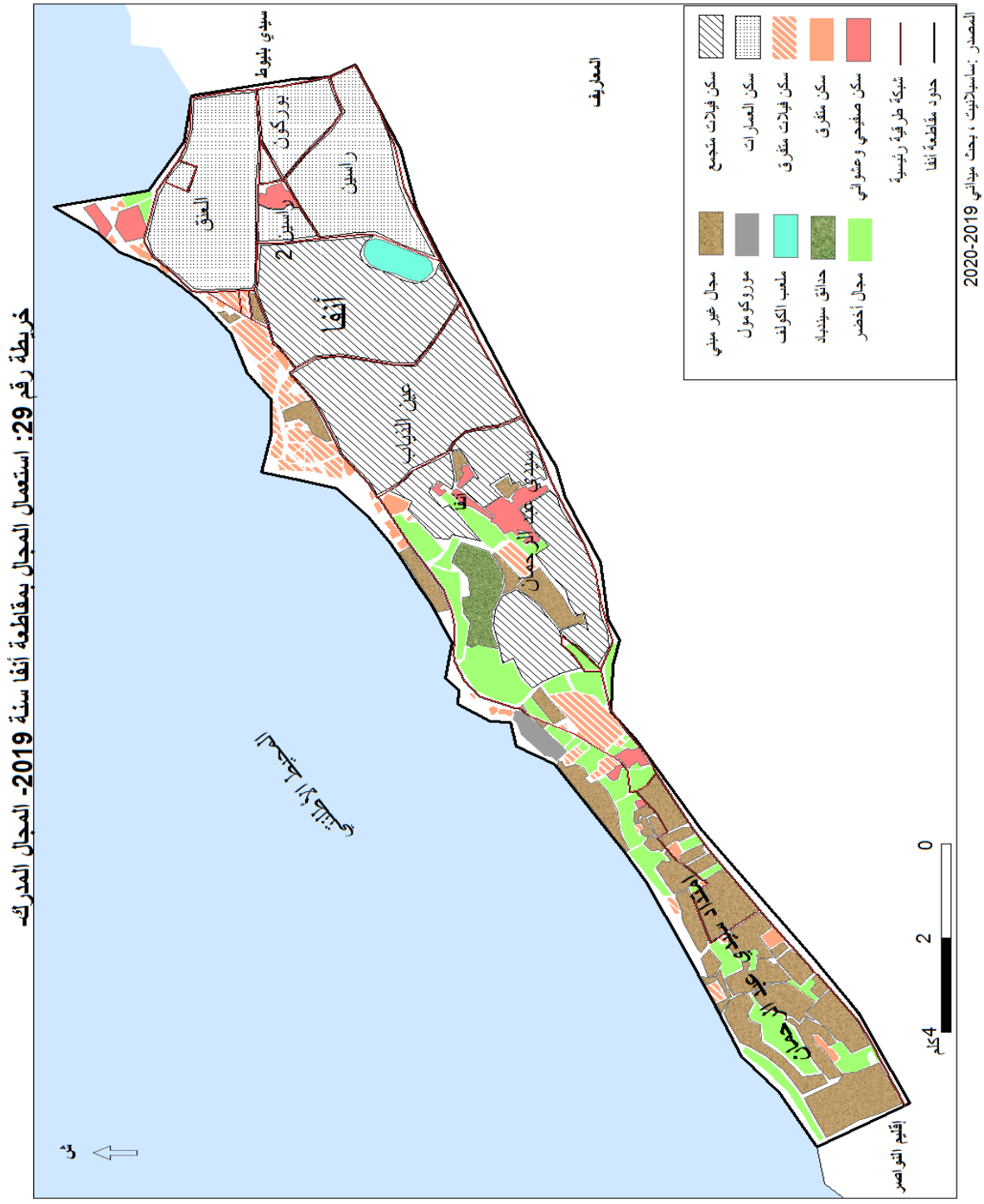

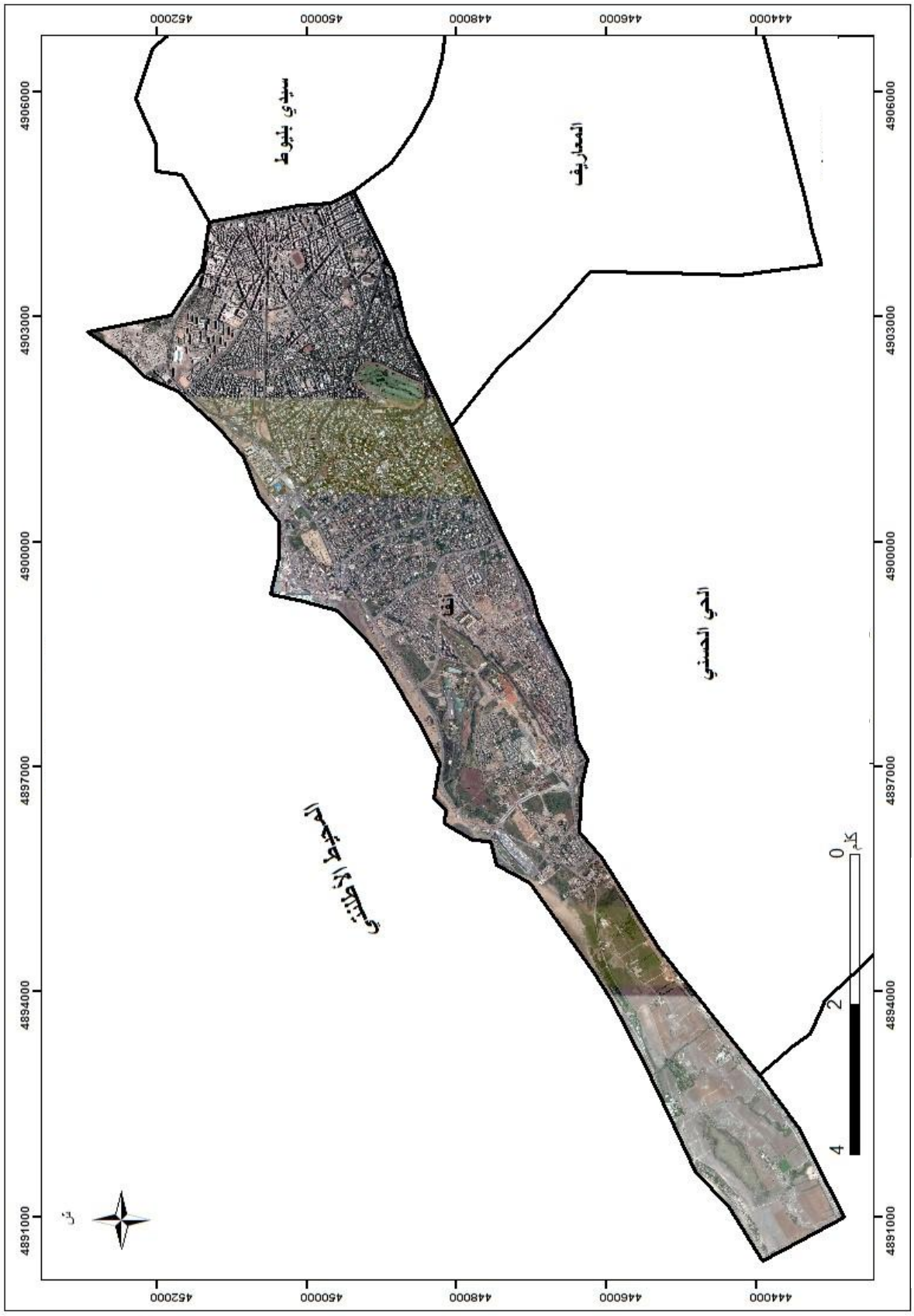

الشكل رقم 14: صورة جوية لمقاطعة أنفا سنة 2019.

المصدر: برنامج ساس بلانيت 2019

بعد الاطلاع على المورفلوجية العامة للمقاطعة، تأتي مرحلة تشخيص الوضعية من حيث الإنجازات التي تم التخطيط لها في تصميم التهيئة. وذلك لأجل معرفة الفارق بين المجال المخطط والمجال المدرك، ليس بداعي التقييم والحكم على الفاعل الرسمي (واضع التصاميم "الوكالة الحضرية") في إنتاج المجال من الناحية السياسية، وإنما بهدف استثمار تلك النتائج في معرفة مدى استحضار حاجيات الساكنة في تدبير إنتاج المجال من المنظور السياسي. فمن شأن مقارنة حاجيات ورغبات الساكنة (المجال المعاش) مع ما يخطط له ومع ما يدرك، أن تعطي فكرة عن مدى استحضار البعد الإنسي والمقاربة الإنسية المجالية الهادفة إلى تمجيد الإنسان في السياسات العمومية.

جدول رقم 15: نسبة الإنجاز الخاصة بتصميم تهيئة مقاطعة أنفا.

المخطط له	ما هو موجود في الواقع
أكبر ساحة عمومية في الشمال الغربي للمقاطعة	سكن صفيحي وعشوائي
المساحات الخضراء	الحفاظ على نفس المساحات القديمة مع تهيئة منطقة سيندباد وتهيئة ساحل العنق
مشروع حضري كبير في منطقة تواجد السكن الصفيحي بقطاع سيدي عبد الرحمان	سكن صفيحي وعشوائي
التجهيزات التعليمية (مدارس ومعاهد)	الحفاظ على نفس التجهيزات السابقة
التجهيزات العمومية	حوالي سبع تجهيزات من المجموع لم تنجز بعد

المصدر: البحث الميداني 2019-2020.

يتضح (الجدول رقم 15) أن ما تم التخطيط له ما يزال في معظمه في طور الانجاز، بل هناك بعض المشاريع التي لم يوضع لها بعد حجر الأساس، ولا أدل على ذلك ما تم استخلاصه من الميدان ومن الصور الجوية، إذ تشير المعطيات الميدانية أن المقاطعة لم تعرف إنجاز أي تجهيز صحي أو تعليمي خلال الفترة ما بين 2014 و2020. تم إنجاز بعض ملاعب القرب بالمقاطعة، خصوصا في قطاع العنق والراسين والراسين 2 وقطاع بوركون. وعرف المجال الأخضر إعادة تهيئة الشريط الساحلي الممتد من قطاع عين الذئاب إلى قطاع سيدي عبد الرحمان.

الملاحظ في ما يخص تصميم تهيئة مقاطعة أنفا أنه لم يضع في توجهاته إنجازات أو تجهيزات عمومية كثيرة مرتبطة بالحاجيات الضرورية الخاصة بالطبقات الشعبية على حد تعبير بيير بورديو، بل ركز على الجانب التكميلي الهادف إلى تحسين ظروف العيش، وإذا قارننا هذه التوجهات مع باقي توجهات تصاميم التهيئة بالدار البيضاء، أو مقارنة مع تصميم التهيئة لمقاطعة مولاي رشيد فإننا نلاحظ تركيز باقي التصاميم على الشق الاجتماعي الضروري، وهو اعتراف آخر من قبل واضع التخطيط بالتمييز بين مقاطعة أنفا وباقي مقاطعات المدينة التي تسعى إلى تحقيق الاكتفاء

الذاتي على مستوى التجهيزات الاجتماعية العمومية (الصحة والتعليم والسكن). معظم توجهات تصميم مقاطعة أنفا لها بعد سياحي أو بيئي أو ترفيهي. وهو ما أكده التقرير التبريري في معظم مضامينه، إذ أن التصميم جاء للحفاظ على التراث الطبيعي والساحلي للمقاطعة[225] باعتبارها أهم مقاطعة يمكن أن تلعب دور الاستقطاب الحضري للاستثمارات الأجنبية، وهو ما نلاحظه من خلال مشروع مارينا ومشروع أنفا بلاص.

تمت تهيئة كورنيش عين الذئاب لاستقطاب ممارسي الرياضة، وهو ما جاء في التقرير التبريري، إذ تعتبر منطقة عين الذئاب مكانًا ترفيهيًا متميزًا ، نظرًا لوجود النوادي والفنادق والمطاعم ومراكز التسوق. تحظى هذه المنطقة بشعبية كبيرة خاصة في عطل نهاية الأسبوع من قبل البيضاويين، ستعزز هذه المهمة الساحلية جاذبية المقاطعة من حيث السياحة[226].

تتميز مدينة الدار البيضاء بطول الشريط الساحلي، وتركيز الاهتمام بالساحل الخاص بمقاطعة أنفا على حساب باقي المجالات الساحلية (عين السبع وسيدي البرنوصي) سيعزز من مظاهر التفاوتات المجالية بين المقاطعات، إذ كان من الأجدر توزيع المركبات الترفيهية والرياضية والسياحية بشكل عادل بين المقاطعات، لمحاربة الاحتقان الاجتماعي من جهة، ومحاربة التمييز السوسيومجالي والاكتظاظ الذي تعرفه مقاطعة أنفا في وقت الذروة من جهة ثانية، ولنا في مدن دول الشمال خير دليل على ذلك، التي عززت من الإحساس بالمواطنة والاندماج فقط من خلال استثمار المجال من منظور العدالة المجالية.

أشارت المعطيات الديمغرافية والاجتماعية إلى كون مقاطعة أنفا تتميز بمؤشرات اجتماعية وديمغرافية ايجابية، من خلال تدني مؤشرات الهشاشة وارتفاع مستويات التمدرس والأنشطة الاقتصادية. وقد انعكست هذه الوضعية على التخطيط الاستراتيجي المخصص لهذه المقاطعة، وهو ما يظهر من خلال توجهه نحو مشاريع سياحية وترفيهية واستثمارية، حيث أن التوجه العام لتصميم التهيئة منصب نحو جعل مقاطعة أنفا مقاطعة سياحية، رغم توفر باقي مقاطعات الساحل على نفس المؤهلات الطبيعية التي تتميز بها منطقة أنفا. لذا لم يهتم تصميم التهيئة بالخدمات الاجتماعية (الصحة والتعليم ومراكز محو الأمية) باعتبار المنطقة لها من المؤسسات ما يكفي لسد هذه الحاجيات، كما أنها تتميز بضعف هذه المؤشرات، وبضعف النمو الديمغرافي، وهذا ما أشارت معطيات المندوبية السامية للتخطيط حسب إحصاء 2014.

ورغم أهمية الرأسمال المتواجد بالمنطقة، فقد دفعتنا المقارنة بين ما خطط له مع ما أنجز إلى تسجيل فارق بسيط بين المجال المخطط والمجال كما هو مدرك، إذ أن التوجهات السياحية والترفيهية المدرجة في تصميم التهيئة والمخطط المديري لم تفعل في معظمها رغم مرور سبع سنوات على إصدار تصميم التهيئة، إلا أن الملاحظ هو سير المقاطعة في هذا الاتجاه من خلال تهيئة ساحل المقاطعة، وإدراج تجهيزات تجارية خاصة كبرى (موروكومول ومارينا وأنفا بلاص). وهو ما يؤكد الحفاظ على مكانة مقاطعة أنفا كوجهة سياحية من جهة، والحفاظ على توجهات تصاميم عهد الاستعمار الراغبة في جعل مقاطعة أنفا مخصصة للفئات الغنية والميسورة من جهة ثانية.

[225] Rapport justificatif des plans d'aménagement - PREFECTURE DE CASABLANCA – PLAN D'AMENAGEMENT DE L'ARRONDISSEMENT D'ANFA

[226] Rapport justificatif des plans d'aménagement - PREFECTURE DE CASABLANCA – PLAN D'AMENAGEMENT DE L'ARRONDISSEMENT D'ANFA

5: علاقة المجال المعاش الممثل بالمتغيرات الاجتماعية بمقاطعة أنفا

يعتبر تحليل الشكل الحالي (الممثل) وتأثيره على الساكن من أساسيات وضع تصميم المدينة، بدلاً من إثبات الحقائق بطريقة نهائية وحاسمة، ولن يتأتى تطوير مثل هذه الأفكار والأساليب دون تطوير بعض التقنيات الخاصة بالاستطلاع الميداني ومقابلة الساكنة[227]. فعدم إشراك الساكنة في التدبير المجالي لابد أن تكون له تداعيات مجالية جانبية، فرفض الساكن لتلك الحقائق المثبتة في الوثائق الرسمية سيعبر عنه بتمرده على ذلك المجال بإضافة سكن أو بناية أو إزالة أخرى. فمن يتحمل المسؤولية إزاء التشكيل الحضري؟ أي النسيج الحضري للمقاطعة بما فيه الشكل والوظيفة والتي يمكن أن تعبر عن القبول والتعايش مع الأمر الواقع، أو التنافر ورفض المجال.

أشار بولي Jean-Pierre PAULET أنه تم إجراء عدد قليل جدًا من الدراسات الاستقصائية لمعرفة رأي الناس في بيئتهم[228] . فأحيانا يمكن التعبير عن هذا الرأي عمليا وليس بالقول فقط. وغالبا ما يتخذ التعبير توطينا مكانيا، وهو ما سنحاول البحث عنه، من خلال تتبع أهم المناطق التي شهدت تعديلا وتمردا مجاليا. فإذا كانت الوظيفة الأساسية للجغرافيا هي مساءلة المجال واستنطاقه، بغية فهم الممارسات والسلوكات المجتمعية بمختلف أبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية والبيئية، فلا يمكن فهم هذه الأبعاد دون ربطها بالمجال. وفي هذا الصدد، يجزم بافو bavoux باستحالة دراسة المجتمعات دون الأخذ بعين الاعتبار البعد المجالي والتموقع المكاني[229]. سنحاول خلال هذا المحور التركيز على التموقعات المكانية للتمردات المجالية (الخريطة رقم 30)، على أساس أن نقوم بتفسير وتحليل هذه التمردات اعتمادا على بعض المؤشرات الكمية.

[227] LYNCH, Kevin. (1960) The Image of The City, Massachusetts Institute of Technology Cambridge, Massachusetts, and London, England p 14
[228] PAULET, Jean-Pierre (2009) Manuel de géographie urbaine, Armand colin 3e édition, p 206
[229] BAVOUX, Jean Jacques (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, paris, p 93

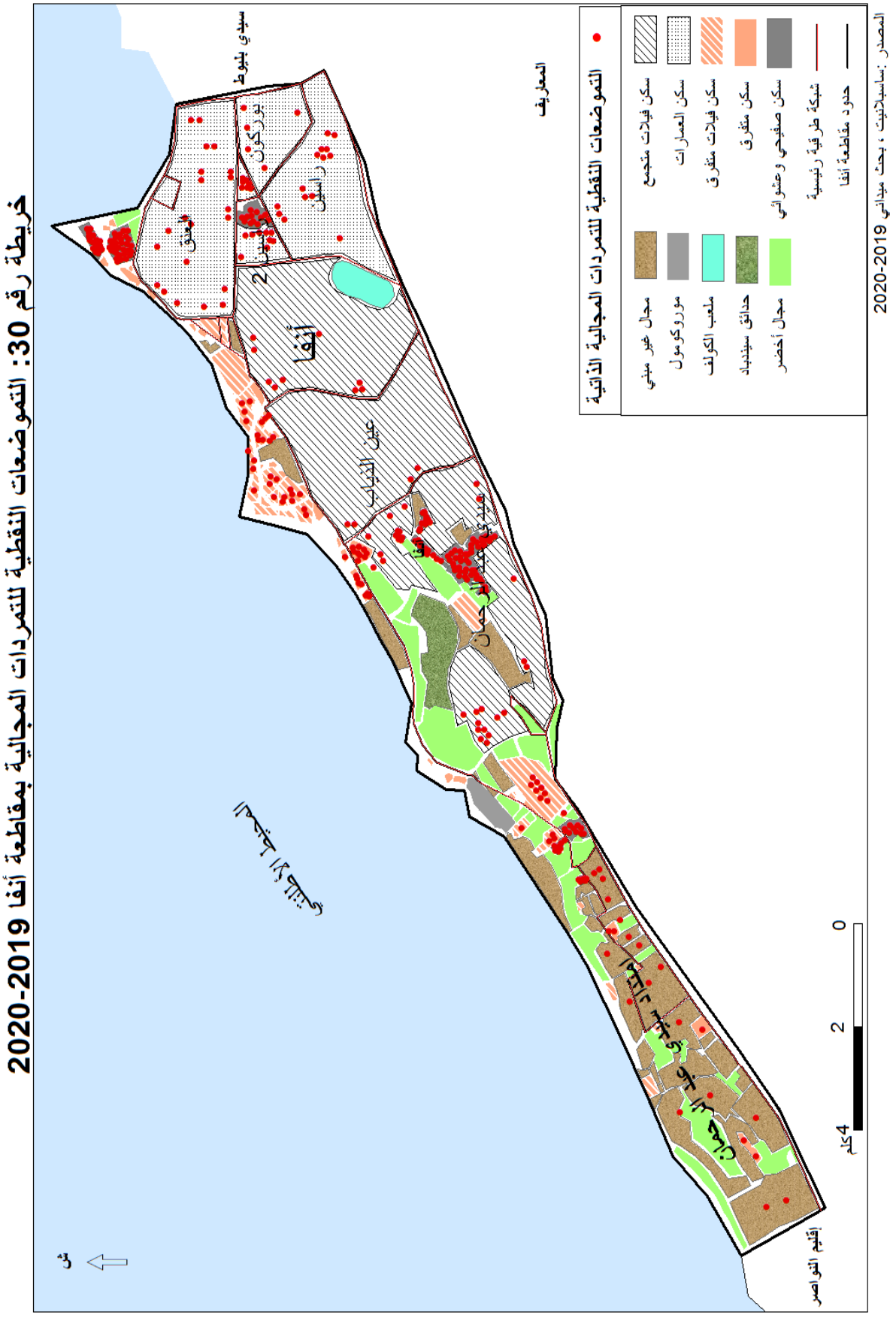
خريطة رقم 30: التموضعات النقطية للتمردات المجالية بمقاطعة أنفا 2020-2019
التموضعات النقطية للتمردات المجالية الذاتية
سكن فيلات متجمع
سكن العمارات
سكن فيلات متفرق
سكن متفرق
سكن صفيحي وعشوائي
شبكة طرقية رئيسية
حدود مقاطعة أنفا
مجال غير مبني
موروكومول
ملعب الكولف
حدائق سندباد
مجال أخضر
المصدر :ساسبلانيت ، بحث ميداني 2020-2019
المعاريف
سيدي بليوط
بوركون
الدشيرة 2
الدشيرة 1
أنفا
عين الذياب
سيدي عبد الرحمان
الحي الحسني
مقديم التواصل
0
2
4كلم

صور أشكال التعديلات المجالية بمقاطعة أنفا.

الصورة رقم 12: إعادة إنتاج مجال مخصص لركن السيارة

عدسة الباحث: 2019-08_2

الصورة رقم 13: إعادة إنتاج محل للتجارة.

عدسة الباحث: 2019-8-2

الصورة رقم 14: إعادة إنتاج مجال أخضر.

عدسة الباحث: 2019-8-6

الصورة رقم 15: إعادة إنتاج مجال للسكن

عدسة الباحث: 2019-8-6

الصورة رقم 16: إعادة إنتاج مجال للسكن

الصورة رقم 17: إعادة إنتاج مجال أخضر.

عدسة الباحث: 6_8-2019

الصورة رقم 18: إعادة إنتاج مجالات للتجارة.

عدسة الباحث: 6-8-2019

الصورة رقم 19: إعادة إنتاج مجال للسكن.

عدسة الباحث: 6_8-2019

على مستوى القطاعات الكبرى لأنفا، تتميز مناطق سيدي عبد الرحمان وامتداد سيدي عبد الرحمان وقطاع العنق بأهمية المجالات المعدلة ذاتيا مقارنة مع باقي القطاعات، تليها منطقة راسين 2 ومنطقة بوركون والراسين1 والتي تتميز في معظمها بسيادة سكن العمارات.

يتميز قطاع أنفا وعين الذئاب بقلة مجالات التمردات الذاتية، فلم نسجل طيلة فترة التحريات الميدانية تعديلات مجالية مهمة، ماعدا بعض الاستثناءات الخاصة ببعض الفيلات المهترئة والقديمة. بالإضافة إلى تسجيل بعض الحالات الخاصة بالمساحات الخضراء، وأخرى خاصة بإضافة مسابح داخل الفيلات، أو إضافة مناطق لركن السيارات. يتركز على المجال الساحلي سكن الفيلات المتفرق، وهي الفيلات الأكثر تعديلا من قبل ساكنيها، عكس سكن الفيلات المتجمع.

يتميز المجال الممتد من قطاع سيدي عبد الرحمان في اتجاه امتداد سيدي عبد الرحمان بتواجد بعض المجالات المعرضة للتعديلات الذاتية، وهي مجالات مخصصة لسكن الفيلات المتفرق، وتتواجد بالمجالات المفتوحة. على الرغم من كونها عبارة عن سكن الفيلات إلا أنها فيلات مبنية بطرق عشوائية. لذا دفعتنا المقارنة بين ما جاء به تصميم التهيئة وبين معايير تشييد هذه الفيلات إلى التأكيد على عدم احترام تلك المعايير.

وتعرف القطاعات الأكثر تعديلا وتمردا على المجال (قطاع العنق والراسين وبوركون) بتواجد سكن العمارات والسكن المغربي العصري، كما تتميز بقدم التعمير، إذ يعود تاريخ تشييدها إلى عشرينات وثلاثينات القرن الماضي[230]، أي أن تشييدها كان في عهد الاستعمار. في حين أن المناطق المعروفة بقلة التمردات المجالية تتميز بسكن الفيلات (عين الذئاب وأنفا)، منها ما شيد في عهد الاستعمار، ومنها ما يندرج ضمن التعمير الحديث النشأة. أيضا تشهد منطقة سيدي عبد الرحمان تعديلات مجالية قليلة، مع العلم أن تشييدها يعود إلى سنوات الثمانينات. نشير في الأخير إلى السكن الصفيحي باعتباره حالة خاصة تجسد التمرد الحقيقي على المجال، وسنحاول خلال تحرياتنا الميدانية الوقوف على مجريات تلك التمردات.

أفادت التحريات الميدانية في استنتاج متمثل في كون التمردات المجالية أو مجالات إعادة الإنتاج تهدف في معظمها إلى تلبية بعض الاحتياجات الترفيهية، أو تشييد مجالات خضراء. ولا تحدث من أجل تشييد أماكن للعمل أو السكن إلا نادرا خصوصا في مجال السكن الصفيحي. عكس ما خلصت إليه الدراسة على مستوى مقاطعة مولاي رشيد التي تخصص فيها مجالات إعادة الإنتاج لأغراض ضرورية كالسكن والشغل. وهو ما يجعلنا نطرح تساؤلات حول الخصوصيات الثقافية والسلوكية لساكن أنفا مقارنة مع ساكن مولاي رشيد.

تتطلب المسألة معرفة ميكانيزمات التمثلات المجالية، فالمشهد مدرك في عموميته، ويتم تفسيره عن طريق مصفاة حقيقة un véritable filtre تمر عبر مجموعة من الإنتقاءات منها ما هو نفسي واجتماعي وثقافي. فالفرد متجدر enraciné في وسطه ضمن هذه الانتقاءات، يقوم بتشويه ما يراه في المشهد، ويعود لبناء صورة في مخياله[231]. والعامل الأساسي في ذلك هو تلك الإنتقاءات التي وجب تفكيكها واستخلاص دورها في التمرد على المجال.

[230] وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، جهة الدار البيضاء الكبرى، المفتشية الجهوية للإسكان والتعمير والتنمية المجالية لجهة الدار البيضاء الكبرى، 2010، ص 38.

[231] PAULET Jean-Pierre (Manuel de géographie urbaine, Armand colin 3e édition,2009 p 20)

حاولت الدراسة استثمار هذه الإنتقاءات المحددة لتحليل ميكانزمات وآليات مجال إعادة الإنتاج في مقاطعة أنفا، من خلال الاستعانة بعينة دراسية، همت 196 [232] مبحوثا. وقد شملت التحريات الميدانية جميع قطاعات مقاطعة أنفا، وتضمنت في معظم مجرياتها مقابلات فردية هادفة إلى استنباط بعض الحقائق المجالية.

1-5: ارتباط مستوى التمدرس والأمية بالمجال المعاش الممثل بمقاطعة أنفا

دفعنا وصف مجال إعادة الإنتاج بمنطقة أنفا إلى استحضار السؤال الذي طرحه دلتهي سنة 1833: هل الجغرافيا علم يفسر أم أنها علم يفهم ؟ فقد أظهر دلتهي بوضوح الفرق بين الشرح والفهم الذي يتأسس على فهم سبب الوجود[233]. ففهم سبب وجود مجالات التمردات المجالية يتطلب فهما لمعنى الأشياء، وإعطاء معنى وقيمة للأشياء بهدف اختراقها وفك شفراتها. تتطلب عملية الاختراق وفك شفرات المجال المعاش الممثل تحديد الخصائص التي تتميز بها الساكنة المتمردة على مجالها، من مؤشرات ديمغرافية واقتصادية واجتماعية. من بينها، دور مستوى التمدرس والأمية الذي اعتبر خلال دراسة مقاطعة مولاي رشيد محددا مساهما في إعادة إنتاج المجال. فهل ستتأكد الفرضية بعد دراسة مقاطعة أنفا، والوصول إلى مرحلة القانون[234] كخطوة ثانية وتخطيها إلى مرحلة النظرية كمرحلة أخيرة؟

تندرج مقاطعة أنفا عموما ضمن المقاطعات الأقل انتشارا لنسبة الأمية، إذ لا تتجاوز 14.6%. شأنها شأن مقاطعة المعاريف(11%)، الصخور السوداء(11%). يفسر هذا الانخفاض بارتفاع مستوى التمدرس، الذي وصلت نسبته إلى حوالي 21,1% بالنسبة للتعليم الجامعي، و17,8% بالنسبة للتعليم الثانوي التأهيلي و15,9% بالنسبة للتعليم الثانوي الإعدادي، أي أن أكثر من نصف ساكنة مقاطعة أنفا لها تكوين يفوق التعليم الإعدادي. فإذا كان تقدير l'estimation المشهد يتأثر بالأحكام المرتبطة بالحضارات والثقافات والحساسيات الشخصية[235]، فإلى أي حد تأثر المشهد الحضري لمقاطعة أنفا بهذه الثقافات والحساسيات الشخصية وبالخصائص السوسيومهنية والتعليمية؟

جدول رقم 16: مستوى التمدرس والأمية عند الفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا

مستوى التمدرس	العدد	النسبة المئوية
غير متمدرس/ابتدائي	115	%58
الثانوي بسلكيه	60	%31
جامعي	21	%11
	المجموع: 196	%100
نسبة الأمية	75	%38

[232] منهجية ارمون فريمون والمقياس الذي اعتمد عليه خلال دراسة المجال المعاش في كان ونورماندي

[233] BAVOUX, Jean Jacques (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, paris,p , 99

[234] مفهوم القانون: القانون هو صيغة عامة تنص على علاقة ثابتة أو معتادة بين الظواهر. في الجغرافيا البشرية ، تُعتبر القوانين بالأحرى مراجع ضرورية للتفسيرات ، بمعنى أن الشيء الذي تمت دراسته يتوافق معه أو ينحرف عنه. في هذا السياق ، غالبًا ما يُعتبر مصطلح القانون قويًا جدًا ويتم استبداله بمصطلح القاعدة ، أو حتى بقاعدة الانتظام. في الواقع ، العلاقات التي تمت ملاحظتها في الجغرافيا البشرية ليس لها دقة القوانين الفيزيائية. مع ذلك ، تعبر القوانين عن وجود قرارات ، حتى لو لم تكن معروفة أو تقاس بدقة، يستخدم مصطلح القانون أيضًا للإشارة إلى قواعد السلوك التي لا تتغير دائمًا في الزمان والمكان ، **Serge LHOMME Introduction à l'analyse spatiale**.

[235] PAULET Jean-Pierre (10 p 2) Manuel de géographie urbaine, Armand colin 3e édition,2009

المصدر: الميدان: 2019-2020

يتبين (الجدول رقم 16) أن أغلب الفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا أو المتمردين والمعدلين لمجالهم المعاش غير متمدرسين أو لم يتجاوزوا مستوى الابتدائي، إذ وصلت نسبتهم 58 %. جاءت فئة التعليم الثانوي بسلكيه في الرتبة الثانية بنسبة 31 %. ومن هنا يتضح دور المستوى التعليمي في كبح التمرد على المجال.سجلت أدنى فئة معدلة ومتمردة على المجال في صفوف أصحاب التعليم الجامعي 11%. كما أن من أصل 196 فاعلا في إعادة إنتاج المجال سجلنا حوالي 75 فردا لا يعرفون القراءة والكتابة.

يظهر من خلال استقراء هذه الأرقام أن المستوى التعليمي ونسبة الأمية يعتبران من بين المتغيرات الأساسية في إعادة إنتاج المجال. وهو الشيء نفسه الذي سجلناه خلال دراسة إعادة إنتاج المجال في مقاطعة مولاي رشيد. الشيء الذي يجعل هذه المحددات ترتقي إلى مرحلة القانون، أي كلما انتشرت نسبة الأمية وكثرت نسبة غير المتمدرسين، كلما شهد المجال تعديلا وتمردا وإعادة إنتاج. وهو نفس التوجه الذي استنتجه ارمون فريمون خلال دراسته للمجالات الهامشية في الحوض النورماندي.

2-5: الأصل الجغرافي وإعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا

خلال سنوات السبعينات، قدم أكثر من 60% من ساكنة الدار البيضاء من المناطق القروية[236]، والنسبة المتبقية موزعة بين مدن أخرى حضرية، ونسبة مزدادة بالمدينة. وقد اعتمدنا في تحديد الأصل الجغرافي التقسيم الذي اعتمده إسكاليي Robert Escalier ، أي منطقة ريفية ومنطقة حضرية وداخل المدينة. وفي هذا الإطار، خلصت تحرياتنا الميدانية إلى النتائج الآتية:

جدول رقم 17 : الأصول الجغرافية للفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا .

الأصل الجغرافي	العدد	النسبة المئوية
داخل مدينة الدار البيضاء	63	%32
منطقة ريفية خارج المدينة	74	%37
منطقة حضرية خارج المدينة	59	%31
المجموع:	196	100%

المصدر: بحث ميداني : 2019-2020

يعود الأصل الجغرافي لمعظم الفاعلين في إعادة إنتاج المجال أو المتمردين على المجال (الجدول رقم 17) بمقاطعة أنفا إلى مناطق ريفية خارج المدينة، والموزعة بين سهول الشاوية العليا والسفلى، وأرياف الهضاب الداخلية والسهول الغربية. حلت نسبة القادمين من مناطق داخل مدينة الدار البيضاء في المرتبة الثانية بنسبة 32%، يتركز معظمهم في منطقة العنق وبوركون المتميزة بسكن العمارات. قدمت هذه الفئة إلى مقاطعة أنفا لتحسين نمط ومستواها الاجتماعي، والرقي إلى مصاف الفئات المهيمنة (كما سنرى في المقاربة الكيفية للدراسة). سجلت أدنى نسبة

[236] ESCALIER, Robert (1980) Espace urbain et flux migratoire : le cas de la métropole économique marocaine, Casablanca. In: Méditerranée, troisième série, tome 38, 1-1980. pp. 3-14 ,p10

في صفوف القادمين من مناطق حضرية خارج المدينة، وهي فئة من الميسورين استفادت من بعض الظروف الخاصة للاستقرار في مقاطعة أنفا.

تعود أسباب ارتفاع نسبة التمرد على المجال عند ذوي الأصل الجغرافي الذي يعود إلى المناطق الريفية بكون هذه الأخيرة وكما أشرنا سابقا تتميز بالسكن الواسع. أيضا تتميز ساكنة أنفا المتمردة على المجال (الساكنة القاطنة في سكن العمارات والسكن المغربي العصري في قطاع العنق وقطاع بوركون) بالفئات الشعبية المتميزة بحمولته الثقافية والاجتماعية المرتبطة ببعض العادات والتقاليد الذي تجعل المجال المحاد للسكن يندرج ضمن الملك الخاص، كما تتميز هذه المناطق وكما أوضحت الصور بالأزقة والشوارع الواسعة، مما يسمح لهم حسب اعتقادهم بإمكانية إضافة مجالات دون التأثير على المشهد الحضري للمقاطعة، إذ تبين أن ساكنة بعض الأزقة جعلت من إضافة مجالات بمثابة قانون وقاعدة معيارية تقوم بها جل ساكنة المنطقة.

3-5: المجال المعاش الممثل وعلاقته بالسن والبنية السوسيومهنية بمقاطعة أنفا

إذا كان المجتمع يتأسس عن طريق إنتاج مجاله الخاص[237]، فهذا الإنتاج تتحكم فيه مجموعة من الخصائص الديمغرافية والسوسيومهنية، فليست الغاية من دراستها الوقوف على الخصائص البشرية، وإنما يتعلق الأمر بمحاولة معرفة انعكاس هذه الخصائص على المجال المعاش الممثل أو الذي أعيد إنتاجه، وتحديد دور تلك المتغيرات في تشكيل معالم المشهد الحضري للمقاطعة.

جدول رقم 18 : تباين المجال المعاش الممثل حسب السن بمقاطعة أنفا

السن	العدد	النسبة المئوية
أقل من 15 سنة	5	%2
ما بين 15-59	158	%80
أكثر من 60	33	%18
	المجموع: 196	% 100

المصدر: بحث ميداني: 2019-2020

يشير تباين المجال المعاش الممثل حسب السن (الجدول رقم 18) إلى أن أكثر الفاعلين في عملية إعادة إنتاج المجال يندرجون ضمن الفئة العمرية ما بين 15-59 سنة، وذلك بنسبة 80 %. وجاءت الفئة العمرية أكثر من 60 سنة في الرتبة الثانية، وسجلت أدنى نسبة في صفوف الفئة العمرية أقل من 15 سنة. وتتكون معظم المجالات التي أعيد إنتاجها من قبل الفئة العمرية 15-59 سنة من مجالات للسكن، إذ تتم إضافة مساحات إضافية مخصصة للسكن، خصوصا في منطقة سيدي عبد الرحمان ومنطقة امتداد سيدي عبد الرحمان التي تضم مجالات مفتوحة. ونظرا للطابع القروي قامت هذه الفئة بإضافة أماكن لتربية بعض الدواجن خصوصا في منطقة امتداد سيدي عبد الرحمان.

[237] ISNARD H (1978) l'espace géographique , paris, p 75

معظم المجالات التي أعيد إنتاجها في مناطق السكن المتجمع أو سكن العمارات عبارة عن مجالات خضراء أو مجالات للترفيه، وقلما تسجل مسألة إضافة مساحة جانبية للسكن أو العمل، كما هو الشأن في مقاطعة مولاي رشيد، مع تسجيل بعض المناطق التي تم تحويلها لمجالات للتسوق الجماعي كما هو الشأن بالنسبة لشارع طانطان. وتتميز المجالات التي أعيد إنتاجها من قبل الفئة العمرية أقل من 15 سنة في معظمها بكونها عبارة عن ملاعب للقرب، كما هو الشأن في الحي الصفيحي المجاور للراسين 2.

لتوضيح الصورة أكثر حول خصوصيات الفاعلين في إعادة إنتاج المجال، كان من الضروري الإشارة إلى البنية السوسيومهنية للقائمين على التمردات المجالية، حتى يتسنى الوقوف على ميكانيزمات اشتغال الظاهرة في المجال.

جدول رقم 19: البنية السوسيومهنية للفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا

المهن	العدد	النسبة المئوية
المهن الحرة والحرفيون	**21**	**%11**
الموظفون	**28**	**%14**
التجار	**60**	**30%**
مشتغلون في القطاع الخاص	**76**	**%39**
تلاميذ وطلبة	**5**	**%3"**
بدون عمل	**6**	**3%**
المجموع	**196**	**%100**

المصدر: بحث ميداني: 2019-2020

توضح البنية السوسيومهنية للفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا (الجدول رقم 19) حجم المساهمة الكبيرة للمشتغلين في القطاع الخاص في عملية إعادة إنتاج المجال، وذلك بنسبة وصلت 39%. وقصد التعرف على طبيعة التعديلات، أظهرت التحريات الميدانية أن المجال الذي أعادت إنتاجه هذه الفئة عبارة عن مسابح خصوصا في سكن الفيلات المتفرق المتواجد بمنطقة سيدي عبد الرحمان وامتداد سيدي عبد الرحمان. كما تمت إعادة إنتاج مجالات للترفيه ومجالات لركن السيارات، ونادرا ما نلاحظ إضافة مساحة مخصصة للسكن أو العمل، وإن وجدت، فإنها تتركز في قطاع العنق وبوركون ومجال السكن المتفرق، وتكون في الغالب عبارة عن محلات لبيع المأكولات السريعة أو محلات للحلاقة والتجميل.

تأتي فئة التجار في المرتبة الثانية من حيث التمرد على المجال. سجلنا أن هذه الفئة تقوم في الغالب بإضافة بعض المساحات الخضراء خارج المنزل أو خارج الفيلات. جاءت بعدها فئة المهن الحرة والموظفين من حيث إعادة تشكيل المجال. يقوم أصحاب المهن الحرة بإضافة بعض الأمتار لمحل المهنة خصوصا في منطقة العنق وبوركون ذات سكن العمارات والسكن المغربي العصري. أحيانا يتم تشكيل مجال لممارسة بعض المهن اليدوية. في حين يقوم الموظفون في غالبيتهم بإضافة وتشكيل مجالات للترفيه أو مجالات خضراء، وقلما نجد مسألة إضافة غرف ثانية على جنبات أو أسطح المنازل. حلت فئة التلاميذ والطلبة وغير المشتغلين في الرتبة الأخيرة من حيث التمرد على المجال، وذلك بإضافتهم لمجالات للعب والترفيه في المساحات العمومية.

اكتسبت مدينة الدار البيضاء منذ عهد الاستعمار مكانة القطب الرئيسي للشغل بالمغرب. وأصبح العمل يشكل بها قيمة اجتماعية محورية بالنسبة لمعظم الفئات الاجتماعية، الشيء الذي جعله يلعب دورا كبيرا في هيكلة المجال والمجتمع[238]. ومن عناصر هذه الهيكلة، نسجل مجالات إعادة الإنتاج التي جاء جزء منها نتيجة الصراع حول المجال، والرغبة في مطاوعته حسب الحاجيات وحسب خصوصيات الشغل والمهنة، إذ أن كل فاعل اجتماعي يعيد إنتاج نفسه بنفسه[239]، حسب ما تقتضيه خصوصياته السوسيومهنية.

4-5: الوضعية العائلية واختيارات المجال المعاش الممثل بمقاطعة أنفا

من إيجابيات المقاربة الإنسية للظواهر الجغرافية نجد إمكانية تنويع عناصر الاشتغال في المجال، إذ يمكن دراسته من زوايا مختلفة (البعد الذهني والنفسي والثقافي والأصل الجغرافي والوضعية الاجتماعية) مادام الإنسان هو جوهر الدراسة[240]. في هذا الإطار، تعتبر مقاربة الوضعية الاجتماعية للفاعلين في إعادة الإنتاج - في مقاطعة يتميز مجالها الجغرافي بتباينات اجتماعية طبقية- من بين الخطوات المهمة لإزالة الغموض حول الإنتاج الذي تحدث عنه ماركس وانجلز، بالإضافة إلى تحديد أشكال علامات المنتجين والإنتاج[241] من المنظور الذاتي والثقافي.

جدول رقم 20: الوضعية العائلية للفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا

الوضعية الاجتماعية	العدد	النسبة المئوية
المتزوجون	**123**	%62
العازبون	**56**	%28
نسبة الترمل	**13**	%6
المطلقون	**4**	%4
المجموع	**196**	**100**

المصدر: بحث ميداني 2019-2020

يتضح (الجدول رقم 20) أن المتزوجين هم الأكثر تمردا على المجال بنسبة 62%. ويتركز معظمهم في مناطق السكن العشوائي والسكن الصفيحي في دوار المسعودي ودوار العسكر، والسكن المتفرق ومناطق سكن العمارات، مع تواجد نسبة مهمة منهم في قطاع سيدي عبد الرحمان وامتداد سيدي عبد الرحمان والعنق والراسين وبوركون. أما فئة العزاب فقد جاءت في المرتبة الثانية من حيث التمرد على المجال بتسجيلها لنسبة 28%. وحلت فئات الترمل والطلاق في الرتبة الأخيرة.

فبالإضافة إلى العلاقة بين فئة المتزوجين والفئة العمرية المتراوحة ما بين 15-59 سنة، والتي استنتجنا من قبل أنها الأكثر تمردا على المجال، تتعدد أسباب تمرد فئة المتزوجون على المجال، منها الرغبة في ملاءمة عدد أفراد

[238] الشويكي مصطفى1994، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 542
[239] BAREL Y, (1973) La reproduction sociale, Ed, anthropos, paris, p 232
[240] BAILLY, Antoine S., (1998) les concepts de la géographie humaine Revue de Géographie Alpine Année, p 171
[241] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000 p 83

الأسرة مع الإمكانيات التي يتيحها المجال، بإضافة مساحة إضافية للسكن أو مساحات خضراء ومجالات الترفيه أو مجالات للعمل والتجارة.

تفسر مجالات السكن التي أعيد إنتاجها على المجالات المضافة أصلا (الكاريان) في مناطق السكن الصفيحي (دوار العسكر ودوار المسعودي) برغبة بعض الأفراد في توسيع السكن قصد منح رقم إحصائي "نمرة" للابن بهدف الاستفادة من عمليات إعادة الإسكان الخاصة بالمقاطعة. يقوم الأب بفتح باب لغرفة إضافية مطلة على الخارج قصد تسجيل ابنه ضمن المستفيدين من عمليات إعادة الإسكان، وهكذا شهدت دور صفيح مقاطعة أنفا تمردات إضافية أخرى، دون الحديث عن السكن العشوائي والصفيحي الذي يعد أصلا جزءًا ضمن مجالات إعادة الإنتاج والتمردات المجالية.

تكون تمردات العازبين في الغالب عبارة عن مجالات للعمل أو مجالات لممارسة التجارة أو مجالات عبارة عن مواقف للدراجات النارية، وقد وجدت كثيرا في منطقة العنق المتميزة بالفئات الشعبية وبعض الفئات الفقيرة. تضم هذه الفئة أيضا التلاميذ والطلبة، والذين يقومون بإعادة إنتاج مجالات عبارة عن ملاعب للقرب غير مهيكلة، إذ تتميز منطقة العنق بقلة التجهيزات الرياضية مقارنة مع باقي قطاعات المقاطعة، وهو ما ينذر بتمييز سوسيومجالي ضمن المقاطعة نفسها.

5-5: علاقة نوع ملكية السكن بإعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا

تطرق أرمون فريمون في إطار حديثه عن المرجعية الثانية في دراسة المجال المعاش المتمثلة في علم اجتماع المجال إلى ثلاثة أنواع من المجالات، وهي: المجال المنظم[242] والمجال المغترب[243] والمجال المتملك. وقد تطرق لهذا الأخير لما له من دور على مستوى تمثل المجال، خصوصا خلال المقارنة بين الملكية في الدول الرأسمالية والملكية في الدول الاشتراكية[244]. تلعب الملكية دورا أساسيا في تحديد حجم ونوع التعديلات في المجال، نظرا لهامش الحرية الذي يتمتع بها صاحب الملكية.

جدول رقم 21: تفاوت مجالات إعادة الإنتاج بين سكن الملكية الخاصة وسكن الكراء بمقاطعة أنفا

نوع السكن	العدد	النسبة المئوية
الملكية الخاصة	181	%94
الكراء	1	%1
رهن	9	%5
المجموع	191	%100

المصدر: العمل الميداني 2019-2020

[242]-المجال المنظم: لتوضيح الجانب التنظيمي للمجال، استدعى أرمون فريمون بعض العناصر المجالية مثل: الطريق ، شارع المدينة، الأزقة، الأحياء ...تلعب هذه العناصر دورا مهما في تنظيم الأنشطة اليومية للأفراد والجماعات من خلال قيمها ووظائفها الرمزية، كما تساهم في التأثير على تمثلات الإنسان لمجاله المعاش، فمن خلالها يحدد الإنسان مدى انسجامه وتأقلمه مع المجال، ومن خلالها يحدد أيضا حاجياته الموجودة في ذهنه ومخيلته.

[243]-المجال المغترب l'espace aliéné: وظف أرمون فريمون هذا المجال للتمييز بين المجال المعاش الذي يدخل ضمن اهتمامات الإنسان وتمثلاته والذي يشهد دينامية، والمجال المغترب الذي يمكن القول على أنه هامشي بالنسبة للإنسان.

[244] FRÉMONT Armont (1976) La région espace vécu, Editions Flammarion, 1999 p 80-81.

دفعنا تعميق النظر في نتائج تفاوت مجالات إعادة الإنتاج (الجدول رقم 21) إلى استخلاص نفس الاستنتاجات المتوصل إليها في مقاطعة مولاي رشيد. تتمثل أهم مجالات إعادة الإنتاج في مقاطعة أنفا في سكن الملكية الخاصة بنسبة 94%، بينما حل سكن الرهن في الرتبة الثانية بنسبة 5%، وفي الأخير فئة سكن الكراء.

فكما يساهم السكن بواسطة الملكية في إعادة إنتاج الفرز الاجتماعي وفي الحفاظ على تباين المواقع الاجتماعية، فإنه يعتبر عاملا أساسيا في "تغيير" ظروف الإقامة، وذلك من خلال الزيادة في عدد الغرف أو في مساحة السكن أو في مرافقه ومواصفته الصحية[245]. فقد سجلنا خلال التحريات الميدانية مجموعة من الإضافات في المساحة، خصوصا في منطقة سيدي عبد الرحمان وامتداد سيدي عبد الرحمان، والتي خصصت للمجالات الخضراء أو إضافة مناطق مخصصة للمسابح.

5-6: مساهمة واضع التخطيط والمبادرة الحرة والرأسمال في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا

إذ كان للبعد الاقتصادي الدور البارز في ترسيخ الطابع السياسي لاستراتيجيات الدولة في ميدان السكنى خلال عهد الاستعمار، فإن هذا الطابع قد ترسخ خلال عهد الاستقلال مع الدور الذي أصبح للسكن في استتباب الأمن[246]. فاعتبار السكن وسيلة من وسائل ضبط الأمن بالمدينة دفع بالدولة إلى التغاضي عن بعض ضوابط التعمير. وتعتبر مسألة طرح قانون التعمير الاستثنائي خير دليل على سياسة الدولة. فعلى الرغم من كون أهم أهداف هذا النوع من التعمير تتجلى في مطاوعة المصالح الاقتصادية للمصالح السياسية أو العكس، إلا أن استغلاله لم يقتصر على المساحات الكبيرة والتجزئات السكنية، بل تعداها إلى مقاييس كبيرة جدا، من خلال ظهور تمردات مجالية على السكن وعلى بعض المجالات العمومية. لم تسلم مقاطعة أنفا من هذه التمردات، والتي ساهمت فيها الدولة بشكل أو بآخر عبر تساهلها مع هذه العمليات الملاحظة بالعين المجردة، خصوصا في مقاطعة يتميز معظم ساكنتها بامتلاك جميع أنواع الرساميل.

أيضا يشمل تدخل الدولة في ميدان إنتاج المجال الحضري تجزيء الأراضي وإنجاز البنيات التحتية والتجهيزات وإنتاج السكن[247]، لكن السؤال المطروح: هل إنتاج المجال الحضري يقتصر فقط على هذه العمليات، أم إن الأمر يتطلب أكثر من ذلك؟ لا يحتاج الساكن المحلي فقط إلى السكن والأراضي والتجهيزات التحتية، بل يحتاج إلى من يسأله عن حاجياته الموازية للسكن. معلوم أن معظم المقاطعات تم تعميرها حسب المخططات الاستعمارية ومخطط في عهد الاستقلال متمثل في مخطط بانسو، فهل أخذ هذا المخطط بعين الاعتبار الخصوصيات الثقافية خلال هندسته للبنايات؟ تم إنجاز هذا المخطط على يد فريق عمل فرنسي. فهل كان هذا الفريق على وعي بالثقافة المحلية للساكن المغربي من خلال ثقافة السطوح والثقافة المصاحبة للمناسبات الدينية وما تتطلبه من خصوصيات؟ إذن أمام هذه الإكراهات، لم يبق أمام القاطن سوى مسألة التمرد وتطويع المجال حسب ثقافته. وبهذا ستساهم الدولة في تغيير المشاهد الحضرية لتغييبها المقاربة المحلية.

[245] الشويكي، مصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء(بتصرف)، ص 615

[246] الشويكي، مصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 51

[247] الشويكي مصطفى، مرجع سابق، ص 58

تجمع الكثير من الدراسات التي تناولت المجال الحضري للدار البيضاء على اتسام نشأتها بنوع من الفوضى وبتوسعها في مختلف الاتجاهات وانطلاقا من أماكن متعددة[248]. لم تقتصر الفوضى الحضرية التي تعرفها مقاطعة أنفا فقط على مستوى النشأة والتوسع، بل تعدتها إلى تناقضات مجالية وتفاوتات آنية بين ما أكدت عليه الدولة عبر تصميمها وبين ما يتم تشييده. يؤكد استمرار السكن غير اللائق في منطقة العنق المخصصة للساحات العمومية واستمراره في قطاع سيدي عبد الرحمان على استمرار السلطة التخطيطية في تزكية الماضي ومباركة الحاضر.

إذا كان التنظيم المجالي للمدينة يكون في معظمه نتيجة لمسلسل خاص بنوع المجتمع الذي باشر تنفيذه[249]، فإن المجتمع القاطن في مقاطعة أنفا والفاعل في إعادة إنتاج المجال يتسم بخصوصيات مختلفة تماما. فالمقاطعة تتضمن أرقى سكن الفيلات على صعيد المغرب، وتتضمن أيضا أسوء أنواع السكن غير اللائق، لذا فإن تمرد سكان الفيلات مخالف تماما لتمردات سكان الأحياء الشعبية وسكان العمارت. الشيء الذي يجعل التمردات تتميز هي الأخرى بالتناقضات. فما يراه ساكن الفيلات تكميليا يراه ساكن السكن الصفيحي ضروريا.

إن أول ما يثير الانتباه عند تفحص تصميم أية تجزئة بالدار البيضاء هو قلة المجالات غير المبنية داخلها، ويتمثل ذلك في ضيق المحاور الطرقية وضعف أو انعدام المجالات العمومية من ساحات ومجالات خضراء. وهذا ليس بجديد في الدار البيضاء الحديثة، والتي رغم نشأتها في عصر السيارة جاء الكثير من شوارعها وأزقتها ضيقة. ويفسر ذلك بكون هذه المدينة جاءت تحمل بصمات المضاربين والمنعشين العقاريين أكثر من بصمات المهندسين المعماريين[250].

أمام هذا الوضع، لم يبق أمام الفرد سوى إحداث تلك المساحات والمجالات الخضراء. فحينما تعجز الوثيقة الإدارية المتمثلة في المخطط المديري (1984) عن تضمين هذه المجالات في التجزءات السكنية، فهذه إشارة غير مباشرة للفرد لتفعيلها مادامت غير واردة في الوثائق الرسمية. ومن مظاهر ذلك العجز، يشير المخطط " بالنسبة للمجالات الخضراء ورغم إقراره بجسامة وضعية المدينة في هذا الميدان فهو يقر بأنه "نظرا لارتفاع أسعار الأراضي يكون من غير الممكن التوصل خلال العشرين سنة المقبلة إلى توفير أحجام مهمة من المجالات الخضراء"[251].

حسب العادات والخصوصيات الثقافية المغربية، فأي مجال عمومي يحاذي السكن فهو امتداد لذلك السكن. وكلما وجدت مساحة فارغة على الجنبات إلا وتم استثمارها في تحقيق بعض الغايات الذاتية، فلا يمكن للمجال أن يكون منظما إلا استنادا إلى تصور تقني تخيلي وثقافي لقيمته ومنفعته[252]. فمادامت السلطات المسؤولة عن التعمير تقوم بتغييب هذا التصور خلال تدبيرها للمجال الحضري لمقاطعة أنفا، فمن المؤكد استمرار تحقيق ذلك التصور من خلال سلوكات الأفراد المعبرة في مضمونها عن رفض إنتاج المجال اعتمادا فقط على البعد السياسي والاقتصادي.

يشكل التحايل على القانون وتجاهله جزئيا أو كليا أهم جوانب الفوضى الحضرية، كما أن للخروقات التي تتعرض لها القوانين المعمول بها في ميدان التعمير والهندسة المعمارية أثر بالغ على هيكلة المجال الحضري. إن هذه الخروقات وغيرها لا ترتبط فقط بطبيعة المبادرة الحرة الميالة إلى تجاوز كل القيود والضوابط، بل يكون للدولة فيها

---

[248] ANDRE, Adam. (1968) Casablanca Ed CNRS PARIS T1 P 55
[249] ISNARD H (1978) L'espace géographique PUF PARIS P 97
[250] الشويكي، مصطفى (1994)، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 247
[251] SDAU 1984 P 63
[252] DUMOLARD P.(1981) : L'espace différencié. ED Economica, paris p 154

دور لا يستهان به. إن عدم توفر إطار قانوني واضح وشامل يترك الباب مفتوحا على مصراعيه أمام التحايل على القانون[253] بطرق مختلفة.

تتعدد مظاهر التحايل، إذ لا يمكن حصرها فقط في تغيير تنطيق zonage المجال، أو تغيير ضوابط البناء، وإنما يتعداه لمسألة ما بعد البناء والتشييد، إذ سجلنا توالي عمليات تغيير معالم المنشأة السكنية بعد الحصول على رخصة السكن، فبمجرد الحصول على هذه الوثيقة، تتسارع عمليات إضافة أجزاء لم تكن قبل الحصول على الرخصة، وهو ما يتطلب إطارا قانونيا متسما بالشفافية من طرف جميع الأطراف بما فيهم أعوان السلطة.

تشكل عدم استجابة الدولة لأهم متطلبات المدينة رافدا من الروافد التي تغذي الفوضى الحضرية. فباستثناء المتطلبات الأساسية المتمثلة في السكن خصوصا ساكنة الحي الصفيحي، فإن مقاطعة أنفا تتميز بغلبة المتطلبات التكميلية والترفيهية على حساب المتطلبات الضرورية كالسكن أو المساحات المفتوحة والمجالات الخضراء والتجهيزات الثقافية أو التعليمية أو الصحية. لذا مست معظم التعديلات المجالية بمقاطعة أنفا بعض الجوانب التي رأى أصحابها أنها ستعطي قيمة إضافية للسكن أو الحي أو الشارع، كما أنها في نظرهم لا تعتبر تمردا، مادام الشارع هو امتداد للسكن المتملك. واستغلال الملك العام بتواطؤ مع السلطات هو تشجيع لباقي الفئات لإعمال المخيال قصد تحقيق غير المتوفر.

مكنتنا المقاربات المعتمدة من فهم وضبط أنماط وأشكال وأساليب عمليات إعادة إنتاج المجال من المنظور الذاتي والثقافي. هذا المجال الذي جسد مجموع السلوكيات والخصائص الحضرية لساكنة المقاطعة، فما التمرد على المجال إلا تعبير عن أنماط السلوك. مكنتنا هذه الطريقة من بناء تصور حول إعادة إنتاج المجال في منطقة تعج بتناقضات مجالية واجتماعية.

يتميز مجال التمرد بكونه غير محصور على فئة دون الأخرى، مع تسجيل تباين التمردات بين الفئات من حيث الكم والنوع. ذلك أنه لا يعبر تمرد الفقير بالضرورة عن تمرد الغني، وحاجيات هذه الفئة ليست هي نفس الحاجيات المعبر عنها من قبل فئة أخرى. كما أن التواجد بمقاطعة معروفة بمؤشراتها الثقافية والاقتصادية الإيجابية لا يعبر بالضرورة عن الاستسلام التام للمجال المدرك والمجال المخطط المفروض من قبل واضعي القرار.

تحمل كلمة التعمير في مضامينها مدلولا سياسيا رئيسيا متمثلا في الإرادة السياسية، أي التأكيد على رغبة سياسية معينة. فقد ظلت الاهتمامات المحورية للتعمير محدودة، ولم ترق إلى مستوى متطلبات الحياة الحضرية، وما يواكبها من تحول نوعي وكمي لحاجيات السكان وللتطورات التي يفرضها العصر[254]. فعدم مسايرة الوثائق الرسمية للرغبات دفع بالساكنة إلى الخروج عن القانون والعمل على موازاة حاجياتها مع الدينامية التعميرية، ليست لهذه الموازاة حدود مجالية أو اجتماعية، فكل يسارع انطلاقا من موقعه في إعادة إنتاج مجاله.

تبين مقاربة إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا أن وثيرة التمردات تختلف من مجال إلى مجال حسب الوضعية الديمغرافية والاجتماعية والثقافية للساكنة، فحجم التعديلات بمقاطعة مولاي رشيد يفوق بكثير نظيرها بمقاطعة

[253] الشويكي، مصطفى (1994) ، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 258

[254] الشويكي مصطفى (2006) التعمير بالمغرب بين اجترار رواسب الماضي والتهرب من مشاكل الحاضر، مقال منشور ضمن مؤلف "المدينة المغربية بين التخطيط والعشوائية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس سايس، ص 34

أنفا، لكن هذا لا يعني نفي الظاهرة، على الرغم من أن هناك شبه نفي بقطاع عين الذئاب الذي سجلنا فيه فقط أربع تعديلات مجالية.

6: عوامل تباين المجال المعاش النفسي في مقاطعة أنفا

لا يمكن تخطيط المدن إلا بناءً على فهم حقيقي للاحتياجات البشرية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا استبدل المفهوم الكمي للسكن بمقاربة كيفية، فالمدن ليست دائمًا أماكن جيدة للعيش، ويمكن أن تعكس المعلومات المتعلقة ببناء الصورة العقلية لمنطقة ما أكثر بكثير من مجرد معرفة الحدود والطرق[255]. فلمعرفة الصورة الحقيقية للمدينة، يجب الارتكاز على المخيال وما يوجد في التصور النفسي، وعدم الاقتصار على المعالم الكبرى للمدينة.

يصر أرمون فريمون خلال دراسة المجال المعاش على الجانب الاجتماعي والثقافي. ففي هذا الإطار، يشير إلى أن هناك مجموعة من آليات التثاقف والاغتراب التي تفرض على الإنسان صورة معينة عن المجال الذي يعيش فيه. وهذه الصورة المقبولة أو المرفوضة تشكل عنصراً أساسياً من التوليفات المجالية، فالرابط النفسي *le lien psychologique* للإنسان بالمجال الذي بدونه لن يكون المجال سوى تكيف الإنسان مع بيئته[256]، يتطلب استنباطه القيام بتحريات ومقابلات إثنوغرافية قصد تقصي الصورة النفسية المحبوسة (مجال الرغبات) ومقارنتها مع الصورة المفروضة (المجال الدرك).

يتم تشكيل المجال المعاش باستمرار، وهناك أربعة عوامل تعد مصادر للاختلافات في تباين المجالات المعاشة وهي: السن[257] والجنس[258] والفئات الاجتماعية[259] والثقافة[260]. فاعتمادا على هذه العوامل سنحاول مقاربة مجال الرغبات في مقاطعة أنفا. ترتكز هذه المقاربة على تحري ميداني شمل 364 مبحوثا في مختلف قطاعات المقاطعة، تتراوح أعمارهم بين 12 و63 سنة. وسنعتمد خلال هذه المقاربة على بعض المتغيرات، منها: الجنس ونوعية السكن والمهنة.

6-1: تباين المجال المعاش النفسي بمقاطعة أنفا

تسعى المقاربة الإنسية في الجغرافيا إلى توضيح كيف يبني الإنسان واقعه الخاص في بيئة تاريخية وثقافية واجتماعية، من خلال وظيفتيه ومجاليته، وكيف يمكن تبرير وجود والتقاء الواقعي والمخيال في كل مكان على سطح الأرض؟ فالجغرافي الإنسي يواجه عالما مركبا ومعقدا[261]. تتطلب الإجابة عن هذه الأسئلة مواجهة هذا العالم المعقد، وتفكيك عناصر التقاء الواقع مع المتخيل. ومن معالم هذا الالتقاء في جغرافية الحياة اليومية ما يتم تجسيده في

[255] PAULET Jean-Pierre (2009) Manuel de géographie urbaine, Armand colin 3e édition, p 206-205

[256] **THEBAULT, Marc. (2018) L'espace vécu, ou considérer le territoire du point de vue des Humains, p 1-5**

[257] العمر: يتسع المجال المعاش ويتنوع مع تقدم العمر ليتراجع se rétracter في نهاية الحياة.

[258] الجنس: يوجد مجال معاش للذكور ومجال معاش للإناث ، ويتغير حسب الثقافات والأديان

[259] الطبقات الاجتماعية: كلما ارتفع المستوى الاجتماعي للفرد ، زادت المساحة المتاحة له .يظهر فريمون أن الأغنياء لا يتوقفون أبدًا عن استغلال المجال ، بينما يعيش الفقراء في مكان محدود.

[260] الثقافة: تلعب دورا أساسيا في هيكلة المجال المعاش

[261] BAILLY, Antoine S et Douglass(1990) : L'humanisme en géographie Anthropos Paris p 165

المجال المعاش المتضمن لعالمين متناقضين، مجال معاش ممثل ومدرك في الحياة اليومية، ومجال معاش نفسي متخيل، ينتظر هو الآخر فرصة التجسيد المجالي.

عند مقارنة الاستطلاعات الأولية للخرائط والأوراق المعبرة عن رغبات ساكنة أنفا، خلصنا تقريبا إلى نفس العناصر الأساسية الممثلة عند ساكنة مقاطعة مولاي رشيد، وهي: المجالات الخضراء ومجالات السكن ومجالات الترفيه ومجال التجهيزات التعليمية. إلا أن هناك تباينات مهمة بين توزيع نسب تمثيل هذه المجالات، كما سجلنا اختلافات في نوعية تمثيل المجالات الممثلة بين ساكنة أنفا، وساكنة مولاي رشيد، كما ستوضح ذلك النتائج المقدمة خلال هذا المحور.

6-1-1: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب السن بمقاطعة أنفا

خلص تفريغ النتائج إلى أن هناك مجالات حظيت بنسبة مهمة في التمثيل، في المقابل هناك شبه انعدام توطين بعض المجالات في مقاطعة أنفا مقارنة مع مقاطعة مولاي رشيد، كما هو الشأن بالنسبة لتوطين المساجد وبعض المجالات الأخرى. فهل غياب هذه المجالات يدل على احترام مقاطعة أنفا للشبكة المعيارية؟[262] أم أن هذه المجالات غير واردة في ذهنية قاطن مقاطعة أنفا؟

جدول رقم 22: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش حسب السن بمقاطعة أنفا

الفئات العمرية	المجالات الخضراء	مجالات الترفيه	مجالات السكن	تجهيزات رياضية	تجهيزات صحية	تجهيزات تعليمية	تجهيزات تجارية	مساجد	خط الطرامواي	عناصر أخرى
أقل من 19 سنة	5 %6	14 %14	0	25 %30	0	13 %81	0	0	0	2 %100
29-20	15 %20	41 %43	5 %8	13 %15	2 %11	3 %18	2 %13	0	0	0
39-30	30 %41	35 %36	25 40%	10 %12	4 %22	0	3 %20	0	0	0
أكثر من 40	23 %31	5 %5	32 %51	35 %42	12 %66	0	11 %73	0	0	0
المجموع	73 %22	95 %26	62 %20	83 %17	18 %4	16 %4	15 %4	0 %0	0 %0	2 %0,5
المجموع 364										

المصدر: العمل الميداني 2019-2020

يتضح (الجدول رقم 22) أن توطين مجالات الترفيه جاء في المرتبة الأولى من حيث أهميتها عند ساكنة مقاطعة أنفا على حساب باقي المجالات، إذ وصلت نسبة التعبير عن الرغبة في هذه المجالات إلى 26 % من مجموع التوطنات المجالية. كما أن هذه المجالات سجلت بنسبة كبيرة عند الفئة العمرية 20-29 سنة، حيث وصلت إلى 43%. أما الفئة

[262] الشبكة المعيارية هي أداة كمية تسعى إلى الاستجابة لحاجيات السكان المرتقبة عن طريق تحديد نظام العتبات الكمية يعتبر أن حاجة السكان إلى مرفق ما تصبح ضرورية إذا بلغ عددهم رقما محددا ، فإنشاء مدرسة عمومية مثلا يصبح ملحا إذا بلغ عددهم عتبة 5000 نسمة ، و إنشاء دار الشباب يتطلب عددا من السكان يعادل 65000 نسمة مركب رياضي 150000 **عبد السلام إبن زاهر ، إشكالية التجهيزات العمومية في تصاميم التهيئة الجماعية بالدار البيضاء حالة مقاطعة سيدي مومن مقاربة كرطوغرافية ، بحث نيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق الدار البيضاء، 2006 ص 19**

العمرية 30-39 سنة فقد حلت في المرتبة الثانية، والتي وصلت نسبة تمثيلها لمجالات الترفيه 36%. وأضعف نسبة كانت من نصيب الفئة العمرية أكثر من 40 سنة -نذكر هنا أن مجالات الترفيه جاءت في المرتبة الثالثة خلال توطينها في مقاطعة مولاي رشيد-.

حينما تحدث بيير بورديو عن التمييز بين الطبقات الاجتماعية، لم يجعله مقتصرا فقط على الماديات والجوانب الاقتصادية والصراع بين من يملك ومن لا يملك، بل تعداه إلى مسألة بنية الأذواق والممارسات، وهذه الأخيرة رهينة بموقعها في المجال الاجتماعي. في هذا الإطار تشغل مقاطعة أنفا موقعا مهما في المجال الاجتماعي لمدينة الدار البيضاء، فهي المقاطعة الوحيدة التي تتضمن ملعبا للكولف وملاعب مهمة مخصصة للتنس. بالإضافة إلى العديد من مجالات الترفيه. فلم يأت اختيار هذه المجالات اعتباطا، وإنما لتأكيد الشرعية الثقافية والرأسمال الرمزي التي تتمتع به هذه المقاطعة على حساب المقاطعات الأخرى.

فعلى الرغم من كون العينة لم تشمل في معظمها ساكنة منتمية للطبقات المهيمنة، وهي أعلى مراتب الطبقات حسب طرح بيير بورديو، بل التواجد في مقاطعة تتميز بتواجد هذه الفئات دفع معظم الشرائح الاجتماعية المبحوثة إلى تبني أفكار هذه الطبقة خوفا من الشعور بعدم الانتماء إلى هذا المجال. فلا يعقل حسب نظرهم التواجد في مقاطعة أنفا والتفكير في مجالات السكن أو التجهيزات الصحية والتعليمية، فالسكن في نظرهم هنا يقتضي الرقي بالاحتياجات، والرقي بها إلى مصاف الاحتياجات الدالة على التميز. فالفرد ما هو سوى وعاء للمعايير والقيم المفروضة من الخارج، والمحددة من خلال منطق اجتماعي يتجاوزه ويتجلى حسب خصوصية كل موقع[263].

خريطة رقم 31: المجال المعاش: مجالات الترفيه المرغوب فيها بمقاطعة أنفا

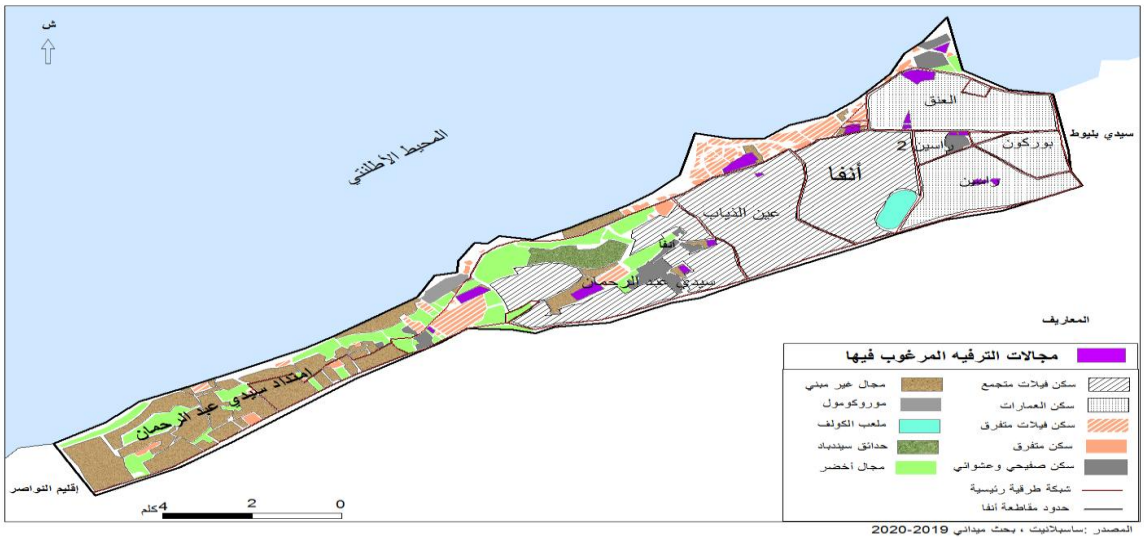

المصدر :ساسيلانيت ، بحث ميداني 2019-2020

تشير الخريطة رقم 31 إلى أن معظم مجالات الترفيه تم توطينها في مجالات مفتوحة وفارغة قصد استغلالها مستقبلا، أي أن التوطين جاء نتيجة إدراك جيد للمجال. أيضا تم رصد مجالات الترفيه بشكل كبير في المناطق المتميزة بارتفاع الكثافة السكانية (العنق ومجالات السكن العشوائي والصفيحي ومجالات السكن المتفرق)، وتم تسجيل

[263] BOURDIEU. PIERRE. (1980) LE SENS PRATIQUE. Collection Le sens commun Les Editions de Minuit, , 100 P paris,

مجالات قليلة في مناطق سكن الفيلات (عين الذئاب وأنفا)، ماعدا بعض الحالات في مناطق سكن الفيلات المتفرق، والمتواجدة في أنفا وعين الذئاب على الساحل.

اعتبرت المساحات الخضراء ثاني المجالات الأكثر توطينا من حيث التعبير عن الرغبة المجالية، إذ وصلت نسبة تمثيلها إلى 22 % من مجموع التوطنات. وقد تم توطينها بشكل كبير من قبل الفئة العمرية 30-39 سنة التي وصلت إلى 41%. ثم جاءت الفئة العمرية أكثر من 40 سنة في الرتبة الثانية من حيث توطين المجالات الخضراء بتسجيلها لنسبة 31%، وسجلت أضعف نسبة في صفوف الفئة العمرية أقل من 19 سنة.

الخريطة رقم 32: المجال المعاش: المجالات الخضراء المرغوب فيها بمقاطعة أنفا

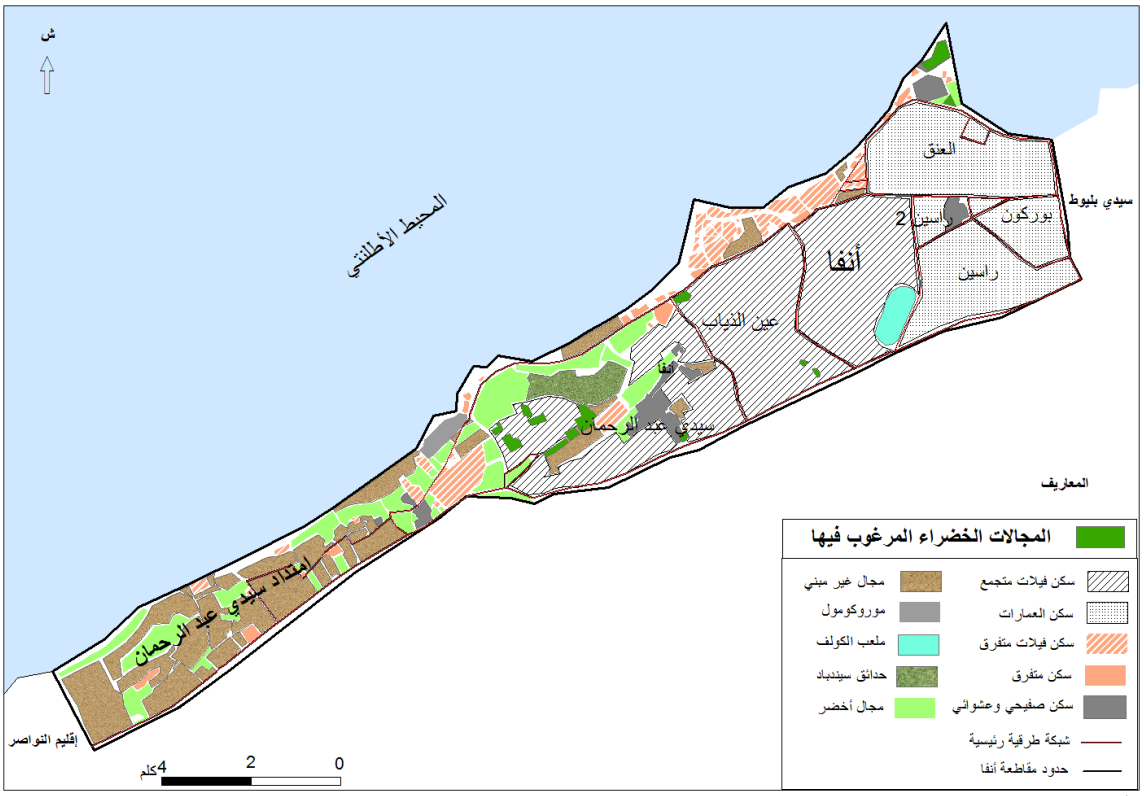

المصدر :ساسيلانيت ، بحث ميداني 2019-2020

توضح الخريطة رقم 32 أن أهم المجالات الخضراء تم توطينها في منطقة سيدي عبد الرحمان ومجالات السكن الصفيحي، وهي منطقة تتميز بمجالاتها المفتوحة. كما تم توطين بعض الأجزاء في كل من قطاع العنق وقطاع عين الذئاب بنسب جد قليلة. وقد دفعتنا مقارنة هذه المناطق الممثلة مع المجالات الخضراء المدرجة في تصميم التهيئة إلى تسجيل مسافة بين ما تخطط له السلطات العمومية وبين ما ترغب فيه الساكنة. لم يتم توطين أي مجال أخضر في مناطق سكن العمارات في كل من بوركون والراسين والعنق، والسبب يعود لضعف المساحات المفتوحة الفارغة.

جاءت مجالات السكن في المرتبة الثالثة من حيث الرغبات المجالية لساكنة أنفا، إذ وصلت نسبة تمثيلها إلى 20% من مجموع التوطنات. وقد سجلت أعلى النسب في صفوف الفئة العمرية أكثر من 40 سنة والفئة العمرية 30-39 سنة. تم توطين هذه المجالات في معظمها في مناطق السكن الصفيحي. فبعد توزيع الخرائط والأوراق على العينة

المأخوذة من الأحياء الصفيحية، بادر المبحوثون إلى توطين السكن كأولوية ضمن اهتماماتهم، وقد تم التعبير عن الاستقرار في نفس المكان عن طريق إعادة الهيكلة وليس إعادة الإسكان، كما حدث لبعض السكان الذين تم ترحيلهم إلى جماعة أولاد صالح. يؤكد توجه هذه الفئة الاجتماعية إلى تمثيل مجالات السكن كمجالات ضرورية على حسب طرح بيير بورديو، وذلك حينما تحدث عن الطبقات الشعبية التي تتميز بالغياب التام لجميع أنواع الرساميل، فهذه الطبقة تبحث عن المجالات الضرورية عوض العناصر التكميلية.

الخريطة رقم 33: المجال المعاش: مجالات السكن المرغوب فيها بمقاطعة أنفا

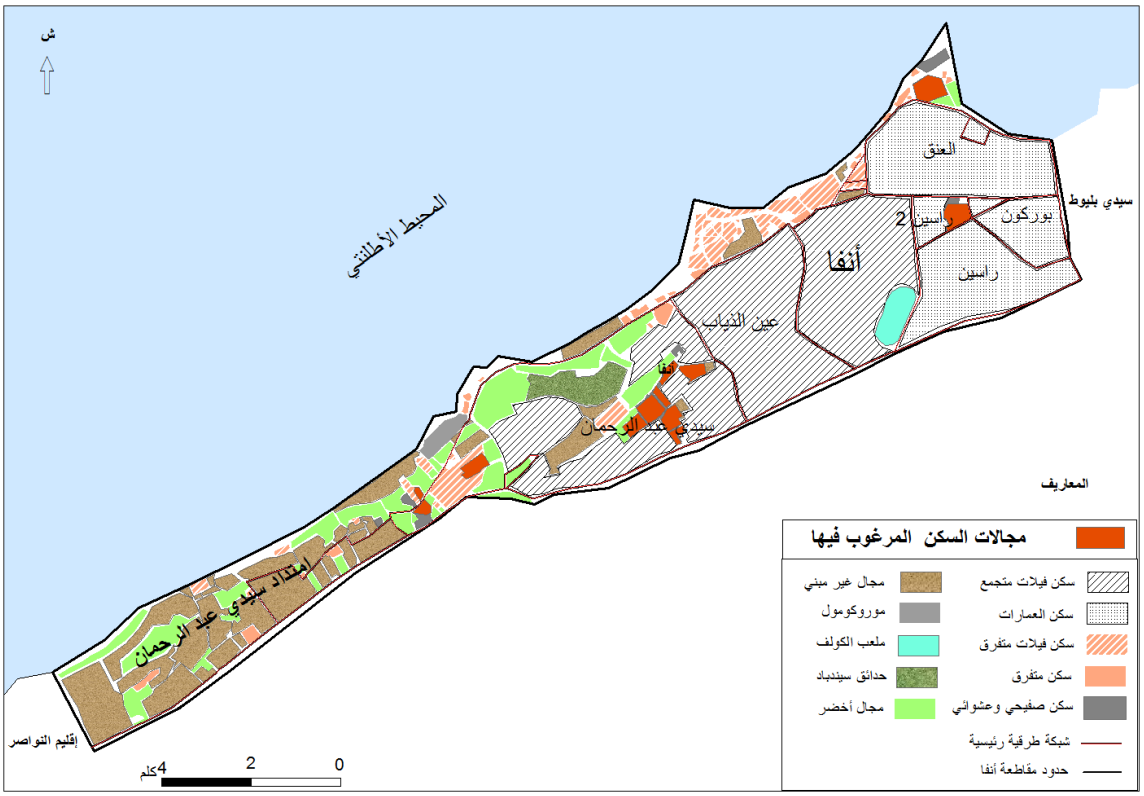

المصدر :ساسيلانيت ، بحث ميداني 2019-2020

أظهر الجدول رقم 22 أيضا حجم الأهمية التي حظيت بها التجهيزات الرياضية، والتي وصلت نسبة تمثيلها إلى 17%. والظاهر أن هذه التجهيزات قد تم توطينها بشكل كبير من قبل الفئة العمرية أكثر من 40 سنة والتي وصلت نسبة تمثيلها إلى 42%، مقابل 30% عند الفئة العمرية أقل من 19 سنة. ومن بين العناصر الممثلة أيضا لكن بنسبة قليلة نجد التجهيزات التعليمية بنسبة 4% والتجهيزات الصحية بنسبة 4% والتجهيزات التجارية بنسبة 4%. أكثر من ذلك تم تسجيل نسب منعدمة في ما يخص توطين المساجد أو خطوط الطراموای، وهي العناصر التي تم تسجيلها بنسب مهمة في مقاطعة مولاي رشيد.

إن المتأمل في اختيارات ساكنة مقاطعة أنفا يجد أنها تكميلية في معظمها وليست من الاحتياجات الضرورية حسب منظور الطبقات الشعبية وفق طرح بيير بورديو، كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعة مولاي رشيد التي جعلت من السكن والتجهيزات الصحية والتعليمية أولويات ضمن عناصر التوطين. لعل تركيز ساكنة أنفا على مجالات الترفيه والمجالات الخضراء والتجهيزات الرياضية يؤكد من جهة على امتلاك هذه المقاطعة للمجالات التي أشرنا في مقاطعة

مولاي رشيد على أنها ضرورية، لكن من جهة أخرى، تغري هذه التفاوتات بطرح التساؤل الآتي: لماذا التركيز على مجالات دون الأخرى؟

دفعنا البحث عن الإجابة إلى استحضار ما تقدم في شأن التعمير الاستعماري الذي يعتبر أصل العديد من المناطق بالدار البيضاء، كأحياء مقاطعة أنفا (بورغون وأنفا). فقد كان لكل من هذه الأحياء شخصيته المورفولوجية والاجتماعية الخاصة به. كما أنها تشترك جميعها في الحجم الذي يسمح بكثافة العلاقات الاجتماعية المعادلة لاحتياجات الفئات الاجتماعية المعنية. وهذا يكشف عن حرص السلطات الاستعمارية على إنشاء هياكل الاستقبال والإدارة اللازمة لتكاثر المجتمع الأوروبي، والتي ينبغي أن تكون بمثابة نموذج لإعادة هيكلة المجتمع المغربي[264].

فحرص السلطات الاستعمارية على توفير الاحتياجات الضرورية للساكنة الأوربية المستقرة في مقاطعة أنفا دفعها إلى موازاة دينامية السكن مع دينامية المجالات الضرورية حسب منظور الطبقات المهيمنة والبورجوازية، أي المجالات الخضراء ومجالات الترفيه والتجهيزات الرياضية. فمن المعلوم أن بعض أحياء المقاطعة تم تشييدها في عهد مخطط ايكوشار، وهذا الأخير استلهم معظم مضامينه من المهندس لوكوربيزي[265]، صاحب فكرة المدينة المشعة أو المدينة الوظيفية، وأول من وظف التنطيق في المدينة وصاحب ميثاق أتينا (1933) الذي يؤكد على الوظائف الأساسية للمدينة : العمل والتنقل والسكن وترفيه الذات والروح. حيث يؤكد الميثاق على ضرورة التوفيق بين التنظيم العمراني والحاجيات الأساسية للإنسان، وخاصة مسألة الصحة الناتجة عن استثمار الإنسان لشروط الطبيعة (شمس وخضرة وفراغ ومساحات)[266].

لهذه الخلفيات، تميزت مقاطعة أنفا بتضمين المجالات والتجهيزات الضرورية في الأصل، وبامتلاك جزء مهم من المجالات التكميلية، وهو الشيء الذي سارت عليه باقي الفئات الاجتماعية لمقاطعة أنفا من خلال تعبيرها عن رغبتها في المزيد من هذه المجالات، ومن خلال قيامها بتوطينه في عدة مناطق. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المجالات المضافة، تمت إضافتها في المجالات المبنية بعد الاستقلال، وخصوصا في مجالات السكن المتفرق، وقطاع سيدي عبد الرحمان. أما قطاعات أنفا وعين الذئاب والراسين وبوركون، فلم تشهد إضافات مجالية مهمة.

[264] CHOUIKI Mustapha: (2000) LA RECOMPOSITION URBAINE A CASABLANCA : DU QUARTIER A LA VILLE DANS LA VILLE Université Hassan II Casablanca, 26 – 27 octobre, pp. 5 - 16

[265] لو كوربوزييه مهندس معماري سويسري ومخطط حضري، صاحب رؤية حضرية، ومنظر للحداثة، ولد في 6 أكتوبر 1887 وتوفي في 27 أغسطس 1965 في روكبرون-كاب-مارتين.

[266] يؤكد الميثاق أيضا على منع إقامة المباني على أطراف الطرق والساحات مما يعرضها للضجيج والغبار والغازات السامة وفرض إقامتها وسط حدائق خاصة تؤمن الشمس والهواء والهدوء مع ضرورة فصل حركة السيارات عن حركة المشاة. أضف إلى ذلك دعوته إلى اقتصار المسافة بين أماكن العمل والسكن، كما يوصي الميثاق إلى ضرورة تخصيص المساحات الخضراء الكافية لممارسة النشاطات الرياضية لمختلف فئات الأعمار من السكان.

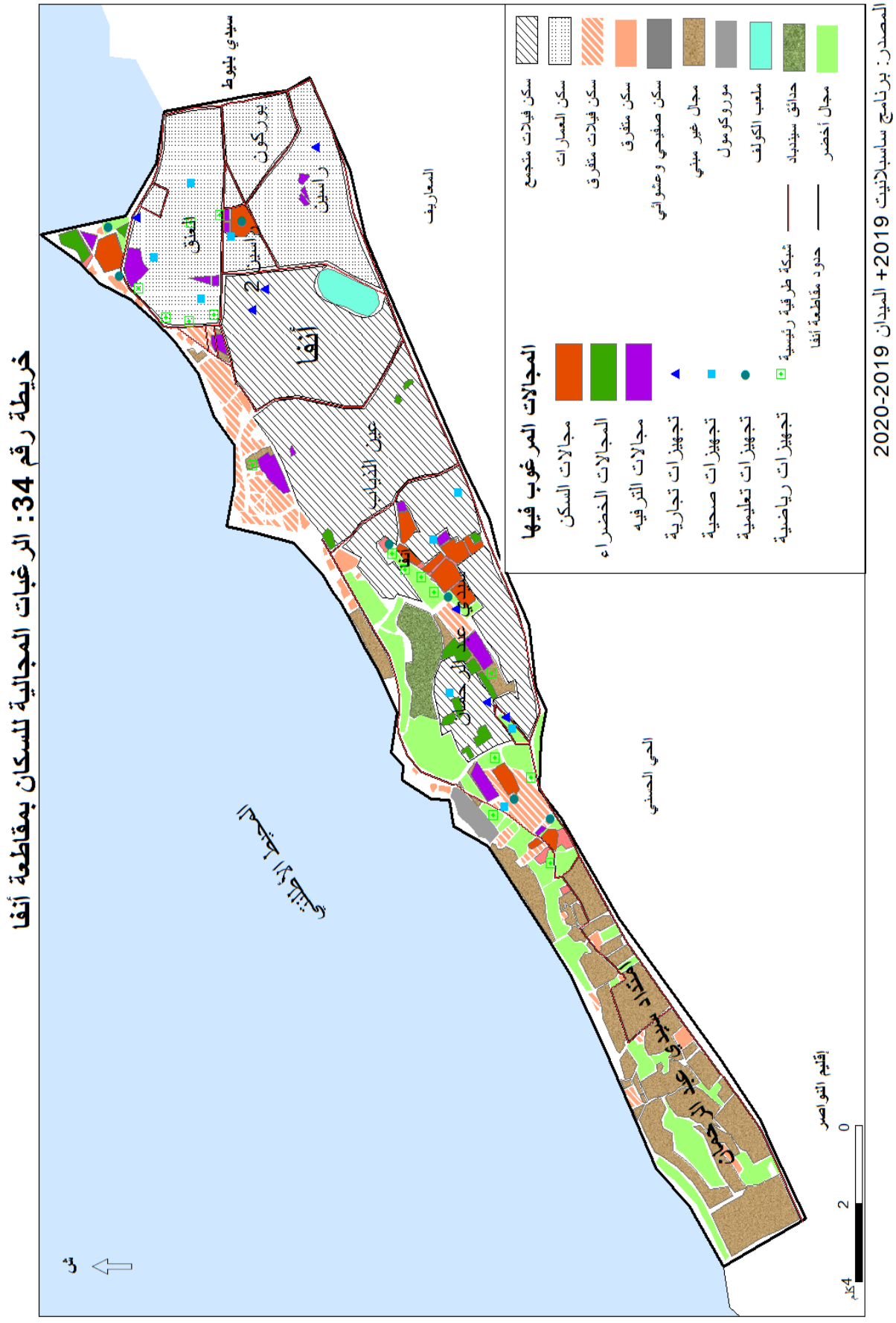
خريطة رقم 34: الرغبات المجالية للسكان بمقاطعة أنفا
المصدر: برنامج ساسبلاننيت 2019+ الميدان 2019-2020
المجالات المرغوب فيها
مجالات السكن
المجالات الخضراء
مجالات الترفيه
تجهيزات تجارية
تجهيزات صحية
تجهيزات تعليمية
تجهيزات رياضية
سكن فيلات متجمع
سكن العمارات
سكن فيلات متفرق
سكن متفرق
سكن صفيحي وعشوائي
مجال غير مبني
موروكومول
ملعب الكولف
حدائق سندباد
شبكة طرقية رئيسية
حدود مقاطعة أنفا
مجال أخضر
أنفا
المعاريف
عين الذياب
الحي الحسني
سيدي بليوط
بوركون
العفق
راسين
إقليم النواصر
0
2
4كم

2-1-6: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الجنس بمقاطعة أنفا

على الرغم من محاولة المجتمعات المعاصرة إزالة الفوارق بين مجالات النساء ومجالات الذكور، إلا أن المجتمعات الإسلامية لازالت تحاول الحفاظ على ذلك الإقصاء ségrégation المجالي[267]. في هذا الإطار، ركزت معظم الأدبيات الجغرافية المهتمة بالمجال المعاش على تبيان تلك الفروق بين تمثلات الذكور والنساء للمجال، سواء بالنسبة للمجالات القروية أو المجالات الحضرية، أو المجالات الفقيرة والهشة والمجالات الغنية. فإذا كنا قد أوضحنا توجه نساء مقاطعة مولاي رشيد على مستوى رغباتهن في المجال، والمتمثلة في التركيز على المجالات الخضراء ومجالات الترفيه، مقابل تركيز الذكور على مجالات السكن والمساجد والملاعب الرياضية، فما هي مميزات مقاطعة أنفا المتضمنة لمختلف الشرائح والطبقات الاجتماعية؟

جدول رقم 23. تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الجنس بمقاطعة أنفا

الجنس	المجالات الخضراء	مجالات الترفيه	مجالات السكن	تجهيزات رياضية	تجهيزات صحية	تجهيزات تعليمية	مراكز تجارية	مساجد	خط الطرامواي	عناصر أخرى
الذكور	34 %46	45 %47	42 %67	43 %52	7 %38	11 %69	4 %26	0	0	1 %50
الإناث	39 %54	50 %52	20 %32	40 %48	11 %62	5 %31	11 %74	0	0	1 50%
المجموع	73 %22	95 %26	62 %20	83 %17	18 %4	16 %4	15 %4	0 %0	0 %0	2 %0,5
المجموع 364										

المصدر: العمل الميداني 2019-2020

يشير الجدول رقم 23 إلى توجه الإناث نحو توطين المجالات الخضراء بنسبة مهمة، وصلت إلى 54% من مجموع التوطينات الخاصة بالمجالات الخضراء. كما حظيت مجالات الترفيه بالأولوية عند الإناث أكثر من الذكور، حيث وصلت نسبة توطين هذه المجالات عندهن إلى 52%، مقابل 47% عند فئة الذكور. تفوق هذه الفئة الأخيرة بات واضحا خلال توطين مجالات السكن والتجهيزات الرياضية والتعليمية.

يخفي تباين هذه الأرقام عدة دلالات خاصة بالممارسات المجالية عند الجنسين، فالتعبير عن الرغبة يحيل على كثرة التردد على مجال معين، أي أن اهتمامات إناث ساكنة أنفا منصب نحو المجالات الخضراء ومجالات الترفيه والتجهيزات التجارية والصحية، أي أن هناك تطابق بين الرغبة والممارسة المجالية. فإذا كان كل ذلك يبرز دور الممارسة المجالية في تشكل الذاكرة المجالية[268]، فقد ساهمت هذه الأخيرة أيضا في التأثير على مجال الرغبات أو المجال المعاش النفسي.

[267] MORIZOT, Aymeric (2010) La compréhension de l'espace dans les enquêtes de mobilité et de transport, France, p 25

[268] DI MEO, GUY (1987) Objectivation et représentation des formations socio-spatiales : de l'acteur au territoire. In: Annales de Géographie, t. 96, n°537, p 576

3-1-6: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش حسب البنية السوسيومهنية بمقاطعة أنفا

تخضع تقديرات الأفراد للمجال للانتماء الاجتماعي[269]، وكما يساهم هذا الأخير في تكوين الذاكرة المجالية وتنشئة الهوية المجالية والاجتماعية، فإنه يؤثر في اختيارات المجال المعاش بشقيه الممثل والنفسي المرغوب فيه. لذا يتخذ المجال أشكالا وأبعادا تختلف باختلاف التراتبية الاجتماعية والبنية السوسيومهنية. فإذا كان للطلبة والتلاميذ والموظفين في القطاع العام والخاص دور مهم في تمثيل المجالات الخضراء ومجالات الترفيه في مقاطعة مولاي رشيد، فكيف سيؤثر الانتماء الاجتماعي في اختيارات ساكنة مقاطعة أنفا؟

الجدول رقم 24: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب البنية السوسيومهنية بمقاطعة أنفا

البنية السوسيومهنية	المجالات الخضراء	مجالات الترفيه	مجالات السكن	تجهيزات رياضية	تجهيزات صحية	تجهيزات تعليمية	مراكز تجارية	مساجد	خط الطرامواي	عناصر أخرى
المهن الحرة والحرفيون	3 4%	5 5%	42 67%	5 6%	2 11%	2 12%	1 6%	0	0	0
الموظفون (في القطاع الخاص والعام)	23 31%	25 26%	10 16%	31 37%	9 50%	2 12%	7 46%	0	0	0
التجار	4 5%	10 10%	8 12%	5 6%	0	1 6%	0	0 0	0	0
الطلبة والتلاميذ	43 58%	55 58%	2 3%	42 50%	7 38%	11 68%	7 46%	0	0	2 100%
المجموع	73 %22	95 %26	62 %20	83 %17	18 %4	16 %4	15 %4	0 %0	0 %0	2 %0,5
المجموع 364										

المصدر: العمل الميداني: 2019-2020

يشير الجدول رقم 24 إلى أن المجالات الخضراء ومجالات الترفيه أخذت حيزا مهما ضمن رغبات الفئة الاجتماعية المكونة من الطلبة والتلاميذ والموظفين في القطاع العام والخاص، إذ وصلت نسبة الطلبة والتلاميذ الراغبين في المجالات الخضراء إلى 58% من مجموع التوطنات الخاصة بهذا الصنف، وبلغت نسبة تمثيل الموظفين لهذا الصنف 31%. وسجلت أدنى النسب في صفوف التجار والمهنيين.

عبرت الفئة المنتمية للمهن الحرة والحرفيين عن رغبتها في مجالات السكن وتغيير بعض الأحياء العشوائية والصفيحية إلى مجالات للسكن المهيكل والمنظم. وقد وصلت نسبة تمثيلها لمجالات السكن حوالي 67%. وحسب الدراسة الإحصائية جاءت فئة التجار في المرتبة الثانية، أما اختيارات الموظفين في القطاع الخاص والعام فقد حلت في المرتبة الثالثة. وقد خلصت الدراسة إلى أن معظم الفئات المعبرة عن الرغبة في مجالات السكن تنتمي إلى مجالات السكن الهش والصفيحي. وقد حاولنا أن نركز اهتمامنا حول اختياراتها التي جاءت موافقة لحجم تمرداتها المجالية كما جاء في المحور السابق.

على مستوى التجهيزات العمومية، جاء تمثيل نسبة مهمة منها في صفوف الفئات المكونة من الطلبة والتلاميذ، ذلك أن أكثر من 50% من التجهيزات التعليمية والرياضية والصحية والتجارية عبرت عنه هذه الفئة الاجتماعية، تليها

[269] GEORGE Pierre. (1972) Sociologie et géographie, Ed PUF, paris, p 33

فئة الموظفين في القطاع العام والخاص التي أكدت هي الأخرى عن رغبتها في هذه المجالات. وطبقا لخلاصات باقي المتغيرات جاءت فئة التجار والحرفيين في المرتبة الأخيرة.

يقتضي تفسير هذه التباينات استحضار البعد المجالي، إذ طغى الانتماء المجالي لهذه المقاطعة على الاختيارات المجالية. فحتى يشعر الفرد بالانتماء الثقافي -وهو أصعب وأرقى مراحل الاندماج- دفعه إلى اختيار عناصر مجالية تساهم في تثبيت هويته الاجتماعية والمجالية، وهو ما عبرت عنه إحدى المشاركات المنتميات لفئة الطلبة والتلاميذ في البحث:

- **كل من يرغب في ممارسة الرياضة خصوصا في الهواء الطلق يقصد منطقة عين الذئاب، إذ أصبح هذا الاسم مقرونا بنوع من الترقي الاجتماعي، فهناك فرق كبير بين أن تقول أمارس الرياضة أو أتنزه في سيدي مومن أو سيدي عثمان على أن تقول عين الذئاب، الضغط على هذه المنطقة دفع الساكنة إلى البحث عن بدائل أخرى غير التي يرتادها غير القاطنين بالمقاطعة، وهذا ما يدفع بقاطني المنطقة إلى اختيار المجالات الخضراء ومجالات الترفيه حتى لو كان الدخول إليها بالثمن. (مريم، حي الراسين، 26 سنة)**

6-1-4: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الحي السكنى بمقاطعة أنفا

تحاول الطبقة المسيطرة المهيمنة (المتضمنة لجميع أنواع الرساميل) الحفاظ على موقعها من خلال إستراتيجية التمييز. ويكمن منطق التمييز في إبقاء مسافة فاصلة بين الممارسات والاختيارات. أما الطبقات الشعبية فتتميز ملكتها l'habitus ب"اختيار الضروري"، فلكل موقع في المجتمع ثقافة خصوصية: ثقافة نخبوية ومتوسطة وجماهيرية وهي على التوالي متميزة بالتمييز والإدعاء والحرمان[270].

التحليل الذي قدمه بيير بورديو في إطار التمييز بين الفئات الغنية والفئات الشعبية نجد بعض معالمه في أنفا، إذ أن التواجد في هذه المقاطعة شيء، والسكن في الفيلات أو العمارات والسكن المغربي العصري داخل هذه المقاطعة شيء آخر. فقد ساهم هذان العاملان في تحديد الاختيارات المجالية، إذ تحاول الطبقة المهيمنة تحديد اختيارات تميزها عن اختيارات الطبقات الشعبية، بحيث لم تكن المجالات الخضراء أو مجالات السكن أو التجهيزات العمومية ضمن الاختيارات المهمة لساكن الفيلات، باعتبارها ضمن أولويات الفئات الشعبية من جهة ولعدم حاجتها لهذه المجالات من جهة أخرى. تعميق تحليل هذه التمايزات سيظهر حجم التفاوتات بعد استقراء الجدول رقم 22، وهذه العملية ستمكننا من استنباط المخفي وراء الأرقام المدرجة.

[270] BOURDIE, Pierre (1979). LA DISTINCTION., Les Editions de Minuit, paris, P.459

جدول رقم 25: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الحي السكنى بمقاطعة أنفا

نوعية الحي السكني	المجالات الخضراء	مجالات الترفيه	مجالات السكن	تجهيزات رياضية	تجهيزات صحية	تجهيزات تعليمية	تجهيزات تجارية	مساجد	خط الطراموي	عناصر أخرى
أحياء شعبية سكن مغربي عصري	11 %15	26 %27	8 %12	15 %18	8 %44	2 %12	2 %13			1 %50
سكن الفيلات	8 %10	18 %18	2 %3	10 %12	0	0	4 %26			
العمارات	51 %69	46 %48	10 %16	53 %63	8 %44	8 %44	9 %60			1 %50
السكن الصفيحي	3 %4	5 %5	42 %67	5 %6	2 %11	6 %37	0			
المجموع	73 %22	95 %26	62 %20	83 %17	18 %4	16 %4	15 %4	0 %0	0 %0	2 %0,5
المجموع 364										

المصدر: العمل الميداني: 2019-2020

يظهر الجدول الانتقائية في التعامل مع الرغبات المجالية حسب تأثير نوعية السكن، إذ تتضح أهمية توطين المجالات الخضراء عند قاطني سكن العمارات، والتي وصلت نسبة تمثيلها 69% من مجموع توطنات المجالات الخضراء، وأدنى نسبة من هذه المجالات كانت من نصيب قاطن السكن الصفيحي، إذ بلغت نسبتها 4%، وكانت أيضا من نصيب قاطن سكن الفيلات حيث بلغت نسبة التمثيل حوالي 10%.

لا يمكن تفسير ضعف النسبة عند الصنفين بنفس الأسباب، فقاطن السكن الصفيحي لم يضع هذه المجالات ضمن أولوياته، باعتبارها ليست من الضروريات، بل من الكماليات. أما قاطن الفيلات فلم يركز عليها باعتباره يتوفر عليها من جهة، وامتلاكه لوسائل النقل تحد من المسافة المجالية ومن إشكالية الولوجية لهذه المناطق مهما بعدت. كما أن اختياره لها سيجعله يتدحرج نحو طبقات اجتماعية أقل منه، تنظر إلى هذه المجالات على أساس أنها للترقي الاجتماعي، وبالتالي سيحرم من التميز الذي يسعى للحفاظ عليه من خلال رأسماله الرمزي.

نفس المنطق يسري على مجالات الترفيه، إلا أن الفرق يتضح من خلال ملاحظة الأرقام الخاصة بمجالات السكن. إذ يظهر أن هذه المجالات تزداد أهمية في صفوف قاطني السكن العشوائي والصفيحي، حيث بلغت نسبة تمثيلها عند هذه الفئة 67% ، مقابل ضعفها عند قاطني سكن الفيلات 3% والسكن المغربي العصري12%. مرد ذلك يعود بالأساس إلى الرغبة في العيش في ظروف أبسط بكثير من ظروف جيرانهم قاطني سكن الفيلات، وهذه الظاهرة تتجلى بشكل كبير في السكن الصفيحي المتواجد في منطقة سيدي عبد الرحمان، إذ لا يفصل بين سكن الفيلات والسكن الصفيحي سوى شارع لا يتعدى عرضه بضعة أمتار. فالشعور بالاحتقان الاجتماعي الذي يمارسه السكن من شأنه زعزعة الشعور بالتمتع بنفس الحقوق الاجتماعية، والمفضي إلى زعزعة الشعور بالمواطنة رغم التواجد في نفس المجال الحضري.

حظيت التجهيزات العمومية بجميع أصنافها بأولوية عند قاطني سكن العمارات وقاطني السكن المغربي العصري. وسجلت أدنى النسب عند قاطني سكن الفيلات وقاطني السكن الصفيحي، ماعدا ارتفاع نسبي عند قاطني

سكن الفيلات. أما في ما يخص اختيار بعض التجهيزات التجارية، فالمتأمل في مورفلوجية منطقة بوركون والعنق، يجد فعلا أن هذه القطاعات في حاجة إلى تجهيزات توازي الدينامية الحضرية بالمنطقة. وعموما اعترف تصميم التهيئة بهذا النقص، حيث سارع إلى إدراج أكثر من عشر تجهيزات رياضية، وأكثر من ثمانية تجهيزات تعليمية، وثلاثة تجهيزات صحية، وثلاث ساحات عمومية ومشاريع حضرية[271].

[271] تصميم تهيئة مقاطعة أنفا 2014 .

خاتمة الفصل الرابع

مكنت المقاربة الثلاثية (المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش) للمجال في مقاطعة أنفا من الوقوف على الهيكلة العامة الخاصة بها، وذلك من خلال استحضار البعد القانوني والسياسي الذي أنتج المجال، والمتمثل في وثائق التعمير بجميع أصنافها سواء المخطط المديري وتصميم التهيئة. وقد أظهرت الدراسة أن المقاطعة خضعت لجميع المخططات المديرية التي عرفتها مدينة الدار البيضاء، بدءا من مخطط بروست مرورا بمخطط إيكوشار، وصولا إلى مخططات عهد الاستقلال المتمثلة في مخطط بانسو والمخطط الأخير 2010. وخلصت مقاربة وثائق التعمير إلى بعض النتائج الخاصة. من أبرزها اهتمام وثائق التعمير في عهد الاستعمار بحاجيات المعمرين في المجال، من خلال تمكينهم من جميع العناصر المجالية المستلهمة من المهندس المعماري لوكوربيزي، وهو ما يزال يلاحظ اليوم خلال التأمل في الهيكلة المجالية للمقاطعات المشيدة في عهد الاستعمار.

استدعت الدراسة البعد التاريخي لفهم الدينامية المجالية والاجتماعية. فمن خلال هذا البعد، خلصت إلى تصنيف الفئات الاجتماعية المستقرة بالمقاطعة، حسب أنواع الرساميل، وعلى أساس هذا البعد تمكنت الدراسة من استنباط خلفيات تفاعل الفرد والمجتمع في المجال، وقد ساهمت أطروحة التمييز لبيير بورديو بشكل كبير في فهم هذه التفاعلات وما تتضمنه من تباينات وتفاوتات بين طبقة اجتماعية وأخرى.

تطلب استيعاب الثلاثية المجالية الدفع ببعض المؤشرات الإحصائية والاجتماعية الخاصة بالساكنة، والتي ساهمت في تفسير وتحليل بعض المؤشرات المستخلصة من التحريات الميدانية، كما مكنت من تفعيل خاصية المقارنة مع مقاطعة مولاي رشيد. فتباين هذه المؤشرات بين المقاطعتين دفعنا إلى استخلاص بعض القوانين المرشحة كي تكون فرضيات دراسية لأبحاث أخرى من نفس الفرع الجغرافي.

أبرزت مقاربة المجال المعاش الأهمية الكبرى التي تحظى بها المقاربة الإنسية للمجال، هذه الأخيرة مكنت الدراسة من استحضار الإنسان في التعرف على جوانب إعادة إنتاج مجال مقاطعة أنفا. فمعظم الفاعلين في إعادة إنتاج المجال غير متمدرسين، وترتفع نسبة الأمية في صفوفهم. أغلبهم ينحدرون من مناطق ريفية خارج المدينة، تتروح أعمارهم ما بين 15-59 سنة، متزوجون، ويشتغلون في القطاع الخاص، ويقطنون في ملكية خاصة. لا يمكن الجزم والقول بأن هذه العوامل هي المسؤولة عن التمردات المجالية، بقدر ما يمكن القول أنها من بين محددات العملية.

لاحظنا أيضا كيف تأثرت رغبات قاطني مقاطعة أنفا بالخصوصيات العامة للمجال، إذ ركزت بعض الفئات الاجتماعية على اختيار الضروري، كما هو الشأن بالنسبة لاختيارات قاطني السكن الصفيحي والسكن المغربي العصري وسكن العمارت، والتي ركزت في معظم اختياراتها على أهمية السكن والتجهيزات العمومية كمحددات للعيش الكريم، في حين أهملت الطبقات المهيمنة والمسيطرة هذه المجالات، وركزت على التمييز للحفاظ على خصوصياتها الثقافية، وهو ما سنحاول ملامسته خلال الجزء الثالث من هذه الدراسة.

خاتمة الجزء الثاني

أبرزت مقاربة مؤشرات ثلاثية المجال في مقاطعتين مختلفتين من حيث النشأة ومن حيث الخصائص والمميزات الثقافية والاجتماعية والإحصائية أن إنتاج وإعادة إنتاج المجال تتحكم فيه عدة محددات، تتمثل في الفرد باعتباره فاعلا مجاليا واجتماعيا، ثم الفاعلين الرسميين المساهمين في إعداد وثائق التعمير، وأخيرا الفاعلين غير الرسميين من مهندسين ومقاولين ومنعشين عقاريين والقطاع الخاص بجميع أصنافه. يساهم كل من هؤلاء من موقعه الخاص في تغيير المشهد الحضري للمدينة بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

أدى إهمال الفرد وعدم الاستماع إليه خلال مرحلة التخطيط إلى التمرد على هذا المجال، معبرا بذلك عن عدم رضاه بإعادة إنتاج مجال يلائم حاجياته، فقام بتطويع المجال حسب رغباته، واضعا في عين اعتباره أن كل امتداد للسكن هو مجال المطاوعة المجالية. وقد ساهم تغاضي السلطات عن هذه الممارسات في مباركتها، والذي أصبح ينم عن حكامة الدولة في تدبير مصالحها عن طريق تبسيط مساطرها. فالغاية القصوى هي تدبير الحاجيات الضرورية وتحقيق التهدئة الاجتماعية في أفق تحقيق التنمية المجالية، لكن ألا يمكن تحقيق هذه الغايات دون المساهمة في تغيير المشهد الحضري الموصى بإنجازه في الوثائق الرسمية؟

مكنت مقاربة المجال المعاش النفسي أو مجال الرغبات المجالية لمقاطعتين متباينتين من حيث عدد السكان، ومن حيث المجالات المتوفرة والتجهيزات العمومية المدركة في الحياة اليومية إلى استخلاص اعترافات بالتناقضات المجالية والاجتماعية. فاختيار قاطني مقاطعة مولاي رشيد لرغبات مجالية ووضعها ضمن الأولويات وتغاضي قاطني مقاطعة أنفا عن تلك الحاجيات جعلنا أمام أطروحة التمييز بين مجالين جغرافيين يندرجان ضمن نفس الحدود الإدارية. الشيء الذي يدعوا إلى الحد من هذه التناقضات المجالية والاجتماعية.

ختاما، يمكن اعتبار الحديث عن نظام الإنتاج وإعادة الإنتاج في مجتمعين متناقضين من حيث المؤشرات الاجتماعية، هو حديث عن نظام العلاقات غير المتكافئة بين مكونات المجتمع وخصوصا بين الفئات الاجتماعية، وهو إظهار لقيم اللاعدالة في التعاطي مع التخطيط الحضري، وهو تبيان لخضوع المجال لسلطة الفرد ولسلطة المجموعة، وهو توضيح لتجسيد الفوارق الاجتماعية وإعادة إنتاجها، وهو توصيف لخضوع المجال لمراكز السلطة في البناء المجالي.

ساهمت المقاربة المحلية في استخلاص مجموعة من المتغيرات المتحكمة في تباين المجال المعاش، منها ما هو مرتبط بالوثائق الرسمية (التصاميم والمخططات المديرية وثائق التعمير)، ومنها ما هو مرتبط بالمتغيرات والمحددات الاجتماعية والسوسيواقتصادية، الشيء الذي ساهم في وضع أرضية للمقاربة الكيفية، من خلال استخلاص مجموعة من التساؤلات المرتبطة بعلاقة الفرد بالمجال، من قبيل: كيف أثرت المسافة بين المجالات الثلاث (المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش) في تمثلات الفرد للمجال، وفي علاقته الوجدانية مع مجال عيشه؟ إلى أي حد ساهمت تلك المسافة في التأثير على سلوكيات الفرد في المجال؟ ما العلاقة بين نوع الرغبات المجالية المحددة في المجال المعاش النفسي (مجال الرغبات) وأنماط عيش الأفراد في المجال (مقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا)؟ كيف أثر تباين المجالات الثلاث في مسألة الشعور بالانتماء إلى المدينة والحق في المدينة؟ كيف تحكم تباين المجالات الثلاث

في الممارسات المجالية والتنقلات اليومية للأفراد؟ تقتضي الإجابة عن هذه الأسئلة النزول إلى الميدان، وتتبع اليومي المعاش للساكنة.

الجزء الثالث

المقاربة الكيفية لدينامية التمثلات المجالية والاجتماعية وتفاعلاتها مع المجال المعاش

مقدمة الجزء الثالث

ركزت الأبحاث الجغرافية المهتمة بالمجال المعاش على دور المقاربة الكيفية في استخلاص النتائج، باعتبارها من أهم الطرق المركزة على علاقة الفرد والمجتمع بالمجال. ذلك أن المتأمل في محركات الظاهرة المجالية في شموليتها يجد مدى علاقة التأثير والتأثر بين الفرد - باعتباره فاعلا مجاليا- بخصوصياته الاجتماعية والثقافية وبين المجال بصفة عامة والمجال المعاش بصفة خاصة. ونظرا لكون هذا التفاعل ليس ماديا في جميع الأحوال فإن رصد مظاهره وتفسير تمظراته يقتضي منهجا خاصا يتمثل في التحريات الإثنوجغرافية والمقابلات الفردية، والملاحظة بالمشاركة. أي التركيز على نمط عيش ومجالية الفرد كما هي في الواقع.

لدراسة هذه العلاقة (أي علاقة التأثير والتأثر)، سنحاول خلال هذا الجزء البحث في صورة الفرد للمجال، عبر تحليل ارتباطات وتفاعلات الجانبين، من خلال إظهار تأثير الفرد بحمولته الثقافية والنفسية والاجتماعية والمادية على المجال من جهة، وتوضيح تأثير المجال بحمولته السياسية والتاريخية والاقتصادية والهندسية العمرانية على الفرد من جهة ثانية.

سنتطرق إلى العلاقة الوجدانية بين الفرد والمجال من خلال مفهوم المستقر، مرتكزة على التمثلات الاجتماعية للفرد بالنسبة للمجال في شموليته وعلى المعاش اليومي للفرد من خلال نمط عيشه وسلوكياته المجالية وعمارته للمكان، وبعض جوانب جغرافية الحياة اليومية للأفراد. وسينصب البحث على تحليل مكونات المستقر بحمولته الفردية والمجتمعية والمجالية. مع إبراز التباين بين مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد.

يقتضي فهم النظام المجالي للفرد تحديد نظام الأماكن المستعملة والمستغلة، ولهذا الغرض، تم تخصيص محور لرصد الممارسات المجالية والتنقلات اليومية وانعكاساتها على المجال المعاش. ولأجل تقديم مقترحات، لن تقف الدراسة عند مستوى التحديد والوصف، بل سنتعداه إلى مرحلة التفسير والتحليل، أي البحث في المحددات المرتبطة بالاختيارات المجالية للفرد، وانعكاساتها على تباين المجالات المعاشة بين المركز والهامش.

ولتدقيق المقترحات ستتم دراسة عينة من الخصوصيات المجالية والاجتماعية المرتبطة بإشكالية التفاوتات والتناقضات السوسيومجالية بالمقاطعتين المدروسين، وعلاقتهما وانعكاسهما على المجال المعاش، وسنستلهم في ذلك نظرية اللاعدالة المجالية والاجتماعية لصاحبها الجغرافي الأمريكي إدوارد صوجا، سنحاول مقاربتها على المستوى المحلي، بغية تشخيص مظاهر اللاعدالة المجالية بين المجالين وفي المدينة بصفة عامة كمرحلة أولى، وتحديد دورها في إعادة إنتاج المجال من منظور ذاتي وثقافي كمرحلة ثانية. وذلك في أفق تبيان دور معالجة إشكالية التفاوتات في الضبط الاجتماعي والتهدئة الاجتماعية.

وبناءً على ما سبق، ستخلص الدراسة إلى مقاربة علاقة المجال المعاش بالحق في المدينة، وتدعيما لإشكالية اللاعدالة المجالية والاجتماعية، سنحاول استحضار نظرية الحق في المدينة لهنري لوفيبر في بعدها الفلسفي والجغرافي، ثم نظرية رغبات المدينة désirs de ville لمحمد الناصري، وذلك بهدف استثمار حقل مفاهيمي متنوع (مفهوم التمدنية والمواطنة والاندماج الحضري والتمدنية الضعيفة الاندماج والانتماء إلى المدينة) في مقاربة نظرية الحق في المدينة، واستخلاص انعكاساتها على المجال المعاش وعلى المدينة بصفة عامة. وذلك انطلاقا من دراسة:

- التمثلات المجالية والاجتماعية: مقاربة في المستقر والممارسات المجالية
- انعكاسات المجال المعاش على مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية والحق في المدينة

الفصل الخامس

التمثلات المجالية والاجتماعية: مقاربة في المستقر والممارسات المجالية

مقدمة الفصل الخامس

تبنت الدولة خلال فترة الاستقلال مجموعة من السياسات العمومية الخاصة بالتراب وبعمارة المكان بالمدينة، وكانت تهدف من وراء ذلك إلى حل بعض إشكالات المجالات الحضرية، سواء الموروثة عن الحقبة الاستعمارية أو المستحدثة والناتجة عن نمط إنتاج المدينة الرأسمالية في دول الجنوب. يسجل المتأمل في تلك السياسات حجم التباين بين ما تخطط له الدولة، عبر المخططات وتصاميم التهيئة، وبين ما تعبر عنه الساكنة في مجاليتها ونمط عيشها ومعاشها وممارستها المجالية وتنقلاتها اليومية وعمارتها للمكان أو ما يسمى بالمستقر.

لقد ظل مفهوم المستقر محور العديد من الدراسات الجغرافية، التي كانت تهدف إلى وضع تصور بين تطويع المجال من الناحية الثقافية والذاتية والنفسية، وبين الانقياد للاختيار السياسي للمجال. ولتعميق النظر في المفهوم، تم تخصيص هذا الفصل لمقاربته حسب الخصوصيات المحلية لساكنة مقاطعة مولاي رشيد وأنفا، وللوقوف عند حجم تلك التباينات.

انتشرت جغرافية المستقر la géographie de l'habiter وجغرافية التنقلات اليومية على نطاق واسع خلال تسعينات القرن الماضي، واعتبر المستقر خلالها أحد مكونات طريقة الوجود في العالم، إذ يشكل مجموع الممارسات المجالية المندرجة ضمن جغرافية الحياة اليومية للأفراد[272]. ويتم تأليف هذا الشكل من أشكال العيش بين طريقة العيش في المنزل، بالمعنى الكلاسيكي للعيش، والممارسات المجالية والنفسية والذهنية للفرد في المجال، باعتبارها ضرورية للاندماج المادي للفرد في المجتمع[273]. وحينما نتحدث عن الاندماج المادي في المجال، فإن ذلك يعتبر بمثابة حديث عن أساليب الوجود في المجال، ويتطلب تحليل هذه الأساليب وطرائق الوجود استحضار مفهوم الهابتوس l'habitus عند بيير بورديو، أي استحضار الصورة الذاتية والطابع الاجتماعي للأفراد والخصائص الشخصية التي تميز فردا عن الأعضاء الآخرين في المجتمع[274].

من جهته، عرف مصطفى يحياوي المستقر بكونه معطى فرديا مجردا ذا خصوصية ذهنية ونفسية وجدانية وثقافية، تحيل في الآن نفسه على ملمحين اثنين: ملمح الكينونة ومرافقة المجال للفرد وملمح العيش فيه. فالمستقر يعتبر شكلا من أشكال عمارة الحي الفاني للأرض دون قيد صارم فاصل بين الأحياز الزمكانية، إذ لا تتحقق بالضرورة عمارة المكان بسياسة جيدة للإسكان، أو هندسة معمارية راقية أو تصور عمراني ذي جمالية إبداعية، بقدر ما تتحقق بحصول الانسجام مع رغبة الفرد في الاستقرار، واستيعابها فكريا من لدن القيمين على العمران وما يرتبط بذلك من سكينة وعلاقة وجدانية بالمكان[275].

---

[272] DODIER, Rodolphe (2009) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains , Sciences de l'Homme et Société. Université du Maine p 43

[273] مرجع سابق، ص 4.

[274] أحجيج، حسن. (2018) نظرية العالم الاجتماعي :قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى، الرباط، ص 52

[275] YAHYAOUI Mostafa et al,(2020), Habiter dans/à la périphérie de la ville, in : la marge entre discours géographiques et réalité de construction et reproduction des inégalités sociales, coordination Mohammed Aderghal et Ahmed Ait moussa , ANAGEM, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia p 121

يتضح أن تحليل المستقر وتحليل الممارسات المجالية يتطلب تفكيك عناصرها بمفهومها المادي والاجتماعي والنفسي والثقافي. ولن يتأتى ذلك دون الخوض في خصوصية وتمثلات الفرد للمجال الخاص (المنزل بآلياته التفاعلية: طرق العيش والتنظيم) والمجال العام (الحي والأزقة والشوارع والمقاطعة والمدينة) من جهة، والخوض في التمثلات الاجتماعية من جهة ثانية. والتي يمكن اعتبارها عالما من الآراء الخاصة بمجموعة اجتماعية، وشكلاً من أشكال المعرفة التي يتم تطويرها وتقاسمها اجتماعيًا، بهدف عملي والمساهمة في بناء واقع مشترك اجتماعي[276].

تتطلب المسألة أيضا استنباط التمثلات الاجتماعية للأفراد، وجرد مضامين الهوية الاجتماعية والمجالية والممارسات الاجتماعية ومجريات الحياة والتجارب الحياتية، وإشكالية الكينونة ومرافقة المجال للفرد والعلاقة الوجدانية بالمجال، وكيفية حدوث الممارسات والسلوكيات في المجال[277]. في هذا الإطار، ستحاول الدراسة مقاربة مكونات المستقر والممارسات المجالية والتنقلات اليومية بتفاعلاتها في مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا، إذ سنحاول التركيز على عينة دراسية في كل مقاطعة، بحكم أن المقاربة الكيفية للظواهر تبحث في عمق الظاهرة وليس في امتدادها[278]، وسنحاول الخوض في عمق أنماط العيش والسلوك الفردي وما يحمله من دلالات مجالية، وتأثير هذه الدلالات على السلوك . وذلك من خلال مقاربة تمثلات ساكنة مقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا لعمارة المجال، ومقاربة الهابيتوس habitus وأسلوب الحياة عند الساكنة، ودراسة المتغيرات والمحددات المتحكمة في الممارسات المجالية واليومية.

1: مؤشر تباين تمثلات الساكنة لعمارة المجال: المستقر

نستهل مقاربة المستقر بالإشارة إلى تمثلات الساكنة لعمارة المجال على مستوى المنزل والحي من جهة، وعلى مستوى المعمار ونوعية الساكنة من جهة أخرى، واضعين في عين الاعتبار التعريف الذي قدمه M. Ségaud للمستقر في معجم:

Dictionnaire critique de l'habitat et du logement / sous la direction de Marion Segaud, Jacques Brun, Jean-Claude Driant Paris : Armand Colin 2003

والذي أشار فيه إلى أن المستقر هو: *"البقاء في مكان معين وإعمار منزل"*، ومستحضرين أيضا تعريف ستوك في قاموس dictionnaire de la géographie et de l'espace الذي عرف من خلاله المستقر بكونه *"مجالية الفاعلين الفرديين"*. إذ لن تتأتى دراسة المستقر دون التركيز على متغيري السكن وطريقة استغلاله[279].

[276] YAHYAOUI Mostafa (2012) L'Etat face à l'inclusion socio-spatiale des habitants des bidonvilles : Essai sur les représentations sociales Thèse de Doctorat, Université Hassan II Mohammedia Casablanca Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Mohammedia, p 17

[277] DODIER, Rodolphe (2009) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, Sciences de l'Homme et Société. Université du Maine p 44

[278] أحجيج، حسن. فزة، جمال . (2019) البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية، نظريات وتطبيقات، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، الرباط ص 52، 53

[279] DODIER Rodolphe (2009) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, Sciences de l'Homme et Société. Université du Mainep 45

ركزت الدراسة في مقاطعة مولاي رشيد على الأحياء الشعبية الست (المجموعة 1و2و3و4و5و6)، وهي أحياء تتميز بالسكن المغربي العصري المبني خلال سنوات الثمانينات، في إطار إعادة إسكان قاطني دور الصفيح بابن امسيك سيدي عثمان. ومعظم هذه الأحياء خصوصا مولاي رشيد 1و2و3و4 عبارة عن سكن مكتظ، يتميز بارتفاع الكثافة السكانية، والأزقة الضيقة، والسكن المغربي من ثلاث طوابق، والسكن المشترك، كما تتميز بشبه غياب المساحات المفتوحة والمساحات الخضراء ومجالات الترفيه.

أفرزت نتائج المقابلات الفردية[280] الخاصة بتمثلات ساكنة مقاطعة مولاي رشيد تباين التمثلات، وذلك حسب الأصل الجغرافي وتاريخ الاستقرار في المكان، إذ تتأثر تمثلات الساكنة تبعا لتاريخ مجاليتها. فعلى الرغم من محاولة جيل العقدين الأخيرين محو هذا التاريخ، فإن ملازمته تتعدى مجال مقاطعة مولاي رشيد ليصل صداه إلى كل أرجاء المدينة، إذ يبقى ساكن مولاي رشيد موسوما بتاريخ السكن غير اللائق بابن امسيك. إذ لم يعد تمثل السكن مرتبطا بالحاضر، بقدر ما يتأثر بالعامل التاريخي.

> "اليوم وعلى الرغم من أننا قضينا أزيد من 30 سنة في هذه المنطقة، إلا أننا مازلنا أبناء حي مولاي رشيد بحمولتها القدحية، هذا الحي كان في فترة من الفترات موطنا للتسكع والانحراف والجريمة، وهي مظاهر تم جلبها من الكاريان، ولم نستطع إلى حدود الساعة طمس هذه الهوية التي بدت تغذي أفكار الأجيال اللاحقة، والتي ما فتئت تتباهى بقوة وإجرام هذا الحي من خلال عبارات:" سير راني ولد زيرو كات 04، راني ولد حي مولاي رشيد ".(رشيد، 48 سنة، عامل بشركة، مولاي رشيد3).

دفعتنا هذه الشهادة إلى استحضار مقولة هايدغر، والتي دعا فيها إلى عدم فصل العلاقة بين السكن والعلاقة مع العالم كله[281]، وأن المستقر عبارة عن طريقة للوجود في بعدها الأخلاقي مع المجال[282]. إذ لم تعد عمارة المجال ذات حمولة ومعنى مادي، وإنما أصبحت تركز على البعد النفسي والأخلاقي. فقد تخلى المجال عن ثلاثيته المعهودة المتمثلة في الطول والعرض والارتفاع، واختفت فجأة التصاميم والمخططات والهندسة المعمارية، وظهرت الجوانب الوجدانية والعاطفية مع المجال.

انتهى عمل المجال المخطط منذ الثمانينات والتسعينات، لكن استمرت الخلفيات المترتبة عن اختيارات الدولة في إعادة توطين ساكنة دور الصفيح، أي أن العملية يجب ألا تقتصر على بعدها المادي، بل لابد من استحضار المقاربة الإنسية والوجدانية في التعامل مع المجال. فإلى متى سيستمر قاطن مقاطعة مولاي رشيد في حمل هذا الثقل الذي لم يكن مشاركا في التخطيط له؟

يعتمد المستقر إلى حد كبير على التمثلات التي يصوغها الفرد، والتصور الذي لديه عن بيئته المادية والاجتماعية، كما أنه يقوم على إسقاط الفرد في المجال، والقصد من هذا الإسقاط هو الاستيلاء والاستثمار النفسي[283]. حاولنا من خلال هذا الإسقاط تتبع مجالية الأفراد المبحوثين، باعتبارهم يسكنون المجال نفسه -في إطار البحث عن علاقة الفرد والمجتمع بالمجال-، فوجدنا أن جل المبحوثين لهم نفس التصور والتمثل العام حول مجال

[280] أجريت المقابلات الاثنوغرافية مع حوالي 42 مبحوثا ومبحوثة، بحكم أن المقاربة في الجزء الثالث كيفية.

[281] DODIER Rodolphe (2009) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, Sciences de l'Homme et Société. Université du Maine p 45

[282] **THEBAULT,** Serge (2008) Espaces habités, espaces anticipés, Agence Nationale de la Recherche (ANR), Mars. p15

[283] **Ibid**. p15

مقاطعة مولاي رشيد، والمجرد من حمولته المادية، والمركز على الحمولة الثقافية والنفسية. وفي هذا الإطار، تبين تأثر الهوية الاجتماعية لقاطن مولاي رشيد بالهوية المجالية، وأصبحت مصدر قلق اجتماعي، ولم يعد الفرد يعيش في فردانيته، ولم يعد حقيقة بيولوجية فقط، وإنما واقعا اجتماعيا معقدا[284]. وهو ما أكدت عليه مجموعة من الشهادات النسوية، من بينها على سبيل المثال لا الحصر ما أشارات إليه إحدى العاملات في الحي الصناعي بالمقاطعة:

- "ولدت في أوائل التسعينات وترعرعت في مولاي رشيد، أقطن بالمجموعة 2، المجموعة المنسية أو مجموعة الموت كما يسمونها، أفضل العودة مع والداي إلى كاريان بن امسيك على أن نستمر في السكن في هذه المجموعة، فالكل ينظر إليك نظرة دونية، فقط لأنك ابن المجموعة 2، جمعت هذه المجموعة بعض الأحياء التي كانت متصارعة في كاريان بن امسيك واستمر ذلك الحقد الدفين إلى يومنا هذا، وهو ما انعكس على سلوكات شباب المنطقة الذين داع صيطهم إلى باقي مجموعات مولاي رشيد والى باقي المدينة، وأصبحنا نحتل رقم 1 في الإجرام وبيع المخدرات، وهو ما أثر على نفسيتنا وعلى كينونتنا الاجتماعية، ومستقبلنا. خلال ذهابي إلى العمل بالحي الصناعي، بمجرد أن يعرف زملائي في العمل أني ابنة المجموعة 2، يتهربون مني وكأني أنا ما يمارس الإجرام، تعرفت على مجموعة من الشباب قصد الزواج، لكن بمجرد أن يعرفوا أني من مولاي رشيد فهم يهربون بهذا المعنى. لا يمكن لأبي الانتقال إلى منطقة أخرى في ظل غلاء السكن بالدار البيضاء، وهذا يؤرقني كفتاة طموحة، أرى أن تواجدي بمولاي رشيد قد وضع حدا لمستقبلي. (رشيدة، 28، المجموعة 2، مولاي رشيد)

يتطلب تحليل المستقر التركيز على السكن، وعلى الطريقة التي يشغل بها الأفراد محل إقامتهم، وتوزيع الأدوار والمساحة بين أفراد الأسرة، والتركيز على طول الوقت الذي يقضيه الفرد في السكن، وعلى الظروف الاجتماعية التي يعيشها داخله، والتصميم الداخلي الذي يعكس طرق العيش المختلف، أي التركيز على طرق الإقامة في مكان إقامة الفرد[285]. في هذا الإطار، يتميز السكن والمعمار عموما في أحياء مولاي رشيد بالتقادم وبتشويه الواجهة والمشهد الحضاري، وهي كلها مؤشرات على الفقر الحضري الذي يميز الساكنة. كما تتصف عمارة المجال بالفوضى الحضرية، وهذا ما يتضح من خلال غياب التنطيق وانتشار العشوائية في استعمال المجال:

- " كما تلاحظ معي فالمنطقة الوحيدة في المدينة التي يمكن أن ترى فيها حظيرة للدواب والدواجن هي مولاي رشيد أمام غياب أي رقابة مجالية للسلطة، يمكن أن تلاحظ في الحي ذاته مكان لبيع الخضر وأماكن لممارسة المهن الحرة من حدادة ونجارة، تتضح هذه المظاهر بشكل جيد في السوق العشوائي (الجوطية) التي تعج بكل مظاهر الفوضى، لم يعد يقتصر السكن فقط على وظيفته الكلاسيكية المتمثلة في النوم والطعام وممارسات العيش، بل تعداه إلى تخصيصه للمهن الحرة، أو تربية الدواجن". (بوشعيب، 38 سنة، حي مولاي رشيد 4)

[284]: DODIER, Rodolphe (2009) 6p 4

[285] المرجع السابق، ص 46.

يتميز تقسيم الأدوار والعمل في مقاطعة مولاي رشيد بالتباين بين رب أسرة أخذ على عاتقه التكفل بقوامة السكن، وأسر أخرى تركت المسألة للمرأة في ظل بعض الظروف الخاصة بكل أسرة، وهي حالة حياة التي تكفلت بأبنائها الأربعة بعد دخول الزوج السجن بسبب قضايا إجرامية:

- أصبحت لوحدي في هذا العالم المظلم، أشتغل خادمة في البيوت، وجدت العمل بصعوبة، فكون بطاقتي الوطنية تحمل عنوان حي مولاي رشيد؛ يجعل كل الأسر البيضاوية تحاول الابتعاد ما أمكن عن هذه الشريحة من الساكنة، فأبنائي لا يرغبون في الدراسة، أما الابن الأكبر فأظن أنه يسير على خطى أبيه في الإجرام، إذ نقطن في غرفة واحدة، بينما نتقاسم المرحاض والمطبخ مع الجيران، و هذا مقابل 800 درهم كسومة كرائية، (حياة، 42 سنة، مولاي رشيد3).

يتبين من خلال هذه الشهادة بعض مستويات العيش في المقاطعة، إذ يتضح مثلا عيش خمسة أفراد في غرفة واحدة مكونة من ابنين وفتاتين مراهقتين، فالمسافة بين الأفراد لن تتعدى متر إلى مترين. وهو ما سيفتح المجال لممارسات لا أخلاقية من قبيل زنى المحارم، وتدني القيم الأخلاقية والدينية والمجتمعية. وهو الشيء الذي لن يقف عند حدود الغرفة بل سيتعداه إلى سلوكات إجرامية منحرفة من شأنها تهديد أمن المنطقة والمدينة بصفة عامة، وهو نفس ما تطرقت إليه إحدى الشهادات السابقة. نسجل أيضا تقاسم المرحاض والمطبخ الذي يحيل على التصميم الداخلي للمنزل. واضح أيضا من خلال غياب أي تأطير أسري أو اجتماعي الفترات الزمنية التي يقضيها السكان في الغرفة.

ستفرز إقامة الفرد في هذا المجال الضيق لا محال انعكاسات على مستوى السلوك خارج المنزل، وسيؤثر هذا على الهوية الاجتماعية، وسيخلف آثارا نفسية سلبية وعكسية، سرعان ما ستظهر على المجال وعلى الهوية المجالية، وهو ما يؤكد الفرضية الأولى التي انطلقنا منها. فتحديث منطق مسار الحياة لن يتأتى دون إعادة دمج البعد الاجتماعي والسياقي للتجارب الماضية[286]. فالمكان والزمان إذن متداخلان، ومعنى ذلك أن دلالة المكان لا تكمل إلا بالغيرية والزمان اللذان يعطيان للمكان العيني أو الاجتماعي دلالات فكرية إضافية[287]. فإذا كان سكان مولاي رشيد يتبرؤون من هويتهم التاريخية والاجتماعية والمجالية، فكيف ترى ساكنة مقاطعة أنفا المسألة؟

تعرف مقاطعة أنفا بسكنها المتنوع والمتكون في غالبيته من الفيلات والعمارات ذات أربعة وخمسة طوابق، كما تتميز بتباين طبقاتها الاجتماعية الموسومة بالاحتكاك الأوربي[288]، الشيء الذي يجعل تمثل المجال يختلف من فئة إلى

---

[286] MARTOUZET, Denis **THEBAULT,** Serge. BENOIT, Feildel, HELENE , Bailleul(2009)La construction de l'habiter à l'échelle de la vie diversité des figures identitaires de l'habitat et culture de l'habiter. p 9

[287] بلفقيه محمد (2002) الجغرافيا القول عنها والقول فيها، المقومات الابيستيمولوجية، ص 378

[288] أشار أندري ادم A. Adam في مقال له حول الطبقات الاجتماعية الحضرية في المغرب، إلى أن الثورة الصناعية التي عرفها المغرب بعد الاستقلال ساهمت في نشوء طبقات اجتماعية متباينة في المدن المغربية وخاصة الدار البيضاء، كما أن الاحتكاك مع الأوروبيين أدى إلى إحداث تغييرات على المجتمع التقليدي المغربي، فعرف هذا الأخير ظهور الرساميل والمقاولون والمهندسون والأطر العليا والعمال المؤهلون المستقدمون من خارج المغرب، هذا الاتصال الاقتصادي رافقه اتصال ثقافي حضاري ساهم في تغيير التصور العام للمديني المغربي، الذي أصبح تحديده غير مقتصر على البعد المجالي بقدر ما أصبح الاهتمام بالتحولات الاجتماعية والثقافية التي عرفتها المدن المغربية
Les classes sociales urbaines au Maroc. In: Revue de l'Occident musulman et de la) 1970(ANDRE, André. p. 223-238; unica. p Méditerranée, n°8,

أخرى، باعتبار أن إنتاج الخطاب عند الأفراد ليس مستقلا عن خصوصياتهم الاجتماعية، والتفسيرات مرتبطة دائما بمتغيرات مثل السن والجنس والوضعية الاجتماعية والمهنة الممارسة[289].

خلال هذه المقاربة، سنسلط الضوء على العلاقة المبنية بين الأفراد وبيئتهم، باعتبار أن تمثلات الأفراد لمجالهم يجب أن تأخذ في ديناميتها. كما أن استنباط ما يتضمنه المجتمع من مواقف وفوارق وما ينتج عنها من تباين في المواقف إزاء المجال نفسه[290] لن يتأتى دون تنويع مستويات المقاربة في هذا المجال المعروف بتمايزاته السوسيومجالية، أي أننا سنعتمد نماذج من سكن الفيلات ونماذج من العمارات، وأخرى من السكن الصفيحي.

فإذا كان ساكن مقاطعة مولاي رشيد يتبرأ من مجاليته ومجتمعه، فإن قاطن سكن الفيلات أو سكن العمارات بمقاطعة أنفا يفتخر بكينونته المجالية وبهويته الاجتماعية. فقد طغى اسم أنفا على تمثلات المستقر أو عمارة المجال عند الساكنة، ولم يعد السكن محددا مباشرا في الهويات، بل التواجد والتموقع في هذا المكان هو المحدد. حيث يعتبر قاطنو الفيلات السكن وسيلة للعيش ليس إلا، وأن لا فرق بين سكن الفيلات وسكن العمارات أو أي نوع من السكن، فالأساسي هو وظيفة الإيواء التي يؤديها السكن، وأن ما يتمثل عند عامة الناس خاطئ، فمن يلاحظ الفرق هو غير المتملك أو الساعي للوصول إلى مراتب البورجوازية:

- "الناس في تصوراتهم للسكن مختلفون وتطغى عليهم بعض الأحكام القبلية، من قبيل أن سكان أحياء الفيلات مختلفون ويمارسون حياة الترف والبذخ، نحن لا نعير السكن تلك الاهتمامات الكبرى، فأنا أستغله فقط ليلا، والمستمتع به حقا هو الحارس والخادمة. أنظر لتلك البناية، فهي لقروي باع أملاكه في البادية واقتنى فيلا، فهل سننظر إليه من خلال أصله الجغرافي أم من خلال سلوكاته في المنطقة، اقتنى ذلك المسكن بثمن باهظ فقط للسكن في عين الذئاب، يجب أن يهتم الناس بالإنتاج والمردودية والعلم عوض التهافت للوصول إلى المجد دون مجهود" (الحاج الفاسي، 66 سنة، عين الذئاب، أنفا)

يتضح من خلال هذه الشهادة أن المستقر عبارة عن علاقة بين الفاعل والمكان ومجال الوجود[291]، إذ تتأثر تمثلات الساكنة بمجموعة من المتغيرات، من بينها الوضعية الاجتماعية. فالفئات الغنية لها تصورها الخاص الذي يستغن عن المظاهر المادية الملموسة. يتأثر المستقر أيضا بالأصل الجغرافي، إذ يتضح أن الغرض الأساسي من المستقر عند ذوي الأصل القروي هو التباهي بوجوده في المنطقة، حيث أن مظاهر الحرمان والإقصاء الاجتماعي والتهميش المجالي في البادية دفعت بعض السكان إلى التفكير في أسلوب وجود يساهم في ترقيتهم اجتماعيا، فأصبح المستقر بذلك وسيلة للشرعية المادية والثقافية، وهدفا لإثبات التمدنية، من خلال استثمار التعمير والمعمار كخلفية. فهل هذا يكفي للحديث عن التمدنية في مقاطعة أنفا، أم إن المسألة تتطلب سياقا ثقافيا ومدة زمنية غير محددة؟ فالحديث عن التمدنية هو حديث عن الاندماج الثقافي والاجتماعي للأفراد في المدينة والحي[292].

---

[289] بزبز عبد الكريم (2007)علم اجتماع بيير بورديو، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، ص 36

[290] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 600

[291] HUGUES, Baudry. (2007) APPROCHE DES CONDITIONS FONDAMENTALESDE L'HABITABILITE DES 88 ESPACES. POUR UNECONTRIBUTION A LA GEOGRAPHIE COMMESCIENCE DE L'HABITER p 312

[292] NACIRI, Mohammed. (2017) Désirs de ville, Rabat, Economie Critique, p

من جهة أخرى وحسب الشهادات المستقاة من باقي الأحياء، لا يخفي قاطنو سكن العمارات وخصوصا في منطقة بوركون والعنق والراسين تفاخرهم بمستقرهم، إذ يعتبرونه كما أسلفنا الذكر وسيلة للارتقاء الاجتماعي. فقاطن بوركون والراسين في نظرهم، يختلف عن قاطن سيدي عثمان أو سيدي مومن أو باقي الأحياء الشعبية المتاخمة لمركز المدينة والمدينة الأوربية سابقا، فلا تتطلب المسألة تعميق التفكير للحكم على شخصية الفرد أو مستواه الثقافي، فمكان الإقامة هو المحدد المباشر في نظرهم، إذ تلعب عمارة المكان دورا حاسما في تحديد هوية الفرد الاجتماعية، كما تتميز هذه الفئة بإرادة صارمة مرتبطة بالصعود الاجتماعي، والرقي إلى مصاف الطبقات المهيمنة.

- بمجرد القول بأنك إبن منطقة بوركون أو الراسين أو أنفا عموما فإن ذلك إعلان بمكانتك الاجتماعية بغض النظر عن سكنك، أما امتلاكك لسكن فاخر أو شقة ممتازة في هذا الحي فهو ارتقاء إلى مصاف البورجوازية، امتلك شقة من 120 متر، وأقطن فيها رفقة زوجي وابني، وتقريبا كل سكان هذا الحي لهم نفس المساحة، كنت أقطن في حي الإنارة بعين الشق، قمت ببيع شقة هناك، واشتريت هذه، حيث كنا نشتكي من ساكنة ذلك الحي، كما أن جل صديقاتي من سكان بوركون. (جميلة.ع، مسيرة شركة، 43 سنة، بوركون).

يتضح من خلال هذه الشهادة مدى احتقار باقي أحياء مدينة الدار البيضاء، والسعي وراء كسب الهيبة الاجتماعية من خلال السكن في منطقة بوركون. كما أن حب التباهي أعطى للمستقر معنى آخر غير المعنى المخصص له، حيث أصبحت تحدد هويته من خلال البناء الاجتماعي للمجال عبر شبكات التقارب (شبكة الأسرة والأنشطة الاجتماعية) ومحدداتها المكانية (موقع المنزل الموروث أو المختار) المرتبطة بالسياق الجغرافي والعائلي والثقافي والاقتصادي، فالخيارات المكانية للموقع متداخلة في المجال الاجتماعي والعلائقي. وهكذا، فإن علاقة الأفراد بالمستقر مبنية على الشبكة الاجتماعية التي ينسجونها، بحيث يميل البعد الاجتماعي الذي يأخذه أي مجال إلى فرض نفسه في تشكيل طرق التعامل مع عمارة المجال. وهكذا يبدو أن المنطق الارتباطي الذي يربط المجالات المختلفة معًا يعتبر محددًا لفهم هيكل المستقر[293]. فالمجال لا يشكل بالنسبة للأفراد والجماعات مجرد هياكل مادية فحسب، بل هو أيضا حقل لترويج القيم وللتعامل بالرموز[294].

2: الهابيتوس habitus عند ساكنة مولاي رشيد وأنفا: مقاربة في أسلوب الحياة

لن يتأتى تعميق النظر في مفهوم المستقر دون الخوض بعين متأملة في ملمح العيش فيه وملمح الكينونة به وفيه. ولأجل هذا الغرض، تم توظيف مفهوم الهابيتوس، والذي تم تطويره من قبل الفرنسي بيير بورديو لمقاربة بعض الظواهر الاجتماعية والمجالية في شموليتها. فهو مفهوم مركب ومعقد، يجمع في طياته كل مظاهر العيش والثقافة والسلوك وأنماط وأساليب الوجود ذات المصدر الاجتماعي والمتأثرة بالعنصر المجالي أو العكس.

[293]BENOIT, Feildel. HELENE, Bailleul (2012) La structure de l'habiter : éléments de connaissances et perspectives pour les sciences du projet, Polytech Tours - Département Aménagement, Université F. Rabelais - Tours : p 8

[294]الشويكي مصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 600

نستهل مقاربة هذا المفهوم محليا، أي حسب خصوصيات ساكنة مولاي رشيد وأنفا بالتعريف الذي قدمه أندري لالاند لهذا المكون، إذ اعتبره " ظواهر اجتماعية يمكنها أن تنتج عادة من دون أن يكون المشاركون فيها واعون بها: واللغة والطبائع أمثلة عنها"[295]. فإذا كان الفرد يتميز بخصوصياته الذهنية والنفسية والوجدانية، فإن تواجده في مجال معين من شأنه التحكم في تلك الخصوصيات، إذ لا يفترض في مجالين مختلفين من حيث المكونات المجالية والاجتماعية أن يفرزا نفس الشخصية ونفس الثقافة والطبائع.

يتميز ساكن مقاطعة مولاي رشيد بخصائص مستلهمة من مجاله المعاش والمدرك، وهذا الأخير بالضبط يؤثر في المجال الأول. فبمجرد التواجد في أحيائه يعطي ذلك انطباعا بأن الفرد يتميز بشراسته وقوته وعدم خوفه من السلطة أو المجتمع. فقد أفرز الإشعاع الذي يمنحه المجال للفرد ظواهر اجتماعية من قبيل: التمرد على المجال بدون أدنى خوف واحتلال الملك العام وانتشار الباعة المتجولين وفوضى وسائل النقل غير المهيكلة. هذه السلوكات لن يستطيع قاطن هذه المنطقة عملها في مجال آخر غير هذه المجالات:

- **نحس داخل هذا النطاق (مقاطعة مولاي رشيد) أننا في امتداد لمنازلنا الشخصية، فنحن نمارس حياتنا في مجال خاص وليس في ملكية أحد، نتصرف بحرية في هذا الحي ولا أحد يستطيع أن يحاسبنا، أحمل في دراجتي النارية (تريبورتور) أكثر من عشرة أفراد، مقابل خمسة دراهم للفرد، فأنا بهذا أفضل من سائق سيارة الأجرة، لا نعترف بشيء اسمه القانون، بل لدينا عرف ينظم حركتنا مع باقي أصحاب الدرجات، لكن لا نستطيع القيام بهذا خارج هذا المجال، فالشرطة ستأخذ الدراجة إلى المحجز البلدي. (لحسن، 38 سنة، مولاي رشيد 4).**

نسجل من خلال هذه الشهادة مدى تطبع الفرد بطبائع وخصوصيات مجاله، فبدون وعي تمارس المجالية من قبل الأفراد بتأثير من المجال نفسه، كما نسجل أيضا فكرة عن الحميمية المجالية، إذ يلعب المستقر لدى معظم الناس دورًا محوريًا في هيكلة المجال المعاش الخاص بهم. السكن هو فوق كل شيء مجال وجداني، ويفصل بوضوح بين الخارج والداخل: الخارج هو مجال اجتماعي يجب على المرء أن يؤلفه مع الآخرين، بينما الداخل هو مجال الحرية. يتم نشر الحميمية أيضًا في أماكن أخرى عمومية بفعل عامل الانطباع، وهذه الأماكن تشارك في بناء الفرد لمستقره[296].

أشار بيير بورديو إلى أن الهابيتوس منظومة من الاستعدادات الدائمة التي اكتسبها الفرد خلال عملية التنشئة، وتترجم هذه الاستعدادات إلى مواقف واتجاهات وميول للإدراك والإحساس والتفكير، مستبطنة من طرف الأفراد نتيجة للظروف الموضوعية لوجودهم، والتي تشتغل كمبادئ لاشعورية الإدراك وللتفكير[297]. ويختزن هذا المفهوم بعض المكونات الأساسية لفهم الهابيتوس وهي: العامل الشخصي وعامل الزمن وعامل الوسط.

[295] أحجيج حسن (2018) نظرية العالم الاجتماعي :قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى، الرباط، ص 45

[296] DODIER Rodolphe, (2009) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, Sciences de l'Homme et Société. Université du Maine p 46

[297] BOURDIEU Pierre, (1980) LE SENS PRATIQUE, Les éditions de minuit, coll. « Le sens commun », Paris, P.88

تتأثر شخصية وثقافة الفرد بالفترة الزمنية التي قضاها في المجال، إذ لا يمكن تبني مواقف واتجاهات دون فترة زمنية تساهم في خلق هوية اجتماعية، فمعظم سكان مجموعات مقاطعة مولاي رشيد الست استقدموا في نفس الفترة الزمنية، ولهم نفس الأصل الجغرافي المتمثل في السكن الصفيحي. حيث ساهم هذا الأخير في التنشئة الاجتماعية والمجالية لقاطني المقاطعة، واعتبر هذا الأخير امتدادا لثقافة السكن الصفيحي بابن امسيك سيدي عثمان.

ساهمت الظروف الموضوعية لوجود هؤلاء السكان في إعادة إنتاج أنماط عيش وسلوك ذلك الوسط. فالهابيتوس موقف وسلوك، وخاصية دائمة يصعب تغييرها، وهو أساس الاختيارات التي يتخذها كل شخص، وأساس ما يقوم به من أفعال على حد تعبير أرسطو[298].

" الناس هنا مازالوا يعيشون على عقلية الكاريان، الكل يتصرف بحرية وفي إطار اللاقانون، أحيانا يتم حرماننا من النوم بفعل سلوكيات بعض الشباب، والغريب في الأمر، أن الأجيال الصاعدة تكون متأثرة بأفكار وسلوكيات الأجيال التي قبلها، معظم الشباب والأطفال لا يرغبون في الدراسة، يفكرون في الهجرة، أو ممارسة بعض السلوكيات الانحرافية، وهي في معظمها سلوكيات مستقدمة من الكاريان، لم يستطع الآباء تجديد ثقافاتهم وتوريث ثقافة حضارية لأبنائهم". (السعدية.م، 28 سنة، مستوى جامعي، مولاي رشيد 3).

فإذا كان هذا هو الوضع في أحياء مقاطعة مولاي رشيد، فما هي بعض خصوصيات مقاطعة أنفا المتميزة بارتفاع مؤشراتها الثقافية الايجابية؟ للإجابة عن هذا السؤال، ننطلق من فرضية مفادها أن الهابيتوس هو نتاج المجال والمسار الاجتماعي للأفراد. ونشير هنا إلى أن مقاطعة أنفا تتميز باختلاف المواقع وتباينها، حيث نميز فيها بين مجال الفيلات، ومجال العمارات، ثم مجال السكن الصفيحي. لكل مجال من هذه المجالات خصوصيات ثقافية وأساليب حياة متنوعة. وكل مجتمع - مهما كان- يقوم بصياغة ممارسات تقنية وقواعد للسلوك، ويبني تمثلا للعالم، ووفق هذا المنطق فهو يؤسس لثقافة الهوية الجماعية[299].

يتسم بعض سكان مجال الفيلات بثقافة الاختلاف والابتعاد عن المألوف وعن الثقافات الشائعة والمعتادة، بحثا عن التميز عن باقي الفئات الاجتماعية، وتترجم ثقافة هذه الفئة في شكل تمظهرات قائمة على الذات. يتجلى ذلك من خلال الاهتمام المفرط بالجسد والتردد على أماكن تجميل باهظة الثمن، واقتناء مستلزماتها من علامات تجارية عالمية، والتسوق والتبضع من الدول الأوربية المجاورة، وقضاء العطل الأسبوعية خارج المغرب بغية الترفيه عن النفس، وعدم التواجد في الأماكن العمومية أو الحفلات العمومية أو التردد حتى على الشاطئ القريب منهم "عين الذئاب"، باعتباره أصبح متنفسا للجميع.

تتجلى أيضا هذه التمظهرات الثقافية من خلال نظام التغذية الذي تحاول هذه الفئة ما أمكن أن تجعله مغايرا، حيث تتبنى حميات تغذية طبية بهدف الحفاظ على الرشاقة واللياقة، كاعتماد نظام غذائي نباتي مكلف، أو استيراد أنظمة غذائية من دول الشمال:

- **"أحاول ما أمكن الاعتناء بجسمي وبذاتي، أمارس الرياضة بانتظام في الصباح الباكر قبل الذهاب إلى العمل في مركز جيم اناستازيا، أتناول وجبة فطور صحية تحت وصاية**

[298] أحجيج حسن (2018) نظرية العالم الاجتماعي :قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى، الرباط، ص 46-47

[299] بزبز عبد الكريم (2007) علم اجتماع بيير بورديو،أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر ص 105

طبيبي الخاص، أقتني مستلزماتي التجميلية من فرنسا التي أزورها مرتين في الشهر، لا أتردد كثيرا على المطاعم، فلدي نظام خاص، تساعدني الخادمة في إعداده، لدي صديقات لهن نفس النظام ونفس العادات اليومية. (سناء، 38 سنة، صاحبة مقاولة، عين الذئاب).

يتضح من خلال هذه الشهادة مدى حضور الانفرادية والمجالية في الممارسات اليومية. إذ يستخدم ويطور الأفراد مجموعة من الأماكن، تخصص - في عموميتها- للأنشطة المهنية والترفيه والسفر والاستجمام. لفهم واقع مجتمع أنفا، يمكن تصنيف هذه الأنشطة في شبكة يمكن تمثيلها في ثلاثة أبعاد وهي: المسافة والزمن والتردد، ولعل تجميع هذه الأبعاد من شأنه رسم خريطة مجالية للممارسات الفردية، وهي من سيحدد معالم الهوية الاجتماعية للساكنة. فمجالية الفرد عبارة عن روابط تفهم في ديناميتها وتحدد عنصر الهوية المتعلق بتجربة المجالات المتردد عليها، كأبعاد للذات التي تحدد الهوية الشخصية للفرد المرتبطة بالمجال[300].

في ما يخص قاطني العمارات، تفكر هذه الفئة في ما يمكن أن يرفع من شأنها اجتماعيا، وذلك من خلال تبني سلوكات ومواقف تعتبرها من نصيب الطبقات الراقية. فما دامت تعيش على رقعة جغرافية تتميز بهيمنة الفئات الغنية، فشغلها الشاغل هو الصعود الاجتماعي عبر الثقافة، ما دام الصعود الاقتصادي يتطلب مدة زمنية غير معروفة أو يمكن أن لا يحصل بتاتا. تركز هذه الفئة على القيم المثلى مثل العمل والنظام والصرامة والدقة، معتقدة بذلك أنها من أولويات الطبقات البورجوازية. لذا تحاول الاهتمام بأساليب اللباس، ليس من أجل الذات وإنما من أجل الآخر، مما يضطرها إلى التردد على الماركات التجارية العالمية المتواجدة بالمدينة، وتغيير الأثاث كل سنة أو سنتين. تهتم هذه الفئة بالأنشطة الفنية والموسيقية الكلاسيكية الراقية، معتقدة أنها من أذواق ساكني الفيلات. وتحاول ترقية الهوايات الخاصة بها، من خلال التردد على ملاعب الكولف المتوطنة في أنفا ذاتها، بالإضافة إلى التردد على ملاعب التنس:

- **" أحاول أن أنظم وقتي قدر المستطاع، أقسم الوقت بين العمل والمنزل وتربية ابني والترفيه، كل صباح أرافق ابني إلى المدرسة، ثم أذهب مباشرة إلى العمل، وفي المساء بعد العودة إلى المنزل و قضاء ما يلزم ، أذهب إلى النادي رفقة بعض الأصدقاء، نمارس رياضة التنس، أما في العطل الأسبوعية فنمارس رياضة الكولف في الملعب الملكي. بالنسبة للمنزل، أمتلك شقة من ثلاث غرف، نعيش فيها نحن الثلاثة (الزوج والزوجة والإبن)، زوجتي موظفة هي الأخرى مولوعة بتغيير شكل المنزل بين الفينة والأخرى، نذهب إلى السينما كلما ظهر نشاط فني. أقضي العطل الصيفية بين مدينة افران وطنجة ". (سمير.م، موظف في شركة، 42 سنة، الراسين).**

يتضح مدى ارتباط الهابيتوس بالمجال الاجتماعي وبالمواقع الاجتماعية. وهو ما يؤكد طرح بيير بورديو في هذا الباب، والذي وصف المجال الاجتماعي بحقل قوة، أي أن المجال الاجتماعي مجال سلطة موزعة بطريقة متفاوتة. فلكل فرد ثقل معين (رأسمال) في اللعبة الاجتماعية، يستعمله لتحسين موقعه، أو للحفاظ عليه، وهذه المواقع

[300] **THEBAULT** Serge (2008), Espaces habités, espaces anticipés, Agence Nationale de la Recherche (ANR), Mars. p17-16

متمايزة فيما بينها، بمعنى أنها تتوزع إلى مواقع مهيمنة وأخرى مهيمن عليها تبعا لأحجام وبنيات الرأسمال الذي راكمه كل فاعل خلال حياته[301]. وتتمثل المواقع المهيمنة في ساكنة الفيلات المتميزة بامتلاك جميع أنواع الرساميل، في حين تتمثل المواقع المهيمن عليها في قاطني العمارات المجاورة لسكن الفيلات، والتي تهدف إلى تحسين مواقعها. وهذا الموقع الاجتماعي المبني انطلاقا من الرأسمال الاقتصادي والرأسمال الثقافي، يمثل أفضل تنبؤ بممارسات وتمثلات الفاعلين الاجتماعيين[302]. وكلما كان الرأسمال الثقافي فعالًا، كلما ساهم في تحديد الموقع داخل المجال الاجتماعي[303].

تركز الطبقات الشعبية القاطنة في السكن السكن الصفيحي على ضروريات الحياة - كما أسلفنا الذكر- ، فلن تجدها تهتم بالذات أو التباهي، بل بالكاد تنشغل بتوفير قوت العيش وتأمين مستلزمات البيت:

- أقطن في البراكة رفقة أبنائي الأربعة، فهي لا تتعدى 40 مترا، أشتغل في الصباغة، أقضي اليوم كله في العمل، زوجتي ربة بيت، أشتغل طيلة الأسبوع، قلما اجعل يوم الأحد كيوم راحة، أقتني مستلزمات المعيشة في سويقة الحي الحسني عندما أكون عائدا في المساء من العمل، أما في العطل المدرسية، فأرسل أبنائي إلى البادية (العروبية) عند جدهم، نعيش بشكل عادي، وفي فصل الشتاء نعيش ظروف صعبة ماديا كون العمل يقل في هذا الفصل ". (أحمد، صباغ، 46 سنة، السكن الصفيحي المتواجد في سيدي عبد الرحمان)

يتضح مدى تشبث الفئات الشعبية بمقومات وشروط الحياة الضرورية، فهي لا تفكر سوى في العمل والتنقل والترفيه (موسميا في العطل الصيفية). وهي من بين الوظائف البشرية التي تطرق إليها هيدغر خلال حديثه عن المستقر في محاضرته سنة 1954[304].

وضحت الشهادات السابقة مدى تفاوت الهابيتوس حسب المواقع الاجتماعية في المجال الاجتماعي. فوجود الطبقات يمثل رهانا للصراع في مجال التمثلات وفي الواقع معا، فالطبقة الاجتماعية تكون لها حظوظ الوجود عندما يكون الفاعلون الذين يكونوها متقاربين في رقعة المجال الاجتماعي. نسجل تطابق ممارسات معينة في المجال الاجتماعي، حيث تتم ترجمة مجال المواقع الاجتماعية إلى مجال من الاستعدادات المستبدنة (أذواق ورغبات وممتلكات) ومن المواقف (آراء وتمثلات). وترتبط كل طبقة اجتماعية بطبقة هابيتوسات ناتجة عن التشريطات الاجتماعية المطابقة، فالهابتوس هو ما يوحد اختيارات الأشخاص والممتلكات والممارسات في كل قطاعات الحياة الاجتماعية[305].

بينت مقابلات هذه الفئات الثلاث أن خصائص الفاعلين (ممارساتهم) تطابق إحصائيا مواقعهم الاجتماعية، ولا سيما طبقة شروط الوجود التي ينتمون إليها، إذ هناك تجانسا بين مجال المواقع الاجتماعية، ومجال أساليب الحياة المكونة من مختلف خصائص واختيارات الفاعلين، فالمجال الاجتماعي يتحدد بالمواقع التي يشغلها الفاعلون

[301] أحجيج حسن 2018 نظرية العالم الاجتماعي: قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو، ص 107
[302] المرجع السابق ص 111
[303] BOURDIEU, Pierre. (1984) Espace social et genèse des "classes". In: Actes de la recherche en sciences sociales. Vol. 52-53, juin. Le travail politique P 4
[304] YAHYAOUI Mostafa et al,(2020), Habiter dans/à la périphérie de la ville, in : la marge entre discours géographiques et réalité de construction et reproduction des inégalités sociales, coordination Mohammed Aderghal et Ahmed Ait moussa , ANAGEM, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia p 121
[305] أحجيج حسن (2018) نظرية العالم الاجتماعي: قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو، ص 113

فعليا[306]. فإذا كان الهابيتوس وسيلة لقياس مفهوم المستقر الذي يعتمد إلى حد كبير على التمثلات التي يصوغها الفرد في موقعه الاجتماعي، والتصور الذي لديه عن مجاله المادي والاجتماعي[307]، فكيف سيساهم التنظيم الاجتماعي في مقاربة المستقر؟

3: التنظيم الاجتماعي المجالي للمستقر

يشير هيدغر إلى أن المستقر هو قبل كل شيء طريقة للوجود في بعدها الأخلاقي، ويترجم إلى مجموعة من السلوكات والمواقف والذكريات[308]، وهو ما يؤكد أن عمارة المجال لا تقتصر فقط على السكن في بعده المادي، وإنما لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الظواهر غير الملموسة الدالة على أخلاقيات المجال. ويلخص هذا الأخير واقعًا معقدًا من العلاقات الاجتماعية والمجالية التي تدار بشكل مشترك من خلال القواعد الاجتماعية[309]. يقتضي استنباط هذا الواقع المعقد وهذه الأخلاقيات تفكيك عناصر التنشئة المجالية للفرد، إذ لا يمكن استيعاب تنظيم المجال بدون فك تشفير هياكله[310].

سنحاول خلال هذا المحور الإشارة إلى بعض هذه العناصر والمظاهر المنتشرة في المجالين المدروسين. خصوصا في مقاطعة مولاي رشيد التي تتميز بوجود ساكنة هشة تعاني من الفقر والهشاشة. كما سنحاول إدراج بعض مظاهر المورفلوجية العامة للمقاطعتين، من حيث تكدس الساكنة من خلال التركيز على السكن، ومن حيث علاقة الفرد مع الحي ومع السلطة، ومدى شعوره باندماجه في الحي والمدينة بصفة عامة.

شكلت مقاطعة مولاي رشيد (خصوصا المجموعات الست) ولازالت نقطة سوداء في عيون ساكنتها خاصة وساكنة الدار البيضاء عموما، إذ تتميز بارتفاع معدلات الجريمة والسرقة والانحراف والشجار وبيع المخدرات والخمر. لا يمكن إنكار تفشي هذه المظاهر في جل مقاطعات المدينة، إلا أن مقاطعة مولاي رشيد تتميز بالريادية في هذا المجال، فبالرغم من تراجع هذه المظاهر، فإن تمثلات الساكنة لم تتراجع بل استمرت في نفس النظرة ونفس التصور. فالبعض يفسر ذلك بتفشي البطالة والفقر، وهناك من يرى أن الأصل الجغرافي له دور في هذه التمثلات، في حين ترجعها عينة أخرى إلى الانفلات الأمني. فمخافر الشرطة في مجموعات مقاطعة مولاي رشيد الست قليلة وغير كافية لاستيعاب الكثافة السكانية بالمنطقة:

- **هذه أحياء الفقراء، تنعدم فيها شروط الحياة الضرورية، لا تستطيع التجوال بكل حرية نهار أو ليلا، لا تكاد تخلوا أزقة أحيائنا من المتسكعين ومن شباب يعاني ويلات البطالة، أنظر إلى واجهة منازلنا ستجدها الأسوأ على مستوى مقاطعة مولاي رشيد، هناك أزقة معروفة تباع فيها معظم أنواع المخدرات.(نوال.ف ،خياطة 46 سنة، مولاي رشيد 6).**

[306] المرجع السابق، ص 114-117

[307] **THEBAULT** Serge (2008), Espaces habités, espaces anticipés, Agence Nationale de la Recherche (ANR), 14 Mars. p

[308] **Ibid.** p 14-15

[309] DI MEO, Guy. (2014) Introduction à la géographie sociale, Armand colin, Paris p 71

[310] FRÉMONT Armand (1976) la région espace vécu, Editions Flammarion. 1999 p 79

تمت تزكية هذه الشهادة من خلال الملاحظة بالمشاركة. فخلال الفترة التي قضيناها في هذه الأحياء، كنا نعاين مظاهر ومواقف عدم القدرة على التنقل بكل حرية، وهي ناتجة بالأساس عن غياب الأمان والأمن والحماية والعيش في بيئة سليمة، وهي عناصر تعتبر من أهم الحقوق المدنية والأساسية التي نص عليها الدستور المغربي لسنة 2011 كما جاء في الفصل 24 "حرية التنقل عبر التراب الوطني" والفصل 31: "تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنات والمواطنين على قدم المساواة من الحق في الحماية الاجتماعية، والعيش في بيئة سليمة"[311].

فإذا كانت المواطنة تقتضي التمتع بجميع الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مع الالتزام بمجموعة من الواجبات، فإن ساكنة مقاطعة مولاي رشيد محرومة من معظم هذه الحقوق، وهو ما يفتح المجال أمام تمردات مجالية واجتماعية. يرى الحس العام المشترك أنها ناتجة عن قلة وعي الساكنة، في الوقت التي تعود أسبابها إلى عدم تمتيعها بحقوقها. وهو ما ينذر بأزمة اجتماعية ومجالية. إذ تنبأت دراسات بتفاقم الأزمة الاجتماعية بالدار البيضاء وتشعب مظاهرها وقنواتها، وطرحت أكثر من تساؤل حول المستقبل: فهل سيستمر استغلال الأزمة في التدجين حتى بالنسبة للأجيال المقبلة؟ وماذا أعدت مراكز السلطة والقرار من حلول لمواجهة تطور الأوضاع الراهنة؟ وهل هناك وعي بخطورة الأوضاع الحالية وتطوراتها المستقبلية[312].

في المقابل، فإن ساكنة مقاطعة أنفا (باستثناء قاطني دور الصفيح في قطاع العنق وسيدي عبد الرحمان) لهم رأي مغاير لما استخلصناه في مقاطعة مولاي رشيد، وذلك من خلال الإحساس بالتمتع بكل الحريات المنصوص عليها. فهذه الساكنة ومن خلال الشهادات التي استقيناها، أكدت على عدم وجود أي مشكل مرتبط بالأمن والأمان، فالكل يتنقل بكل حرية وفي أي وقت، كما أكدت العينة المدروسة على انتشار رجال الأمن في كل مكان ومرور دورية بين الفينة والأخرى، الشيء الذي يؤكد توفر شروط العيش الكريم:

- **أشكر السلطات التي جعلتنا نحس وكأننا في وطننا، لم نشعر قط بانفلاتات أمنية، أتجول رفقة زوجتي بكل حرية نمارس الرياضة، حتى الحارس قد تخلينا عنه منذ مدة، لا وجود لمتشردين هنا، باستثناء فصل الصيف الذي تكون فيه كثرة الحركة، ويعج فيه المصطافون إلى الشاطئ آنذاك تقل حركيتنا نحن.(دانيال، يهودي مغربي، 58 سنة، عين الذئاب).**

هناك عدة إيحاءات من هذه الشهادة تحيل على نوع المظاهر السائدة في هذه المقاطعة، فقوله أنه قد تخلى عن حارس المنزل، معنى ذلك غياب السرقة ومظاهر الانحراف. كما أن ممارسة الرياضة رفقة الزوجة مؤشر على التنقل بكل حرية من جهة ومؤشر على تمتعه بحقوقه الدستورية من جهة ثانية، إذن لا غرابة من الإحساس بالمواطنة، فالظروف والشروط الضرورية متوفرة، والتمتع بالمواطنة مرتبط بالحقوق أكثر من الانتماء الجغرافي.

من العناصر المعتمدة خلال دراسة التنظيم الاجتماعي المجالي نجد مسألة الهيكل العام للسكن، إذ يتضح من خلال إلقاء نظرة عامة حول المورفلوجية العامة للسكن في أحياء مولاي رشيد مدى تكدس السكن، وعدم وجود أي مساحات مفتوحة. فهو عبارة عن ثلاثة إلى أربعة طوابق، تتخذ شكلا طوليا وتتميز بصغرها وضيقها، كما تتميز بارتفاع

[311] الدستور المغربي 2011: الفصل 24 والفصل 31
[312] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 629

الكثافة السكانية. فتظافر كل هذه العوامل، سيفرز لا محالة مظاهر لا معيارية كما أكدت ذلك مدرسة شيكاكو، أي الميل نحو الانحراف والجريمة بسبب الطبيعة الهشة والتنشئة الاجتماعية الملتوية والظروف الصعبة[313]. وقد دفعنا هذا إلى استحضار نظرية الأنومي اللامعيارية عند دوركايم، الذي أشار إلى أن الفشل في تحقيق الأماني والطموحات يؤدي إلى انهيار القيم الإنسانية في المجتمع، وإحداث تغيرات اجتماعية وانتشار الجريمة[314].

في الجهة المقابلة الخاصة بأنفا، نجد السكن المتفرق والشاسع والمتمثل في سكن الفيلات في مجموعة من القطاعات، كأنفا وامتداد الراسين وعين الذئاب وسيدي عبد الرحمان، وإن وجد السكن الجماعي، فإنه يوجد على شكل عمارات تتألف من شقق ذات مساحات مهمة، أما السكن الاقتصادي فيكاد ينعدم في هذه المقاطعة .

تتميز مقاطعة أنفا بقلة عدد الأفراد في الغرفة الواحدة، وبانخفاض مستويات الكثافة السكانية، وهكذا ستكون الثقافة المنبثقة من هذه الظروف مغايرة عن ثقافات مناطق الكثافات المرتفعة، من قبيل مستوى اللباس والخطاب والتعامل والمكانة الاجتماعية والذوق الفني والثقافات الفرعية الشبابية، وهو ما سيعزز الهوية المجالية المعتمدة على الانتماءات الثقافية الدالة على مظاهر التحضر[315].

4: مؤشر تباين الحياة الحضرية

عرف كاستلس Castels الحياة الحضرية بكونها نمط عيش خاص بالمدينة، وطريقة في الحياة والسلوك ونسق من المواقف والقيم والمعايير والسلوكات ونظم من التفكير وطرق من الممارسات، وتعتمد على أربعة عناصر حضرية وهي: الإنتاج والاستهلاك والتبادل والتدبير[316]. إن تفكيك هذا المفهوم، يجعلنا نشير إلى وجود نمط حياة اجتماعية خاصة بالمدن، من حيث علاقات الجوار، وطبيعة الأسر، وكذا خروج المرأة للعمل. فما هي بعض خصوصيات الحياة الحضرية بالمجالين المدروسين؟

بالنسبة لمجال مولاي رشيد، وبالضبط الأحياء الستة المكونة من الفئة القادمة من الحي الصفيحي، حاولت هذه الساكنة التكيف مع حياة الحي أو الدرب في كل مستويات الحياة الحضرية، سواء من حيث السلوك وطريقة التعامل مع الغير، أو من حيث التنظيم واستغلال المجال العام لمدينة الدار البيضاء واستغلال وسائل النقل

---

[313] الزواهرة عمر عبد الله المبارك (2013) المتغيرات الاقتصادية وأثرها على السلوك الجرمي والانحراف، دار الحامد للنشر والتوزيع – الأردن الطبعة الأولى ص 177

[314] دوركايم، أميل. (1893) في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة حافظ الجمالي، مجموعة الروائع الإنسانية –الإنسكو، السلسلة العربية، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروث 1982، ص 453

[315] حسب معجم الجغرافيا ومجال المجتمعات، وجد مفهوم التحضر شرعيته العلمية في المنظور النظري للمدينة وفي الطابع الحضري للمجال المقترن بالكثافة السكانية وتنوع مواضيع المجتمعات في المجال وكذلك التكوين المجالي configuration spatiale لهذا الاقتران، يميز المؤلفون مستويات التحضر المطابق لـ "الأنماط المكانية التي تميز المساحات الفرعية الحضرية عن" النمط الجغرافي المركزي وعن الأنماط الأخرى غير الحضرية" وذلك حسب معايير ومؤشرات علمية دقيقة. وفقا لهذا التصور، فالتحضر أكبر من ربطه بالكثافة السكانية، إذ يجب الاهتمام بتنوع مواضيع المجتمعات في المجال وتفاعلاتها المجالية

dans l’analyse des villes du Les notions de citadinité et d’urbanité ISABELLE BERRY-CHIKHAOU(2009) 5équipe Monde arabe Méditerranée (EMAM) - CITERES Montpellier p Essai de clarification Monde arabe.

[316] CASTELS, Manuel. (1969) Vers une théorie sociologique de la planification urbaine. In: Sociologie du travail, 11e année n°4, Octobre-décembre. Politique urbaine. 423 p.

العمومية. بعدما كانوا يعيشون العزلة في الحي الصفيحي الذي كان مجرد خروجهم منه يسبب لهم الخجل والحياء - إذ ترسخت في أذهانهم فكرة أنهم مجرد سكان من دور الصفيح "الكاريان"-، وهو ما كان يلحق بهم نوعا من العار، ويجعلهم يفضلون التقليل من حركيتهم تجاه مركز المدينة. أما اليوم، فقد تغير كل شيء، حيث تم تبني نفس نمط الحياة الاجتماعية لباقي سكان المدينة:

- **كنا نخجل من قول أننا أبناء كاريان بن امسيك أو كاريان سيدي عثمان، هناك مفارقة غريبة بيننا وبين قاطني كاريان سنترال، هؤلاء كانوا يفتخرون بكونهم أبناء ذلك الحي، أما نحن فلا، كنا نتردد قليلا على مركز المدينة، كلما توجهنا نحو العمل، كنا نخفي هويتنا، أما اليوم، فالشباب يفتخر أنه ابن مقاطعة مولاي رشيد، فهم يظنون أن ذلك يجلب لهم هيبة ورجولة مقارنة مع باقي سكان المدينة، من خلال انتشار الجريمة وما شابه ذلك. (لحسين، نجار، 52 سنة، حي مولاي رشيد 4).**

لم يستوعب سكان مولاي رشيد صعوبة الحياة الحضرية إلا بعد أن كبر الأبناء، وازدياد حاجياتهم اليومية والاستهلاكية وتطلعهم إلى نمط العيش الحضري، من خلال الرغبة في الولوج إلى المدارس الخاصة، والرغبة في تبني نمط استهلاك باقي الفئات الاجتماعية، وخصوصا ما يتعلق منها بمظهرهم الخارجي، من قبيل اللباس وطريقة الكلام وتناول الأطعمة في مطاعم مركز المدينة. كل ذلك من أجل التعبير عن عدم الحرمان، وأن لا فرق بينهم وبين باقي الفئات الشعبية، وقد لعبت المجالية دورا مهما في فهم هذه الأنماط الاجتماعية.

بالنسبة لمقاطعة أنفا، يمكن تشبيه الحياة الحضرية بها بما أشار إليه إسكاليي Robert Escalier خلال حديثه عن الوسط الحضري، إذ يقول "*في الوسط الحضري، يتميز النشاط الاقتصادي بتنوع كبير في المهن، وقد حدد بعض أنواعها (المهن العلمية والتقنية ومهن التجارة والمهن الإدارية)، فالحديث عن الوسط الحضري يتطلب الانتقال إلى الشق الاجتماعي والثقافي المرتبط بتحسين وضعية المهن، وانعكاسها على مستوى الدخل والاستقرار المهني والأمن والأمان والتخلص من الفقر*"[317].

تتمركز معظم المؤشرات التي تحدث عنها اسكالي في المقاطعة (أنفا)، من خلال تدني مستويات الفقر وانتشار الأمن والأمان وارتفاع مستويات الدخل الفردي وانتشار المهن التقنية والإدارية، جعلتنا هذه المؤشرات نستخلص أن الحياة الحضرية بمقاطعة أنفا لا تخلوا من معايير حياة التمدنية، مع وجود استثناءات بين الأحياء، خصوصا في أحياء سكن العمارات وأحياء السكن المغربي والسكن العشوائي والصفيحي.

في ما يخص طبيعة الأسر السائدة، نشير هنا إلى أن ساكنة أحياء مولاي رشيد - خصوصا القادمين من السكن الصفيحي بابن امسيك سيدي عثمان- لم تحتفظ ببعض خصوصيات العيش في السكن الصفيحي المتمثلة في قيم التضامن والتعاون والعمل الجماعي، وفتح الأبواب في وجه الجار وتبادل التهاني في المناسبات والأعياد، بل تأثرت هي الأخرى بالتغيرات التي طالت المجتمعات الحضرية المعاصرة، فأغلقت هي الأخرى الباب في وجه الآخر، وتبنت النمط النووي المكون من الأب والزوجة والأبناء. وقد تقل حدة هذه الظاهرة في المجموعات الست لمولاي رشيد، أي الأحياء

[317] ESCALLIER Robert (1978), la population urbaine au Maroc, étude géographique, thèse de doctorat , présentée devant l'université de Nice .p : 36-80

التي تتميز بساكنة ذات أصل السكن الصفيحي أو السكن القروي، بينما تزداد حدة في باقي أحياء المقاطعة، خصوصا المتضمن للسكن الاقتصادي كحي الهدى.

هذا وتتقاطع هذه الطبيعة الأسرية مع ما هو موجود في مقاطعة أنفا، والتي تزداد فيها الظاهرة بشكل مبالغ فيه، إذ أن الفرد في هذه المقاطعة يعيش ويتمتع بفردانيته، وهو ما جعل منظومة قيمه الثقافية والاجتماعية تتخذ مسار التجزؤ والانقسام، الشيء الذي سيؤثر على مشاركته الاجتماعية والحضرية، وعلى تشويه بنيته الاجتماعية. وقد كان للتطور التكنولوجي دور هام في هذا الباب، فالتقدم الذي عرفته وسائل الاتصال السمعية والبصرية جعل الفرد يكون اجتماعيا في العالم الافتراضي وانفراديا ومنعزلا في عالمه الواقعي، وهو هروب من الواقع المعاش نحو واقع افتراضي، والإعلان عن دخول الفرد في الفردانية.

أكثر من ذلك، فإننا لا نتحدث فقط عن الفرد الانفرادي في مقاطعة أنفا، بل نتحدث عن المجتمع الفرداني، وذلك بحكم طبيعة المجتمع السائد، وطبيعة الرساميل الممتلكة والمتحكم فيها. فالفردانية عقيدة تجعل الشخص - الفرد - نقطة مرجعية لا يمكن تجاوزه. وهي تعارض "الجماعية. وبالمعنى الاجتماعي، نقول أن المجتمع فرداني عندما يتمتع بانفرادية ممنوحة حسب الأعراف والقيود الاجتماعية[318].

يأخذ المجال المعاش أبعادا اجتماعية كما تم تشكيلها، من بين هذه الأبعاد، نجد علاقات الجوار التي تعد من العلاقات الاجتماعية، والتي تتجلى من خلال توزيعات مكانية معينة[319]، إذ أن طبيعة هذه العلاقات ستختلف من مجال لآخر. فارتباطا بطبيعة الأسر السائدة، سجلنا أيضا التغيير الحاصل على مستوى علاقات الجوار في المقاطعتين، والتي تنصلت من كل القيم التقليدية التي كانت سائدة قبل الانفجار الديمغرافي والتكنولوجي والمجالي، ولم نعد نتحدث عن تلك العلاقات الراسخة بين الأفراد، حيث اندثرت قيم التعاون والتضامن والأنساق التقليدية، وحلت محلها القيم النفعية والمصلحية:

- **كل أسرة هنا منغلقة على نفسها، فإذا مر جار وألقى التحية عليك فأنت من المحظوظين، أما إذا سمعته يطرق بابك فاعلم أن مصيبة قد حلت أو أن هناك مصلحة أو حاجة يرجو أن تقضيها له، فقلما نتبادل التهاني في المناسبات، بل و أحيانا تجد سكان إحدى العمارات منشغلين بمراسيم العزاء، بينما في نفس الوقت يقيم بعض سكان العمارة المجاورة حفلات أو أعراس، الشيء الذي يجعلك تكره التواجد بالمدينة. (حسن، 32 سنة، حي الهدى، مولاي رشيد).**

وهذا ما أكده ويرث Louis wirth قائلا" ينعدم مصطلح الجوار في المدينة، وهو يحمل دلالة واحدة وهي التقارب المادي، كون طبيعة العلاقات الحضرية أصبحت تكتسي صبغة المنفعة والسطحية في الأحياء المأهولة، وهي راجعة بالأساس إلى خصوصية الحياة الحضرية التي فرضت نوعا من العلاقات[320]."فلم يعد للجوار الاجتماعي أي مدلول مقابل انتشار الجوار المجالي المادي، ولم يعد الإنسان ذلك الإنسان القيمي المتشبع بالمبادئ الداعية إلى حسن الجوار.

[318] BIRNBAUM Pierre et LECA Jean (1991) Sur l'individualisme Théories et méthodes, Les Presses de la Fondation nationale des sciences politiques, Nouvelle édition, (2e édition) Paris p 51
[319] FRÉMONT Armand (1976) la région espace vécu, Editions Flammarion. 1999 p 75
[320] Joseph,(1979)Ecole de Chicago, naissance de l'écologie urbaine, 1ere édition. Champ urbain, p36.

من المتغيرات المعتمدة في دراسة الحياة الحضرية بالمقاطعتين، سجلنا مسألة خروج المرأة للعمل، وهي ظاهرة تتباين من حيث الكم ونوعية الإنتاج والعمل بين المجالين المدروسين، وتتأثر بمجموعة من العوامل التاريخية والاقتصادية. فقد شهدت فترة أواخر السبعينيات توسع علاقات الإنتاج الرأسمالي في المغرب، وكانت عملية غير متكافئة ومتفاوتة جغرافيًا. كما سجلت أيضا اختلافات اقتصادية بين المناطق المنتجة، إذ تخصصت بعض المناطق في الصناعات المنجمية كالمناطق الشرقية وأخرى هيمنت عليها الصناعات النسيجية كمدينة الدار البيضاء[321].

دفع انتشار هذه الصناعات بالمدينة ببعض الفئات وتحت تأثير ضغوطات الحياة إلى خروج المرأة للعمل، إذ ظهر عمل النساء خارج المنزل، وهو أحد أكثر السمات المميزة للمجتمعات الحديثة لأول مرة في الطبقات الدنيا تحت تأثير الضرورة[322]. ففي هذا السياق، خرجت بعض نساء مقاطعة مولاي رشيد إلى الاشتغال في معامل النسيج لسد بعض حاجيات الحياة اليومية. وفي هذا الصدد قمنا بمقابلات إثنوجغرافية مع حوالي 24 امرأة حول عملهن وظروف خروجهن للعمل، فكانت الأسباب متباينة بين من خرجت للإحساس باستقلالية مالية، وهناك من اضطرت للعمل بعد دخول الزوج السجن، وهناك من قررت مساعدة الزوج في تكاليف الحياة.

تباينت نوعية عمل نساء مقاطعة مولاي رشيد بين العمل كخادمات في البيوت، أو العمل في أوراش النسيج في مقاطعة عين السبع والبرنوصي. والظاهر من خلال هذا الاستقصاء الميداني هو ضعف المشتغلات في الإدارات أو الوظيفة، ومن أسباب ذلك ضعف المستوى التعليمي لديهن (حوالي 6,6%[323] نسبة التعليم العالي في صفوف نساء مقاطعة مولاي رشيد). جل النساء يعملن في وظائف تتطلب مجهودا عضليا، ما عدا قلة منهن خصوصا في حي بورنازيل وإقامات الهدى. وهكذا اتخذت نساء مولاي رشيد لأنفسهن موقعا ضمن التشكيل الأسري الحضري بالمدينة.

في مقابل ذلك، اهتمت نساء مقاطعة أنفا بالوظيفة والمناصب العليا في الشركات، وهنا نتحدث بالضرورة عن بعض الأحياء كمنطقة عين الذئاب وأنفا وسيدي عبد الرحمان، فقد ساهم ارتفاع مستواهن التعليمي في هذا الاتجاه،(أكثر من 20% جامعي، و17,5% ثانوي و14%[324] إعدادي)، أي أن أكثر من نصف نساء مقاطعة أنفا يتجاوز مستواهن التعليمي المستوى الإعدادي، وهو ما أثر على اختياراتهن، وتنوع بذلك مجال اشتغالهن بين من يعملن في مناصب عليا سواء في القطاع العام أو الخاص.

يشكل الحديث عن المستقر جزءا من الحديث عن المدينة بكل مكوناتها وخصائصها، حاولنا على امتداد صفحات هذا المحور الاستمرار في رصد مواقف الفرد وتمثلاته للمستقر، ولنمط الحياة الحضرية والاجتماعية، من خلال الوقوف على بعض عناصر الاشتغال المستلهمة من الأدبيات الجغرافية المهتمة بالفرد في مجاليته وإنسيته، وقد تم تسليط الضوء على بعض الخطوط الرئيسية المعقدة والمشكلة للعلاقة مع المجال من حيث الانسجام والتكيف. لا يمكن الحديث عن مجالية الفرد دون التطرق إلى الممارسات المجالية والتنقلات اليومية، فقد أبانت دراسة المستقر بكل تجلياته عن ارتباطه بالممارسات اليومية للفرد، ولكي تكتمل الصورة، لابد من طرح تأثير المستقر في الممارسات المجالية.

[321] RAJEB Souad. YAHYAOUI, Mostafa. (2019) Mobilité du genre et géographie au Maroc», in Espace, Territoire et Société au Maroc : Mutations, dynamiques et enjeux, Coordination Mohammed Zhar, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia, p.303-300

[322] المرجع السابق، ص ص.300-303

[323] المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

[324] المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

5: انعكاسات الممارسات المجالية والتنقلات اليومية على المجال المعاش

تتعدد أسئلة الممارسات المجالية والحركية اليومية الموجودة في كل مجال، في حين ما يزال المنطق السلوكي لهذه الممارسات غير مفهوم، لماذا وكيف نتحرك؟ ما هي معوقات الحركة؟ كيف ندرك عرض التنقل اليومي والممارسة المجالية؟ وما هي توقعاتنا لحركيتنا؟ يتطلب بناء الفهم والإجابة عن هذه الأسئلة تعميق النظر في انعكاسات هذه الممارسات والتنقلات على المجال المعاش.

يعد تركيز ارمون فريمون على الأماكن المرتادة من قبل الفرد أو الجماعة في تعريفه للمجال المعاش بمثابة دلالة على أهمية هذه الأماكن في فهم وتحليل الفرد في المجال، وتحليل طرق عيشه ومجاليته من خلال الممارسة المجالية والتنقلات اليومية. وتختلف هذه الممارسات من حيث العدد والنوع، من فئة اجتماعية إلى أخرى، من جنس لآخر (النوع الاجتماعي). كما تختلف من حيث الوسيلة المستعملة في تلك الممارسة المجالية ومن حيث المسافات المقطوعة.

تساهم الممارسات المجالية في فهم طرق العيش وفهم الحركة في المجال، بالاعتماد على التصورات المتباينة للمجال، وهي العنصر الرئيس الذي يجعل من الممكن تجسيد العلاقات مع المجال، بغية تقييم الطريقة التي يتعامل بها الأفراد معه[325].

تلعب الممارسات المجالية دورا أساسيا في فهم النظام الكامل للأماكن التي يتردد عليها الفرد أو لا يتردد عليها خلال فترة معينة. وهنا يطرح السؤال، لماذا يتردد على هذا المكان، ولا يتردد على ذاك؟ إن الإجراءات التي يقوم بها كل فرد في إطار نظام اجتماعي هي بالفعل جزء من فترات زمنية مختلفة وفي أماكن محددة، ومحكومة بمحددات مباشرة وأخرى غير مباشرة.

لاستنباط هذه المحددات وفهم كيفية تشكيل أنواع الممارسات المجالية[326]، سنحاول توجيه قصدنا لتعميق النظر في أحوال الممارسات اليومية لساكنة متباينة من حيث المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية والثقافية (مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد)، وذلك من خلال الاعتماد على معالجة حجم الممارسات المجالية اليومية ونوعيتها، ووضع خريطة مجال الممارسات المجالية وامتدادها، ونوعية وسائل الممارسات المجالية اليومية، ودور الممارسات المجالية الفردية في تحليل تكوين الهويات الاجتماعية.

لمقاربة هذه العناصر، سنحاول الاعتماد على عينة متمثلة في 42 مبحوثا في كل مقاطعة. ومادامت دراستنا في الجزء الثالث كيفية مهتمة بفهم خبايا الفرد في المجال، فإننا لا نبحث عن تعميم النتائج على المقاطعة، بقدر ما تبحث في طرق فهم علاقة الفرد بالمجال، بهدف استخلاص رؤية تحليلية وتأويلية من شأنها موضعة الممارسات المجالية والتنقلات اليومية في إعداد المجال المخطط (التصاميم)، ليتناسب مع المجال المعاش الذي نحن بصدد مقاربته.

---

[325] DODIER, Rodolphe. (2009à) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, 147 p

[326] DODIER, Rodolphe (2009à) Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, 147 p

1-5: تباين الممارسات المجالية اليومية ونوعيتها

يتطلب التحليل المكاني للظواهر الاجتماعية والجغرافية نهجًا يجمع بين البعد المادي والإحصائي لحياة الفرد والأشكال الاجتماعية la sociabilité في علاقتها بالمجال. لذلك يضع هذا الموقف منهجا لربط الخصائص الهيكلية للمجتمع من خلال تبصر فردانية الفرد[327]. فمن خلال تتبع مسار الفرد اليومي، ومن خلال تتبع علاقاته الاجتماعية الناتجة عن ذلك المسار، يمكن استجلاء تلك الخصائص الهيكلية التي ستقودنا نحو فهم اللامرئي في المجال، وفهم المتحكم في الظاهرة الجغرافية المجالية من زاوية أخرى، أي زاوية الفرد.

تتضمن الممارسات المجالية عددا من المهام اليومية. فبالإضافة إلى الوظائف الحيوية الأساسية، هناك مجموعة من الوظائف التي تجعل الحياة اجتماعية، ولا سيما وظائف الحياة اليومية: العمل والاستهلاك والعلاقات مع الآخرين والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية والترابطية والرياضية وغيرها، وهي وظائف بدرجات متفاوتة[328]. لقد حاولنا من خلال تتبع المسار اليومي الخاص ببعض المبحوثين (ذكورا وإناثا) في مقاطعة مولاي رشيد استخلاص التباين من حيث نوعية الممارسات المجالية، ومن حيث حجمها وحسب الجنس.

مبيان رقم 11: متوسط حجم الممارسات المجالية اليومية بمقاطعة مولاي رشيد (فئة الذكور)

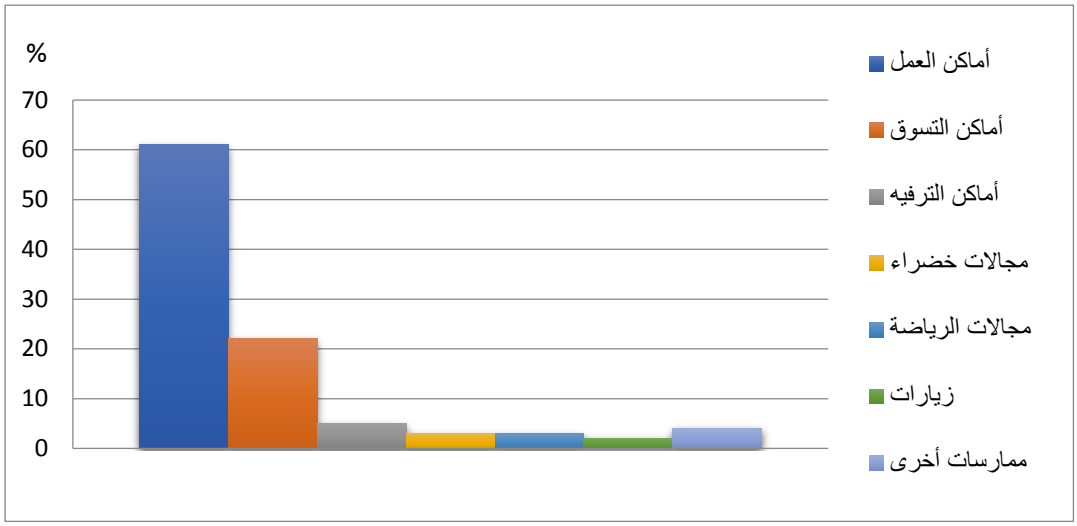

المصدر: العمل الميداني 2019-2020

يبرز المبيان رقم11 مدى أهمية التردد على أماكن العمل عند فئة الذكور، حيث أن 61% من التنقلات اليومية تكون في اتجاه أماكن العمل، تليها أماكن التسوق التي جاءت كاختيار ثان ضمن اهتمامات وأولويات هذه العينة بنسبة 21 %. ومقابل ذلك، سجلت أماكن الترفيه والرياضة والأماكن الخضراء وأماكن الزيارات أضعف نسبة من الممارسات المجالية.

[327] DRIS, Nassima (2004). L'espace habité : Sens, usage, méthode. In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, vol. 30, n°119-120,. Les nouvelles approches de l'espace dans les sciences de l'homme et de la société. Regards discplinés, regards croisés, transdisciplinarités. Reims. p. 178.

[328] DODIER, Rodolphe (2009). Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, Université du Maine, Sciences de l'Homme et Société. Paris , 147 p

تحمل هذه الأرقام في طياتها عدة دلالات، أولاها التأكيد على فرضية مفادها "أن الفئات الاجتماعية الشعبية تتميز بالاهتمام بالضروري في الحياة"، بمعنى ما يمكن أن يضمن سبل العيش الكريم. فالأغلبية جعلت من تحديد هوية أماكن الممارسات المجالية تحديدا لهويتها، إذ يساهم المجال في تحديد الهوية الاجتماعية التي تنتمي إليها كل فئة. وبهذا تعتبر الممارسات المجالية أداة من أدوات إعادة إنتاج المجال، والتي وجب تبصرها بغية الرفع من قيمة باقي أماكن الترددات اليومية، خاصة أماكن الترفيه، والتي ركز عليها هايدغر في محاضرته الشهيرة التي ألقاها سنة 1954 تحت عنوان Batir, habiter, penser حيث استعمل habiter للإحالة على وظيفة من الوظائف البشرية المدينية : التنقل والعمل والترفيه[329].

جاءت نتائج تفريغ المسار اليومي لفئة الإناث مغايرة لما هو عليه عند الذكور، حيث ركزت النساء في ترددانهن على بعض الممارسات على حساب أخرى، وهذا ما يوضحه المبيان الآتي:

مبيان رقم 12 : متوسط نسبة الممارسات المجالية اليومية بمقاطعة مولاي رشيد (فئة الإناث)

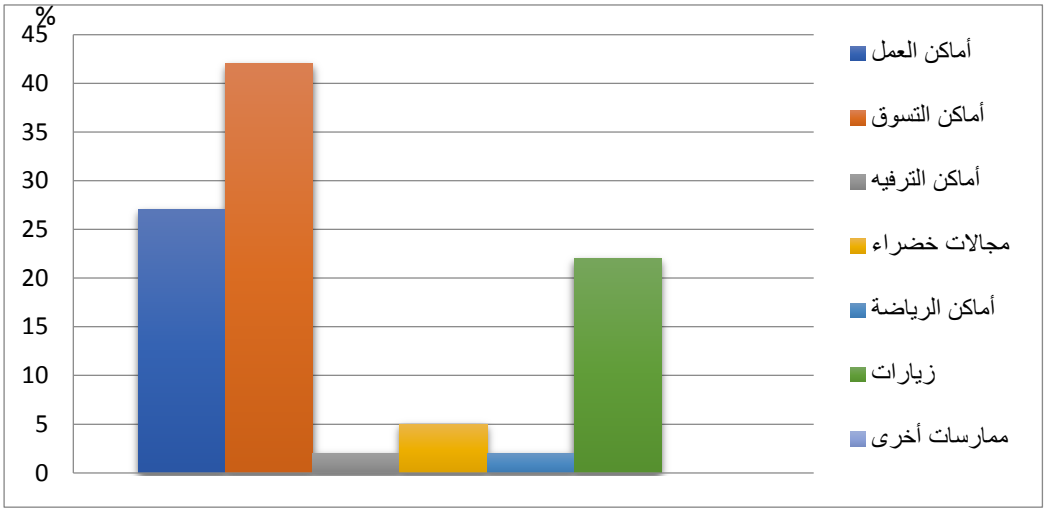

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

يشير المبيان رقم 12 إلى الفرق الحاصل بين ترددات الذكور وترددات الإناث، إذ يتضح مدى أهمية أماكن التسوق عند الإناث التي وصلت نسبتها إلى 42 % من مجموع الترددات اليومية. وفي الوقت الذي حلت فيه أماكن العمل في المرتبة الثانية، جاءت بعدها أماكن القيام ببعض الزيارات. في حين حلت الترددات على مجالات الترفيه والمجالات الخضراء وأماكن الرياضة في الرتبة الأخيرة (5%).

يعبر ارتباط المرأة بأماكن التسوق وخصوصا القريبة من السكن عن تدني خروج المرأة إلى الحياة العملية والى حقل الإنتاج، كما يعبر أيضا عن تشبث المرأة (خصوصا في أحياء مولاي رشيد الست) بالتقاليد التي تجعل المرأة أقل ارتباطا بكل ما هو خارج عن نطاق المنزل. وهذا ما تؤكده أرقام المندوبية السامية للتخطيط التي أشارت إلى عدم تجاوز نسبة النشاط عند إناث مقاطعة مولاي رشيد عتبة 27,5%[330].

[329] YAHYAOUI Mostafa. et al, (2020), Habiter dans/à la périphérie de la ville, in : la marge entre discours géographiques et réalité de construction et reproduction des inégalités sociales, coordination Mohammed Aderghal et Ahmed Ait moussa, ANAGEM, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia p 122-123

[330] المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

يشير المبيان أيضا إلى أهمية الممارسات اليومية الخاصة بالزيارات والتي وصلت إلى حوالي 22% من مجموع التنقلات اليومية، مقابل تدني نسبة الممارسات المجالية اليومية المرتبطة بالرياضة والترفيه، أي الابتعاد عن كل الممارسات غير الضرورية في اعتقادهن. وبهذا يصبح المجال إطارا فاعلا في الحياة على مستوى السلوكات والممارسات[331].

تنعكس الممارسات المجالية اليومية على مساحة المجال المعاش الخاص بكل جنس، حيث تعدت هذه المساحة حدود المقاطعة عند الذكور، إذ يوضح الشكل رقم 15 أن المجال المعاش عند الذكور ممتد لثلاث مقاطعات، في حين بقي المجال المعاش عند الإناث خصوصا غير المشتغلات محصورا في نفس المقاطعة ونفس الحي، وهو ما يسمى عند أرمون فريمون بالمجال المحصور[332] espace confiné. فالمجال المعاش الخاص بالإناث عبارة عن مجال ضيق لا يتعدى الكيلومتر مربع، كما يوضح الشكل رقم 16، وهو ما يؤكد محدودية الممارسات المجالية اليومية عند الإناث مقارنة مع الذكور.

فإذا كان التباين واضحا بين الجنسين من حيث الممارسات المجالية اليومية بمنطقة مولاي رشيد، فهل سيتم تسجيل نفس التباين في مقاطعة أنفا، وخصوصا في الأحياء الغنية؟ بعبارة أخرى، هل للوضعية المهنية والاقتصادية المادية والوضعية الاجتماعية دور في هذا التباين؟ أم إن المسألة مرتبطة بقناعات وثقافات شخصية تحاول كل فئة الحفاظ على تمايزاتها؟

الشكل رقم 15: نموذج امتداد المجال المعاش عند الذكور في مقاطعة مولاي رشيد

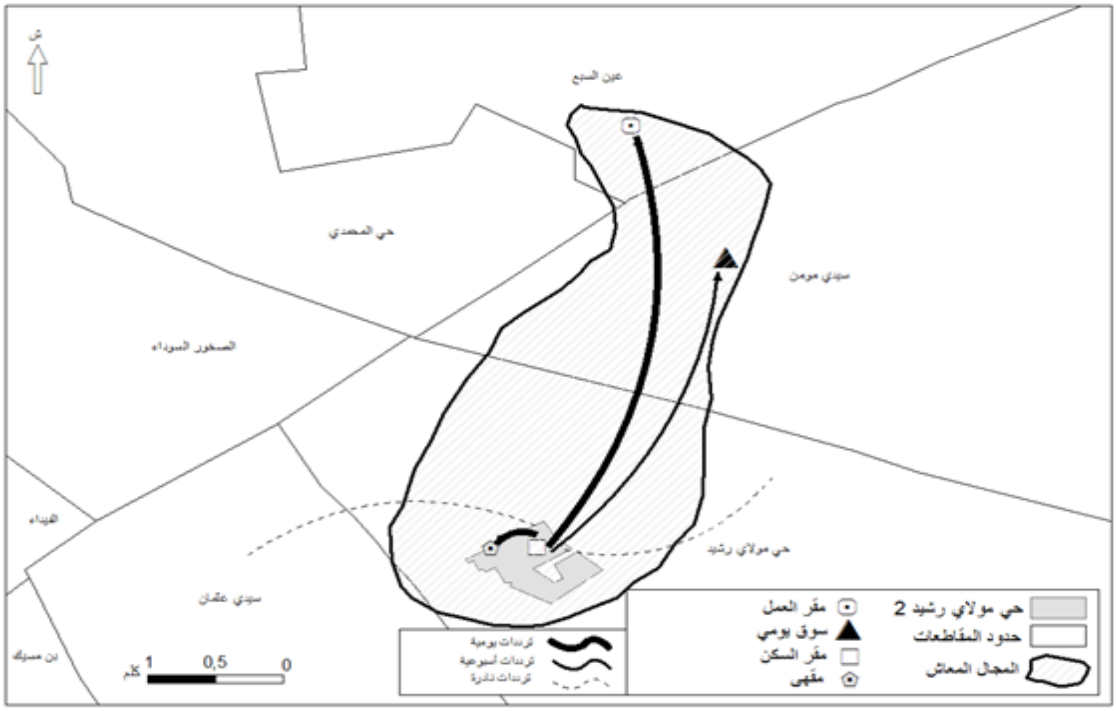

[331] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط ص 582

[332] FREMONT, Armand (1982) Sociétés et espaces vécus dans les bocages et les villes de Basse-Normandie, in j DRESCH, espaces vécus et civilisations, paris. p 61

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

الشكل رقم 16: نموذج امتداد المجال المعاش عند الإناث في مقاطعة مولاي رشيد

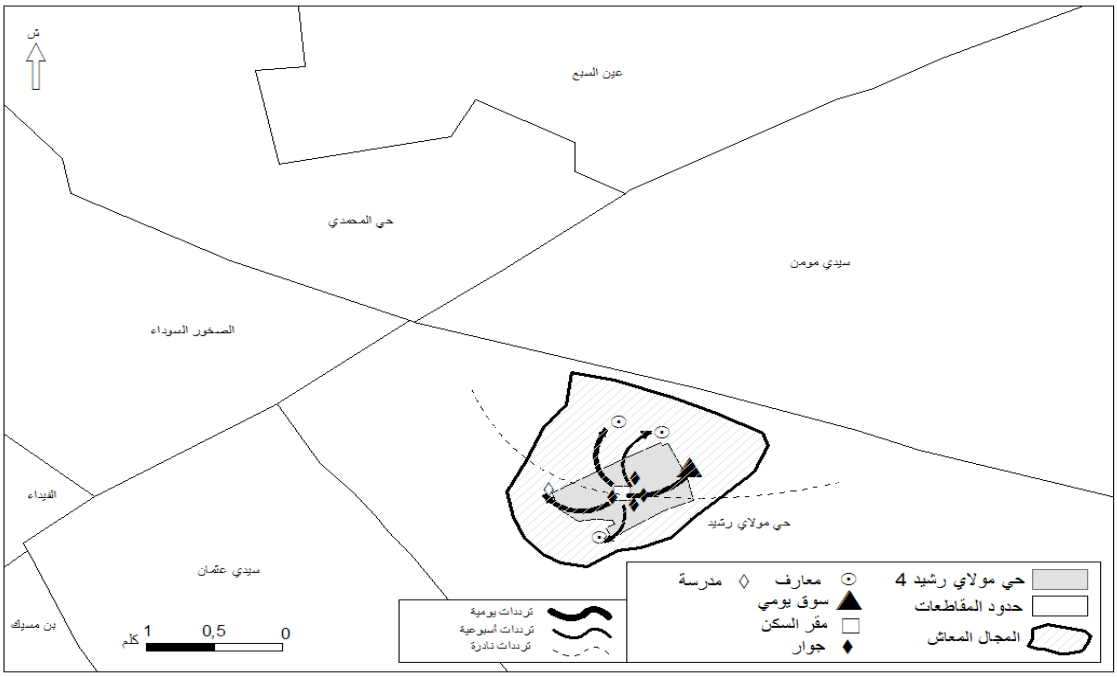

المصدر :البحث الميداني 2019-2020

يشكل الانتماء الاجتماعي إطارا مرجعيا للتعامل مع المجال، كما يساهم الانتماء المجالي في التعبير عن الانتماء الاجتماعي[333]. ويمكن التعبير أيضا عن الانتماءات الاجتماعية بالعودة إلى طبيعة الممارسات المجالية اليومية، والتي تأخذ طابعا خاصا حسب الفئات الاجتماعية، وذلك حسب عدة محددات، أبرزها العنصر الثقافي المتمثل في عمارة المكان (المستقر). بالإضافة إلى محددات أخرى مادية ومجالية. بعدما كانت بعض الممارسات المجالية اليومية من قبيل التردد على أماكن الرياضة والترفيه والأماكن الخضراء شبه منعدمة في مقاطعة مولاي رشيد سواء بالنسبة للذكور أو الإناث، برزت إلى الوجود هذه الممارسات في مقاطعة أنفا، مع تسجيل نسب متقاربة بين الذكور والإناث. ولتوضيح تلك التباينات نستهل الحديث عن هذه الممارسات بالإشارة إلى الممارسات المجالية عند الذكور.

المبيان رقم 13 متوسط حجم الممارسات المجالية اليومية في مقاطعة أنفا (فئة الذكور)

%

[333] شويكي المصطفى(1994)، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط ص 586

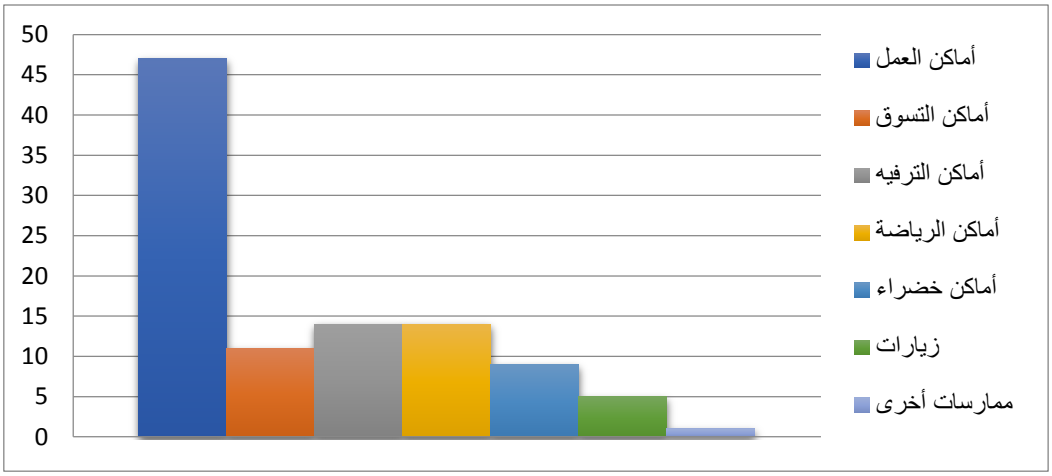

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

يتضح (المبيان رقم 13) أن حجم التردد على أماكن العمل لدى فئة الذكور في مقاطعة أنفا (العينة التي ركزنا فيها على أحياء الفيلات وأحياء العمارات في الراسين وبوركون) لا يتعدى 50 % من مجموع الممارسات المجالية اليومية، أما النسبة المتبقية فموزعة بين التردد على أماكن الترفيه وأماكن الرياضة بنسبة 20%. بينما جاء التردد على أماكن التسوق في الرتبة الرابعة من حيث الاهتمامات، وحلت الزيارات العائلية وزيارة الأصدقاء في الرتبة الأخيرة.

من خلال تبصر المبيان، نلاحظ مدى توازن الممارسات المجالية اليومية، حيث لا يستثمر الوقت كله في العمل، بل أعطيت اهتمامات لباقي عناصر العيش. إذ تحاول الفئات الغنية التعبير أيضا عن انتماءاتها الاجتماعية من خلال الممارسات المجالية التي تعتبر استمرارا لتمثلات المستقر عند هذه الفئة. كما تحاول البورجوازية الصغيرة اللحاق بالطبقات المهيمنة من خلال ترددها على بعض الأماكن، من قبيل أماكن الترفيه والرياضة. في حين توزع الطبقات الشعبية وقتها وفق ما يمكن أن يحقق لها العيش السعيد. وبهذا تكون الممارسة المجالية مسؤولة عن العديد من التباينات، والانتماء الاجتماعي الذي يجسده حي الإقامة يجعل هذه التباينات في الممارسات تتخذ صبغة اجتماعية[334].

سجلنا خلال تحرياتنا الميدانية شبه تقارب بين الممارسات المجالية الخاصة بالذكور والإناث في منطقة أنفا، وهذا ما يظهره المبيان أسفله:

المبيان رقم 14: متوسط حجم الممارسات المجالية اليومية : فئة الإناث (أنفا)

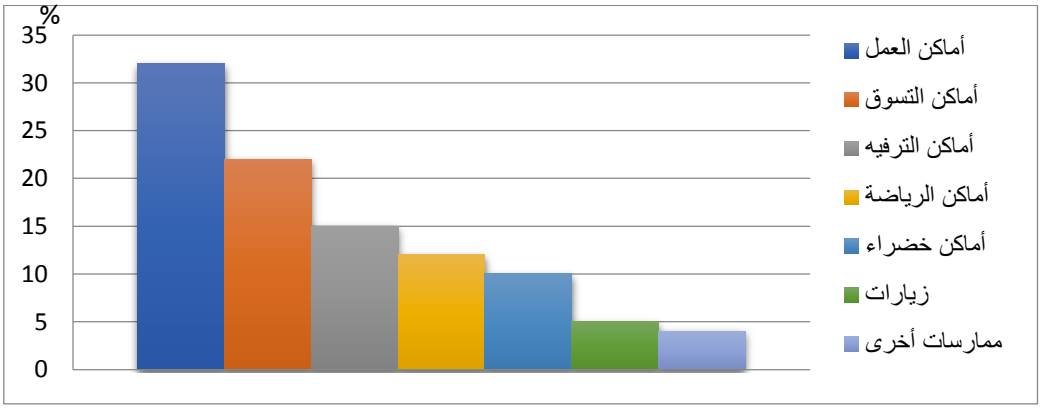

المصدر :البحث الميداني 2019-2020

[334] الشويكي المصطفى،(1994)، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط ص 591

يشير المبيان رقم 14 إلى أن التردد على أماكن العمل بالنسبة للإناث لا يتعدى 35 % من مجموع الممارسات اليومية، مقابل توزيع باقي الممارسات المجالية بين التردد على أماكن التسوق الذي أخذ حيزا مهما هذه المرة، إذ وصل إلى حوالي 23% من مجموع الممارسات اليومية. عرفت نسبة التردد على أماكن الترفيه والرياضة والأماكن الخضراء ارتفاعا ملحوظا مقارنة مع ما شاهدناه في مقاطعة مولاي رشيد.

تعتمد الاختيارات الفردية (الخاصة بالممارسات المجالية) على عوامل اقتصادية واجتماعية ونفسية[335]. في ما يخص العوامل الاقتصادية، تتميز نساء مقاطعة أنفا عموما بارتفاع نسبة النشاط، والتي وصلت إلى حوالي 41,6%[336]. وقد انعكست هذه الوضعية على نسبة ونوعية الترددات اليومية الخاصة بالنساء، فالفوارق التي يضعها عادة المجتمع بين المرأة والرجل لم تجد لها موطنا في مقاطعة أنفا، بحكم الانخراط الفعال للمرأة في الحياة العملية، والتي فتحت أمامها مجموعة من المجالات التي كانت حكرا على الرجل، من خلال سياقة السيارة وتسيير المقاولات والشركات والتردد على الأماكن العمومية، دفعها هذا إلى توسيع دائرة مجالها المعاش الذي أصبح يضاهي نظيره عند فئة الذكور.

يقدم الشكل رقم 17 مثالا للمجال المعاش الخاص بفئة الذكور في مقاطعة أنفا (مبحوث قاطن في قطاع عين الذئاب ويشتغل في مقاطعة عين السبع)، والذي تعدى حدود مقاطعة أنفا ليشمل أربع مقاطعات، يتردد عليها بشكل يومي بحكم امتلاك السيارة وكثرة ممارساته المجالية. من خلال المقارنة يظهر أن نفس المجال المعاش سنلاحظه من خلال التمعن في الشكل رقم 18 الذي يوضح مدى امتداد المجال المعاش الخاص بالإناث أيضا، والذي شمل حوالي مقاطعتين (أنفا والمعاريف)، إلا أنه تميز بتنوع الممارسات المجالية والمعبرة عن نوع الانتماء الاجتماعي لتلك الطبقة.

الشكل رقم 17: نموذج امتداد المجال المعاش عند الذكور-أنفا

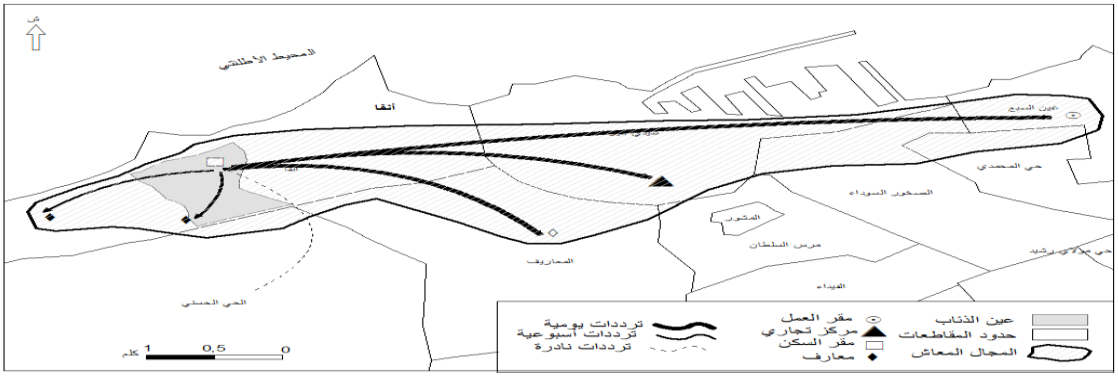

لمصدر: البحث الميداني 2019-2020

[335] FREMONT, Armand (1982), sociétés et espaces vécus dans les bocages et les villes de Basse-Normandie, in j DRESCH, espaces vécus et civilisations, Paris. p 79

[336] المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014

الشكل رقم 18:امتداد المجال نموذج المعاش عند الإناث–أنفا

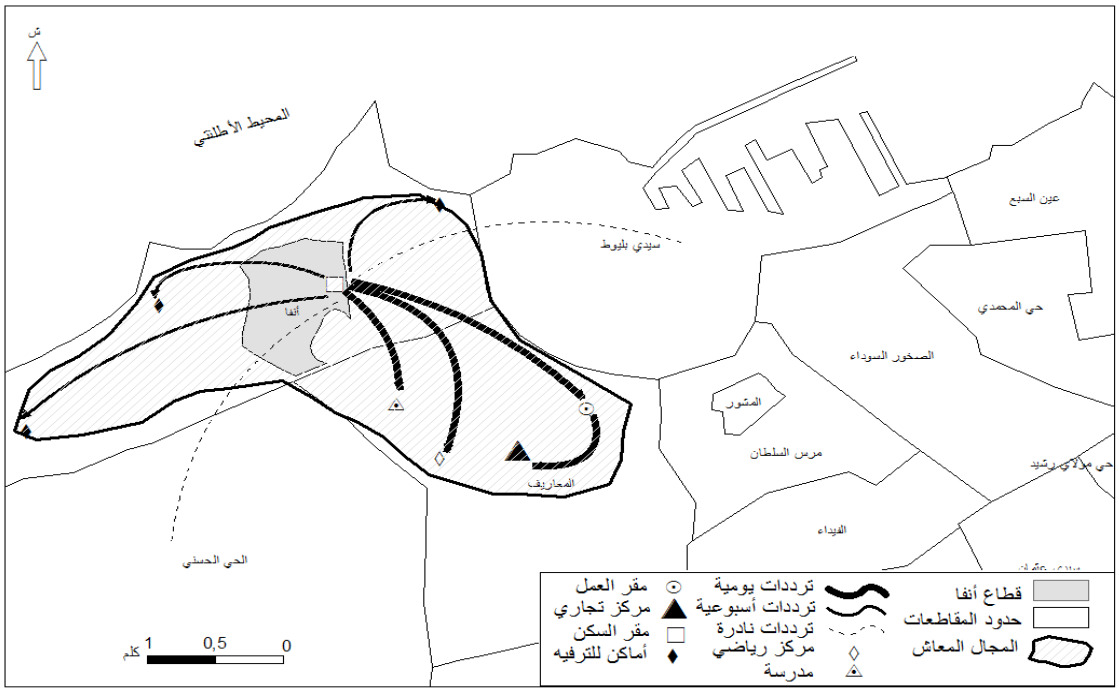

المصدر: البحث الميداني 2019–2020

2-5: نوعية وسائل الممارسات المجالية اليومية

تشكل وسائل التنقل جزءًا لا يتجزأ من مقومات الحياة الاجتماعية، فهي لا تنفصل عن التوزيع الوظيفي للشغل وعن التوزيع الاجتماعي للمجال الحضري بواسطة السكن[337]، كما تعتبر عنصرا أساسيا في فهم ميكانيزمات تباين المجال المعاش من مقاطعة لأخرى، ومن فئة اجتماعية لأخرى، وحسب الجنس والبنية السوسيومهنية. تعد وسائل التنقل من بين محددات الانتماء السوسيومهني، حيث أن للتوزيع المجالي للشغل والسكن ووسائل التنقل بينهما دورا مهما في فهم علاقة المجال في هيكلة المجتمع[338].

ركزت الأدبيات الجغرافية المهتمة بالمجال المعاش على ارتباط هذا الأخير بنوعية وسائل التنقل المستعملة وارتباطها بنوعية الممارسات المجالية اليومية، إذ لم يعد المجال المعاش يشكل تجمعا ترابيا مستمرا des assemblages territoriaux continus ولكن عبارة عن شبكات متراكبة des réseaux superposés تلعب وسائل النقل دورا في فهمها[339].

[337] شويكي المصطفى (1994)، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط .ص 604

[338] شويكي المصطفى ، المرجع السابق ص 606

[339] MORIZOT, Aymeric (2010) La compréhension de l'espace dans les enquêtes de mobilité et de transport. Géographie. HAL Paris, p 27

المبيان رقم 15: نسبة استعمال وسائل التنقل اليومية عند الذكور: مقاطعة مولاي رشيد

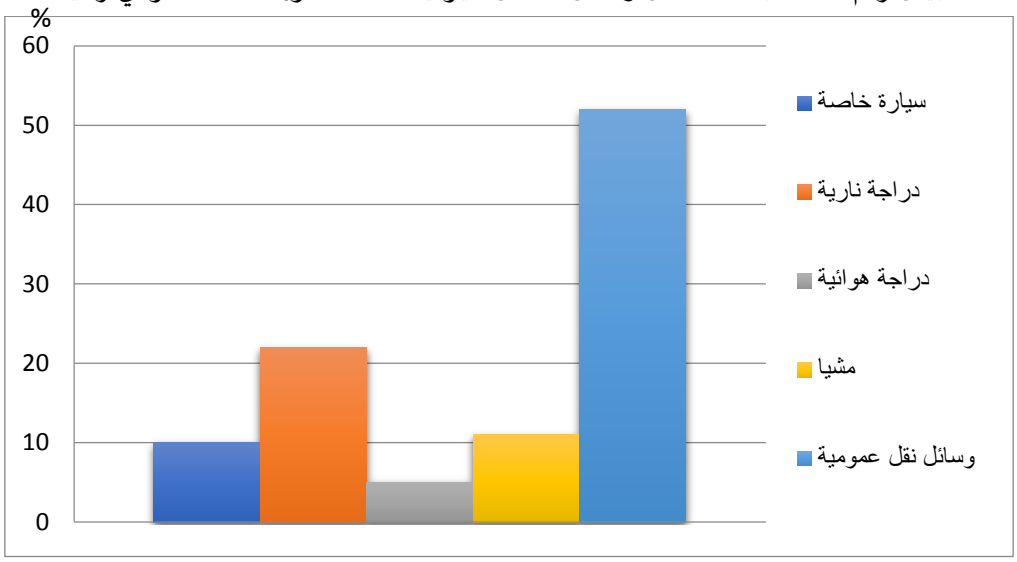

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

يبرز المبيان رقم 15 مدى أهمية وسائل النقل العمومية في تنقلات فئة الذكور، والتي وصلت نسبتها إلى 52%، في حين بلغت نسبة المتنقلين عبر الدراجة النارية حوالي 22%. أما التنقلات مشيا عبر الأقدام فقد حلت في الرتبة الثالثة بنسبة 12%، وحل التنقل عبر السيارة الخاصة في الرتبة ما قبل الأخيرة بنسبة 10%، كما يغطي التنقل عبر الدراجة الهوائية نسبة 5%.

يتضح أن الطبقية التي تحدثنا عنها خلال هذه الدراسة قد وجدت لها صدا في استعمال وسائل التنقل، إذ أن هيمنة استعمال وسائل النقل العمومية يخفي وراءه عدة حقائق اقتصادية واجتماعية تساهم في تباين المجال المعاش من مقاطعة إلى أخرى، ومن فئة اجتماعية إلى أخرى، ومن فرد لآخر، ومن وضعية إلى أخرى.

تتحكم عدة عناصر خارجية في مجالية الفرد، إذ لم يعد المجال المعاش ذلك المكون المتسم بالانفرادية، وإنما أصبح مجالا اجتماعيا يتشكل عن طريق الاجتماع والتجمع، وعن طريق المجتمع، ومن خلال تقسيم العمل ونوعية الرأسمال والعلاقات الاجتماعية[340]. فقد ساهم نوع الرأسمال المهيمن في مقاطعة مولاي رشيد في ندرة استعمال السيارة الخاصة وارتفاع استعمال وسائل النقل العمومية، والتي تعاني هي الأخرى من أزمات مرتبطة بالأسطول[341] والبنية والتسيير. فقد أصبح جليا أن النقل الحضري الجماعي لم يعد مجرد خدمة حضرية معطلة، بل قطاعا متأزما بشقيه الاقتصادي والاجتماعي وحقلا للتدبير الحضري فشلت معه العديد من الحلول والتجارب[342].

مبيان رقم 16: نسبة استعمال وسائل التنقل اليومية لدى الإناث: مولاي رشيد

%

[340] LEFEBVRE, Henri. (1974) La production de l'espace, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000, P 121

[341] تم تعزيز هذا الأسطول مؤخرا بحافلات جديدة من قبل شركة ألزا.

[342] شويكي المصطفى (2003)، تدبير المدن الكبرى: حالة مدينة الدار البيضاء، نص مداخلة لم ينشر، الملتقى الثالث للجغرافيين العرب، ص 9

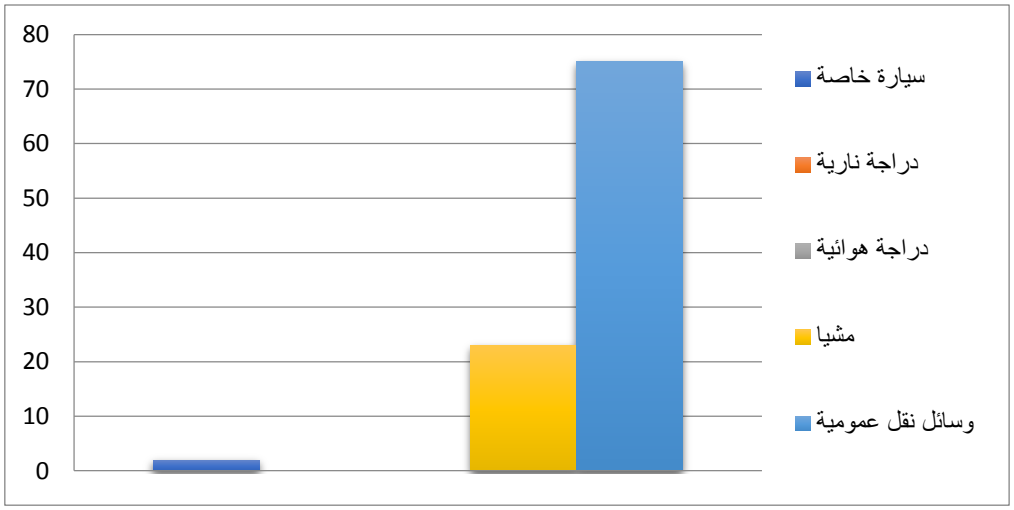

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

كرست وضعية نوع وسائل التنقل المستعملة في صفوف إناث مولاي رشيد الوضع القائم لدى الفئات الشعبية، والمتميزة بغياب رأسمال مادي واقتصادي يخول لها اقتناء وسائل نقل خاصة، إذ يبرز المبيان رقم 16 مدى ارتفاع نسبة استعمال وسائل نقل عمومية عند فئة الإناث، والتي بلغت نسبة 75% من مجموع الوسائل المستعملة. ويعتبر المشي على الأقدام اختيارا ثانيا لدى هذه الفئة، في حين بقي استعمال الدراجات بصنفيها شبه منعدم، واستعمال السيارة الخاصة شبه نادر لا يتعدى 1%، وهي وضعية تفسر امتدادات الممارسات المجالية والمنعكسة بدورها على امتداد المجال المعاش.

في مقابل ذلك، تنحصر معظم تنقلات قاطني مقاطعة أنفا(العينة المدروسة) في السيارة الخاصة، سواء عند الذكور أو الإناث، وقد تنبأنا بهذه الوضعية عند ملاحظة امتدادات المجالات المعاشة عند الصنفين، والتي شملت أكثر من مقاطعة. هناك مؤشر آخر يوضح هيمنة السيارة الخاصة في التنقلات بهذه المقاطعة، فبالإضافة إلى أهمية امتلاك جميع أنواع الرساميل عند معظم القاطنين، تتميز أنفا بندرة خطوط النقل الخاصة بالحافلات العمومية (حوالي ثلاثة خطوط 9،144،11)، كما تتميز بضعف أهمية سيارات الأجرة الكبيرة والمتركزة في مناطق سكن العمارات (العنق وبوركون)، في الوقت الذي تنعدم فيه هذه السيارات في مجال سكن الفيلات.

مبيان رقم 17: نسبة استعمال وسائل التنقل اليومية لدى الذكور(أنفا)

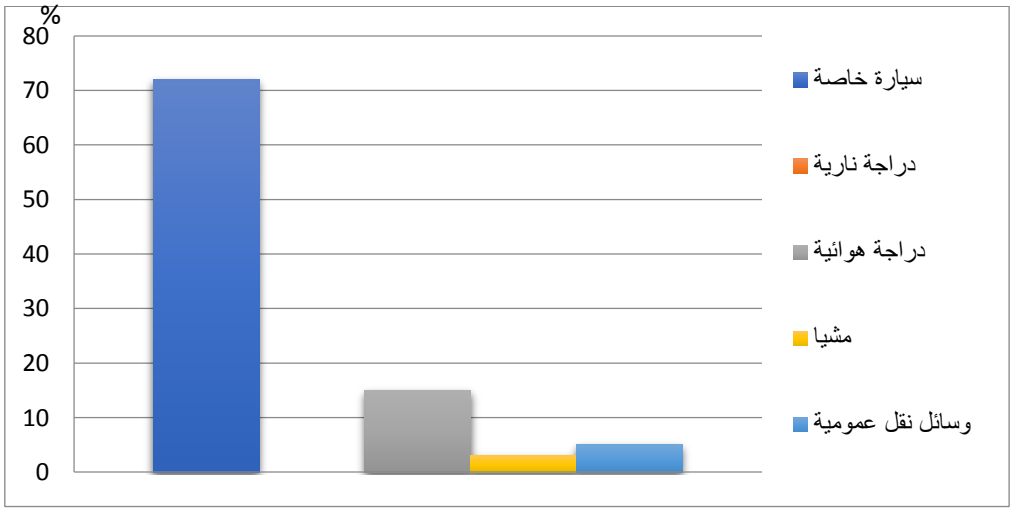

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

تعد السيارة الخاصة الوسيلة الأكثر استعمالا من قبل العينة المدروسة، بنسبة بلغت 75%، وجاءت باقي الأصناف (الدراجات بصنفيها والمشي على الأقدام ووسائل النقل العمومية) في المرتبة الأخيرة بنسب لا تتعدى 15 %، مع امتياز طفيف لاستعمال الدراجة الهوائية لأغراض رياضية وليس للتنقل.

مبيان رقم 18 : حجم استعمال وسائل التنقل اليومية لدى الإناث بمقاطعة أنفا

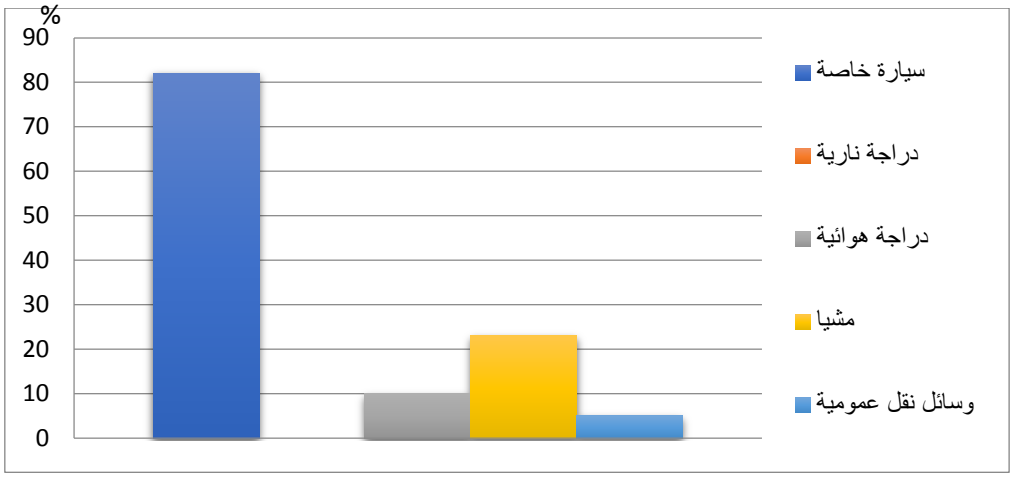

المصدر :البحث الميداني 2019-2020

هيمن استعمال السيارة الخاصة لدى الإناث على جميع وسائل التنقل الأخرى، حيث بلغت نسبة استعمالها 82%، وسجلت أدنى نسبة في صنف الدراجات بنوعيها، كما عرف استعمال وسائل النقل العمومية مستويات جد متدنية لم تتعدى 5%. وقد هم التنقل عبر المشي على الأقدام نسبة مهمة مقارنة مع باقي المبيانات السابقة، حيث وصلت نسبته 23%. وهنا نذكر أن العينة التي صادفناه تتنقل عبر المشي عبارة عن عاملات يشتغلن في نفس الحي أو بالقرب منه أو في الحي الصناعي في الشمال الشرقي.

قادتنا المعطيات الخاصة بأنواع وسائل التنقل المستخدمة في الممارسات المجالية إلى تحليل وتفكيك القيود المتحكمة في تباين المجالات المعاشة من منطقة لأخرى، إذ لعبت الإمكانيات المتاحة للفرد في التنقل إلى وضع خريطة للتباينات الاجتماعية والمجالية. لم تعد طبيعة الممارسات المجالية متحكما فيها، بل مرهونة بضوابط اقتصادية واجتماعية خارجة عن إرادة الفرد ومتأثرة بالواقع الاجتماعي، حيث يوجد في العالم (المجال) الاجتماعي بنيات موضوعية مستقلة عن وعي الفاعلين وإرادتهم، قادرة على توجيه ممارساتهم وتمثلاتهم[343].

3-5: المقياس المجالي للتنقلات الشهرية

يتميز أسلوب الحياة الحضري بالارتكاز بقوة على القرب الجغرافي proximité géographique la، وهي طريقة حياة غالبًا ما تكون مفضلة بالنسبة للأسر التي تتوفر على أطفال، والتي تتميز بالاستخدام الدؤوب للأماكن العامة. لذا تحاول هذه الأسر الارتباط بموقع سكني في وسط المدينة، وتتبنى طريقة حياة تتركز على استخدام وسائل النقل المحلية، والغاية من هذا الأسلوب هي التقليل من التنقل خارج مقر السكن والاعتماد على السير على الأقدام في الممارسات اليومية[344].

[343] أحجيج حسن(2018) نظرية العالم الاجتماعي : قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى، الرباط، ص 63

[344] KAUFMANN, Vincent (1999) MOBILITÉ ET VIE QUOTIDIENNE :SYNTHÈSE ET QUESTIONS DE RECHERCHE Institut de recherche sur l'environnement construit (IREC) Ecole polytechnique fédérale de Lausanne (EPFL)Lausanne P10

لكن على الرغم من تبني ساكنة المجالين المدروسين لنمط الحياة الحضرية، إلا أن الملاحظ هو الانفتاح أكثر على مجالات تتطلب استخدام وسائل نقل بمختلف أنواعها، وهي وضعية فرضتها ظروف الحياة الصعبة في مدينة اعتبرت ملاذا لمن لا ملاذ له، ولم تعد نظرية القرب الجغرافي صالحة لتفسير الممارسات المجالية في هذه المدينة.

من خلال تقصي الأدبيات الجغرافية المهتمة بالتنقل اليومي في المجالات الحضرية، وجدنا أسلوب حياة آخر وهو الملائم لتفسير وضعية التنقلات في المجال المدروس، ويدعى هذا النمط بأسلوب الحياة "الكاليفورني" Le mode de vie californien، الذي يتميز بإدراجه في مساحة كبيرة متميزة بإمكانية الوصول المادي، تنطوي هذه الطريقة في الحياة على معدل عال من التنقلات اليومية واستخدام مكثف للسيارات ووسائل النقل. يمكن وصف هذا النوع المثالي بأنه المهيمن نتيجة ضغط أيديولوجية الاستهلاك[345]. ولتأكيد مطابقة هذا النمط مع ما هو كائن في المقاطعتين، أدرجنا المبيانات الآتية:

المبيان رقم 19: متوسط المقياس المجالي للتنقلات الشهرية : مولاي رشيد

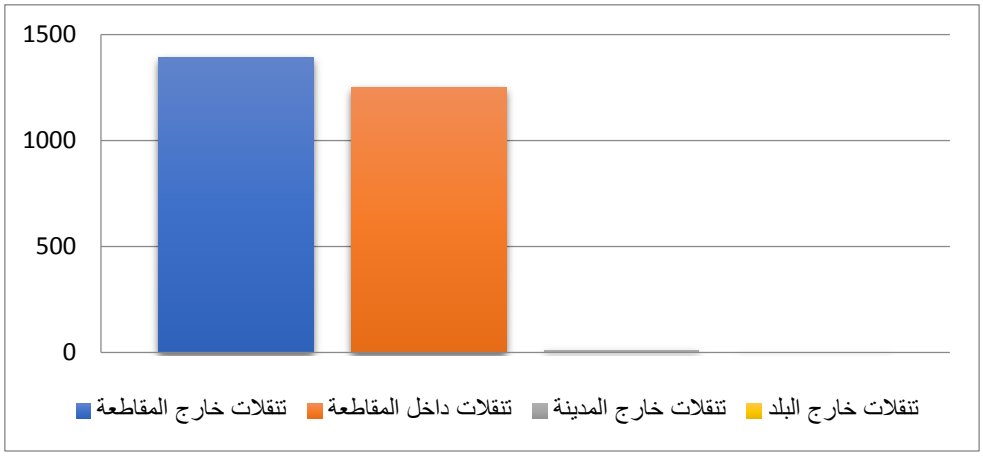

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

يبرز المبيان رقم 19 مدى أهمية التنقلات خارج المقاطعة من قبل العينة (حوالي 1400 تنقل كمتوسط خارج مقاطعة مولاي رشيد) خصوصا في اتجاه المقاطعات المتاخمة للمنطقة من قبيل سيدي مومن وسيدي عثمان وسباتة والهرواوين. وتأتي التنقلات داخل المقاطعة نفسها في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بمتوسط بلغ 1300 تنقل، وهو ما يؤكد ارتباط الساكنة بمقاطعات غير مقاطعة مقر السكن، خصوصا لذى الذكور. وهو ما يعطي بعض بوادر "المنطقة المنامة" أي مجال حضري مخصص للنوم، في حين أن الحياة العملية من عمل وتسوق وتمدرس تكون خارج المقاطعة، وهو ما يطرح عدة أسئلة عن مدى تلبية وتوفير الحاجيات الأساسية للعيش الكريم في المنطقة.

تتراوح التنقلات خارج المدينة ما بين 5 و10 تنقلات كمتوسط خلال الشهر، والتي تكون في الغالب في اتجاه مدن المحمدية والجديدة والرباط كأقصى امتداد. وتخصص في الغالب إما للذهاب للبحر أو مشاهدة إحدى مباريات كرة القدم أو لقضاء بعض الأغراض الإدارية. أما التنقلات خارج البلد فهي شبه منعدمة لدى العينة المدروسة بالمقاطعة.

المبيان رقم 20 : متوسط المقياس المجالي للتنقلات الشهرية : أنفا

[345] EPSTEIN, David (2013). La mobilité spatiale locale : l'influence de la mobilité quotidienne sur la mobilité résidentielle - L'exemple des résidants actifs luxembourgeois. Géographie. Université de Strasbourg. France, p 31

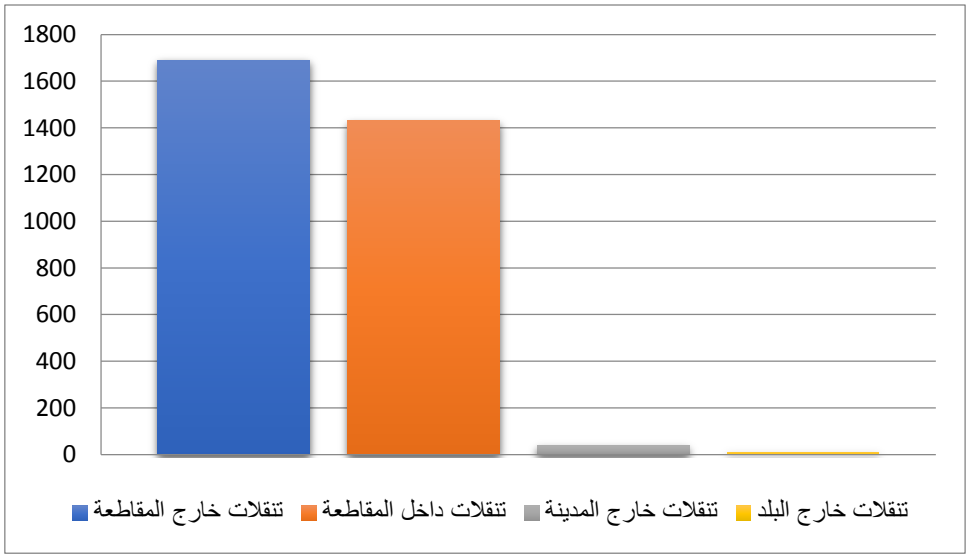

المصدر:البحث الميداني 2019-2020

بالنسبة لمقاطعة أنفا، فقد أظهر المبيان رقم 20 أهمية التنقلات خارج المقاطعة والتي بلغت ما يناهز 1600 تنقل خلال الشهر كمتوسط، وجاءت التنقلات داخل نفس المقاطعة في الرتبة الثانية بمتوسط بلغ أكثر من 1490 تنقل (العينة المدروسة). ويبرز المبيان أيضا ارتفاع طفيف للتنقلات خارج المدينة في مقاطعة أنفا مقارنة مع مقاطعة مولاي رشيد، والتي وصلت إلى أكثر من 20 تنقلا كمتوسط، كما تميزت العينة أيضا بتسجيل ما بين تنقل إلى تنقلين خارج البلد في الشهر كمتوسط.

دفعنا تعميق النظر في اتجاهات التنقلات اليومية إلى استكشاف أحد جوانب الحياة العصرية في المدينة، وذلك حسب نظام الأماكن التي يتيحها المجال. لم تعد الحياة تقتصر على الحي والدرب، بل دفعت متطلبات الحياة الحضرية إلى تجاوز الحدود المشكلة للتراب والمساهمة في تكوين علاقة ترابية[346] la territorialité، وأصبح تكوين هذه العلاقة يتطلب مساحة كبيرة تتجاوز المقاطعة، وأصبح المجال المعاش يحدد انطلاقا من مجالية التنقلات اليومية، بدءا من مقر السكن إلى آخر نقطة يتم الوصول إليها في اليوم.

5-4: دور الممارسات المجالية الفردية في تكوين الهويات الاجتماعية

إذا تأملنا الاستنتاجات السابقة حول الممارسات المجالية، سنجدها تختلف من مجال لآخر، ومن فئة اجتماعية لأخرى، ومن جنس لآخر. الشيء الذي يجعل الممارسات والتنقلات اليومية تتميز بنوع من الانفرادية والتفرد. ومادام الإنسان يعيش في مجال اجتماعي، فجماعة الأفراد تلك وكل حسب خصوصيته سيشكل هوية مجالية حسب الخصائص المجالية لكل منطقة، والتي سرعان ما ستفرز هوية اجتماعية تميز كل فئة، وذلك حسب الممارسات المجالية ونوعية الترددات والتنقلات اليومية.

نستهل تحليلنا بالإشارة إلى دور الأماكن في تحديد الهوية والهوية الاجتماعية، فالهوية هي أيضا مكانية وينطوي تحديدها على تأثير أماكن معينة، سواء كانت محلية أو وطنية. فبعض الأماكن تعمل كمواقع لتحديد الهوية من خلال

[346] **العلاقة الترابية la territorialité**: هي تلك العلاقة التي ينسجها الفرد أو الجماعة مع التراب والتي تؤسس للهوية الترابية. هذه العلاقة تقوم وتترسخ من خلال آليات اجتماعية وثقافية ونفسية، كما أنها تتجاوز الطابع المجرد لعلاقة الفرد ومجال عيشه كما هو الشأن بالنسبة للعلاقة البيولوجية للحيوانات مع ترابها. ذلك أن العلاقة الترابية في حالة الإنسان تستمر كما يستمر الشعور بالهوية الترابية حتى خارج الإطار الترابي والمرجعي. **الرفاص محمد: الهوية الترابية الديمقراطية والتنمية ، منشورات شركة أوراد للاتصال ، الرباط 2001، ص 99**

ترسيخ خصوصيتها في كينونة الفرد المرتبط بمجاله الاجتماعي، إذ يرتبط هذا الأخير والهوية على وجه التحديد من خلال علاقات التأثير والتأثر، كما يمكن أن يرتبط تكوين الهوية ارتباطًا وثيقًا بالمجال الذي يحدث فيه. تُفهم الهوية المجالية بشكل عام بطريقتين: يحدد أحدهما مجاليا من حيث الارتباط الثقافي، والآخر من خلال عدد الممارسات / التيارات الثقافية / الاجتماعية التي يمكن تحديدها في مساحة معينة. وكلاهما يرمز إلى ثراء العلاقات بين الاجتماعية la sociabilité والمجالية.

توجد في الحياة عموما العديد من الممارسات اليومية الملموسة التي تحيط بنا والتي نستثمرها، فالممارسات المجالية تعبر عن نفسها في شكل أيديولوجيات مكانية. ويحدد هذا المفهوم (أي الأيديولوجية المكانية) جميع الأحكام التي يقوم بها الأفراد لإنتاج المجال، فحب المدينة أو العكس، وتفضيل مناطق تجارية على حساب أخرى، وتفضيل أماكن ترفيه على حساب أخرى، وتفضيل التنقل عبر السيارة أو المشي أو القطار أو الدراجة، كل هذه الممارسات عبارة عن أيديولوجيات مكانية، لأنها تنطوي على أنظمة الأذواق أو القيم أو المعايير التي ليست مكانية بشكل صارم.

على سبيل المثال فالعلاقة مع الذات، أو الجسم أو الآخرين أو أنشطة معينة تشكل نقطة وصول إلى جميع التصورات الاجتماعية والثقافية (بالمعنى الواسع) للأفراد، وتساهم في تكوين عدة أبعاد للهوية (نفسية واجتماعية وسياسية)، كما تلعب تلك العلاقات دورا في فهم الطريقة التي تقوم بها الهوية الاجتماعية والثقافية للأفراد، من خلال بناء هذا البعد الخاص للنشاط الاجتماعي المتمثل في الممارسة المكانية، أي المساهمة في بلوغ البعد المكاني الدقيق للهوية[347].

إذا تأملنا الممارسات المجالية اليومية للفرد القاطن في مقاطعة مولاي رشيد، نجد أنها متمحورة بشكل أساسي على أماكن العمل وأماكن التسوق وأماكن التمدرس بالنسبة للمتمدرسين، وهي في معظمها ممارسات ذات صبغة الضرورة، أي ما هو مهم للاستمرار في العيش. ومعظم تنقلاته تتم عبر وسائل النقل العمومي أو مشيا على الأقدام.

فاجتماع هذه المكونات في منظومة بشرية يساهم في إعطاء أولى ملامح الهوية الاجتماعية السائدة في هذا المجال، والتي لم تعد مرتبطة بالأفراد فحسب، بل تعدت في مفهومها الفرد إلى الجماعة المتميزة بنفس الخصوصيات، إذ لكل جماعة هوية تحدد كينونتها ووجودها الاجتماعي، والذي يسمح بتحديد الموقع في المجال الاجتماعي والمتضمن لمجموع انتماءات الأفراد المشكلة للمجال. فلكل مجال سكني مميزاته وخصوصياته وممارساته المجالية الخاصة به، والتي تحكمت فيها الضوابط الاقتصادية والثقافية التي تحدثنا عنها في محاور سابقة، إذ يحاول الأفراد عبر هذه الخصوصيات الارتباط بمجالهم قسرا أو طواعية، ليشكلوا هوية خاصة بهم تميزهم عن غيرهم، وهو ما عبر عنه كاستلس Castells بالعلاقة الانفعالية الشعورية بين الساكن ومجال وجوده[348].

في مقابل ذلك، نلاحظ أن الممارسات المجالية والتنقلات اليومية في مقاطعة أنفا، قد أخذت منحا مغايرا لما ألفناه في الأحياء الشعبية المتميزة بضعف امتلاك الرساميل، لاحظنا أن الممارسات المجالية موزعة بشكل شبه منتظم بين أماكن العمل والتسوق والترفيه والرياضة والأماكن الخضراء والنوادي. كما سجلنا تقاربا بين الممارسات

[347] CAILLY, Laurent (2004) Pratiques spatiales, identités sociales et processus d'individualisation. Etude sur la constitution des identités spatiales individuelles au sein des classes moyennes salariées du secteur public hospitalier dans une ville intermédiaire : l'exemple de Tours. Géographie. Université François Rabelais - Tours. France .p 14

[348] CASTELLS, Manuel (1999) Le pouvoir de l identité, Edition foyard, France, p 16

المجالية الذكورية والنسائية، أي أن هناك نفس الممارسات المجالية المتبعة من قبل المرأة والرجل. لاحظنا أيضا كيف اعتبرت هذه الفئة أن الترفيه عن النفس والتردد على النوادي يعتبر هو الآخر من ضروريات العيش، إذ أن الحياة لا تقتصر فقط على العمل والتسوق والمدرسة. اتصاف معظم أفراد العينة بهذه الأوصاف الخاصة بالممارسات جعلهم يتصفون بهوية متطابقة ومستمرة مجاليا على حد تعبير ريكور P. Ricoeur [349]، إذ يمكن فهم المكان الذي يشغله الفرد في المجال الاجتماعي من خلال "الهوية المتطابقة"، وهي عبارة عن مجموعة من الخصائص أو التصرفات التي تتمتع بثبات معين وديمومة معينة مجاليا تسمح بتوصيف شخص ومقارنته وتصنيفه بموضوعية في المجال الاجتماعي حسب الطبقات الاجتماعية[350].

بينت الدراسات الجغرافية الاجتماعية أهمية مفاهيم مجال الحياة (المسارات والحركية المنتظمة) والمجال المعاش (مجال الممارسات والخيال) والعلاقة الترابية في بناء الذات الفردية، وفي بناء العلاقات الاجتماعية والمجالية من قبل كل إنسان[351]، والتي تعتبر أحد مكونات الهوية الاجتماعية. وترتكز معظم تلك المفاهيم في شقها الأول على مجموع الترددات على الأماكن كما عرفها أرمون فريمون، فالتردد على نفس الأماكن من قبل مجموعة من الأفراد الذاتيين من شأنه إعطاء انطباع اجتماعي لتلك الفئة، وهذا الانطباع هو ما سيفرز المقومات الأولى للهوية الاجتماعية المنبثقة من الممارسات المجالية؛ إذ تنتج الهوية الاجتماعية من خلال سلوكيات متشابهة إلى حد ما، على الرغم من أنها ليست تلقائية بين الأشخاص الذين يشاركونها، ففكرة الهوية مبنية على الحد الأدنى من التبلور الاجتماعي المبني في فترة زمنية معينة والمرتكز في مجالية معينة[352].

[349] **بول ريكور** فيلسوف فرنسي وعالم إنسانيات معاصر (1913-2005) واحد من ممثلي التيار التأويلي، اشتغل في حقل الاهتمام التأويلي ومن ثم بالاهتمام بالبنيوية ، يعتبر ريكور رائد سؤال السرد. أشهر كتبه (نظرية التأويل -التاريخ والحقيقة-الزمن والحكي- الخطاب وفائض المعنى، من منشورات جامعة تكساس المسيحية عام 1976.

la [350]CAILLY, Laurent (2004) Pratiques spatiales, identités sociales et processus d'individualisation. Etude sur public constitution des identités spatiales individuelles au sein des classes moyennes salariées du secteur Rabelais - Tours. Géographie. Université François hospitalier dans une ville intermédiaire : l'exemple de Tours. 5France .p 1

7épistémologiques. halshs.Paris, P [351] DI MEO, Guy. (2008) Le rapport identité/espace. Eléments conceptuels et 2[352] Ibid. .P

خاتمة الفصل الخامس

ألقت المسوحات الميدانية بشكل خاص الضوء على تنوع عمليات عمارة المجال، وما يرتبط بها من خصوصيات ثقافية ومحلية، لكل فرد مجال معاش وطرق عيش خاصة به، ومع ذلك، سمح لنا تحليل مختلف جوانب الحياة اليومية والتمثلات الفردية باستخلاص بعض النتائج، أقل ما يمكن القول عنها أنها لازالت في حاجة إلى تأكيد نظري ومنهجي من قبل دراسة مجالات أخرى.

انعكس حجم الفارق بين المجالات الثلاث (المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش) في مقاطعة مولاي رشيد على تمثلات الفرد للمجال ولعمارة المكان، وذلك من خلال تعدد مظاهر النفور بين الفرد والمجال، إذ تأثرت العلاقة الوجدانية بين قاطن مقاطعة مولاي رشيد ومجال عيشه. عكس مقاطعة أنفا، والتي سجلنا فيها سابقا ضعف التمردات المجالية في الشكل (خصوصا سكن الفيلات)، فقد أبانت دراسة المستقر في مناطق سكن الفيلات وسكن العمارات عن قوة العلاقة بين الفرد ومجال عيشه، من خلال سعي الفرد عبر مجاليته التعبير عن انتمائه للمقاطعة، وهو ما ساهمت فيه مجموعة من العوامل.

تشكل التجارب الفردية أحد روافد فهم الإشكالية المجالية la spatialité، فالتركيز على الجانب النفسي في تمثلات الفرد لعمارة مجاله الخاص من شأنها إعطاء معالم المجتمع وفهمه، ولن يقتصر هذا على مستوى الفهم فقط، بل يجب أن يتعداه إلى مستوى الأجرأة، عبر الأخذ بعين الاعتبار ذهنيات السكان في إعداد وتهيئة المجال، فإلى متى ستبقى هذه العمليات حبيسة مكاتب الدراسات المغيبة للأبعاد الإنسية وللقيم الذاتية والنفسية؟

تساهم الحركية في شموليتها في فهم ديناميكية المجتمع، ويخضع هذا الأخير لحركية مجالية متحكم فيها من قبل مجموعة من الميكانيزمات ذات الصبغة المجالية، والتي حاولنا فحصها من خلال الارتكاز على تحليل الممارسات المجالية الفردية والتنقلات اليومية ومختلف الأنشطة المجالية (العمل والترفيه والرياضة والتسوق والزيارات)، من حيث الحجم والنوع، وحسب الانتماء الاجتماعي والجنس والطبقات الاجتماعية.

بينت الدراسة أن كل نشاط اجتماعي يؤخذ من وجهة نظر مجالية بشكل مقصود أو غير مقصود، قسرا أو طواعية، هناك علاقة تأثير وتأثر بين المنطق الميداني من جهة وخصوصيات الفرد الاجتماعية والثقافية والهوياتية من جهة أخرى. لا يرتبط كل نشاط مجالي محدد بمنطق التوطين الخاص به فقط، وإنما يرتبط بكل العلاقات المكانية والمادية التي يقيمها. ساهم تفكيك هذه العلاقات بالموازاة مع تصنيف الترددات اليومية المكانية إلى استخلاص دور الأماكن في تحديد الهوية الاجتماعية للأفراد.

أبانت دراسة الممارسات المجالية والتنقلات اليومية في المجالين وجود إشكالية مرتبطة بتباين الولوجية إلى مركز المدينة والى المرافق العمومية بالمدينة، كما أظهرت تفاوتا في حجم الممارسات، وهو ما انعكس على امتدادات المجالات المعاشة بين المجالين. يحيل التباين بين المقاطعتين من حيث الممارسات في الحجم والنوع إلى إشكالية أخرى مرتبطة باللاعدالة المجالية والاجتماعية بين المجالين (أنفا ومولاي رشيد). فإلى أي حد ساهمت الخصوصيات المجالية والاجتماعية في تباين المجال المعاش؟ وما هي بعض مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية في مدينة الدار البيضاء بصفة عامة، وفي مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد والمساهمة في تباين الممارسات المجالية والتنقلات اليومية؟

الفصل السادس

انعكاسات مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية والحق في المدينة على المجال المعاش

مقدمة الفصل السادس

يعتبر مفهوم المركز والهامش من بين المفاهيم السياسية التي استعارتها الجغرافيا لتحليل المجال، والذي كان يعد أصلا في النظريات السياسية والاقتصادية مفهوما لا مكانيا؛ بل مفهوما إيديولوجيا ماركسيا بالتحديد، حيث أنه وضع للتعبير عن عدم التكافؤ بين الشمال والجنوب. لكن بعده المكاني سرعان ما برز كأداة تحليل وتفسير تطاوع كل المقاييس[353]. سيعمل تحليل المجال باستثمار مفهوم المركز/الهامش على تشخيص وضعية المجال من حيث التفاوت الحاصل بين النطاقين، كمرحلة أولى، ثم تقديم اقتراحات من شأنها الحد من تلك التناقضات المجالية بعد استجلائها حسب مقياس كبير كمرحلة ثانية. ويعتبر تحليل المركز والهامش وفق مقياس كبير (الحي والمدينة) جزءا لا يتجزأ ضمن الدراسة التحليلية المجالية الخاصة بمظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية والمنعكسة على تباين مظاهر الحق والشعور بالانتماء إلى المدينة، خاصة تلك التي يكون فيها الفرد فاعلا أساسيا في معظم عمليات إنتاج وإعادة إنتاج المجال.

تتداخل مجموعة من المكونات في إبراز الثلاثية المجالية (المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش) الخاصة بكل مجال. سنحاول خلال هذا الفصل الوقوف عند خصوصيات التفاوتات المجالية بالمجال المدرك (أنفا ومولاي رشيد)، مستثمرين في ذلك مفهوم "العدالة واللاعدالة المجالية"، الذي يعد مفهوما أساسيا في الجغرافية الإنسية والنقدية وجغرافية ما بعد الحداثة.

تتجلى أيضا أهمية هذا الفصل في كونه محاولة في البحث عن العلاقة بين الحق في المدينة ومسألة العيش الكريم في مدينة الدار البيضاء. وسنحاول من خلاله تفسير وتحليل تباين الحق في استغلال واستعمال المجال المديني بالدار البيضاء، وذلك من خلال المقارنة بين مجال هامشي وهش متمثل في مقاطعة مولاي رشيد (الشمال الشرقي)، ومجال مقاطعة أنفا(الجنوب الغربي) الذي يعتبر مثالا عن مقاطعات المركز. محاولين بذلك وضع تصور للعدالة المجالية والاجتماعية بين المجالين.

ستتمحور هذه الدراسة حول تبيان الحق في مدينة الدار البيضاء، فإذا كنا نقطن نفس المدينة، فهل لنا الحق من نفس الحظوظ المجالية؟ كما سنحاول مقاربة إشكالية الانتماء والاندماج في المجال وفق الخصوصيات المحلية لمدينة الدار البيضاء، والخوض في مختلف المحددات المتحكمة في ذلك.

[353] بلفقيه محمد(2002) "الجغرافيا القول عنها و القول فيها :المقومات الإبستيمولوجية" دار نشر المعرفة ،الطبعة الأولى، الرباط، . ص 305

1: انعكاسات تعدد مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية على المجال المعاش

انتشر تعبير "العدالة المجالية" خلال سبعينات وثمانينات القرن الماضي، وقد تم تطويره من قبل الجغرافيين المطورين لتحليل المجتمعات المعاصرة، والباحثين عن المزيد من العدالة والديمقراطية المرتكزة على العدالة الإقليمية والعدالة البيئية والحد من التفاوتات الإقليمية، والهادفين إلى تحقيق المدينة العادلة والمجتمع العادل والصياغة المجالية العادلة[354].

نهدف من خلال هذا المحور إلى التأكيد على البعد المجالي للعدالة التي تأخذ بعين الاعتبار الإنسان في مقدمة أولوياتها، إذ لن يتم استخدام مفهوم العدالة المجالية بغية النظر في العدالة بين الأماكن، بل النظر إلى البعد المجالي للعدالة. وسينصب الاهتمام على البعد الاجتماعي في مقاربة العدالة المجالية بالدار البيضاء، فالهدف هو تحقيق المساواة في التعامل مع الإنسان في المجال سواء في المركز أو الهامش، وفي تحقيق حاجياته ورغباته دون ميز بسبب مجالي أو تاريخي أو طبقي رأسمالي تحكمت فيه فئة على حساب أخرى.

ظهر استعمال مفهوم العدالة واللاعدالة المجالية بشكل كبير خلال فترة السبعينيات في العالم الناطق بالإنجليزية، ويعتبر الجغرافي الأمريكي ادوارد صوجا [355] Edward soja من أهم المنظرين لهذه المفاهيم، إذ قام بوضع مرتكزات لمقاربة ظاهرة العدالة واللاعدالة المجالية من منظور جغرافي، والتي وجب أخذها بعين الاعتبار خلال العمل على تجاوز اللاعدالة المجالية.

يشير مفهوم اللاعدالة المجالية إلى الجوانب المكانية أو الجغرافية للاعدالة l'injustice. وهذا يتطلب مراعاة كل ما يتعلق بالتوزيع العادل والمنصف في المجال للموارد ذات القيمة الاجتماعية وإمكانيات استغلالها[356]. فالعدالة المجالية هي تصحيح للظلم المجالي، تهدف إلى تنظيم المجال تنظيما متسقًا مع مشروع مجتمع أكثر عدالة، عبر إعادة التفكير في التوزيع الاجتماعي والمكاني[357]. إن المتأمل في التوزيع الاجتماعي بمدينة الدار البيضاء، من خلال ملاحظة أرقام المندوبية السامية للتخطيط ومن خلال ملاحظة الواقع الاجتماعي يسجل حجم الفارق بين مقاطعات المركز ومقاطعات الهامش، الشيء الذي انعكس على بعض المتغيرات اللاحضرية من خلال تغيير المشهد العام للمدينة عبر تمردات مجالية تحاول الساكنة عبرها تصحيح مسار الديمقراطية المجالية وتجاوز مظاهر الظلم المجالي.

إن عدالة المجال - في حد ذاتها- ليست بديلاً عن العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها، بل هي طريقة لفحص العدالة من منظور مجالي نقدي، من خلال تبني وجهة النظر هذه، هناك دائمًا بُعد مجالي للعدالة، يتضح أنه

---

[354] EDWARD W. Soja. (2009) La ville et la justice spatiale , Traduction de Sophie Didier et Frédéric Dufaux spatial justice | n° 01 septembre | september p. 57-72

[355] ولد إدوارد ويليام صوجا في 4 ماي 1940 ، لأسرة من المهاجرين البولنديين وترعرع في برونكس ، نيويورك، أستاذ متميز فخري للتخطيط الحضري بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس ، قدم مساهمات كبيرة في الجغرافيا السياسية والنظرية الحضرية ما بعد الحداثة، أنجز أطروحة بعنوان "جغرافية التحديث في كينيا: تحليل مجالي للتغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي" ، تم الانتهاء منها في عام 1967 ونشرتها مطبعة جامعة سيراكيوز في عام 1968، كان صوجا واحدا من الشخصيات الرئيسية المرتبطة بـ "التحول المجالي" في الجغرافيا. جلب رؤى النظرية الاجتماعية النقدية - بما في ذلك الاقتصاد السياسي ، وما بعد الحداثة ، والنظرية الثقافية - لإنشاء تحليلات مبتكرة للمجال والمجتمع ، وخاصة الصراعات للسيطرة على المجال في المدينة وظهور أشكال جديدة من التحضر. توفي في 2 نوفمبر 2015 ، عن عمر يناهز 75 عامًا.

[356] EDWARD W. Soja (2009) La ville et la justice spatiale , Traduction de Sophie Didier et Frédéric Dufaux spatial justice | n° 01 septembre | september p. 57-72

[357] BRET, Bernard, « Interpréter les inégalités socio-spatiales à la lumière de la Théorie de la Justice de)2009(John Rawls », *Annales de géographie*/1 (n° 665-666), pp. 20-22

ذو صلة بجميع المناطق الجغرافية الأكثر تعبيرًا عن اللاعدالة المجالية. ويعد هامش مدينة الدار البيضاء من أكثر المجالات تضررا من مظاهر اللاعدالة المجالية، وهو ما سيلاحظ من خلال بعض المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية.

يعتبر التمييز المرتبط بالمجال بمثابة نتيجة للمعاملة غير المتكافئة التي تُمنح لفئات معينة من السكان بسبب موقعها الجغرافي أو الاجتماعي. وتعتبر الفئات القاطنة بمقاطعات المركز (أنفا والمعاريف) من أكثر الفئات المستفيدة من مجالها، والذي منحها امتيازات ناتجة عن بعض الجذور التاريخية من جهة، وامتيازات أخرى ناتجة عن المجال المخطط. وهذا أمر سيساهم في إنتاج لاعدالة مجالية بين مقاطعات مدينة الدار البيضاء، وسينتج هياكل مكانية دائمة تعتبر مصدر التفاوتات، والمتأسسة على الامتيازات والمزايا التي تتمتع بها فئة دون الأخرى. وتعتبر الطبقية الاجتماعية من أهم هياكل إنتاج الموقع والتمييز المكاني[358]. الشيء الذي يتطلب إعادة النظر في الطبقية والتفاوتات بين سكان مدينة الدار البيضاء.

1-1: الجذور التاريخية للاعدالة المجالية والاجتماعية بمدينة الدار البيضاء

تشير معظم الأدبيات الجغرافية التي تطرقت إلى اللاعدالة المجالية والاجتماعية بالدار البيضاء إلى دور الاستعمار في ترسيخ التفاوتات المجالية والاجتماعية، بدءا من المخططات التعميرية ومرورا بالسياسات الحضرية المتبناة من قبل سلطات الاستعمار. فقد أدى تضارب مصالح الجالية الأوربية بالمدينة منذ فرض الحماية إلى التعجيل باستراتيجيات، كان الغرض منها عزل الساكنة الأوربية عن نظيرتها المغربية مجاليا. وقد استثمر المجال هنا كوسيلة لترسيخ التفرقة والإقصاء الاجتماعي بين الأوربيين والمغاربة.

يعود أصل التفاوتات بالمدينة إلى أولى المخططات التعميرية التي شهدتها المدينة والمتمثلة في مخطط بروست، حيث قسم المهندس المعماري هنري بروست المدينة بإيعاز من ليوطي إلى منطقة سكنية للأوربيين في غرب المدينة، ومنطقة صناعية للشركات الصناعية والتجارية في شرق المدينة، ومنطقة ثالثة تقع بين المنطقتين خاصة بسكن المغاربة[359]. وهو الأمر الذي ساهم في تركز الفئة الغنية بالقطاع الغربي، وتركز الفئات المتوسطة والفقيرة في باقي قطاعات المدينة خصوصا الشمال والشمال الشرقي الذي أضحى خزان للفئات الاجتماعية الهشة والباحثة عن المعاملة المجالية العادلة.

تعود جذور هذه التفرقة إلى بعض الصراعات التي كانت قائمة بين الساكنة الأوربية والساكنة المغربية، فبعد فرض الحماية على المغرب ظهرت بعض التصرفات العدائية بين الساكنة البيضاوية تجاه الساكنة الأوروبية، وبالضبط خلال سنة 1914 حيث ظهرت بعض أشكال العنف من حرائق وسلوكيات عدائية[360]. ومن أجل احترام مبدأ الفصل بين الساكنة الأوروبية والساكنة المغربية، كان من الضروري على بروست أن يطرح مشروع مدينة

[358] EDWARD W. Soja (2009) La ville et la justice spatiale , Traduction de Sophie Didier et Frédéric Dufaux spatial justice | n° 01 septembre | september p. 57-72

[359] السنوسي محمد معنى . (2017). الدار البيضاء الإنسان والزمان والمكان تاريخ وتطور. دار النشر المغربية ، ص 136

[360] ANDRE, Adam. (1968) Casablanca Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident, p 56

جديدة بعيدة عن المدينة المغربية القديمة بكلمترين، عبر عرض كامل للمدينة الأوروبية[361]. ذلك أن رفض الأوروبيون التعايش مع المغاربة في الأماكن الحضرية المسماة اليوم "المدينة القديمة"، ورفضهم "السكان الأصليين" في الأماكن الحضرية التي بناها "الأجانب" من أجلهم، اعتبر من قبل المغاربة كإقصاء اجتماعي[362].

أيضا من أهم المخططات التي رسخت مبدأ التمييز بين المغاربة والأوربيين مجاليا نجد التصميم المديري المنسوب لصاحبه كورتوا، والذي تميز ببلقنة المدينة وتخصيص مناطق وظيفية خاصة بالأوربيين فقط، وأحياء جديدة خاصة بالمغاربة. فقد جاءت معظم توصياته بتخصيص فضاءات معمارية ووظيفية للفرنسيين فقط، ذلك أن تقسيم الأحياء في تصميم كورتوا اعتمد مقاربة إثنية انتقائية تجلت في تخصيص الأحياء الجديدة التي انطلق العمل فيها منذ سنة 1930 للسكان المغاربة[363].

كان لمخطط إكوشار سنة 1947 -هو الآخر- دور في اللاعدالة المجالية والاجتماعية التي عرفتها المدينة خلال فترة الاستعمار، فقد قسم المخطط المدينة إلى منطقتين وتجمعات سكنية مسيجة والغابة إلى الجنوب والجنوب الغربي (قطاع أنفا)، والخط الصناعي العمالي في الشمال الشرقي (قطاع مولاي رشيد). وهكذا جعل إكوشار تصميم الدار البيضاء يتجه في اتجاه الساحل الأطلسي على امتداد ثلاثين كيلومترا، وفي نفس الوقت أكد على مبدأ التمييز الذي قام عليه التصميم التوجيهي لبروست، والذي جعل المناطق الصناعية والعمالية تتجه على الخط الساحلي نحو شرق المدينة، ومناطق الإقامة والسكنى والخدمات والمعاملات تمتد غربها[364].

أدى الفصل بين المغاربة والأوروبيين الذي شرع الاستعمار في ترجمته لهياكل مجالية إلى تقسيم المدينة -والذي كانت له عواقب بعيدة المدى على مستقبل الدار البيضاء- إلى مدينتين مختلفتين من الناحية الشكلية والوظيفية. نجد في اتجاه الشرق مدينة الصناعة وأحياء الطبقة العاملة، وهي في الواقع صهارة من الأحياء (التقليدية والإسكان الاقتصادي ومدن إعادة التوطين) التي تشترك فقط في دورها كمستودعات للعمل في المناطق الصناعية التي ترتبط بها. أما اتجاه الغرب، فنجد مدينة الأماكن السكنية الميسورة (مناطق الفيلات) المرتبطة بالمساحات التجارية التي تتطور بالاشتراك مع أحياء الطبقة المتوسطة (أحياء المباني المتوسطة والعالية)[365].

وبهذا تكون المخططات التعميرية الاستعمارية قد وضعت الأسس الأولى للتفاوتات المجالية بين أحياء المدينة بالتركيز على البعد الاجتماعي. فمعظم توجهاتها لازالت قائمة إلى اليوم، حيث لازال القطاع الغربي من جهة يعج بالفئات الغنية الموروثة عن عهد الاستعمار، ومن جهة أخرى، اعتبرت باقي اتجاهات المدينة كمناطق للفئات الشعبية، مع وجود استثناءات في بعض القطاعات التي تعتبر استمرارية للقطاع الغربي.

لم يتغير الوضع بعد حصول المغرب على الاستقلال، إذ ظلت الدار البيضاء تتسم خلال توسعها بالتمييز السوسيومجالي، بحيث بقيت الفوارق بين الأحياء قائمة [366]. فقد قام المخطط المديري لسنة 1984 (بانسو) بإنتاج

---

[361] نفس المرجع ص 61

[362] CHOUIKI Mustapha. SEGREGATION SOCIALE ET REQUALIFICATION SPATIALE A CASABLANCA. (texte non publié) P.P 1-15

[363] السنوسي، محمد معنى (2017) الدار البيضاء الانسان والزمان والمكان تاريخ وتطور. دار النشر المغربية، ص 136

[364] المرجع السابق ص 138-139.

[365] CHOUIKI Mustapha. SEGREGATION SOCIALE ET REQUALIFICATION SPATIALE A CASABLANCA. (texte non publié).P.P 1-15

[366] الشويكي مصطفى (1988) الأبعاد الاجتماعية للتحولات المجالية بالدار البيضاء ، كلية الآداب سنة ، ص 291.

العديد من مبادئ التمييز التي رسختها مخططات التعمير لعهد الاستعمار. وفي هذا الصدد، استجابت مشاريع الدولة في ميدان السكن للتفرقة الاجتماعية، وعملت على ترسيخها بالتمييز بين الفئات الاجتماعية على مستوى نوعية السكن والمجالات المخصصة لفئات دون غيرها. وذلك للدور الاستراتيجي للتمييز السوسيومجالي بالنسبة للسلطة السياسية، من أجل التحكم في توسع وتطور المدينة ككل.

وهكذا يتضح أن الهيكلة المجالية التي رسخها عهد الاستعمار قد سارت وفق ما يقتضيه نمط الإنتاج الرأسمالي من تفاوت اجتماعي، ومن تحويل للهوامش إلى خزانات لقوة العمل. ويتضح أيضا أن المجال لا يكتسب خصائصه من ذاته، بل من المجتمع الذي يشكل أحد هياكله الأساسية[367]. فالتفاوت الاجتماعي والتفاوت المجالي مرتبطان ويدعم أحدهما الأخر [368].

على الرغم من كون معظم الدراسات التي أطرت مسألة التفاوتات المجالية أشارت إلى الدور الهام للتاريخ في تفسير اللاعدالة المجالية بين مركز وهامش المدينة، إلا أن الواقع الراهن يشير إلى دور مؤشرات أخرى سياسية وعمرانية مرتبطة بالسياسات الحضرية والعمرانية المتبعة في هيكلة المجال الحضري للمدينة. فمن خلال ملاحظة ما جاءت به المخططات الأخيرة وما أدرجته تصاميم التهيئة الخاصة بمقاطعات المدينة نجد بعض المؤشرات المساهمة في ترسيخ التفاوتات، من قبيل تمتيع مقاطعات بتجهيزات عمومية ومرافق متنوعة على حساب مقاطعات أخرى، كما هو الشأن بين مقاطعات المركز والهامش. فقد كان على واضع التخطيط الحضري الراهن الأخذ بعن الاعتبار ما أفرزته المخططات الاستعمارية والعمل على هيكل المجال حسب الخصوصيات المحلية والإشكاليات الراهنة.

2-1: مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية

تختلف قائمة التفاوتات ومظاهر اللاعدالة مع مرور الزمن، ومن مجتمع إلى آخر ومن مجال لآخر، إنها مفهوم جد معقد، يتطلب منا أولا تحديد المتحكم في هذه التفاوتات، والتصور العادل بالنسبة لها، إضافة إلى تحديد العناصر ذات القيمة التي يجب النظر فيها، وتحديد معيار المقارنة من منطقة لأخرى، حتى لا يتم اعتبار أي اختلاف بمثابة تفاوت.

فالحديث عن اللاعدالة هو حديث لا متناهي، يتطلب الاستناد إلى قياس مجموعة من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية (مستوى المعيشة والفقر والدخل الفردي والهشاشة والتعليم والصحة والبيئة) لن نقف عند مجموع هذه العناصر بقدر ما سنحاول خلال هذا المحور التطرق لأربعة عناصر، نرى أنها ذات قيمة مجالية وهي: السكن والصحة والتطهير والمساحات الخضراء.

[367] الشويكي مصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 509

[368] AYDALOT Ph. (1980)Dynamique spatiale et développement inégal. Ed. Economica, Paris, p. 333

1-2-1: السكن كمؤشر للاعدالة المجالية والاجتماعية

نستهل مقاربة اللاعدالة المجالية والاجتماعية من حيث التفاوتات التي يشهدها السكن في المدينة عموما، وفي مقاطعتي أنفا ومولاي رشيد خاصة (المجال المدروس) بالارتكاز إلى بعض المتغيرات المتمثلة في المساحة ونوعية السكن.

خريطة رقم 35: حجم ونوعية السكن بمقاطعة مولاي رشيد

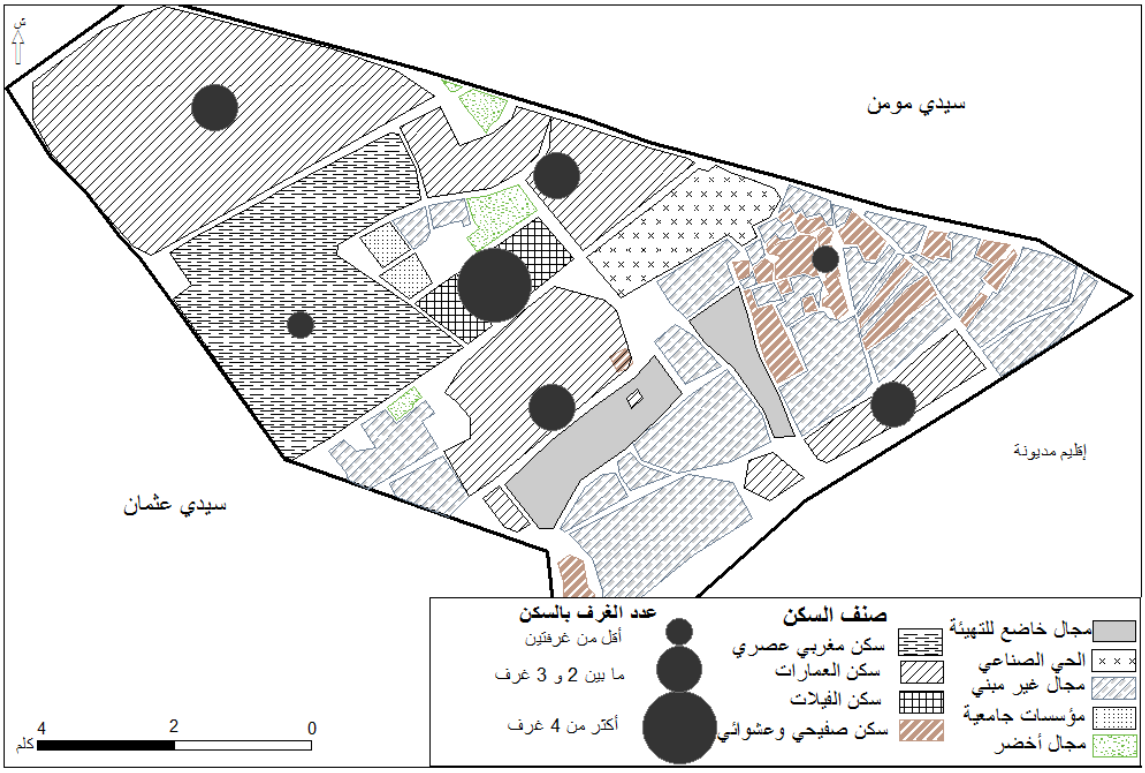

المصدر: بحث ميداني 2019-2020وبرنامج ساس بلانيت 2019.

خريطة رقم 36: حجم ونوعية السكن بمقاطعة أنفا

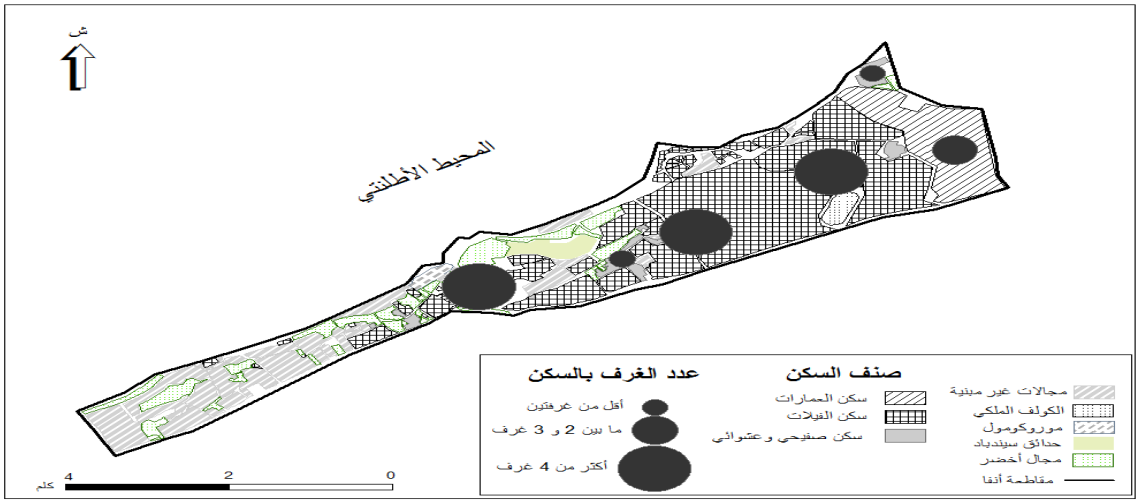

المصدر: بحث ميداني 2019-2020-برنامج ساس بلانيت 2019

أول ما يمكن تسجيله بعد تبصر الخرائط هو حجم التفاوت الحاصل داخل المقاطعة نفسها، من حيث توزيع أصناف السكن ومن حيث عدد الغرف داخل السكن. ولتشخيص كل وضعية على حدة، فتبرز الخريطة رقم 35 مدى تطابق مساحة السكن مع صنف السكن، فالمنطقة التي تعرف سيادة السكن الكبير الحجم تتميز بطغيان سكن الفيلات (حي الرحمة)، وهي منطقة ذات مساحة صغيرة جدا، مقارنة مع باقي الأصناف. في حين أن السكن الصغير الحجم يطابق مراكز تركز السكن المغربي وسكن العمارات، وهو المنتشر في جل أرجاء المقاطعة، وهي نفس الخاصية التي يعرفها السكن العشوائي.

يقودنا تفسير هذه الفروق الواسعة بين سكن الفيلات من جهة والسكن المغربي وسكن العمارات من جهة ثانية إلى استحضار عاملين أساسيين، وربطهما مع بعضهما البعض. يتمثل الأول في العامل التاريخي والاستعماري بالدرجة الأولى، فقد أثبتت الخريطة رقم35 نجاح التوجه الاستعماري الذي كان يرغب في تركيز الصناعة في الشمال الشرقي، وجعل المنطقة خاصة بالفئات الهشة والفقيرة كخزان لليد العاملة لفائدة الطبقات الغنية.

أما العامل الثاني، فيتمثل في السياسة والتخطيط والتعمير منذ الاستقلال إلى اليوم، وهو من بين العوامل الأساسية في ضبط إنتاج السكن، من خلال سياسات إعادة الإسكان سنة 1984 لساكنة دور صفيح بن امسيك وسيدي عثمان، والتي رأت في مجال مقاطعة مولاي رشيد خير ملاذ لهذه الفئة الاجتماعية دون أي منطقة أخرى. ويعد هذا التوطين تعزيزا للسياسات الاستعمارية القائمة على مبدأ التمييز، وترسيخ للاعدالة المجالية والاجتماعية المؤثرة على جودة الحياة بالمقاطعة خاصة وبالمدينة عامة، حيث أبان الحاضر مدى انعكاس هذه الاختيارات على الحياة الاجتماعية والمجالية بالمدينة.

في جميع المجتمعات، نجد اختلافات بين الأفراد والجماعات، وهذه الاختلافات لا تؤسس للتفاوتات وللاعدالة المجالية، إذ تصبح الاختلافات عبارة عن تفاوتات ولاعدالة حينما تترجم إلى ايجابيات وسلبيات، وإلى مزايا وعيوب[369]. في هذا الإطار، أفرزت التناقضات المجالية المترسخة في مقاطعة مولاي رشيد (هيمنة السكن الصغير الحجم وغلبة الفئات الهشة) عدة سلبيات وعيوب، أبرزها كثرة التمردات المجالية التي يشهدها المجال المعاش- أي مجال التمثلات المجالية ومجال الرغبات والحاجيات المجالية-، وهيمنة مظاهر اللاقانون والانحراف والجريمة التي تشهدها المقاطعة كتعبير من الساكنة عن عدم رضاها عن إقصائها المجالي والاجتماعي. وبهذا تصبح الاختلافات القائمة عبارة عن لاعدالة مجالية واجتماعية، الشيء الذي يتطلب إعادة التنظيم الوجودي للمجال عبر تحقيق الوعي المجالي. فنجاح أي توجه للعدالة المجالية والاجتماعية يعتمد توحيد القوى المختلفة للديمقراطية التشاركية.

في ما يخص مقاطعة أنفا، تبرز الخريطة رقم 36 هيمنة السكن الكبير الحجم، والذي يطابق مناطق انتشار الفيلات المتركز في جل أرجاء المقاطعة (قطاع أنفا وعين الذئاب وسيدي عبد الرحمان). في حين يتمركز السكن المتوسط والصغير الحجم في المنطقة الشمالية الشرقية للمقاطعة (قطاع بوركون)، مع وجود انتشار آخر في مناطق السكن العشوائي. بينما تتميز المنطقة الجنوبية بسيادة سكن فيلات متفرق ذو مساحة كبيرة.

[369] BONNEWITZ Patrice (2013 Classes sociales et inégalités : stratification et mobilité) & Thèmes : Collection Débats Editeur : Bréal p 14

حافظت المنطقة على نفس التشكيل الاجتماعي الذي رسخه المستعمر وأكده المتحكم في إنتاج المجال. إذ تم تشييد معظم مناطق المقاطعة خلال فترة الاستعمار، ماعدا بعض القطاعات في الجنوب. وتعتبر هذه المقاطعة أكبر تعبير عن التناقضات المجالية والاجتماعية داخل المقاطعة نفسها، وداخل المدينة بصفة عامة. ذلك أن المقاطعة تضم أغلى المساكن على صعيد المغرب، حيث توجد بها فيلات فخمة وشقق فاخرة، وفي نفس الوقت تضم المقاطعة إلى جوار الفيلات دور الصفيح، والتي تمثل حوالي 22,64% من مجموع أنواع المساكن[370]، وهو ما يعزز التناقضات المجالية والاجتماعية داخل المقاطعة.

للحفاظ على التمييز السوسيومجالي الذي تحظى به الفئات الغنية بالمقاطعة، ولإبعادها من باقي الشرائح الاجتماعية، عملت السلطة السياسية والاقتصادية خلال وبعد فترة الاستعمار على إقصاء ممنهج للفئات الفقيرة والمتوسطة من ولوج عالم العقار بالمقاطعة، وذلك من خلال الرفع المهول من أثمنة العقار داخل المقاطعة، وجعلها في متناول الفئات القادرة على تبني نمط عيش الفئات الغنية. وبذلك يصبح كل من السعر ونوع وحجم السكن وصفة الحيازة وشروط الأداء عوامل أساسية في التركيب الاجتماعي للتجمعات السكنية، وأصبح السكن أداة انتقاء اجتماعي فعالة، عملت السلطة على استغلاله من أجل تشكيل تجمعات سكنية تضمن الحفاظ على الوضع القائم بكل تناقضاته[371].

يعتبر شغل السكان للمجال من أكثر المظاهر تعبيرا عن التفاوتات السوسيومجالية[372]. توضح المقارنة بين كيفية استغلال مجال أنفا ومجال مقاطعة مولاي رشيد حجم التباين الحاصل بين الفئات الاجتماعية، كما توضح هذه المقارنة دور المجال في ترسيخ التفاوت السوسيومجالي الذي وجب تقليصه للحد من مظاهر الإقصاء المجالي. لقد فتح الجمع بين مفهومي "العدالة" و"المجال" آفاقا جديدة من إمكانيات العمل السياسي والاجتماعي، شريطة تعزيز الضمير السياسي الجماعي والشعور بالتضامن على أساس تجربة مشتركة على نطاق واسع من شأنها الحد أو التقليص من حدة التفاوتات السوسيومجالية. فالعدالة المجالية ليست فقط مفهومًا فلسفيًا يمكن مناقشته في الفصول الدراسية والقاعات والندوات، ولكنها نتيجة يجب متابعتها بنشاط، وذلك لتغيير التناقضات في نتائج جودة الحياة للأفراد الذين يعيشون في مناطق جغرافية مختلفة من المدينة. فـإذا أردنا أن نفهم طبيعة المدينة، يجب علينا أن ندرك نتائج اللاعدالة المجالية والعمليات التي تعزز البيئة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والتي تستخدم للحفاظ على المناطق الجغرافية غير العادلة من المدينة[373].

1-2-2: التباينات المجالية في قطاع الصحة

يتميز قياس التفاوتات بمدى التركز la concentration والتشتت la dispersion على مستوى القيم المركزية، والتي يمكن ملاحظتها على مستوى عدة مجالات مختلفة من بينها: الحماية الاجتماعية والسكن وتوزيع المؤسسات السياسية والثقافية والصحية[374]. وتعتبر هذه الأخيرة أحد العناصر الأساسية التي تسلط الضوء بشكل أفضل على الكيفية التي يحدد بها الوضع الاجتماعي الخاص بجودة الحياة، والتفاوتات الصحية أحد المؤشرات التي تجعل من الممكن التحقق من مدى وجود المساواة بين الطبقات الاجتماعية[375].

[370] المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014.
[371] الشويكي مصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 521، 523.
[372] NOIN, D. (1971) Casablanca, la documentation française, paris, , p 33
[373] EDWARD W. Soja (2010) Seeking Spatial Justice. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, p. 490
[374] DUVOUX Nicolas (2017) Les inégalités sociales, presses universitaires de France-humensis p 4 96p
[375] Ibid. p.

لتقصي المساواة والعدالة واللاعدالة بين مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد، تم إدراج جدول إحصائي يضم بعض الأرقام والمعطيات الخاصة بالتوزيع المجالي للمستشفيات وعدد الأطباء والأسرة بين المجالين. أكدنا فيما سبق على تناقضاتهما (مقاطعة أنفا ومولاي رشيد) من حيث الخصائص المجالية والاجتماعية والسكنية، وهما متناقضان أيضا من حيث التعاطي السياسي والاقتصادي. فهل ستنأى الصحة عن هذه الصراعات السوسيواقتصادية؟[376]

جدول رقم 26 : وضعية قطاع الصحة بعمالة مقاطعات أنفا ومولاي رشيد

المعطيات الطبية	معطيات خاصة بمقاطعات أنفا والمعاريف وسيدي بليوط	معطيات خاصة بمقاطعات مولاي رشيد وسيدي عثمان
عدد سكان المقاطعات	475397	486499
المستشفيات	4	1
الأسرة	1782	267
المصحات الخاصة	67	3
أسرة المصحات الخاصة	1540	262
مصحات طب الأسنان	400	58
عدد أطباء القطاع العام	1247	46
عدد السكان لكل طبيب	149	1725
عدد السكان لكل سرير	261	1822

المصدر : وزارة الصحة المغربية، إحصائيات 2020

كقراءة أولية للجدول، نشير في البداية إلى حدة التباين الحاصل بين العمالتين على مستوى التجهيزات الصحية وعلى مستوى الموارد البشرية، فعلى الرغم من أهمية عدد السكان في عمالة مولاي رشيد مقارنة مع عمالة أنفا، فإن هذه الأخيرة قد هيمنت على معظم التجهيزات والموارد الصحية، فمن جهة، لم يتعد عدد أطباء القطاع العام في عمالة مولاي رشيد 46 طبيبا، مقابل 1247 في عمالة أنفا. ومن جهة أخرى لم يتجاوز عدد المستشفيات بعمالة مولاي رشيد مستشفى واحدا، مقابل أربعة مستشفيات لعمالة أنفا. الشيء الذي سينعكس على عدد السكان لكل طبيب، والذي بلغ 1725 نسمة لكل طبيب في عمالة مولاي رشيد، مقابل 149 نسمة لكل طبيب في عمالة أنفا.

صحيح أن هذه التناقضات المجالية في القطاع الصحي كانت لها بعض الجذور التاريخية، إذ حاول المستعمر تلبية جميع الاحتياجات الصحية للجالية الأوربية المتركزة في منطقة أنفا، إلا أن الحاضر قد عزز من هذه التناقضات المجالية. فقد تمت برمجة إنشاء مستشفى في الجنوب الشرقي بمقاطعة مولاي رشيد في تصميم التهيئة الأخير للمقاطعة، إلا أنه لم ير النور إلى غاية كتابة هذه الأسطر، وفي نفس السياق، تمت برمجة أكثر من ثمانية مراكز صحية في نفس التصميم، لكنها لم تنجز بعد.

[376] سنحاول خلال هذا المحور الاشتغال على مستوى مجموع مقاطعات عمالة أنفا والمكونة من مقاطعة أنفا، المعاريف، سيدي بليوط، ومجموع مقاطعات عمالة مولاي رشيد المكونة من مقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة سيدي عثمان، وكأننا بين مقاربة المركز والهامش.

إذا تأملنا تصميم التهيئة الخاص بمقاطعة أنفا، نسجل قلة المراكز الصحية المبرمجة، والتي لا تتعدى ثلاثة مراكز، وهو اعتراف من قبل السلطة السياسية بأن هذا المجال في غنى عن أي مركز صحي آخر. وفي ظل هذا التفاوت الصحي بين هذين المجالين، ستضطر ساكنة عمالة مولاي رشيد إلى التنقل إلى المركز قصد الاستشفاء في ظل تدني الخدمة الصحية في الهامش، وهو ما يعزز تبعية الهوامش لوسط المدينة، بحكم عجزها عن الاستجابة لحاجيات السكان في العديد من التخصصات.

وبذلك تكتسي التناقضات المجالية صبغة نوعية فضلا عن طابعها الكمي، وفي ذلك تجسيد لاستمرارية تركز الاستجابة لحاجيات السكان في أجزاء من المجال الحضري دون غيرها[377]. فإذا كنا نقطن في نفس المدينة، فلماذا هذا التحيز تجاه الأبعاد الاجتماعية الضرورية للحياة؟ أليس من حق الجميع التمتع بنفس الحقوق؟ الشيء الذي يتطلب إعادة تنشيط أفكار لوفيبر Lefebvre الوجدانية حول الحق في المدينة. بالإضافة إلى خلق وعي مكاني بالاحتياجات المجالية، والذي يعتمد على كيفية تخيلنا للمدينة (المجال المعاش) والمناطق الجغرافية التي تتكون منها، وعلى فهمنا الوجودي لحياة الإنسان وصحته في المدينة، فالمكان الذي يعيش فيه الفرد له تأثير على قيمه ومعاييره. فنحن فاعلون اجتماعيون نشارك في كتابة تاريخ جماعي نبرر من خلاله كيفية إنشاء مناطق التمايزات[378].

3-2-1: اللاعدالة المجالية والاجتماعية في ميدان التطهير والمساحات الخضراء

تعرف اللاعدالة المجالية البيئية بكونها توزيع غير متكافئ لجودة الحياة البيئية بين الأفراد والمجموعات، من خلال تباين التعرض للتأثيرات البيئية الضارة بين المجالات، أو من خلال تباين الوصول إلى المرافق البيئية كالمساحات الخضراء والمناظر الطبيعية. وهي مظاهر ناتجة عن التأثير غير المتكافئ للسياسات البيئية حسب الفئة الاجتماعية، الشيء الذي يتطلب إعادة النظر في مفاهيم عدم المساواة واللاعدالة وإعادة التوزيع والعزل من زاوية بيئية.

تتعدد مظاهر التوزيع غير المتكافئ لجودة الحياة البيئية بمدينة الدار البيضاء عامة وبين المجالين المدروسين خاصة. ومن مظاهر ذلك، نسجل التفاوت في ميدان التطهير، وكذا في توزيع المساحات الخضراء. لتوضيح ذلك، تم إدراج بعض المؤشرات. نستهلها بخريطة التفاوت السوسيومجالي في ميدان التطهير بمدينة الدار البيضاء:

خريطة رقم 37: التفاوت السوسيومجالي في ميدان التطهير بالدار البيضاء

[377] مصطفى الشويكي، إنتاج و هيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، ص 517

[378] EDWARD W. Soja (2010) Seeking Spatial Justice. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, p. 490

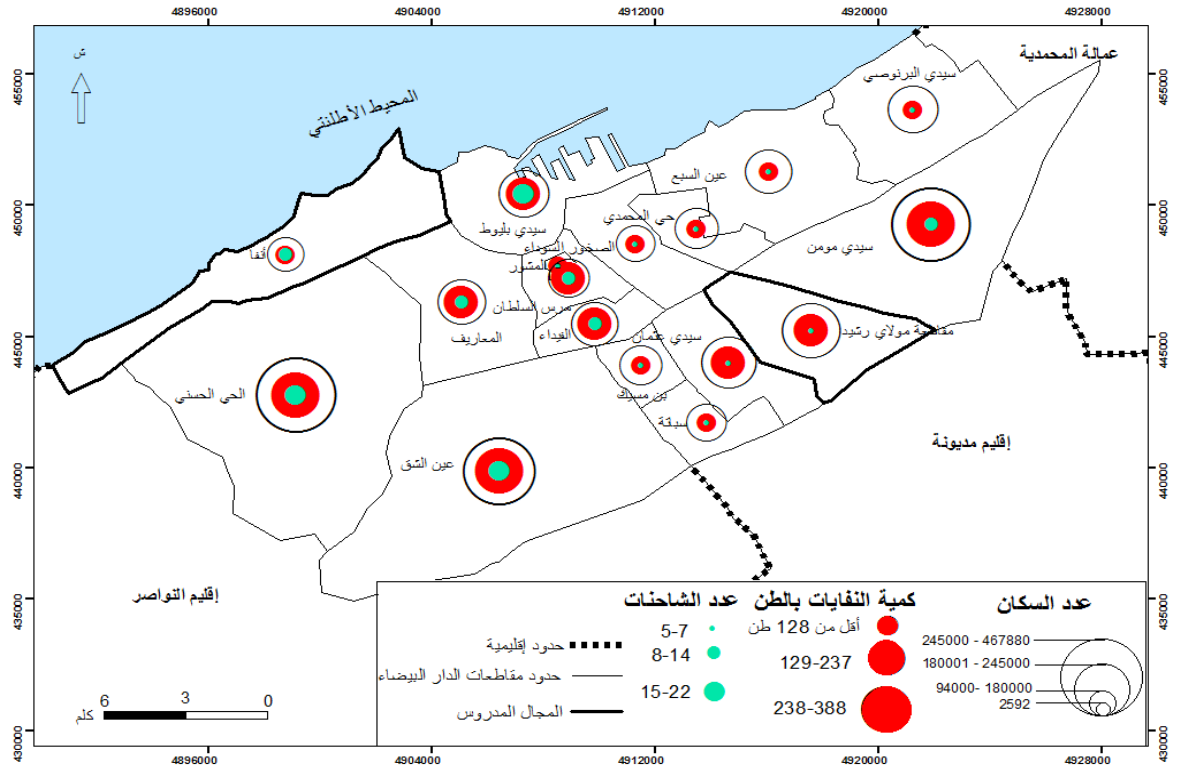

المصدر: مصلحة البيئة، مجلس مدينة الدار البيضاء.(عمل شخصي)

تبرز الخريطة رقم 37 مدى حجم التفاوت من حيث التعاطي لمسألة التطهير بالمدينة، ففي الوقت الذي تنتج فيه مقاطعة أنفا ما مقداره 128 طن من النفايات، تم تمتيعها بأكثر من 14 شاحنة تمر يوميا لجمع النفايات. الشيء الذي سينعكس إيجابا على ساكنة المقاطعة. في مقابل ذلك، فإن مقاطعة مولاي رشيد التي تنتج يوميا أكثر من 230 طن يوميا من النفايات ولا تمر بأزقتها وشوارعها سوى ست أو سبع شاحنات لجمع النفايات. وهو ما ينذر بحجم النقص الذي تعرفه خدمة التطهير بالمنطقة، مما يضر بالسلامة الصحية للمواطنين وبالمنظر العام للمقاطعة.

تبرز الخريطة أيضا حجم الفارق بين كمية النفايات وعدد الشاحنات المخصصة لجمعها في معظم مقاطعات الهوامش، (سيدي مومن والحي الحسني وعين الشق وسيدي عثمان والبرنوصي وعين السبع)، مقابل تدني وتقليص هذا الفارق في مقاطعات المركز. الشيء الذي يجعلنا أمام ثنائية التعامل المجالي في السياسات البيئية الخاصة بالمدينة، إذ تتم الاستجابة البيئية لفئة اجتماعية دون الأخرى، في الغالب تكون الفئات الغنية أكثر حظا من نظيرتها الفقيرة والهشة، وهو إجراء نابع من واضعي القرار، فالتمييز في توزيع الحظوظ هو ترسيخ للتفاوتات بين فئات المجتمع، وهو تعزيز للتناقضات المجالية والاجتماعية في صفوف ساكنة المدينة. وهي مظاهر ناتجة بالأساس عن الدور الكبير لغياب الديمقراطية التشاركية والمواطنة المجالية والاجتماعية، وهي مفاهيم ترتكز بالأساس على إدماج المواطن في عمليات صنع القرار المجالي والاجتماعي، هذا الدور الذي تم تغييبه في المجتمعات العربية وجب إعادة النظر فيه، وذلك في أفق توسيع قاعدة السياسات الحضرية المهيكلة للمجالات الحضرية.

خريطة رقم 38 : نصيب الفرد من المساحات الخضراء بمقاطعات مدينة الدار البيضاء 2014

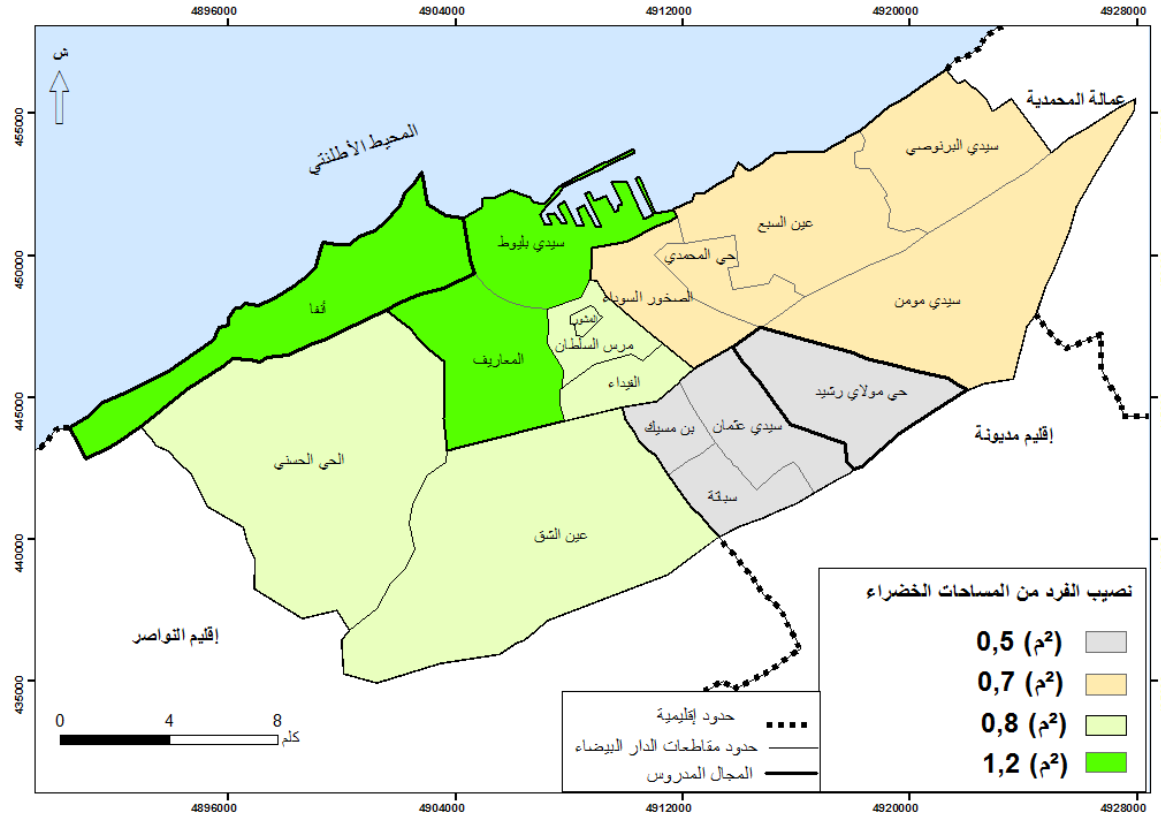

المصدر: مجلس مدينة الدار البيضاء، قسم البيئة (عمل شخصي)

تشير الخريطة رقم38 إلى حجم التفاوت القائم على مستوى نصيب الفرد من المساحات الخضراء بين مقاطعات المركز ومقاطعات الهامش. فنصيب الفرد من المساحات الخضراء في مقاطعات الهامش لا يتعدى سوى 0,5 متر^2. أكثر من ذلك، يخفي هذا الرقم عدة حقائق خاصة ببعض المقاطعات التي تقل فيها حصة الفرد عن الرقم المذكور. بالنسبة لمقاطعة مولاي رشيد، فإنها هي الأخرى تعاني من ضعف حصة الفرد من المساحات الخضراء، والتي وصلت سنة 2019 إلى 0,4 مترا^2 لكل فرد[379]، وهي حصة ضعيفة جدا مقارنة مع المعدل العالمي الذي يبلغ 15 متر^2 لكل فرد.

تتوفر مقاطعة مولاي رشيد حاليا على ما مجموعه 224669 متر^2 من المساحات الخضراء، وتعتبر الغابة الخضراء أكبر مجال أخضر تتوفر عليه المقاطعة، والتي تبلغ مساحتها حوالي 0,13 كلم^2، لكنها تتميز بالبعد عن مناطق التجمعات السكنية المتميزة بارتفاع الكثافة السكانية. وهو ما يطرح إشكالية الولوجية لهذه المرافق العمومية. جل المساحات الخضراء التي تتوفر عليها المقاطعة عبارة عن مجالات خضراء بين الأحياء السكنية، معظمها تم إعداده من قبل سكان أنتجوا مجالهم المعاش الخاص بالمساحات الخضراء.

أدرج تصميم التهيئة الأخير الخاص بمقاطعة مولاي رشيد حوالي 1,065 كلم^2 من المساحات الخضراء، أي ما يعادل 4,34 متر^2 كحصة للفرد، وهو رقم ما يزال بعيدا عن المعدلات العالمية، على الرغم من أن معظم المساحات المدرجة ما تزال قيد الإنجاز.

[379] تم حساب نصيب الفرد من المساحات الخضراء عبر خاصية calculate geometry في برنامج ARCGIS 10.1

في مقابل ذلك وكما تظهر الخريطة، تتميز مقاطعات المركز بأهمية المساحات الخضراء، خصوصا مقاطعة أنفا ذات التنشئة الاستعمارية، والتي تتميز بامتدادات مهمة من المساحات الخضراء، خصوصا على مستوى منتزه سيندباد الذي يستقطب الزوار من مختلف مناطق المدينة. فإذا كانت الخريطة تشير إلى كون حصة الفرد من المساحات الخضراء تصل إلى 1,2 متر^2 ، فإن هذا المتوسط قد أخفى المعدل الحقيقي لمقاطعة أنفا، والذي يصل إلى أكثر من 33 متر^2 كنصيب للفرد الواحد. بل أكثر من ذلك فقد أدرج تصميم التهيئة الخاص بالمقاطعة حوالي 0,71 متر^2 كمساحات خضراء إضافية، أي تمت إضافة 7,61 متر^2 لكل فرد، الشيء الذي يجعل ظروف الحياة البيئية تتميز بالجودة مقارنة مع نظيرتها بمقاطعة مولاي رشيد.

أظهرت الأرقام الإحصائية الخاصة بالمجالات الخضراء حدة التناقضات المجالية بين المجالين (أنفا ومولاي رشيد) والذي تم تعزيزه من قبل واضعي تصاميم التهيئة. فرغم أن عدد السكان يعتبر من العوامل المسؤولة عن هذه التباينات، بالإضافة إلى غلاء أسعار العقار، ودور العوامل التاريخية والتعميرية، فإن ذلك لن يمنع من تمتيع ساكنة مولاي رشيد بجزء من عناصر جودة الحياة، عبر التوفيق بين التنظيم العمراني والحاجيات الأساسية للإنسان، وخاصة مسألة الصحة الناتجة عن استثمار الإنسان لشروط الطبيعة (المساحات الخضراء والمساحات الفارغة).

دفعنا تعميق النظر في الوعي المجالي الخاص بالمقاطعتين (أنفا ومولاي رشيد) إلى الإشارة بأن التناقضات التي اعتبرناها مجالية إنما هي في الأصل تعزيز للتفاوتات بين الطبقات الاجتماعية المكونة للمجالين، أي تعزيز اللاعدالة بين الفئات الشعبية الفقيرة والفئات الغنية، واستمرار على نهج المدينة الرأسمالية التي تهدف إلى الحفاظ على مميزات الفئات الغنية على حساب الفئات الهشة، وتعزيز اللامساواة بينهم من خلال مضامين التخطيط. يتم الحكم على الاختلاف أنه تفاوت إذا نظر إليه البعض وحكم عليه على أنه اختلاف غير مبرر وغير مبرهن بحجج علمية- وهي حالة وضعية المساحات الخضراء بهامش مدينة الدار البيضاء-. وبالتالي وجب تعديله، على الأقل في الحالة المثالية[380]. وهنا تأكيد على اعتبار اللاعدالة les injustices بمثابة اختلافات غير مبررة وجب النظر فيها[381].

3-1: دور التخطيط والسياسة الحضرية في ترسيخ اللاعدالة المجالية والاجتماعية

تعتبر عدالة المجال من بين الآفاق الكبرى لمعظم السياسات التخطيطية، إذ تظل أداة سياسية أساسية وحركية. ذلك أن هناك علاقة وطيدة بين التخطيط الحضري والعدالة المجالية، بحيث يمكن اعتبار التخطيط المجالي والسعي لتحقيق العدالة المجالية متكافئين تمامًا[382]، الشيء الذي يطرح عدة أسئلة حول أهداف السياسات العامة.

يفرض التفكير اليوم في فكرة السياسة المجالية العادلة التشكيك في مفهوم العدالة المجالية، والتي لا يمكن فهمها في حد ذاتها دون التفكير الأولي في اللاعدالة ومتطلبات العدالة. فقد أبان المحور الخاص بمظاهر اللاعدالة المجالية بين مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد على أن هناك خلل مجالي، يستدعي استحضار متطلبات العدالة. وأول ما تستدعيه هذه المتطلبات بعد الخصائص الأربعة للعدالة المجالية التي حددها إدوارد صوجا هو التخطيط

[380] GALLAND olivier Yannick lemel (2018), Sociologie des inégalités : Armand colin, Malakoff : p 102

[381] Ibid. : p 103

[382] LIPIETZ, Alain , (1999) « Entretien avec GES », in Géographie, Économie, Société, vol. 1, no 1, p. 217-232.

الحضري والسياسة الحضرية. فإلى أي حد ساهمت هذه الأخيرة في الحفاظ على التفاوتات المجالية في المدينة عامة وبين المجالين المدروسين خاصة؟

تصبح العدالة المجالية ذات معنى حينما تركز على شرط المساواة في التوزيعات[383]، وذلك من خلال الانخراط في أشكال إعادة توزيع السكان ونوعية السكن والخدمات وتحسين إمكانية الوصول إليها. فإذا كان التخطيط الحضري الاستعماري قد تم توجيهه نحو ترسيخ التفاوتات المجالية بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي، من خلال تمتيع هذا الأخير بجل متطلبات جودة الحياة، وتعميق الهشاشة في القطاع الشمالي الشرقي، فإن تصاميم التهيئة الأخيرة الخاصة بالمقاطعتين قد صارت على نفس النهج الاستعماري. يظهر ذلك من خلال جعل سكن الفيلات الفردي هو السائد في جل المجالات المفتوحة للتعمير، كما يوضح الشكل (19).

الشكل رقم 19: تحديد نوعية استعمال الأرض في جنوب مقاطعة أنفا

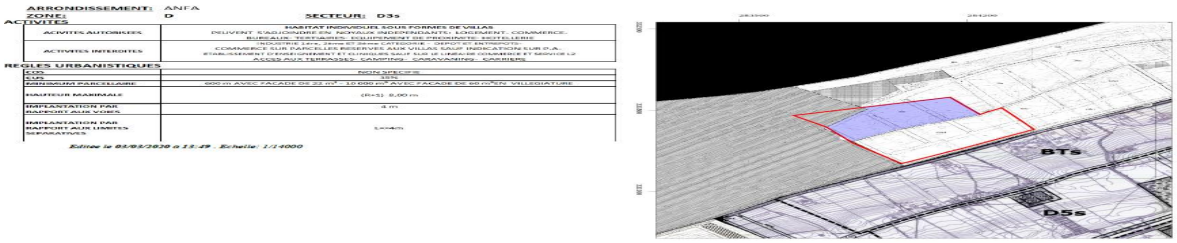

المصدر: تصميم تهيئة مقاطعة أنفا 2014.

في حين أن المناطق المفتوحة في وجه التعمير بمقاطعة مولاي رشيد مخصصة في غالبيتها للسكن الجماعي وسكن العمارات وأحيانا للسكن المغربي العصري. ويمكن أن تكون بمثابة أساس للاعتراف بسياسة موجهة نحو الاحتياجات الاجتماعية. كما يوضح الشكل (20) المأخوذ من تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد.

الشكل رقم 20: تحديد نوعية استعمال الأرض في الجنوب الغربي لمولاي رشيد

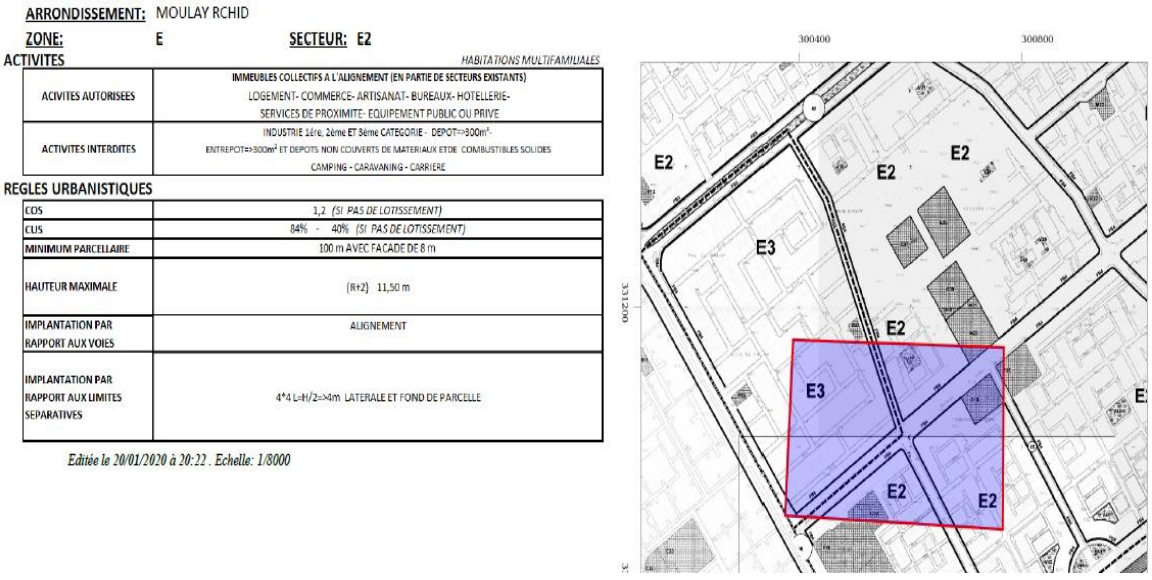

المصدر: تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 2012.

383 BOLTANSKI, Luc, « Entretien avec Luc Boltanski, une sociologie toujours mise à l'épreuve », in ethnographiques.org, entetien réalisé par Cécile Blondeau et Jean-Christophe Sevin, no 5, avril 2004.

تتمثل النتيجة المنتظرة من هذا التخطيط الحضري في تثبيت الفئات الغنية في مقاطعة أنفا، بحكم قدرتها على تجاوز الحواجز المالية عبر اقتناء عقارات مخصصة للفيلات، في حين سيبقى أمام الفئات الفقيرة والشعبية اختيار وحيد متمثل في السكن الجماعي أو السكن المغربي، وفي منطقة متميزة بانخفاض الأثمنة العقارية، الشيء الذي سيعزز من التناقضات المجالية. وبهذا سيستثمر المجال كوسيلة لتزكية اللاعدالة الاجتماعية بطرق ممنهجة. سيثير هذا النهج العديد من الأسئلة حول المجتمع المتجانس والموحد حول التكامل الاجتماعي والمساواة المجالية في الحقوق وتكافؤ الفرص، والقيم الرافضة للتمايزات الاجتماعية والثقافية.

خلال العقد الأخير، قامت السلطة التخطيطية في إطار محاربة دور الصفيح بمقاطعة أنفا بإعادة إسكان بعض دور الصفيح في مقاطعة بعيدة عن المجال الحضري لأنفا، إذ تم ترحيلهم لمقاطعة أولاد صالح في الضاحية الجنوبية الشرقية للدار البيضاء، وهو ما استنكرته الساكنة المنقلة قسرا، معبرة عن رغبتها في إعادة الهيكلة في مقاطعة أنفا نفسها، وليس ترحيلهم لمقاطعة أخرى. إذن، إلى أي مدى يمكن للمعاملة التفاضلية للمجالات الحضرية أن تستجيب لقيم "العدالة المجالية المثالية؟ ألا يمكن اعتبار التدبير المتجانس لجميع المساحات شرطا من شروط العدالة المجالية؟ فالإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي سياسة مجالية عادلة، أي سياسة لإعادة التوازن بين المجالات، خاصة المجالات الأكثر حرمانا، وذلك عبر إنشاء هياكل مجالية "عادلة" مستدامة ومستقرة ومتوازنة ومتناغمة.

تفرض العدالة الإجرائية من جانبها إدراج جميع الجهات الفاعلة المحتمل أن تكون معنية في عملية صنع القرار السياسي المجالي، والذي يتم التفاوض عليه من قبل الفاعلين المجاليين، مع إنشاء أشكال من التدبير التشاركي، والتي ستضفي روح جديدة للعمل التخطيطي، إذ تتطلب هذه العدالة أيضا البحث عن شعور مشترك بالعدالة المجالية أو وعي مجالي كما أشار إليه صوجا، وذلك خلال تنفيذ الحلول المحددة أو التي تمت مناقشتها بشكل جماعي، والقادرة على ضمان إعادة توزيع فعالة بين المجالات وبين الفئات الاجتماعية، والهادفة إلى صنع قرار ديمقراطي مجالي من شأنه تلبية الاحتياجات بشكل أفضل.

حاولنا خلال هذا المحور استلهام مفهوم العدالة واللاعدالة المجالية عند إدوارد صوجا، والذي وضع منظورا مجاليا جديدا تمحور حول العدالة من منظور مجالي جغرافي. حيث كان يهدف من خلاله إلى خلق وعي مجالي في صفوف الفاعلين المجاليين بهدف التقليص من حدة اللاعدالة المجالية، وقد وضع لهذا الغرض مجموعة من الخصائص والمقومات والآليات التي حاولنا التطرق إليها باقتضاب، عبر استثمارها لتشخيص الوضع من جهة، ولتحليل قضية التناقضات المجالية بالمدينة من جهة أخرى.

مكنتنا هذه المقاربة من الوقوف على الجذور التاريخية للتناقضات المجالية التي تشهدها المدينة عامة والمجال المدروس خاصة، واعتبرنا الاستعمار محددا في مجموعة من مظاهر اللاعدالة المجالية، وذلك من خلال سياسة التمييز بين الأهالي الأوربية والأهالي المغربية. وهو ما يعززه ما أشارت إليه المخططات التعميرية التي مازالت شاهدة على ذلك. فعلى الرغم من كون النوايا لم تكن مصرحة في التصاميم، إلا أن الواقع قد أكد على خبايا سياسة الأهلية المتبناة من قبل سلطات الحماية.

أكدت الدراسة على سير المخططات الحالية على نفس نهج المخططات والتصاميم الحضرية الاستعمارية، من خلال تمتيع المركز بالمزيد من الامتيازات المجالية على حساب الهامش الذي ما يزال يعاني من الإقصاء الاجتماعي والمجالي، وهذا ما بينته مقاربة الوضعية الصحية، ووضعية السكن ونوعيته وحجمه، بالإضافة إلى ما أفرزته وضعية المساحات الخضراء من خلال تباين أرقامها بين المركز والهامش. الشيء الذي يطرح عدة تساؤلات حول مدى تباين الحق في استعمال المجال الذي تقطنه نفس الساكنة، وتباين الحق في المدينة. تباين هذه الحقوق سيفرز لا محالة إشكالية مرتبطة بمسألة الشعور بالانتماء إلى المدينة والى الدولة، ومرتبطة بالشعور بالمواطنة ودرجة تحققها في صفوف ساكنة مدينة الدار البيضاء.

2: انعكاسات المجال المعاش على تباين الحق والانتماء إلى المدينة

شهد الفكر السوسيولوجي والجغرافي الغربي خلال الفترة الممتدة ما بين 1950 و1974 ثورة فكرية في التفكير المجالي والاجتماعي والحضري، قادها مجموعة من الرواد الجغرافيين وأعلام المدارس السوسيولوجية. وتعتبر مدرسة شيكاكو من أهم هذه المدارس، وذلك من خلال وضعها للأسس الأولى للمقاربة الإيكولوجية للظاهرة الحضرية.

يعد ميشيل فوكو وهنري لوفيبر من بين الأعلام المجاليين les spatiologues اللذان حاولا إزالة النظرة التقليدية للمجال الذي كان ينظر إليه كوعاء وكمشهد درامي للمجتمعات البشرية، حيث خلص كلاهما إلى أن مواصلة التفكير في المجال بالطرق القديمة لن يجعل أبدًا منظورات المجال قوية مثل المنظورات العلمية الحقة، فما نحتاج إليه هو إيجاد طريقة لجعل هذا المنظور المجالي أوسع وأكثر اكتمالاً واستهدافًا، وأكثر صلة وفعالية مما كان عليه من قبل، وجعله أكثر إنسية وارتباطا بالإنسان وحاجياته المجالية بغية تحقيق الهدف المتمثل في العيش الكريم.

عبر لوفيبر عن هذا المنظور المجالي من خلال مفهوم المجال المعاش (مجال الذاتية في المجال، ومجال الرغبات النفسية) ومفهوم الحق في المدينة[384] . فالمدينة ليست مجرد مساحة مادية بسيطة، بل هي شعور متكامل بالمجال الحضري، باعتباره سياقا ماديا وعلاقة اجتماعية وحياة يومية. ولبلوغ هذا الشعور، لابد من التمتع بالحق في المدينة الذي يضمن إشراك وتعزيز مصالح المجتمع بأسره وأولئك الذين يعيشون فيه[385].

يعيش السكان الحضريون في المدينة، بينما يتصورها المهنيون ويسيرونها، حيث يمتلك المخططون والمهندسون والخبراء سلطة هائلة لإنتاج المجال الحضري وفق منظورهم الخاص والسياسي. بالمقابل، يجب أن يكون لمستعملي المجال الحضري دورًا مركزيًا في تحديد مستقبل المدينة، ولكي يتمكنوا من العيش بشكل جيد وليعيشوا حياة حضرية كاملة وكريمة يجب أن توفر لهم المدينة ما يحتاجون إليه من عمل ومأوى وملبس، والحصول على جميع أنواع الخدمات (النقل والمياه والتعليم والمجالات الخضراء).

إن المطالبة بالحق في المدينة يعادل في الأساس المطالبة بالحق في العيش الكريم، والحصول بشكل معقول على كل ما هو ضروري لقيادة حياة حضرية لائقة. وتعتبر المدينة بالنسبة لقاطني المجال الحضري مشروعا بشريا

[384] DUFAUX Frédéric (2011) La justice spatiale et le droit à la ville: un entretien avec Edward SOJA Université Paris Ouest March p 4

[385] LEFEBVRE Henri, (1958) *Critique de la vie quotidienne*, Paris, L'Arche. p 44

واجتماعيا وجماعيا، يعتمد نجاحه على التفاعل والتعاون والعلاقات الوجدانية[386]. في هذا الإطار، سنحاول خلال هذا المحور البحث في أسس هذا التعاون والتفاعل بين الفاعلين الرسميين في إنتاج المدينة، وبين الساكنة والأفراد باعتبارهم أهم عنصر في المنظومة، وذلك من خلال الخوض في مسألة المشاركة في التدبير العام للمدينة، والبحث في مسألة الاندماج والحق في المدينة ومسألة الشعور بالانتماء للمدينة، إذ لا يكفي فقط التواجد المادي، بل المسألة تتطلب أيضا تواجدا وجدانيا وعاطفيا(المجال المعاش).

2-1: الحق في المدينة: تباين الخصوصيات والمظاهر المحلية

يعتبر الحق في المدينة أعلى مراتب الحقوق، ويتضمن الحق في الحرية، والحق في التنشئة الاجتماعية، والحق في السكن والعيش معا، والحق في العمل، والحق في الملكية، والحق في تكوين المدينة وفق خصوصيات الحياة الحضرية[387]. فجميع سكان المدينة يجب أن يكون لهم حق متساوٍ في المركزية الحضريةla centralité urbaine وتيسير الولوجية إليها، وأن يكونوا قادرين على المشاركة في اتخاذ القرارات التي تتعلق بتصميمها وتخطيطها، دون تمييز أو تسلسل هرمي، مع ضرورة المشاركة الفعالة والمستعرضة لسكان المدينة في جميع مراحل إنتاجها. إلا أن واقع إنتاج المدينة يشير إلى خلاف ذلك، من خلال تباين هذا الحق بين سكان المركز وسكان الهامش، وهذا ما يظهر من خلال مجموعة من المؤشرات.

2-1-1: تباين الحق في الوصول إلى مركز المدينة

يعد ضمان المساواة بين السكان من الأهداف الرئيسية لسياسة المدينة، فالمساواة هي أحد المبادئ الأساسية المعترف بها في جميع المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان. يظهر تحليل مشاكل مدينة الدار البيضاء بوضوح أن هذه المساواة في الحقوق المصممة بعبارات قانونية حصرية ومتفاوتة مجاليا، خصوصا بين مجالات المركز ومجالات الهامش.

تتميز ساكنة المركز بامتلاك معظم أنواع الرساميل، والتي تلعب دورا أساسيا في التمتع باستغلال المدينة في شموليتها. وقد لعب المستعمر الفرنسي دورا كبيرا في هذا التخصيص المادي والاجتماعي. والذي حال دون تمتيع باقي مقاطعات الهامش من نفس الحظوظ المجالية. في هذا الإطار، لا يمكن البحث عن المساواة المجالية إلا من خلال عدم المساواة[388].

من بين أهم الحقوق التي دعا إليها رواد الإيكولوجية الحضرية، نجد مسألة الحق في الوصول إلى المدينة ومركزها، والذي يعد كأحد مؤشرات المساواة المدينية. ذلك أنه هناك فئات عريضة هشة وفقيرة قاطنة في دور صفيح متمركزة في أقصى الجنوب الشرقي لمقاطعة مولاي رشيد، وهي ذات الدخل المحدود ومقصية منهجيا من إمكانية الوصول إلى المدينة والى مركزها، كما أن القيام بجولة في هذه المناطق، يظهر حجم العزلة التي يعيشها هؤلاء السكان، رغم توطينهم إداريا ضمن مقاطعة مولاي رشيد. فباستثناء بعض الذكور المشتغلين في الحي الصناعي بمقاطعة مولاي رشيد، فإن جل ساكنة المنطقة محرومون حتى من المركز الحضري لمقاطعة مولاي رشيد.

أظهرت نتائج المقابلات الفردية عن ضعف حجم التردد على المدينة ومركزها، إذ تبين أن حجم الترددات على المدينة ومركزها ل 73 % من المبحوثين لا يتعدى خمس مرات في الشهر، وتعود أسباب ضعف الإقبال على المدينة إلى

[386] PURCELL Mark (2009) LE DROIT À LA VILLE ET LES MOUVEMENTS URBAINSCONTEMPORAINS. Collège international de Philosophie | « Rue Descartes ». /1 n° 63 pages 40 à 50

[387] مرجع سابق ص 146

[388] YVES Jégouzo (2003), Droit de la ville et droit dans la ville, dans Revue française des affaires sociales, La Documentation française 2003/3 p 55-70

التفاوت بين المسافة المجالية والمسافة الاجتماعية. ذلك أن معظم ساكنة أقصى الشمال الشرقي لمقاطعة مولاي رشيد تعاني من ضعف الدخل والبطالة والهشاشة التي حالت دون امتلاك وسائل نقل خاصة. كما عبر المبحوثين عن سخطهم تجاه وسائل النقل العمومي النادرة في المنطقة.

أبانت أيضا التحريات الميدانية التي أجريت مع السكان أن المنطقة شهدت في ما قبل بعض الاحتجاجات والمظاهرات في اتجاه القيادة، مطالبين بتوفير وسائل نقل عمومية تقلهم إلى باقي مناطق المدينة، وتجعلهم يشعرون أنهم من سكان مدينة الدار البيضاء أسوة بباقي سكان المدينة. فقد دفعهم الإحساس بالتهميش والحرمان وعدم المساواة إلى عدم الاهتمام بالانتخابات، منددين بعدم الاعتراف المجالي، ومطالبين بحقهم في المجال العام القائم على تعزيز المعايير المؤسسية والقانونية والتنظيمية، والقادرة على إنتاج مجال حضري مبني على المساواة في استعمال المدينة.

تقتضي العدالة المجالية تمتيع جميع سكان المدن من نفس الحظوظ المجالية، فلا يمكن الاقتصار فقط على سن الحقوق في الدساتير والمواثيق الوطنية والدولية، بل يقتضي الأمر النزول إلى الميدان والعمل على أجرأة هذه الحقوق، وذلك عبر تسهيل عملية استغلال المجال العام بنفس الطريقة بين الساكنة، من خلال وضع إطار مرجعي يمكن تعبئته حسب حاجيات ورغبات الساكنة (المجال المعاش)، كما يقتضي ذلك تفعيل المطالب السياسية أو السياسات العامة التي تعزز المساواة المجالية والعدالة الاجتماعية. فالحق في المدينة أكثر من مجرد حق فرد أو مجموعة في الوصول إلى الموارد في المدينة، بل يكمن الحق في جعلها تلائم أهواء قلوبهم بدرجة أكبر، وهو علاوة على ذلك، حق جماعي أكثر منه فردي، بما أن إعادة الإنتاج تعتمد حتما على ممارسة قوة جماعية من خلال عمليات التخطيط الحضري[389].

يقتضي تحقيق هذه الغايات في المنطقة المدروسة (جنوب شرق مقاطعة مولاي رشيد) تمديد خطوط النقل العمومي (شبكات الطرامواي والحافلات العمومية) بهذه المنطقة كخطوة أولى، ثم توفير شروط الحياة الحضرية بهذا المجال المنسي، من خلال تمتيعه بتجهيزات عمومية وحدائق ومساحات خضراء، فرغم أن التصميم المديري الأخير قد أدرج في مخططاته بعض المساحات، لكنه لم يحدد مآل السكن الصفيحي المتركز في المنطقة في إطار تنزيل الدور الأساسي للدولة في معالجة الحق في المدينة.

في مقابل ذلك، تتميز ساكنة مقاطعة أنفا بالتمتع باستغلال المجال وفق الحاجيات والرغبات المجالية. فقد أجريت مقابلات فردية مع حوالي 42 فردا، وقد أظهرت النتائج أن حوالي 66 % من المبحوثين لهم علاقة مباشرة ويومية مع مركز المدينة، من خلال ظروف العمل والدراسة والتنزه والرياضة، وقد ساعدهم في ذلك وجود وسائل نقل بشكل كافي، بالإضافة إلى امتلاك السيارة الخاصة، إذ تعتبر ساكنة مقاطعة أنفا حسب آخر إحصاء للمندوبية السامية للتخطيط، من أكثر السكان استعمالا للسيارة الخاصة في مدينة الدار البيضاء، حيث وصلت نسبة الاستعمال إلى 33,60 %، مقابل 13 % في مقاطعة مولاي رشيد (إحصاء 2014). الشيء الذي يدعوا إلى التفكير في ظروف عيش ساكنة مقاطعات الهامش.

يتضح من خلال هذه المقارنة مستوى الارتباط المجالي بين الساكنة الغنية والمتوسطة القاطنة في مقاطعة أنفا بمركز المدينة والمدينة عموما، وحجم التنافر المجالي بين ساكنة مقاطعة مولاي رشيد والمجال ذاته، الشيء الذي يؤكد على العلاقة بين نوع الرساميل المجالية والاجتماعية، وإشكالية الحق في المدينة ومركزها. وتلعب الدولة بمؤسساتها التعميرية وبرامجها الإسكانية دورا محوريا في هذا التباين. لهذا من الضروري العودة للواقع الاجتماعي أثناء التخطيط للمدن، فالحق في المدينة ليس مفهومًا اجتماعيًا يسمح بمراقبة هذا الواقع، ولكنه محاولة لفهم الوضع العملي والسياسي للمدينة على أساس التشخيص والتعمق في فهمها بغية معالجة مشاكلها، فالمدينة هي إسقاط للمجتمع على أرض الواقع، لا يمكن إدراكها وتصورها إلا من خلال الفكر، إذ أن المدينة مكان النزاعات والعلاقات المتصارعة[390]، والتي وجب الحد منها قصد تحقيق التهدئة الاجتماعية والمجالية عبر المساواة، فالحق في المدينة يتطلب جعل حقوق المواطنين في المدينة ملموسة ومتساوية وأكثر عملية وأجرأة[391].

[389] HARVEY, Harvey (2012) Du droit à la ville Villes rebelles à la révolution urbaine, Première édition : Verso, 28p

[390] LEFEBVRE, Henri. (1968) Le droit à la ville, Antropos, paris, p 109

[391] Ibid. , p 170

2-1-2: تباين الولوجية إلى المرفق العمومي

تعرف مدينة الدار البيضاء بتعدد المرافق العمومية والسوسيوثقافية، ويتميز توزيعها بالتباين والتفاوت من مقاطعة إلى أخرى. ورغم الانتشار المهم لهذه المرافق في المدينة، فإن استغلالها يبقى رهينا بمسألة تيسير الولوجية إليها من جهة، ومرهونا بقربها من الفئات المستهدفة من جهة ثانية، فإذا أخذنا مثلا نموذج المتاحف والمسارح والمركبات الثقافية الكبرى، فإنه يلاحظ تمركزها في مركز المدينة، وبالضبط في مقاطعة أنفا وسيدي بليوط والمعاريف، أما باقي المقاطعات، فإنها تتميز بالغياب شبه التام لهذا المرفق، فهل تخصيص مقاطعات مركز المدينة بهذه النوعية من التجهيزات العمومية هو اعتراف من قبل المخطط وواضع القرار المجالي ببعد المسافة الاجتماعية بين هذه المرافق وباقي الشرائح الاجتماعية المتركزة في مقاطعات الهامش؟ إن المسافة التي تفصل السكان عن مختلف التجهيزات ذات الصبغة العمومية والاجتماعية لا تكون مجرد مسافة مجالية بل تكون أيضا اجتماعية[392]. فالتواجد في نفس المدينة لا يعني إمكانية الولوج إلى جميع خدماتها.

إن المتأمل في الانتشار المجالي للتجهيزات العمومية بالمدينة يجد أن هناك تمييز بين التوزيع المكاني للتجهيزات العمومية وتوزيعات الفئات الاجتماعية، إذ يظهر أن التنظيم لا يتم وفقًا لقوانين العرض والطلب، وإنما يتم وفقا لحجم الرأسمال الذي تتوفر عليه الطبقة الاجتماعية، وهذا ما يظهر خلال التوزيع غير العادل للتجهيزات الصحية والمساحات الخضراء و التجهيزات الترفيهية. فهذه الأخيرة مثلا تقع بشكل عام في مركز المدينة (أنفا) وفي المناطق التي تهيمن عليها الفئات العليا (بارك سندباد نموذجا)، وكأنه اعتراف من قبل المخطط المجالي بالعلاقة بين هذه المرافق ونوعية الساكنة، مع العلم أن معظم المرافق العمومية في مقاطعات المركز لها جذور تاريخية تعود لفترة الاستعمار.

فرض تعميق النظر في هذا الطرح استحضار نظرية الدوائر المتراكزة بخصوص الحلقة أو الدائرة الأولى المعروفة بمنطقة الأعمال المركزية، والتي تشكل النواة الحيوية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وهي ملتقى طرق المواصلات، وأكثر أجزاء المدينة التي يسهل الوصول إليها. كما تدور فيها أكثر نشاطات المدينة، وتكثر فيها المسارح ودور السينما والمتاجر المتخصصة والفنادق والإدارات والمكاتب التجارية والبنوك[393]. فالمتأمل في مدينة الدار البيضاء اليوم يجد أن مركز المدينة يتميز بكل هذه المكونات.

في مقابل ذلك، تختلف خصائص المرافق العامة وفقًا للتكوين الاجتماعي للمناطق والمقاطعات التي يتم إنشاؤها فيها[394]. إذ لم يتم تدارك المسافة الاجتماعية بين سكان الهامش والمرافق العمومية، فلا الدولة شيدت هذه المرافق بالقرب من هذه الشرائح من أجل تيسير الولوجية لها، ولا هي وضعت رهن إشارتهم أسطول نقل عمومي يسهل العملية، إذ يظهر من خلال المجال المخطط والمجال المدرك لمقاطعة مولاي رشيد أن المقاطعة لازالت بعيدة كل البعد عن عتبات الشبكات المعيارية المعمول بها في عملية تشييد المرفق العمومي.

2-1-3: الحق في تشكيل وتصميم المدينة

لا يمكن فهم الحق في المدينة على أنه حق يختصر في زيارة المدن أو العودة إليها، بل هو حق في الحياة الحضرية بمتغيراتها وبجميع خصوصيتها. فالمجال الحضري يعتبر مكان الاجتماع، ويتمثل أساسه المورفولوجي في إدراكه العملي، ويتطلب مسبقا نظرية متكاملة للمدينة والمجتمع الحضري. ومن بين عناصر هذا التكامل الحضري، نجد مسألة المشاركة في إنتاج المجال من قبل جميع الشرائح الاجتماعية.

---

[392] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط ص 519

[393] شوقي قاسمي(2019). تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر. ،ص 78

[394] PINCON -Charlot Monique, Rendu Paul (1982), Distance spatiale, distance sociale aux équipements collectifs en Ile-de-France : des conditions de la pratique aux pratiques. In: Revue française de sociologie, 681France .p.

صحيح أنه في المغرب بعد إصدار المخطط التوجيهي أو التصاميم يتم فتح مدة زمنية تصل إلى شهر لإبداء الملاحظات والاعتراضات من قبل الساكنة، وبعد انصرام الآجال، تشرع السلطة التخطيطية في المصادقة على المخطط أو التصميم. لكن الملاحظ أن دور الساكنة جاء متأخرا، أي بعد التخطيط للمدينة، ولم يتم إشراكها في مرحلة التخطيط والتشكيل، الشيء الذي يجعل المجال الحضري عرضة لأي انتقادات من قبل الساكنة. يتم ترجمة رغبات الساكنة على شكل تمردات مجالية، أي يتم إعادة إنتاج المجال من منظور ذاتي حسب هوى الساكنة، ويتم بذلك إعادة إنتاج المجال المعاش. فلو تم استحضار رغبة الساكنة قبل التخطيط، والوقوف عند احتياجاتها وإشراكها باعتبار أن هذا حق لها لما تغير المشهد الحضري للمدينة، ولما شهدنا فارقا بين المجال المخطط والمجال المعاش.

تتعدد أشكال ووظائف وهياكل المدينة (اقتصادية وسياسية وثقافية) وكذلك الاحتياجات الاجتماعية والاحتياجات الفردية المتأصلة في المجتمع الحضري، والناتجة عن ما يسمى بالمجتمع الاستهلاكي. من مظاهر هذه الاحتياجات نسجل الحاجة إلى الأمن والحاجة إلى الانفتاح على المجال، والحاجة إلى الوحدة والاختلاف والعزلة والتبادل والاستثمارات والتواصل. لا يمكن ترجمة هذه الاحتياجات إلى أرض الواقع دون مشاركة الساكنة في عملية تصميم المدينة أو المقاطعة أو الحي، فلن يعلم المهندس أو المخطط الحضري أو المنعش العقاري بهذه الاحتياجات دون مقاربة تشاركية. فالدعوة هنا إلى إنسية المجال وجعله في متناول المستعمل المباشر المتمثل في الإنسان، وهو نفس التوجه الذي دعت إليه المقاربة الإنسية، التي تركز على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الحياة اليومية للإنسان في كل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حتى التي تبدو تافهة، وذلك من أجل فهم ممارسته وتمثلاته المجالية[395]، وترجمتها في التخطيط المستقبلي.

فعلى مستوى مدى مشاركة الساكنة في وضع تصميم المدينة أو المقاطعة وعن مدى استشارتها عن حاجياتها ورغباتها المجالية من قبل واضع التخطيط قبل التخطيط للمجال المخطط " تصميم التهيئة"، أشار جل المبحوثين (حوالي 68%) إلى أنه لا علم لهم بكيفية وضع التصميم، وأنه لم يسبق وأن استشارهم أي مسؤول في التخطيط الحضري للمدينة أو المقاطعة. هذا الواقع يعمق المسافة بين السلطات التخطيطية والمواطن، ويزعزع مرتكزات المواطنة في البلاد. فإذا كانت المواطنة الحقة تتطلب التمتع بكافة الحقوق والالتزام بالواجبات، فإن الحق في المشاركة في إنتاج مجال العيش ما يزال حبيس القوانين والمواثيق دون أجرأة ميدانية، وهو ما يطرح عدة تساؤلات عن مستويات المواطنة في المدينة.

دعا لوفيبر في هذا الإطار إلى تبني علم تحليلي للمدينة، يأخذ بعين الاعتبار مشاركة الفرد في تصميم المدينة، ويضع نصب أعينه تطور المفاهيم والنظريات المجالية، والتي تلائم تقدم الواقع الحضري وتقدم الممارسة الاجتماعية للمجتمع الحضري. كما دعا إلى التغلب على الأيديولوجيات والممارسات التي حجبت الحقيقة، والتي كانت مجرد اختناقات في المعرفة والعمل، إذ يجب تجاوزها. فمن بين أولى خطوات تفعيل الحق في المدينة، ينبغي التعجيل بالقطيعة مع نظريات التخطيط الحضري المرتبطة بالمؤسسات ذات التوجه الرأسمالي والاستعماري التاريخي المنغلق.

بعد ذلك تأتي مرحلة صياغة تخطيط حضري عن طريق الاستقراء. لكن لن يتأتى هذا في مدينة الدار البيضاء مادامت مرجعية التخطيط الحضري تعود إلى المخططات الحضرية الاستعمارية، والتي مازالت معالمها إلى يومنا هذا. فالقطيعة هنا تتطلب استحضار الخصوصيات الثقافية المحلية والاحتياجات الفردية والاجتماعية خلال مرحلة التخطيط. بالإضافة إلى إشراك السكان في إنتاج المجال عبر مقاربة تشاركية الهدف منها الوصول إلى مدينة أكثر شمولاً، حيث يتم توزيع الفرص على نطاق أوسع بين السكان. إنها عملية تنطوي على الإدماج في عمليات صنع القرار، والوجود كصوت ذي مغزى في جميع القرارات المهتمة بإنتاج المجال الحضري، فالحق في المدينة لا يمكن حصره في مدينة تلبي احتياجات سكانها، ولكن أيضًا حق السكان في المشاركة الكاملة في القرارات التي تنتج المجال الحضري[396].

عموما تعد المدينة مجالا ذو شخصية مستقلة، يجب أن يستخدمها السكان بشكل يضمن المساواة بينهم، على اختلاف انتماءاتهم وطبقاتهم وأصولهم الريفية، كما يجب أن لا يقتصر استخدام المدينة على الاستهلاك فقط، بل

[395] BAVOUX Jean Jacques, (2002) La géographie objet, méthode, débats, Armand colin, 3 éme édition, parisp 211

[396] MITHELL, D. (2003) *The Right to the City: Social Justice and the Fight for Public Space*, New York, Guilford Press .p 44

المشاركة في إنتاج المجال والحياة الحضرية. وبهذا يتضح أن التخطيط الحضري الفعال والسياسة الحضرية الحكيمة لا تقف فقط عند الشق المادي في التخطيط، من مساكن ومساحات وتجهيزات، بل التخطيط يتطلب إدماج الساكنة في صنع القرار السياسي التخطيطي، بهدف الوصول إلى التعمير الديمقراطي التشاركي الموصول بقيم المواطنة والديمقراطية.

2-2: الرغبة في المدينة: تباين الانتماء والاندماج في العيش المديني

ربطت مجموعة من الأبحاث دراسة المدينة ومفهوم التمدنية بمفهوم المواطنة، إذ تقتضي عملية الانتقال من التمدنية إلى المواطنة التمتع بكافة الحقوق والالتزام بالواجبات. كما تفرض المواطنة الحقيقية الاندماج الثقافي والسياسي، على أساس ممارسة الحريات الأساسية وتمكين المشاركة الكاملة في تحديد مصير المرء من خلال المؤسسات الديمقراطية[397]. ومن شروط ذلك المرور عبر مراحل الاندماج الحضري المتضمن لعدة مستويات، من بينها مسألة الانخراط في الأنشطة الرئيسية للمدينة كالتجارة وطلب العلم أو الدراسة[398]. وهو ما لا يتأتى دون التمتع بالحق في المدينة بكل أصنافه.

2-2-1 المجال المعاش كآلية للشعور بالانتماء للمدينة

يساهم تمتيع الساكنة بحقها في المدينة دون تمييز مجالي أو اجتماعي في الانتقال إلى مستوى آخر من مستويات العيش المديني، فلا يكفي التمتع بحق السكن والحريات العامة والملكية والمشاركة في التخطيط للتأكيد على التواجد الفعلي في المدينة، بل تستدعي المسألة استحضار البعد الوجداني في التعامل مع المدينة، ويعتبر الشعور بالانتماء إلى المدينة من ركائز هذا البعد. فلطالما أكدنا في ما سبق على أن المجال المعاش يرتكز في معظم دعائمه على البعد الوجداني في علاقة الفرد مع المجال، فقد شكل المجال المعاش في أكثر من مناسبة عامل الارتباط والانسجام مع المجال والمدينة، وذلك من خلال تطويعه حسب رغبة الفرد، وجعله في ملكية الفرد الفاعل المجالي، فقد جعل هذا الأخير - في أكثر من مرة- المجال العمومي امتدادا للمجال الخاص عبر تمردات مجالية، وهو يسعى عبر أفعاله المجالية هذه إلى امتلاك المجال أو التخصيص المجالي، بغية الوصول إلى الاعتراف الاجتماعي كخطوة أولى والاعتراف السياسي كمرحلة ثانية.

تعتبر مسألة الشعور بالانتماء والهوية من بين مشاكل المدينة في الوقت الراهن، إذ أن أي مستوى منخفض من الشعور بالانتماء إلى المدينة أو أي انخفاض في المشاركة الاجتماعية سيمنع لا محال توطيد مظاهر الوحدة والترابط. فقد ارتكزت معظم النظريات المؤطرة للتخطيط الحضري على الأبعاد المادية في التنظير للمدينة، من خلال سعي المخططين والمهندسين والمقاولين إلى سد الاحتياجات المادية للساكنة، في حين أن البعد الوجداني غالبا ما يتم إهماله رغم دوره في سياسة المدينة وفي خلق نوع من التهدئة والضبط الاجتماعي.

لقياس مستوى الشعور بالانتماء عند ساكنة مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا، أنجزت مقابلات فردية مع بعض المبحوثين الذين وصل عددهم 27 فردا، وخلصنا إلى تفاوتات من حيث الشعور بالانتماء إلى المدينة بين المجالين، كما

[397] NACIRI Mohamed (2017) Désirs de ville, économie critique, impression :el maarif al Jadida ;Rabat, p 393
[398] Ibid. , p 312

سجلنا تباينات الشعور بالانتماء حسب الجنس ونوعية السكن والأعمار، وذلك تبعا لتباين أسباب الشعور وعدم الشعور بالانتماء إلى المدنية.

بالنسبة لمقاطعة مولاي رشيد، نشير في البداية أننا ركزنا في مقابلاتنا على المجموعات الست لمقاطعة مولاي رشيد، والتي شهدت إعادة الإسكان منذ ثمانينات القرن الماضي. وقد أبرزت نتائج المقابلات الفردية عموما إلى كون العينة المدروسة في مقاطعة مولاي رشيد أقل شعورا بالانتماء إلى المدينة مقارنة مع ساكنة أنفا، رغم وجود بعض التباينات التي تشير إلى كون الذكور هم أكثر من لا يشعر بالانتماء إلى المدينة مقارنة مع الإناث. وتعود أسباب ذلك حسب اعتقادهم إلى عدم الانتفاع بخيراتها، والإحساس بالتهميش والإهمال الناتج عن بعد المرافق الحيوية الكبرى والابتعاد عن مركز المدينة الذي يضم جل المراكز التجارية الكبرى، أضف إلى ذلك ضعف شبكة النقل العمومي، وتردي وضعية السكن وباقي الخدمات الاجتماعية (الصحة والشغل).

سجلت الدراسة التباين الحاصل حسب نوعية السكن، فالساكنة القاطنة في الأحياء الشعبية وأحياء العمارات تتميز هي الأخرى بضعف الشعور بالانتماء إلى مدينة الدار البيضاء مقارنة مع ساكنة أحياء الفيلات، وذلك راجع في نظرهم إلى عدم الاستفادة من أبسط شروط العيش، كالسكن الواسع والبيئة السليمة المتضمنة لشروط الحياة الحضرية من مجالات خضراء ومجالات ترفيهية. الشيء الذي يجعل تعاملهم مع المجال يكون عنيفا، فالسكن عنصر أساسي في الشعور بالانتماء إلى المدينة وإلى الدولة.

وعلى الرغم من هذا التنافر المجالي، فالشعور بالانتماء بالنسبة للساكنة وخصوصا الشباب منهم يكون من خلال حب فريق رياضي معين (الرجاء البيضاوي والوداد البيضاوي) والاستعداد للتضحية من أجل حبهم لذلك الفريق. يساهم حب الفريق في الشعور بالانتماء أو يكون هذا الشعور من اللحظات الناذرة التي يشعر فيها الفرد بالانتماء إلى المدينة والى المجال. فمن خلال التنسيقيات التشجيعية (الالتراس) ومن خلال الهوس بحب الفريق، والإبداع في تشجيعه بطرق مختلفة تتم تنمية هوية رياضية سرعان ما تتحول إلى هوية اجتماعية وهوية مجالية تعبر عن كينونة الفرد في المجال.

أيضا من مظاهر الإحساس بالانتماء إلى المدينة نجد بعض أساليب الدفاع عن القضايا الوطنية، فالمغربي رغم مشاكله المجالية والاجتماعية، إلا أنه دائما ما يدافع عن قضاياه الوطنية وعلى رأسها قضية الصحراء المغربية، سواء في المنابر الإعلامية أو مواقع التواصل الاجتماعي، وهو يعبر بذلك عن انتماءه للمدينة، رغم افتقار هذه الأخيرة لبعض أساسيات العيش كالسكن الذي يلبي الحاجيات الضرورية دون الحاجة إلى تعديلات أو تمردات.

وانطلاقا من المقابلات الفردية، تبين ارتباط تقدم الفرد في السن مع قلة وانعدام شعوره بالانتماء إلى المدينة، وازدياد رغبته بالعودة إلى مسقط رأسه إن كان من أصول ريفية أو من مدينة أخرى، فلم تعد تشغلهم ملذات المدينة، وأصبح اهتمامهم منصب حول الهجرة العكسية، بهدف الابتعاد عن صخب المدينة.

بالنسبة للمبحوثين في مقاطعة أنفا، يمكن تسجيل ارتفاع نسبة الشعور بالانتماء إلى المدينة عند أغلبيتهم رغم تباينها من فئة إلى أخرى، وتزداد حدة هذا الشعور عند الإناث مقارنة مع الذكور رغم تقارب النسب، وذلك راجع حسب اعتقادهن إلى صعوبة العيش في أية مدينة أخرى غير الدار البيضاء، نظرا لما توفره من خدمات لهن (مراكز

التسوق الكبرى والمراكز الصحية وفرص الشغل وسهولة العيش). أما بالنسبة للذكور، فباستثناء بعض الجاليات الأوربية التي مازالت تقطن بالمقاطعة، رغم روابطها الوجدانية بالبلد الأم، فقد عبر الذكور المغاربة (العينة البحثية) عن اعتزازهم وافتخارهم بالانتماء إلى المدينة.

على مستوى أحياء السكن، سجلت نفس الملاحظة الخاصة بمقاطعة مولاي رشيد، والمتعلقة بارتفاع نسبة الشعور بالانتماء إلى المدينة في أحياء سكن الفيلات، مقارنة مع سكان أحياء العمارات وباقي الأحياء الشعبية الأخرى، ويرجع هذا الارتباط بالأساس إلى التمتع بمعظم الحقوق المرتبطة بالمجال، وكل ما من شأنه الرفع من جودة الحياة الحضرية.

من خلال استقراء النتائج، يتضح أن هناك مجموعة من المحددات المساهمة في الشعور بالانتماء إلى المدينة، من بينها التمتع بشروط الحياة الحضرية (من سكن لائق وخدمات صحية وتوفير الشغل، والتعليم الجيد والمجالات الخضراء والتجهيزات عمومية، ووسائل النقل وإمكانية الولوجية إلى المرفق العمومي، وعامل القرب والبعد من مركز المدينة، ونوع العلاقة مع مسقط الرأس، والمشاركة الاجتماعية في الحياة العامة بالمدنية، والمشاركة السياسية والثقافية، وملكية المجال أو التخصيص المادي، ورواسب الماضي).

تساهم هذه المحددات بشكل أو بآخر في تفاوت حدة الشعور بالانتماء إلى المدينة وإلى الوطن، مما يقتضي الاهتمام بحق الفرد في المدينة، وهذا الحق يجب أن يأخذ في جميع تجلياته السياسية والحقوقية والمجالية والمادية والاقتصادية والاجتماعية، وأي تباين في حدة هذه التجليات سينعكس سلبا لا محالة على هيكلة المدينة من جهة، وعلى التهدئة والضبط الاجتماعي والمشهد الحضري من جهة أخرى.

يقتضي تحليل هذه المحددات استحضار ما أشار إليه دافيد هارفي في استحالة فهم المجتمع دون فهم العلاقة التكافلية التي ينسجها مع مجاله المعاش. ولفهم هذه العلاقة، لابد من تتبع ملامح المطالب المختلفة للحق في المدينة التي غالبًا ما تكون مترابطة، وعلى رأسها إعادة بناء المواطنة الحديثة المعتمدة على التمتع بجميع الحقوق في المدينة دون تمييز، والمشاركة السياسية لسكان المدينة في الحياة الحضرية. فالحق في المدينة الذي دعا إليه هارفي هو نفسه الحق الذي طالبت به الساكنة والذي حال دون شعورها بالانتماء إلى المدينة. فأولى خطوات تشكيل الشعور بالانتماء إلى المدينة هو الشعور بالتواجد الوجداني والسياسي والاجتماعي والثقافي في المدينة، باعتبار أن الانتماء يعتبر طموحًا وجوديًا للإنسان، وأحد الدعائم اللازمة لبناء الهوية، وهي عملية يتم بناؤها تدريجيا[399].

إن تضافر مجموع هذه العوامل سيعزز لا محالة من إمكانية الشعور بالمواطنة كخطوة أولى، والشعور بالانتماء إلى المدينة كخطوة ثانية، فالمواطنة والتمدنية عملية مركبة يندرج ضمنها العنصر المجالي والثقافي والسياسي والاجتماعي والتاريخي والسلوكي والحضاري والنفسي.

[399] SYLVIE Gauthier Mylène Robert (2007) Montréal, Ma Ville, Mon Choix? LE SENTIMENT D'APPARTENANCE DES JEUNES MONTRÉALAIS Bibliothèques et Archives Canada , p.p : 4.5.6

2-2-2: من الاندماج الحضري والتمدنية إلى المواطنة

فرض تعميق النظر في التمدنية والمواطنة تخصيص هذا المحور المستوحى من كتاب رغبات المدينة Désirs de ville لصاحبه الناصري. نستهل الحديث بالإشارة إلى المقصود بالاندماج الحضري والتمدنية la citadinité والعلاقة بينهما كمرحلة أولى، ثم تحديد دورهما في ترسيخ قيم المواطنة من خلال الحق في المدينة.

يقصد بالاندماج التناسق الوظيفي بين العناصر المكونة لكل منظومة، وبذلك فهو يقتضي ضمنيا الانضمام لشبكة من العلاقات والروابط، وهذا الانضمام يتطلب بدوره قبول نظام قيم معين كشرط ضروري لقيام الاندماج في شكل تكامل أو توازن داخليين[400]. تتم عملية الاندماج في الوسط الحضري عبر ثلاث مراحل أساسية:

- الاندماج الكمي: فالوافد على المدينة يعد نفسه وتعده الإحصاءات العامة كواحد من سكان المدينة، ويسمى بالاندماج العضوي؛
- الاندماج المجالي: وهو الاستقرار بأحد أحياء المدينة حتى يصبح الفرد من ساكنة الحي؛
- الاندماج الثقافي: وهو الاندماج الذي يتم فيه اكتساب الهوية الحضرية والذي لا يمكن أن يتم على دفعة واحدة وإنما على مراحل[401]؛

يمكن اعتبار التمدنية بمثابة اندماج لساكنة المدن في مجتمع وثقافة المدينة، وهنا يعتبر التعمير بمثابة خلفية لهذا الاندماج، وهي أيضا مجموعة من الأفعال التي تعبر عن مختلف أنماط الاندماج السياسي والاجتماعي والاقتصادي لساكنة غير مندمجة أو ضعيفة الاندماج[402] ، فهي إذن تعبير عن حياة المدينة من خلال طرق العيش وبناء الهويات الحضرية ذات الأبعاد المادية والرمزية للمجال[403].

ركزت مفاهيم التمدنية والاندماج الحضري على بعض الأبعاد الأساسية للفهم، مثل البعد السياسي والبعد الثقافي. فالاندماج السياسي لن يتأتى إلا في إطار مؤسساتي من جهة، وفي منظومة من الحقوق السياسية المندرجة ضمن نظرية الحق في المدينة من جهة ثانية. يتجسد الإطار الأول في مجموعة من مؤسسات الدولة، من قبيل البرلمان عبر مجلسيه (مجلس النواب ومجلس المستشارين)، والحكومة والدستور ومجالس المدن والمجالس الجهوية والعمالات والمقاطعات. فالحياة العامة والأنشطة الرئيسية تقتضي الانخراط في هذه المؤسسات من خلال الحياة اليومية للتمدني والمواطن بصفة عامة، ويلعب هذا الانخراط السياسي دورا أساسيا في عملية الاندماج السياسي في المدينة، والذي يعتبر بعدا من أبعاد الاندماج الحضري.

---

[400] شويكي المصطفى (1994) إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، ص 531

[401] المالكي عبد الرحمان ،(2015)، الثقافة والمجال ، دراسة في سوسيولوجية التحضر والهجرة في المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز، فاس، الطبعة الأولى، ص 42

[402] LUSSAULT Michel et Pierre SIGNOLES (1996) La citadinité en questions, tours, p : 4

[403] NEDELEC Pascale (2013) réflexions sur l'urbanité et la citadinité d'une aire urbaine américaine, thèse pour l'obtention du doctorat de géographie, soutenue 13 décembre, université de Lyon p 37

أظهرت نتائج المقابلات الفردية التي أجريت في المقاطعتين (أنفا ومولاي رشيد) عن تباين حجم الانخراط في الحياة السياسية والمؤسسات السياسية بالمدينة. بالنسبة لمقاطعة مولاي رشيد، تبين لنا أن 73% من المبحوثين (العينة المدروسة) لا تربطهم أي علاقة مع المؤسسات الدستورية والسياسية بالمدينة، و66% من المبحوثين لا يتوفرون على بطاقة الناخب ولا علم لهم بالمنتخبين أو البرلمانيين أو السياسيين بالمقاطعة، كما يتميزون بعدم انخراطهم في أي عمل نقابي أو جمعوي.

تعود أسباب هذا العزوف عن الممارسة السياسية والمؤسسات السياسية إلى انعدام الثقة بين الفرد والأجهزة السياسية بالمقاطعة والمدينة خاصة والدولة عموما. فمن خلال بعد المسافة بين متطلبات الساكنة ورغباتها المجالية وبين تطلعات السياسيين التي تكون في الغالب انتهازية على حد تعبيرهم، ومن خلال ملاحظة الواقع الراهن للمقاطعة منذ ثمانينات القرن الماضي إلى يومنا هذا، اتضح أن المسار التنموي بالمقاطعة لم يأخذ الاتجاه الصحيح، الشيء الذي عمق من بعد المسافة بين قاطن المنطقة ومؤسساتها السياسية.

عبر المبحوثون في مقاطعة أنفا عن روابطهم وانتماءاتهم السياسية بالمنظومة السياسية بالمقاطعة خاصة والمدينة عموما. ويعود ذلك حسب اعتقادهم إلى أهمية المشاركة السياسية والانتخابية في التدبير المجالي للمقاطعة، بالإضافة إلى أهمية البعد السياسي في حياتهم ومعاشهم اليومي. لتفسير هذا التوجه في هذه المقاطعة، قمنا باستحضار المؤشرات الإحصائية الخاصة بالمستويات التعليمية بالمقاطعة، ووجدنا أنها تتميز بارتفاع مستويات التمدرس، معظم الساكنة لها مستوى ثانوي وجامعي، وتعتبر أنفا المقاطعة الأكثر ارتفاعا لنسبة التمدرس مقارنة مع باقي مقاطعات المدينة. كما تتميز بقلة التمردات المجالية وبقرب المسافة بين المجال المخطط والمجال المعاش. الشيء الذي جعل هذه العوامل تلعب دورا مهما في تحقيق الاندماج الحضري والتمدنية والمواطنة.

في ما يخص البعد الثقافي وقبل الحديث عنه، نشير أولا إلى مسألة الاندماج الكمي والاندماج المجالي، وسنعطي مثالا على ذلك بمقاطعة مولاي رشيد. فنقل الساكنة من دور الصفيح بابن امسيك سيدي عثمان خلال ثمانينات القرن الماضي إلى منطقة مولاي رشيد حاليا، يعد في حد ذاته اعترافا كميا ومجاليا بالتواجد في ذلك المجال، فأصبحت تلك الساكنة ضمن المشروع الحضري للمدينة وضمن تعدادها السكاني، وحققت بذلك اندماجا عضويا ومجاليا، والذي تعزز بتجهيز المنطقة من قبل السلطة التخطيطية بمجموعة من المرافق المساهمة في تثبيت الساكنة وتعزيز شعورها بالانتماء إلى مدينة الدار البيضاء من جهة، والحفاظ على التفاوتات السوسيومجالية من جهة ثانية.

أما مسألة اندماج الساكنة في مجتمع وثقافة المدينة الذي يعتبر جوهر الاندماج الحضري. فقد أظهرت ملاحظة المجال المعاش الخاص بالمقاطعة بمختلف مظاهره (مجال إعادة إنتاج المجال" والتمردات المجالية" ومجال الرغبات والمجال النفسي) حجم الفارق بين المجال المعاش والمجال المخطط، فمن خلال تأمل هذا الفارق، برزت بعض مستويات اندماج الساكنة مع مجتمع وثقافة المدينة، ذلك أن عدم قبول المجال كما هو ومحاولة فرض نمط عيش ونموذج تمدني خاص مغاير للثقافة التمدنية هو تعبير عن ساكنة ضعيفة الاندماج أو التمدنية الضعيفة الاندماج la citadinité sous-intégration، الشيء الذي لا نلمسه بشكل كبير في مقاطعة أنفا خصوصا في أحياء سكن الفيلات.

على مستوى الحق في المدينة والمواطنة، قام المشرع المغربي بتمتيع المواطن المغربي بمجموعة من الحقوق المدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية (الفصل 30،31،33 من الدستور المغربي)، يتطلب انتقال الفرد إلى مستويات المواطنة تضمين هذه الحقوق، إذ يلعب التمتع بها دورا أساسيا في الشعور وتحقيق المواطنة.

أوضحت دراسة اليومي المعاش والمجال المعاش بمختلف تجلياته بمنطقة مولاي رشيد مدى تدني بعض الخدمات الاجتماعية (السكن والصحة والتعليم الجيد والبيئة السليمة)، والتي تندرج ضمن الحقوق الاجتماعية. وأمام هذا الوضع المتسم بتدني تفعيل الحقوق الاجتماعية في المقاطعة، والمؤشرات الدالة على التفاوتات السوسيومجالية ومظاهر التميز بمدينة الدار البيضاء؛ يثار التساؤل حول مدى إمكانية الحديث عن الحق في المدينة والمواطنة والاندماج الحضري والتمدنية والشعور بالانتماء إلى مدينة الدار البيضاء بالنسبة لساكنة مقاطعة مولاي رشيد، في ظل تمردها على المجال وفي ظل التعبير عن رغبتها في مجال معاش نفسي وفي ظل مظاهر التناقضات المجالية بالمدينة؟

خاتمة الفصل السادس

حاولنا خلال هذا الفصل مقاربة إشكاليتين أساسيتين مرتبطتين بالعلاقة بين المجال المعاش ومظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية من جهة، والعلاقة بين المجال المعاش والحق في المدينة. خلال التساؤل الأول، استثمرت الدراسة بعض الأبعاد الاجتماعية والمجالية لتشخيص الوضع، واقتصرت على وضعية السكن والصحة والتطهير والمساحات الخضراء. حيث أظهر تشخيص وضعية الصحة حدة الفوارق بين مقاطعة أنفا المتميزة بجودة الحياة الصحية، من خلال توفرها على موارد لوجيستيكية وبشرية صحية مهمة، مقارنة مع مقاطعة مولاي رشيد المتميزة بقلة هذه الموارد كما أوردت ذلك أرقام وزارة الصحة.

أفرزت الدراسة أيضا حجم الفوارق التي يشهدها قطاع السكن، إذ أظهرت النتائج تباين حجم السكن بين المجالين، وخلصنا إلى اعتبار السكن من بين العوامل المستعملة في ترسيخ التفاوتات بين المجالات الغنية والمجالات الفقيرة، من خلال سياسة الإقصاء الممنهج عبر أثمنة العقار. لم تقتصر هذه التفاوتات فقط على السكن، بل امتدت إلى قطاعات لا يتحمل فيها الفرد أي ذنب والدالة على التميز بين المجالات البيضاوية، والمتمثلة في ميدان التطهير، إذ كان ينتظر أن تعامل المجالات بعدالة من خلال المساواة في عمليات التطهير وجمع النفايات، إلا أن الدراسة قد أظهرت تباينا في عدد الشاحنات المخصصة لهذا الغرض.

كشفت الدراسة الخاصة بتوزيع المساحات الخضراء أيضا حجم الفارق بين حصة الفرد من المساحات الخضراء في كل من مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد، وقد أشرنا إلى دور تصاميم التهيئة في تعزيز هذه الفوارق من خلال تباين المساحات المخصصة لكل مقاطعة، رغم أن مجال مقاطعة مولاي رشيد مازال يتضمن مخزونا عقاريا مهما.

من جهة أخرى وقبل الخوض في غمار التساؤل الثاني، وضعت الدراسة نصب أعينها مقاربة بعض النظريات الفلسفية والجغرافية والاجتماعية محليا، من أهما نظرية الحق في المدينة لصاحبها لوفيبر. حاولت الدراسة التركيز على البعد الجغرافي في النظرية والذي عززناه برؤية فلسفية واجتماعية.

حاولت الدراسة أيضا مقاربة نظرية رغبات المدينة لصاحبها الجغرافي المغربي محمد الناصري على المستوى المحلي، مستعملين في ذلك أهم مفاهيم النظرية من قبيل: التمدنية والتحضر والمواطنة الاندماج والتمدنية الضعيفة الاندماج والشعور بالانتماء إلى المدينة. وكانت الغاية من ذلك الإجابة عن التساؤلات التي طرحها الناصري والبحث في العلاقة بين تلك المفاهيم وفق مقياس محلي، للخروج بتأويل يمكن أن يعزز من الطرح الفكري للنظرية.

خلصت المقابلات الفردية والملاحظات الميدانية إلى الارتباط الوثيق بين مفاهيم نظرية محمد الناصري ونظرية الحق في المدينة لهنري لوفيبر. ويمكن اعتبار هذه الأخيرة بمثابة الأساس الذي تقوم عليه باقي مفاهيم المدينة، إذ لا يمكن تحقيق الانتماء دون الحق، ولا يمكن بلوغ التمدنية والاندماج الحضري بأنواعه دون التمتع بالحق أولا.

أبان الميدان حدة التفاوت بين الشعور بالانتماء إلى المدينة والاندماج الحضري والتمدنية والمواطنة في مجال متمتع ببيئة سليمة للعيش (أنفا)، ومجال متباين من حيث الخدمات الاجتماعية (مقاطعة مولاي رشيد). وبهذا، تكون الدعوة هنا إلى إعادة التفكير في سياسة التخطيط الحضري، واستحضار المقاربة الإنسية في التدبير وإشراك السكان في التخطيط لمدينتهم، والاهتمام بشكل كبير بالمجالات الهشة والفقيرة، والعمل على خلق مجال عادل غير متسم بالتناقضات والتمييز. فتفعيل هذه الدعوة سيساهم لا محالة في تعزيز الشعور بالانتماء إلى المدينة وترسيخ قيم المواطنة.

خاتمة الجزء الثالث

أظهرت دراسة علاقة الفرد بالمجال تداخل محددات مباشرة وأخرى غير مباشرة. يتأثر الفرد من جهته بخصوصياته الاجتماعية والنفسية والثقافية خلال تفاعله مع المجال، وهذا الأخير بدوره وانطلاقا من مرتكزاته ومبادئه قد أثر في الفرد وعلى اختياراته المجالية، الشيء الذي أفرز لنا تباينا بين المجال الناتج عن إنتاج المجال والمجال الناتج عن إعادة إنتاج المجال.

ظلت الخصوصيات الثقافية والاجتماعية وتمثلات الفرد للمجال تلعب دورا أساسيا في هيكلة وتباين المجالات المعاشة بالمدينة، فقد أبانت الدراسة عن دور الأصل الجغرافي وتاريخ التواجد المادي بالمكان في تباين علاقة الفرد بالمجال بين ساكنة أنفا وساكنة مولاي رشيد. كما أظهرت الدراسة أن تلك العلاقة تكون في الغالب موسومة بطابع وجداني نفسي أكثر من الطابع المادي. وهو ما تم تعزيزه خلال دراسة تمثلات الفرد للسكن ولعمارة المكان، والتي أكدت كون معالجة المجال تقتضي الأخذ بعين الاعتبار تمثلات الفرد لمجاله المعاش في أبعادها الاجتماعية والوجدانية العاطفية، والمستنبطة من خلال مظاهر العيش والثقافة والسلوك وأنماط وأساليب الوجود ذات المصدر الاجتماعي والمتأثرة بالعنصر المجالي.

ولتدقيق التمايزات، أبرزت مقاربة المجال المعاش من حيث التنقلات اليومية والممارسات المجالية ارتباطها ببعض المحددات التي تتحكم في الاختيارات المجالية للفرد، من قبيل العنصر الثقافي والانتماء الاجتماعي والمجالي الذي يجعل الفرد يختار مجالية معينة دون الأخرى. أيضا سجلنا دور نوعية وسائل الممارسات المجالية اليومية وحجم التنقلات اليومية في تباين المجالات المعاشة، إذ تزداد حدة هذه الممارسات في المجالات الغنية مقارنة مع المجالات الهشة والفقيرة. سجلنا دور الممارسات المجالية في تحديد الهوية الفردية والهوية الجماعية للمجال، إذ تحاول كل فئة التعبير عن هويتها عبر اختياراتها المجالية.

أبرزت تلك المحددات المسؤول عن تباين المجال المعاش من مجال جغرافي لآخر، كما أبرزت المقاربة انعكاسات تلك المحددات عن المقياس المحلي لكل مجال معاش، إذ تتسع رقعة هذا الأخير كلما توفرت للفرد بعض الشروط السوسيوإقتصادية، وتقل تلك الرقعة كلما ازداد المجال فقرا وهشاشة وتبقى الخلاصات المتوصل إليها خاصة بالمجالات المدروسة، لكن يمكن اعتبارها واتخاذها كفرضيات لوضع أسس مقاربة أخرى تندرج ضمن نفس البراديغم.

أبرزت الدراسة تأثر المجال المعاش بالخصوصيات المجالية والاجتماعية التي يوفرها المجال للفرد، فمن خلال دراسة المحور الخاص باللاعدالة المجالية والاجتماعية، خلصنا إلى لجوء الفرد أمام غياب العدالة المجالية والمساواة في التعامل مع المجال إلى بعض التمردات المجالية. فأمام مشكل السكن ومستويات حجمه، قام الفرد بإعادة إنتاج مجالات أخرى مخصصة للسكن. أيضا سجلنا بعض التفاوتات التي تعرفها مدينة الدار البيضاء من حيث قطاع الصحة وقطاع البيئة. تعميق النظر في انعكاسات هذه التفاوتات السوسيومجالية على المجال المعاش يتطلب ربطه بنتائج المقاربة الكمية للدراسة.

عالجت الدراسة أيضا إشكالية المجال المعاش والحق في المدينة، إذ أن لتباين الحقوق في المدينة بعض الانعكاسات على تباين المجال المعاش من منطقة لأخرى. فالتمتع بجميع الحقوق في المدينة بشكل عادل سيعزز مظاهر الانتماء والمواطنة والاندماج الحضري، إذ تساهم عملية ربط هذه المفاهيم بعضها ببعض من منظور مجالي ومجتمعي في إمكانية الحد من التناقضات المجالية الناتجة عن التخطيط الحضري الاستعماري والرأسمالي.

خاتمة عامة

حاولنا من خلال هذه الأطروحة تقديم مساهمة في التخطيط الحضري والسياسات العمرانية الرامية إلى معالجة مشاكل تدبير المجال الحضري بالدار البيضاء. إذ على الرغم من كون المدينة قد عرفت مجموعة من المخططات التوجيهية والتصاميم منذ ما يزيد عن قرن من الزمن والتي كانت تهدف إلى طرح عدة حلول لإنقاذ المدينة من أزماتها التعميرية والتدبيرية، إلا أن الواقع الراهن والمشهد الحضري اليوم يظهر مدى استمرارية الفوضى الحضرية واستمرار التعامل العنيف مع المجال، من خلال التمرد عليه بمعاودة إنتاج مجالات ناتجة عن قناعات ثقافية واجتماعية وذاتية ووجدانية.

حاولت الدراسة البحث في الإشكالية المرتبطة بمعاودة إنتاج المجالات، وذلك من خلال استحضار مجموعة من النظريات والمناهج التي دعت إليها جغرافية ما بعد الحداثة (الجغرافية النقدية والجغرافية الراديكالية)، وقد تم اختيار مفهوم المجال المعاش كعنصر رئيس في الدراسة، والذي تم تأطيره ببراديغمات لها رؤية نقدية للمجال وتهتم بالإنسان كفاعل أساسي. وتمت مقاربته من خلال ثنائية الإنتاج العمراني ومعاودة الإنتاج الثقافي والاجتماعي للمجال، وشكل بذلك هذا العمل فرصة لطرق عدة أبواب متمحورة حول العلاقة الجدلية بين الإنسان والمجال.

تطرقت الأطروحة لهذه العلاقة من خلال مقارنة مجالين متناقضين اجتماعيا واقتصاديا وعمرانيا، يتجلى الأول في مقاطعات المركز، وتم اختيار مقاطعة أنفا كنموذج للدراسة، وتم تحديد المجال الثاني في مقاطعات الهامش، وتم اتخاذ مقاطعة مولاي رشيد كنموذج.

تطلب فهم واستيعاب الموضوع بكل حيثياته أكثر من أربع سنوات، بدأت هذه التجربة منذ مرحلة الماستر، ولا يمكن القول بالوصول إلى خاتمة هذا العمل أننا انتهينا من دراسة المجال المعاش، بقدر ما يمكن القول أننا فتحنا لأنفسنا وللباحثين المهتمين بالبراديغم الإنسي والنقدي أبوابا أخرى من أبواب الجغرافية الاجتماعية، والتي مازالت في حاجة إلى تطوير وتقعيد وتحكيم.

ساهم هذا العمل في مقاربة مفهوم المجال المعاش من خلال طرح مجموعة من التصورات والمرجعيات التي تناولته على اختلاف توجهاتها، وذلك باعتباره مفهوما مركزيا في الدراسات الخاصة بالجغرافية الاجتماعية والنقدية. انطلقت الدراسة من جذوره التاريخية بغية تأصيله من مختلف الزوايا. وتم تقديم مجموعة من المفاهيم الخاصة به. وبعد تقعيده نظريا، انتقلنا إلى مقاربته ميدانيا ومحليا حتى نتمكن من ضبطه وتحليله وتأويله واستخراج النتائج، محاولين بذلك إيصالها إلى مرحلة القانون والنظرية، آملين تحكيمها ونمذجتها، وجعلها كمنطلق وفرضيات لدراسات أخرى تنتمي إلى نفس البراديغم الإنسي.

حاولت الأطروحة مقاربة ذلك البعد الإنسي والنقدي في الجغرافيا محليا، أي حسب الخصوصيات المحلية، وتم الخلوص إلى الدور الهام لهذه الخصوصيات في فهم المجال والإنسان، وفي معالجة إشكاليات المجال من حيث التناقضات والتفاوتات السوسيومجالية. فمن خلال التركيز على الإنسان وقيمه وتجاربه وتمثلاته وتصوراته في

المجال، يمكن المساهمة في انسجام ما يخطط له مع ما يتمثل. فما يهم المقاربة الإنسية في الجغرافيا هو توضيح كيف يبني الإنسان واقعه الخاص في بيئة تاريخية وثقافية واجتماعية متناقضة (المركز والهامش)، وكيف يمكن تبرير وجود والتقاء الحقيقي والمتخيل في كل مكان على سطح الأرض؟ فالجغرافي الإنسي يواجه عالما مركبا ومعقدا.

طرحنا من خلال الدراسة مجموعة من النظريات الاجتماعية التي يمكن من خلالها مقاربة مواضيع جغرافية ما بعد الحداثة، من قبيل نظرية الثلاثية المجالية la triplicité de l'espace لهنري لوفيبر والمتضمنة للمجال المعاش والمجال المخطط والمجال المدرك. وتمت مقاربة النظرية محليا وميدانيا، وتم التوصل إلى أهمية النظرية في فهم المجال في شموليته، حيث جمعت هذه النظرية بين البعد السياسي في إنتاج المجال والبعد الثقافي والذاتي في إعادة إنتاج المجال. كما تكمن أهمية النظرية في طرحها لإستراتيجيات الوصول إلى الديمقراطية المجالية التشاركية التي تأخذ بعين الاعتبار تمثلات الإنسان.

قدمت الأطروحة نظرية لوفيبر حول الحق في المدينة، فبعد تقعيدها نظريا ووضعها في سياقها العام، تمت مقاربتها محليا، وتم استخلاص تباين وتفاوت هذا الحق في صفوف ساكنة تقطن نفس المجال ونفس المدينة، والذي يتجلى من خلال تباين جودة الحياة الحضرية بين المركز المتمتع بجميع الحقوق التي خولها الدستور المغربي للمواطن، والهامش المتميز بهامشيته المجالية والاجتماعية والاقتصادية.

تم تدعيم نظرية الحق في المدينة من خلال استحضار نظرية اللاعدالة المجالية لإدوارد صوجا. فبعد تأطيرها نظريا ومفاهيميا وسياقيا، تمت مقاربتها ميدانيا للوقوف على مدى إمكانيتها في المساهمة للحد من التناقضات المجالية بين مركز المدينة وهامشها، وفي هذا الإطار، خلصت الدراسة إلى مجموعة من التفاوتات على مستوى قطاع الصحة والمساحات الخضراء ومسألة التطهير.

أيضا ساهمت الأطروحة في مقاربة مجموعة من المفاهيم محليا، من قبيل مفهوم المستقر وعمارة المكان والتمثلات والممارسات المجالية والرغبة في المدينة والتمدنية la citadinité، والشعور بالانتماء والاندماج الحضري. وبهذا تكون الدراسة قد حاولت الوصول إلى أحد الأهداف المسطرة لهذا البحث، والمتمثلة في مقاربة عدة مفاهيمية متنوعة، ونظريات جغرافية واجتماعية وفلسفية، من شأنها تقديم إضافة نوعية للبحث الجغرافي وفتح تصورات نقدية أخرى.

ارتكزت الدراسة على المنهج الكيفي، كما تم تبني مناهج وأساليب بحث ميدانية مستوحاة من بعض العلوم الاجتماعية والإنسانية، من قبيل التحري الاتنوغرافي والملاحظة المشاركة. دفع تعميق النظر في هذه المناهج والأساليب إلى معرفة أهميتها في استخلاص نتائج أقرب إلى الظاهرة المجالية قيد الدراسة، من خلال قضاء الوقت والعيش والعمل مع أشخاص في مجتمعاتهم لفهمهم.

على مستوى الحصيلة الميدانية، تم تأكيد الفرضيات التي انطلقت منها الدراسة، فقد أظهرت الدراسات البيبليوغرافية والتحريات الميدانية مدى أهمية العامل التاريخي في تفسير الإشكال الأساسي لهذه الدراسة والمتمثل في مدى انسجام المجال المخطط مع المجال المعاش، وفي تفسير التناقضات المجالية والاجتماعية لمقاطعات المدينة. إذ

لعبت المخططات التعميرية في عهد الاستعمار دورا في ترسيخ مظاهر التمييز السوسيومجالي بالمدينة، من خلال توجيه الاهتمام بالمركز والقطاع الغربي على حساب الهامش والشمال والشمال الشرقي للمدينة.

أكدت التحريات الميدانية الخاصة بالجزء الثاني صحة الفرضية الثانية، إذ تساهم عدة محددات مباشرة وأخرى غير مباشرة في تفاوت وعدم انسجام المجال المعاش مع المجال المخطط. فمن المحددات المساهمة في إعادة إنتاج المجال والتمردات المجالية نسجل دور الأصل الجغرافي ومستوى التمدرس والأمية والوضعية الاجتماعية والوضعية المهنية وطبيعة العلاقات الاجتماعية والهوية. خلصت الدراسة أنه كلما ارتفعت بعض المؤشرات من قبيل الأمية، أو انخفاض مستويات التمدرس وتدني الوضع الاقتصادي، إلا وازدادت حدة الفوارق بين المجال المعاش والمجال المخطط.

سجلنا أيضا خلال الجزء الثاني دور واضعي التخطيط والتصاميم في التفاوت وعدم الانسجام بين المجال المخطط والمجال المعاش، من خلال عدم برمجة رغبات الساكنة المجالية، ومن خلال غياب الوعي المجالي والديمقراطية المجالية التشاركية والبعد الإنسي في التخطيط المجالي. أظهرت التحريات الميدانية التباين بين ما تخطط له السلطات وبين ما ترغب فيه الساكنة. وأبانت أيضا عن تباين التعامل المجالي مع مقاطعات المدينة، من خلال تركيز الاهتمام بمقاطعات على حساب أخرى، ومن خلال تحسين جودة الحياة الحضرية في مقاطعة دون الأخرى.

خلال الجزء الثالث من الدراسة، تم تأكيد الفرضية الثالثة، إذ تبين اختلاف وتباين التمثلات الاجتماعية للمجال ولعمارة المكان، والتي تتأثر بدورها بمميزات وخصائص المجال، فالتمثلات في مقاطعة أنفا تختلف عن نظيرتها في مقاطعة مولاي رشيد تبعا لمحتوى المجال المادي واللامادي.

ختاما نأمل من خلال هذا العمل الانفتاح على نظريات جغرافية واجتماعية وفلسفية لمقاربة الظواهر الجغرافية المحلية، من قبيل نظرية الحق في المدينة ونظرية اللاعدالة المجالية والاجتماعية والرغبة في المدينة. وهي نظريات أكد منظروها على فعاليتها في التنظير للإشكالات الجغرافية، وفي تقديم حلول للسير بمدن العالم الثالث نحو مصاف الديمقراطية المجالية.

كما نطمح إلى تبني البعد الإنسي خلال عمليات التخطيط الحضري، فقد أظهرت التحريات الميدانية مدى أهمية إشراك القاطن المحلي في التدبير المجالي وتفعيل رغباته المجالية في الحد من التمردات المجالية والحفاظ على المشهد الحضري كما خطط له. كما ستساهم هذه المقاربة التشاركية الديمقراطية في تعميق أسس المواطنة، وترسيخ قيم الانتماء إلى المدينة والى الوطن، وتعزيز القيم الوطنية.

المراجع المعتمدة

- مراجع منهجية ونظرية

أحجيج، حسن. فزة، جمال. (2019). **البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية، نظريات وتطبيقات**. المطبعة والوراقة الوطنية. الطبعة الأولى. الرباط.

أحجيج، حسن. (2018). **نظرية العالم الاجتماعي :قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو.** مؤسسة مؤمنون بلا حدود. الطبعة الأولى. الرباط.

البكريوي، عبد الرحمان. (1993). **التعمير بين المركزية واللامركزية**. الشركة المغربية للطباعة والنشر. الطبعة الأولى. الرباط.

المالكي، عبد الرحمان.(2015). **الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب.** الطبعة الأولى. منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية. جامعة سيدي محمد بن عبد الله. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ظهر المهراز. فاس.

الرفاص، محمد. (2001). **الهوية الترابية الديمقراطية والتنمية**. الطبعة الأولى. منشورات شركة أوراد للاتصال. الرباط.

الهيتي، مازن عبد الرحمان.(2011). **جغرافية المدن والتحضر، أسس ومفاهيم.** الطبعة الأولى. دار العرب. سوريا.

بلفقيه، محمد. (2002). **الجغرافيا القول عنها والقول فيها :المقومات الإبستيمولوجية**. دار نشر المعرفة. الطبعة الأولى. الرباط.

بزبز، عبد الكريم. (2007). **علم اجتماع بيير بورديو**. أطروحة لنيل الدكتوراه. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر

غريب، عبد الكريم. (2012).**منهج البحث العلمي في علوم التربية والعلوم الإنسانية**. الطبعة الأولى. منشورات عالم التربية. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.

مقداد، عبد الهادي. (2000). **السياسة العقارية في ميدان التعمير والسكنى**. طبعة أولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

هارفي، دافيد. (2012). **مدن متمردة :من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر**. ترجمة لبنى صبري. الطبعة الأولى. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت 2017.

AYDALOT, P. (1980). **L'entreprise dans l'espace urbain**. 1ere édition. Economica. Paris.

AYDALOT, P. (1980). **Dynamique spatiale et développement inégal**. 1ere édition. Economica. Paris

AYMERIC, Morizot. (2010). **La compréhension de l'espace dans les enquêtes de la mobilité et de transport,** 1ere édition. Géographie. HAL Aix-en-Provence. Paris.France.

BAILLY, Antoine S et Douglass. (1990). **L'humanisme en géographie**. 1ere édition. Anthropos. Paris.

BAVOUX, Jean Jacques.(2002). **La géographie objet, méthode, débats**, *3ème* édition Armand colin. Paris.

La reproduction sociale. 1ere édition. Anthropos. Paris. BAREL, Y. (1973).

BELHEDI, Amor. (2010). **Epistémologie de la géographie ,Déchiffrer l'espace.** 1ere édition. Université de Tunis. Tunisie.

BLARRERE, Catherine. (2017). **les inégalités environnementales**. 1ere édition. Collection. La vie des idées. Janvier. Paris.

BOLTANSKI, Luc. THEVENOT, Laurent. (1991). **De la justification : les économies de la grandeur .** 1ere édition. Collection NRF ESSAIS Gallimard.

MINUIT. PARIS. 1ere édition. BOURDIEU, Pierre. (1979). **LA DISTINCTION**.

BOURDIEU, Pierre. (1987). **CHOSES DITES**. 1ere édition. Collection Le sens commun, Les Editions de Minuit. PARIS.

BOURDIEU, Pierre et al. (1968). **Le métier de sociologue**. 1ere édition. *Préalables épistémologiques*, Paris.

BOURDIEU, Pierre. (1980). **LE SENS PRATIQUE**. Les éditions de minuit. Coll. Le sens commun. Paris.

BRUNET, Roger. Robert, Ferras et Hervé, Thery. (1992). **Les Mots de la géographie dictionnaire critique**. 1ere édition. coll. Dynamiques du territoire Travaux de l'Institut de Géographie de Reims. France.

Manuel. (1999). **Le pouvoir de l identité**. 1ere édition. foyord. France. CASTELLS,

CLAVAL, Paul. (1980). **Eléments de géographie humaine**. 1ere édition M .TH. Genin. Paris.

CLAVAL, Paul. (2012). **Géographie culturelle, une nouvelle approche des sociétés et des milieux**, 1ere édition. ARMAND COLIN. PARIS.

CLAVAL, Paul. (1980). **Eléments de géographie humaine**, 1ere édition. Genin. Paris.

DI MEO, Guy. (2014). **Introduction à la géographie sociale**, 1ere édition. Armand colin. Paris.

DI MEO, Guy et Pascal, BULEON. (2005). **L'espace sociale lecture géographique des sociétés**, 1ere édition.Armand colin, Paris.

DODIER, Rodolphe. (2009). **Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains**, 1ere édition. Sciences de l'Homme et Société. Université du Maine. États-Unis.

DOUGLAS, Y Popock. (1991). **L'humanisme en géographie**, en : Antoine Bailly (coord), les concepts de la géographie humaine. Masson. Paris.

DUMOLARD, P. (1981). **L'espace différencié**. 1ere édition. Economica, Paris.

DRESCH, J. (coordination). (1982). **Espace vécu et civilisations**. Coordination, éditions du centre national de la recherche scientifique, 15, quai Anatole France – 75700 .Paris .

DUVOUX, Nicolas. (2017). **Les inégalités sociales**. 1ere édition. presses universitaires de France-humensis. France.

DIANE, GRIN-LAJOIE.(2002). **L'utilisation de l'ethnographie dans l'analyse du rapport à l'identité.** 1ere édition.Université de Toronto ; canada

ESQUERRE, Arnaud. (2009). **État des lieux de la justification**. 1ere édition. Economica. Paris.

FRÉMONT, Armand. (1976). **la région espace vécu**. Flammarion. 1999. Paris.

GALLAND, olivier et Yannick, lemel. (2018). **Sociologie des inégalités.** 1ere édition. Armand colin, Malakoff.

GEORGE, P. (1972). **Sociologie et géographie.** 1ere édition. PUF. Paris.

GEORGE, P. (1990). **Le métier de géographe : Un demi-siècle de géographie**, 1ere édition. Armand Colin. Paris.

GEORGE, P. (1974). **Précis de géographie urbaine**, 1ere édition. PUF. Paris.

à la révolution urbaine. **Du droit à la ville Villes rebelles** HARVEY, David. (2012). Première édition : Verso. Capital of Modernity. Paris.

ISNARD, H. (1978). **L'espace géographique**, 1ere édition. Paris.

JOSEPH. (1979). **Ecole de Chicago, naissance de l'écologie urbaine**, 1ere édition. Champ urbain. Paris.

JAGLIN, Sylvy. (2005). **La fragmentation urbaine en question**. CNRS 1ere édition. Paris.

JACQUEMAIN, Marc. (2001). **LES CITES ET LES MONDES : LE MODELE DE LA JUSTIFICATION CHEZ BOLTANSKI ET Thévenot**. Université de liège Département de Sciences sociales . Belgique.

LAURENT, Cailly. (2004) . **Pratiques spatiales, identités sociales et processus d'individualisation. Etude sur la constitution des identités spatiales individuelles au sein des classes moyennes salariées du secteur public hospitalier dans une ville intermédiaire : l'exemple de Tours**. 1ere édition. Géographie. Université François Rabelais - Tours. France

KEVIN, Lynch. (1960). **The Image of The City**. Massachusetts Institute of Technology Cambridge, Massachusetts, and London, England.

LAROUI, Abd Allah. (1970). **L'histoire du Maghreb**. 1ere édition. Coll. Maspero, t2, Paris.

LEFEBVRE, Henri. (1974). **La production de l'espace**, Anthropos, Economica, 4ème édition, 2000.

LEFEBVRE, Henri. (2000). **Espace et politique**. 2 édition. Antropos , Paris.

LEFEBVRE, Henri. (1958) ***Critique de la vie quotidienne***. 1ere édition. L'Arche. Paris.

LEFEBVRE, Henri. (1968). **Le droit à la ville**. 1ere édition. Antropos. Paris.

LUSSAULT, Michel et Pierre, SIGNOLES. (1996). **La citadinité en questions**, 1ere édition. Tours.

MAUSS, Marcel. (1926). **MANUEL D'ETHNOGRAPHIE**. Éditions sociales, 1967 Paris.

NACIRI, Mohamed. (2017). **Désirs de ville.** 1ere édition. Économie critique. impression .el maarif al Jadida . Rabat.

NATASHA MACK, CYNTHIA WOODSONG, KATHLEEN M, MACQUEEN, GREG .(2005). GUEST, EMILY NAMEY **Qualitative Research Methods: A Data Collector's Field Guide,** by Family Health. North Carolina.

NICHOLAS, Clifford. (2010**). Key Methods in Geography**. Second Edition Shaun French and Gill Valentine. Editorial arrangement and Introduction. Nick Clifford. Shaun French and Gill Valentine. London.

). **Manuel de géographie urbaine**. 3e édition. Armand colin. 2009PAULET, Jean-Pierre. (Paris.

PENA, Orlando et SANGUIN, André-Louis. (1986). **Concepts et méthodes de la géographie**: 1ere édition. Guérin Éditeur, Montréal.

Paris. SANSOT, P. (1971). **Poétique de la ville**, 1ere édition. KLINCKSIECK.

TOURAINE, ALAIN. (1965). **SOCIOLOGIE DE L'ACTION**. Les Éditions du Seuil. Paris.

YAHYAOUI, Mostafa. (2016-2017**). De la justification social et politique des faits géographiques.** Rapport de synthèse des travaux de recherche pour l'obtention de l'habilitation universitaire, département de géographie. Mohammedia.

YVES, Raibaud. (2010). **Géographie socioculturelle**, 1ere édition. L'Harmattan. Paris.

WALZER, Michael. (1997). **Sphères de justice. Une défense du pluralisme et de l'égalité.** Éditions du Seuil, Paris

ZAGRE, Ambroise. (2013). **Méthodologie de la recherche en sciences sociale**. 1ere édition. L'harmattan. Paris.

- **مقالات ودراسات نظرية ومنهجية**

جعفر،عادل. (2012). "**إنتاج المجال: من التعمير الإجباري إلى التعمير التوافقي جودة المجال جودة الحياة**". مقال منشور في موقع tanmia.ma ، الرباط،(تاريخ الاطلاع 11\04\2018)

عواد، احمد الخوالدة. (2016). **"مراحل الانتقال الديموغرافي وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأردن"**، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3 العدد،43

, In: Revue de l'Occident "**Les classes sociales urbaines au Maroc**"ANDRE, Adam. (1970). musulman et de la Méditerranée, n°8, unica.

. in Revue de "**Les concepts de la géographie humaine**"BAILLY, Antoine S. (1998). Géographie Alpine .Paris.

" **Classes sociales et inégalités : stratification et mobilité**"). 2013BONNEWITZ, Patrice. (Collection : Thèmes & Débats Editeur : Bréal.

BENOIT, Feildel. Hélène, Bailleul. (2012). "**La structure de l'habiter : éléments de connaissances et perspectives pour les sciences du projet**". Polytech. Tours. Département Aménagement, Université F. Rabelais – Tours.

Interpréter les inégalités socio-spatiales à la lumière de la "BERNARD, R. (2009). . *Annales de géographie* (n° 665-666)."**John Rawls Théorie de la Justice de**

BOLTANSKI, Luc.(2004). "**Entretien avec Luc Boltanski, une sociologie toujours mise à l'épreuve**". in ethnographiques.org, entretien réalisé par Cécile Blondeau et Jean-Christophe Sevin, n₀5.

BOURDIEU, Pierre. (1984). "**Espace social et genèse des classes**". In: Actes de la recherche en sciences sociales. Vol. 52-53, juin. Le travail politique.

BIRNBAUM, Pierre et LECA, Jean. (1991). "**Sur l'individualisme Théories et méthodes, Les Presses de la Fondation nationale des sciences politiques**" Nouvelle édition, (2e édition) Paris.

BRIAN, Fay. (1987). "**Critical social science, liberation and its limits**" . Cornell University Press.

. "**Vers une théorie sociologique de la planification urbaine**"CASTELLS, Manuel. (1969). In: Sociologie du travail, 11e année n°4, Octobre-décembre. Politique urbaine.

Proximité spatiale et distance sociale, "CHAMBARDONS, JC et LEMAIRE, M. (1970). REV. Française de soc nu 3-33. "**Les grands ensembles et leur peuplemen**t

SEGREGATION SOCIALE ET REQUALIFICATION "CHOUIKI, Mustapha**.** .P.P 1-15 Texte inédit. . "**SPATIALE A CASABLANCA**

CHOUIKI, Mustapha. (2000). "**LA RECOMPOSITION URBAINE A CASABLANCA : DU QUARTIER A LA VILLE DANS LA VILLE** "Communication aux journées d'études sur la recomposition urbaine : Ségrégation et métissage culturel, Université Hassan II – Université Saint Denis, Casablanca.

DANIEL, Cefai. (2002). "**Une perspective pragmatiste sur l'enquête de terrain**" Éditions de l'EHESS. Collection « Raisons Pratiques », 22. Paris.

DENIS, Martouze. Serge, Thibault. Benoît, Feildel. Hélène, Bailleul. (2009). "**La construction de l'habiter à l'échelle de la vie diversité des figures identitaires de l'habitat et culture de l'habiter**", Revu Bayonne, Nu 22. France.

DI MEO, Guy. (2008)." **La géographie culturelle : quelle approche sociale** ?" in Annales de géographie, 2008/2 N° 660-661.

Objectivation et représentation des formations socio-spatiales, de "DI MEO, Guy. (1987). Revu annales de géographie, nu 573, Paris. **"l'acteur au territoire**

DI MEO, Guy. (2012). "**LES FEMMES ET LA VILLE. POUR UNE GÉOGRAPHIE SOCIALE DU GENRE**"Revu Annales de géographie /2 (n° 684) Paris.

Le rapport identité/espace. Eléments conceptuels et"DI MEO, Guy. (2008). . halshs. Paris."**épistémologiques**

DUFAUX, Frédéric. (2011). **"La justice spatiale et le droit à la ville : un entretien avec Edward SOJA**" les publications de l'Université Paris Ouest March. Paris.

DUFAUX, Frédéric. (2013). " **Justice spatiale et politiques territoriales**". **Presses universitaires de paris ouest.**

, université de Caen. Paris."**Recherche sur l'espace vécu**"FRÉMONT, Armand. (1974).

Sociétés et espaces vécus dans les bocages et les villes de "FRÉMONT, Armand. (1982). . In j DRESCH. Espaces vécus et civilisations. Paris.**"Basse-Normandie**

FRÉMONT, Armand. (1980). "**L'espace vécu et la notion de région**". In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, n°41-42. Analyse régionale. Réflexions critiques, concepts, techniques, études de cas.

GEORGE, P.(1971) "**Les Méthodes en Géographie**". Ed. Que sais je ? n° 1398, Revue de Géographie Alpine Année 1971 59-2 p. 257

GERVAIS-Lambony, Philippe. (2009) "**JUSTICE... SPATIALE**". Armand Colin, Annales de géographie» /1 n° 665-666.

. in Human Geography "**Critical Geography: An Introduction** "IRENA, LEISBET. (2018). at the University of Dundee, UK.

dans Les notions de citadinité et d'urbanité" ISABELLE, BERRY-CHIKHAOU. (2009). équipe Monde arabe Essai de clarification ."**Monde arabe l'analyse des villes du** .Méditerranée (EMAM) - CITERES Montpellier

LIPIETZ, Alain. (1999). "**Entretien avec GES**". in Revu Géographie. Économie. Société, vol. 1, no 1. Reims.

. In Revu "**Espace social et classes sociales chez Pierre Bourdieu**"Lenoir, Rémi. (2004). Sociétés & Représentations/1 n° 17. Sorbonne.

MESSAOUDI, Leila .(2003). "**Parler citadin, parler urbain. Quelles différences**?" Laboratoire Langage et société-URAC56 Université Ibn Tofail. Kenitra .

MITCHLL, D. (2003). " ***The Right to the City: Social Justice and the Fight for Public Space***" in Revu Guilford Press. New York.

NASSIMA, Dris. (2004). **"L'espace habité : Sens, usage, méthode**". In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, vol. 30, n°119-120,. Les nouvelles approches de l'espace dans les sciences de l'homme et de la société. Regards discplinés, regards croisés, transdisciplinarités. Reims

PURCELL, Mark. (2009). "**LE DROIT À LA VILLE ET LES MOUVEMENTS URBAINS CONTEMPORAIN**". Collège international de Philosophie | « Rue Descartes ». /1 n° 63.

PICHON, Matthieu. (2015). "**Espace vécu, perceptions, cartes mentales : l'émergence d'un intérêt pour les représentations symboliques dans la géographie française (1966-1985)**" Bulletin de l'association de géographes français. France.

Distance spatiale, distance sociale "PINCON –Charlot, Monique et Rendu, Paul. (1982). **aux équipements collectifs en Ile-de-France : des conditions de la pratique aux** . In: Revue française de sociologie, France."**pratiques**

, " **Mobilité du genre et géographie au Maroc** "RAJEB, S et YAYHAOUI, M. (2019). in Espace, Territoire et Société au Maroc : Mutations, dynamiques et enjeux, Coordination Mohammed Zhar, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia.

RICHARDS, David . Taoufik, AGOUMY. Taeib, BELGHAZI. Mohamed, Naciri. (1986). "**De la citadinité à la citoyenneté les problèmes de l'intégration urbaine** "Urabn Generations : post-colonial cities.

SERGE, Schmitz. (2015-2016) "**Géographie culturelle et politique**" Département de géographie de l'Université de Liège. Liège.

Minneapolis, MN: University of ."**Seeking Spatial Justice** " SOJA, Edward W. (2010). Press. Minnesota

SOJA, Edward W. (2009). "**La ville et la justice spatiale** ", Traduction de Sophie Didier et Frédéric Dufaux, spatial justice | n° 01 septembre,in revu jssj.

SYLVIE, Gauthier et Mylène, Robert. (2007). "**Montréal, Ma Ville, Mon Choix? LE SENTIMENT D'APPARTENANCE DES JEUNES MONTRÉALAIS** "in Revu Bibliothèques et Archives. Canada.

. in Agence Nationale de "**Espaces habités, espaces anticipés"THEBAULT,** Serge. (2008). la Recherche (ANR), Mars.

THEVENOT, Laurent. (1996). "**JUSTIFICATION ET COMPROMIS**" in Sperber. PUF. Paris.

Vincent, Kaufmann. (1999). "**MOBILITÉ ET VIE QUOTIDIENNE :SYNTHÈSE ET QUESTIONS DE RECHERCHE**" Institut de recherche sur l'environnement construit (IREC)Ecole polytechnique fédérale de Lausanne (EPFL).

VERDIER, Nicolas. (2006) "**L'échelle dans quelques sciences sociales**". In Submitted . Revue française de sociologie, France.

YAHYAOUI, Mostafa et al. (2020). " **Habiter dans/à la périphérie de la ville**", in : la marge entre discours géographiques et réalité de construction et reproduction des inégalités sociales, coordination Mohammed Aderghal et Ahmed Ait moussa , ANAGEM, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia p 121

in Revue française des "**Droit de la ville et droit dans la ville**"YVES, Jégouzo. (2001). Paris.,affaires sociales

- **بحوث وأطروحات جامعية**

ESCALLIER, Robert. (1978). **la population urbaine au Maroc, étude géographique**, thèse de doctorat, présenté devant l'université de Nice.

EPSTEIN, David. (2013). **La mobilité spatiale locale : l'influence de la mobilité quotidienne sur la mobilité résidentielle - L'exemple des résidants actifs luxembourgeois**, Géographie. Université de Strasbourg. France

APPROCHE DES CONDITIONS FONDAMENTALESDE HUGUES, Baudry. (2007**). L'HABITABILITE DES ESPACES. POUR UNECONTRIBUTION A LA GEOGRAPHIE COMMESCIENCE DE L'HABITER**. Géographie. Université François Rabelais - Tours. France

NEDELEC, Pascale. (2013). **Réflexions sur l'urbanité et la citadinité d'une aire urbaine américaine**, thèse pour l'obtention du doctorat de géographie, soutenue 13décembre, université de Lyon

habitants des).L'Etat face à l'inclusion socio-spatiale des2012(YAHYAOUI, Mostafa. Thèse de Doctorat, Université **sociales Essai sur les représentations bidonvilles :** Hassan II Mohammedia Casablanca Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Mohammedia

- **مراجع ومقالات وأطروحات حول مدينة الدار البيضاء وضواحيها**

أزهار، محمد. ايت موسى، احمد. ايت حمو، سعيد. (2008)، " **الضاحية بين هاجس التعمير والاقصاء واستراتيجيات التنمية المحلية والجهوية حالة ضاحية الدار البيضاء المحمدية** " ورد في: نحو استراتيجية لتخطيط التنمية المجالية في العالم العربي بأبعادها المحلية والقومية والعالمية، (تنسيق الاسعد محمد)، الجزء الأول، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، الرباط، ص 387

ايت موسى أحمد (2001 – 2002). **التحولات المجالية بمدينة المحمدية**. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب تخصص الجغرافيا. جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن امسيك.

ايت حمو سعيد(2006/2005). **تراتب المجال حول الدار البيضاء وانعكاسات تمدين احوازها على الفلاحة** اطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، جامعة الحسن الثاني المحمدية، كلية الآداب والعلوم الانسانية المحمدية.

امدافعي محمد(2002/2001) ، **التحولات المجالية ودور المؤسسات الجماعية في تدبير المجال: حالة ضاحية مدينة الدار البيضاء "**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا.

السنوسي، محمد معنى.(2017). **الدار البيضاء الإنسان،..والزمان..والمكان: تاريخ وتطور**. الطبعة الأولى. دار النشر المغربية: الدار البيضاء.

المعروفي، هاشم. (1987). **عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور**، الجزء الأول، الطبعة الأولى. الرباط.

المسعودي خالد، تالحوت سالم.(2019). **التوسع المجالي المستمر لضاحية الدار البيضاء ورهان التحكم في تعمير عاصمة متروبول جهوي**، مقال ضمن مؤلف جماعي" الجهوية المتقدمة والتنمية الترابية بالمغرب، تنسيق سعيد الصغير.

ابن زاهر، عبد السلام. (2013-2014). **دور التجهيزات العمومية بمدينة الدار البيضاء في الهيكلة المجالية والتأطير الاجتماعي، حالة تجهيزات التعليم العمومي الابتدائي والثانوي**. أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الحسن الثاني. الدار البيضاء.

إبن زاهر، عبد السلام. (2006). **إشكالية التجهيزات العمومية في تصاميم التهيئة الجماعية بالدار البيضاء حالة مقاطعة سيدي مومن مقاربة كرطوغرافية**. بحث نيل شهادة الماستر. كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق. الدار البيضاء.

بحار، نعيمة. (1987). **تطور التقسيم الإداري بالدار البيضاء**. كلية الآداب الدار البيضاء. مقال ضمن مجموعة أبحاث ودراسات حول الدار البيضاء. أعمال الندوة الثانية للدار البيضاء.

شويكي، المصطفى. (2006). **التعمير بالمغرب بين اجترار رواسب الماضي والتهرب من مشاكل الحاضر**. مقال منشور ضمن مؤلف "المدينة المغربية بين التخطيط والعشوائية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. فاس سايس.

شويكي، المصطفى.(2003). **تدبير المدن الكبرى حالة الدار البيضاء**، نص مداخلة لم ينشر، الملتقى الثالث للجغرافيين العرب حول المدن الكبرى في الوطن العربي.

شويكي، المصطفى. (1994). **إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء**. أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا. جامعة محمد الخامس. كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا. الرباط.

شويكي، المصطفى. (1996). **الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية**. كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق. الطبعة الأولى. الدار البيضاء.

شويكي المصطفى، (2004)،"**السكن غير اللائق المفاهيم والدلالات**"، ورد في: السكن غير اللائق بالدار البيضاء، منشورات الاتحاد الجغرافي المغربي، عين الشق، فرع الدار البيضاء.

نجيب تقي، (2012)، **جوانب من ذاكرة كريان سنطرال الحي المحمدي بالدار البيضاء في القرن العشرين**، نشر جمعية الدار البيضاء ذاكرة، الطبعة الأولى.

حاكمي رقية، (2006)، "**وسائل النقل غير المهيكل بالمجال الحضري للدار البيضاء**"، ورد في: النقل الحضري بالدار البيضاء، (تنسيق شويكي المصطفى)، منشورات الاتحاد الجغرافي المغربي، عين الشق، فرع الدار البيضاء .

حاكمي رقية، (2004)، "**السكن غير اللائق بالدار البيضاء مقاربة كمية مجالية**"، ورد في: السكن غير اللائق بالدار البيضاء، (تنسيق شويكي المصطفى) منشورات الاتحاد الجغرافي المغربي، عين الشق، فرع الدار البيضاء.

يحياوي، مصطفى. زهلي، صالح الدين. (2021) "**الممارسات المجالية والتنقلات اليومية وانعكاساتها على المجال المعاش بالدار البيضاء**" مقال ورد في : مجلة رؤية أكاديمية، دورية علمية ودولية محكمة، مركز آفاق للدراسات والتكوين المتخصص، العدد الأول، المجلد الأول، الجزائر العاصمة.

يحياوي، مصطفى. زهلي، صالح الدين. بصالح، لحسن. (2021) "**دراسة المجال الحضري باستعمال نظم المعلومات الجغرافية: حالة التدبير المجالي لمقاطعة مولاي رشيد بالدار البيضاء**" ورد في: توظيف نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد في الدراسات المجالية، تنسيق: زهير النامي، منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، برلين ألمانيا.

يحياوي، مصطفى. زهلي، صالح الدين. (2021) **"اللاعدالة المجالية والاجتماعية وانعكاساتها على المجال بالدار البيضاء: حالة مقاطعتي أنفا ومولاي رشيد"** مقال وارد في: مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 19 جوان 2021، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا.

يحياوي، مصطفى. زهلي، صالح الدين. (2021) "**المستقر في مدينة الدار البيضاء: حالة مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا"** مقال وارد في: مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 1، جوان 2021، ص ص87-105، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر.

Agouray, S., (2006), **« les moyens de transports à Casablanca »**, In le transport Section Casablanca- Ain Chok, (Coordination Chouiki Mustapha). Urbain à Casablanca, Pub. Union Géographique Marocaine.

Chouiki, M., (1992), **La représentation de L'espace urbain chez les habitants de Casablanca : pour une approche Sociale**, Espace, RGSS, n°1.

Chouiki, M., (2003), (Coordination**), L'Aménagement des Marges urbaines de Casablanca,** POL.AM, Faculté des lettres et des Sciences Humaines, Ain Chock, Univ. Hassan II, Euro Impression, Casablanca.

Chouiki, M., (2008), **« Quelle Cohabitation entre le rural et l'urbains dans les espaces Périubains d'une Métropole du Sud, Casablanca ?** » In la Vidal R (dir.) : la diversité de l'agricultures périurbaine dans le monde, Vol.3, des actes du colloque les agricultures périurbaines, un enjeu pour la ville, ENSP, Université de Nanterre.

Hakimi, R. , Laoudi, M., (2003), **« Habitat et accommodation Sociale dans l'ancienne périphérie Casablancaise, Cas de Hay Mohammadi et Sbata** », In l'aménagement des marges urbaines de Casablanca université Hassan II, Faculté des lettres Et des sciences Humaines, (coordination, Chouiki Mustapha).

LAOUDI, M., (2001), **Casablanca à travers ses petits entrepreneurs de la pauvreté : aperçu sur les micro- activités marchandes de rue dans une Métropole Maghrébine.** Pub. De la Faculté des lettres et des Sciences Humaines de Casablanca, 438p.

Casablanca Essai sur la transformation de la société . (1968). Adam,ANDRE **marocaine au contact de l'occident**, ED CNRS 2 VOL, PARIS.

ESCALLIER, Robert. (1980**). Espace urbain et flux migratoire : le cas de la métropole économique marocaine, Casablanca**. *Méditerranée,* troisième série, tome 38.

. Paris. La documentation française, 1ere édition.**Casablanca**. (1971). D,NOIN

. **Casablanca, l'urbanisme de l'urgence**.(2002) . Abderrahmane,RACHIK . Casablanca.Imprimerie NAJAH el Jadida

- **تقارير وتصاميم**

تصميم تهيئة مقاطعة أنفا 1989

تصميم تهيئة مقاطعة أنفا2014

تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 1989

تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 2012

Rapport justificatif des plans d'aménagement - PREFECTURE DE CASABLANCA – PLAN D'AMENAGEMENT DE L'ARRONDISSEMENT D'ANFA

Rapport justificatif SDAU 1984

Rapport justificatif SDAU 2010.

Guide Méthodologique d'intervention en matière d'habitat insalubre, Ministre de l'Aménagement du Territoire de l'urbanisme de l'Habitat et de l'Environnement, Secrétariat d'Etat à l'Habitat, Direction de l'Habitat Social et des Affaires Foncières,2002.

Rapport national Résorption des Bidonvilles : L'expérience Marocaine Conférence internationale « Sortir des bidonvilles : un défi mondial pour 2020» 2012.

Rapport national sur la politique de la population, 2002, HCP.

Rapport national sur la politique de la population, Haut-commissariat au Plan, 2002.

Rapport annuel du Conseil Economique, Social et Environnemental, 2013.

Rapport d'avancement et d'activité, Accompagnement Social, opération Madinat Errahma, Cellule ADS, 2008.

Rapport Semestriel des activités et des résultats, Accompagnement Social, Opération Madinat Errahma, Cellule ADS, Juillet - Décembre 2009.

Rapport Final, Périurbanisation, Ségrégation spatial et accès aux services publiques, CESAER, 2006, Paris.

USAID et Ministère délégué chargé de l'habitat et de l'urbanisme : Projet de Gouvernance Locale, Initiatives citoyennes et médiation sociale, Evaluation des approches et outils de formation en accompagnement social des projets de résorption de l'habitat insalubre, 2006.

لائحة الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
1	إستغلال المجال في مولاي رشيد حسب المخطط المديري 1984	80
2	نوع ملكية السكن بمقاطعة حي مولاي رشيد سنة 2014	87
3	نسبة الإنجاز الخاصة بتصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد.	96
4	مستوى التمدرس والأمية عند الفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة مولاي رشيد.	108
5	الأصول الجغرافية للمتمردين على المجال في مقاطعة مولاي رشيد .	109
6	تباين المجال المعاش الممثل حسب السن بمقاطعة مولاي رشيد	112
7	البنية السوسيومهنية والمجال المعاش الممثل بمقاطعة مولاي رشيد	113
8	الوضعية الاجتماعية للمتمردين على المجال بمقاطعة مولاي رشيد	115
9	**تفاوت مجالات إعادة الإنتاج بين سكن الملكية الخاصة وسكن الكراء بمقاطعة مولاي رشيد**	116
10	تراتبية عناصر توطين المجال المعاش حسب السن بمقاطعة مولاي رشيد	124
11	تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الجنس بمقاطعة مولاي رشيد	130
12	تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب البنية السوسيومهنية بمقاطعة مولاي رشيد	133
13	تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الحي السكنى بمقاطعة مولاي رشيد	135
14	نوع ملكية السكن بمقاطعة أنفا سنة 2014	158
15	نسبة الإنجاز الخاصة بتصميم تهيئة مقاطعة أنفا	172
16	مستوى التمدرس والأمية عند الفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا	181
17	الأصول الجغرافية للفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا .	182
18	تباين المجال المعاش الممثل حسب السن بمقاطعة أنفا	183
19	البنية السوسيومهنية للفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا	184
20	الوضعية الاجتماعية للفاعلين في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا	186
21	تفاوت مجالات إعادة الإنتاج بين سكن الملكية الخاصة وسكن الكراء بمقاطعة أنفا	188
22	تراتبية عناصر توطين المجال المعاش حسب السن بمقاطعة أنفا	194
23	تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الجنس بمقاطعة أنفا	202

24	تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب البنية السوسيومهنية بمقاطعة أنفا	203
25	تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الحي السكنى بمقاطعة أنفا.	205
26	وضعية قطاع الصحة بعمالة مقاطعات أنفا ومولاي رشيد	267

لائحة المبيانات

الرقم	العنوان	الصفحة
1	توزيع ساكنة مقاطعة مولاي رشيد حسب السن والجنس سنة 2014.	83
2	الوضعية العائلية لساكنة مولاي رشيد حسب الجنس سنة 2014.	84
3	معدل الأمية بمقاطعة مولاي رشيد حسب الجنس سنة 2014.	85
4	مستوى التمدرس لساكنة مقاطعة مولاي رشيد سنة 2014	86
5	نوعية السكن بمقاطعة مولاي رشيد سنة 2014	86
6	توزيع ساكنة مقاطعة أنفا حسب السن والجنس سنة 2014	153
7	الوضعية العائلية لمقاطعة أنفا حسب الجنس	154
8	معدل الأمية بمقاطعة أنفا سنة 2014	155
9	مستوى التمدرس بالنسبة لساكنة أنفا سنة 2014	156
10	نوعية السكن بمقاطعة أنفا سنة 2014	157
11	متوسط حجم الممارسات المجالية اليومية بمقاطعة مولاي رشيد (فئة الذكور)	237
12	متوسط حجم الممارسات المجالية اليومية بمقاطعة مولاي رشيد (فئة الإناث)	238
13	متوسط حجم الممارسات المجالية اليومية في مقاطعة أنفا (فئة الذكور)	241
14	متوسط حجم الممارسات المجالية اليومية: فئة الإناث (أنفا)	242
15	حجم استعمال وسائل التنقل اليومية عند الذكور: مقاطعة مولاي رشيد	245
16	حجم استعمال وسائل التنقل اليومية لدى الإناث: مولاي رشيد	246
17	**نسبة استعمال وسائل التنقل اليومية لدى الذكور(أنفا)**	247
18	حجم استعمال وسائل التنقل اليومية لدى الإناث بمقاطعة أنفا	248
19	متوسط المقياس المجالي للتنقلات الشهرية : مولاي رشيد	249
20	متوسط المقياس المجالي للتنقلات الشهرية : أنفا	250

لائحة الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
1	مقتطف من صورة جوية لتقاطع حي الفلاح مع حي المسيرة.	93
2	صورة جوية لمقاطعة مولاي رشيد سنة 2019	95
3	مجال معاش خاص برغبات بعض المبحوثين في مقاطعة مولاي رشيد	126
4	صورة جوية لجزء من أحياء مولاي رشيد 2،3،4، حي المسيرة	140
5	**نموذج لرغبات مجالية (إناث)**	140
6	**نموذج لرغبات مجالية (ذكور)**	141
7	**نموذج لرغبات مجالية 2 (إناث)**	141
8	توجهات تصميم تهيئة مقاطعة أنفا الخاصة بالمنطقة : SECTEUR D3 / D	162
9	توجهات تصميم تهيئة مقاطعة أنفا الخاصة بالمنطقة : SECTEUR D1s1 / D	162
10	**صورة جوية لجزء من حي بوركون وحي راسين**	168
11	**جزء من حي بوركون**	168
12	**صورة جوية لجزء من حي الفيلات**	168
13	**سكن صفيحي وسط الفيلات**	168
14	صورة جوية لمقاطعة أنفا سنة 2019	171
15	**نموذج امتداد المجال المعاش عند الذكور في مقاطعة مولاي رشيد**	240
16	**نموذج امتداد المجال المعاش عند الإناث في مقاطعة مولاي رشيد.**	240
17	**نموذج امتداد المجال المعاش عند الذكور-أنفا**	244
18	**نموذج امتداد المجال المعاش عند الإناث-أنفا**	244
19	**تحديد نوعية استعمال الأرض في جنوب مقاطعة أنفا**	274
20	تحديد نوعية استعمال الأرض في الجنوب الغربي لمولاي رشيد	274

لائحة الخرائط

الرقم	العنوان	الصفحة
1	الأصول الجغرافية لساكنة الدار البيضاء سنة 1971	48
2	مدينة الدار البيضاء حسب المخطط التوجيهي لسنة 2008 -2010	54
3	الكثافة السكانية وعدد السكان بمقاطعات مدينة الدار البيضاء سنة 2014	59
4	نسبة تطور سكان مقاطعات الدار البيضاء بين سنة 2004 و2014	60
5	معدل الخصوبة الكلي بمقاطعات مدينة الدار البيضاء سنتي 2004 و2014	62
6	البنية العمرية لساكنة مقاطعات مدينة الدار البيضاء سنة 2014	63
7	نسبة أمية السكان البالغين 10 سنوات فأكثر بمقاطعات الدار البيضاء سنة 2014	65
8	مستوى تمدرس ساكنة مقاطعات مدينة الدار البيضاء سنة 2014	66
9	الوضعية الاجتماعية لسكان مقاطعات مدينة الدار البيضاء سنة 2014	67
10	نسبة الفقر الشامل بمدينة الدار البيضاء سنة 2014	68
11	نوعية السكن بمدينة الدار البيضاء سنة 2014	69
12	تطور المجال المبني بمقاطعة مولاي رشيد.	79
13	تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد لسنة 1989.	81
14	مقاطعة مولاي رشيد حسب المخطط المديري التوجيهي للدار البيضاء الكبرى لسنة 2010	88
15	تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد لسنة 2012.	90
16	تركيبية تصميمي تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 1989-2012	91
17	استعمال المجال بمقاطعة مولاي رشيد سنة 2019 –المجال المدرك.	94
18	تموضعات نقطية للتمردات المجالية الذاتية في مقاطعة مولاي رشيد 2019-2020	99
19	المجال المعاش: مجال الرغبات الخاصة بالسكن في مقاطعة مولاي رشيد	125
20	المجال المعاش: مجال الرغبات الخاصة بالمجالات الخضراء في مقاطعة مولاي رشيد	127
21	المجال المعاش: مجال الرغبات الخاصة بمجالات الترفيه في مقاطعة مولاي رشيد	128
22	المجال المعاش العام: مجال الرغبات في مقاطعة مولاي رشيد	138
23	استعمال المجال في الأحياء المدروسة(مولاي رشيد 2،4، حي المسيرة)	142
24	المجال المعاش النفسي في الأحياء المدروسة(مولاي رشيد 2،4، حي المسيرة)	142
25	تطور المجال المبني في مقاطعة أنفا	151
26	مقاطعة أنفا حسب المخطط المديري 2010	160

27	تصميم تهيئة مقاطعة أنفا سنة 2014	164
28	تركيبية تصميمي تهيئة مقاطعة أنفا 1989-2014	166
29	استعمال المجال بمقاطعة أنفا سنة 2019- المجال المدرك	170
30	التموضعات النقطية للتمردات المجالية بمقاطعة أنفا 2019-2020	176
31	المجال المعاش : مجالات الترفيه المرغوب فيها بمقاطعة أنفا	196
32	المجال المعاش : المجالات الخضراء المرغوب فيها بمقاطعة أنفا	197
33	المجال المعاش : مجالات السكن المرغوب فيها بمقاطعة أنفا	198
34	الرغبات المجالية للسكان بمقاطعة أنفا	201
35	حجم ونوعية السكن بمقاطعة مولاي رشيد	263
36	حجم ونوعية السكن بمقاطعة أنفا	264
37	التفاوت السوسيومجالي في ميدان التطهير بالدار البيضاء	269
38	نصيب الفرد من المساحات الخضراء بمقاطعات مدينة الدار البيضاء 2014	271

لائحة الصور

الرقم	العنوان	الصفحة
1	مجالات مضافة للسكن وسط العمارات (إقامات الهدى، حي المسيرة 2)	100
2	تحويل مساحات خضراء للسكن (إقامات الهدى، المسيرة 2)	101
3	تحويل مجال مفتوح إلى مجال أخضر (مولاي رشيد 3)	101
4	تحويل ملكية خاصة إلى مجال أخضر.	102
5	تحويل مجال عام إلى ملكية خاصة لغرض السكن.	102
6	تحويل مجال عام إلى ملكية خاصة لغرض إضافة مجال أخضر	103
7	تحويل جنبات المنزل إلى مكان مخصص للعمل وتشويه الواجهة.	103
8	حجم الغرف المخصصة للسكن (مولاي رشيد 4)	110
9	محل لبيع الأثاث المستعمل	113
10	كشك لبيع الجرائد.	113
11	محل لإصلاح المفاتيح.	113
12	إعادة إنتاج مجال مخصص لركن السيارة	177
13	إعادة إنتاج محل للتجارة.	177
14	إعادة إنتاج مجال أخضر	177
15	إعادة إنتاج مجال للسكن	177

16	إعادة إنتاج مجال للسكن2	178
17	إعادة إنتاج مجال أخضر2	178
18	إعادة إنتاج مجالات للتجارة.	178
19	إعادة إنتاج مجال للسكن.	178

ملحق 1: تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 2012

ملحق 2: تصميم تهيئة مقاطعة أنفا 2012

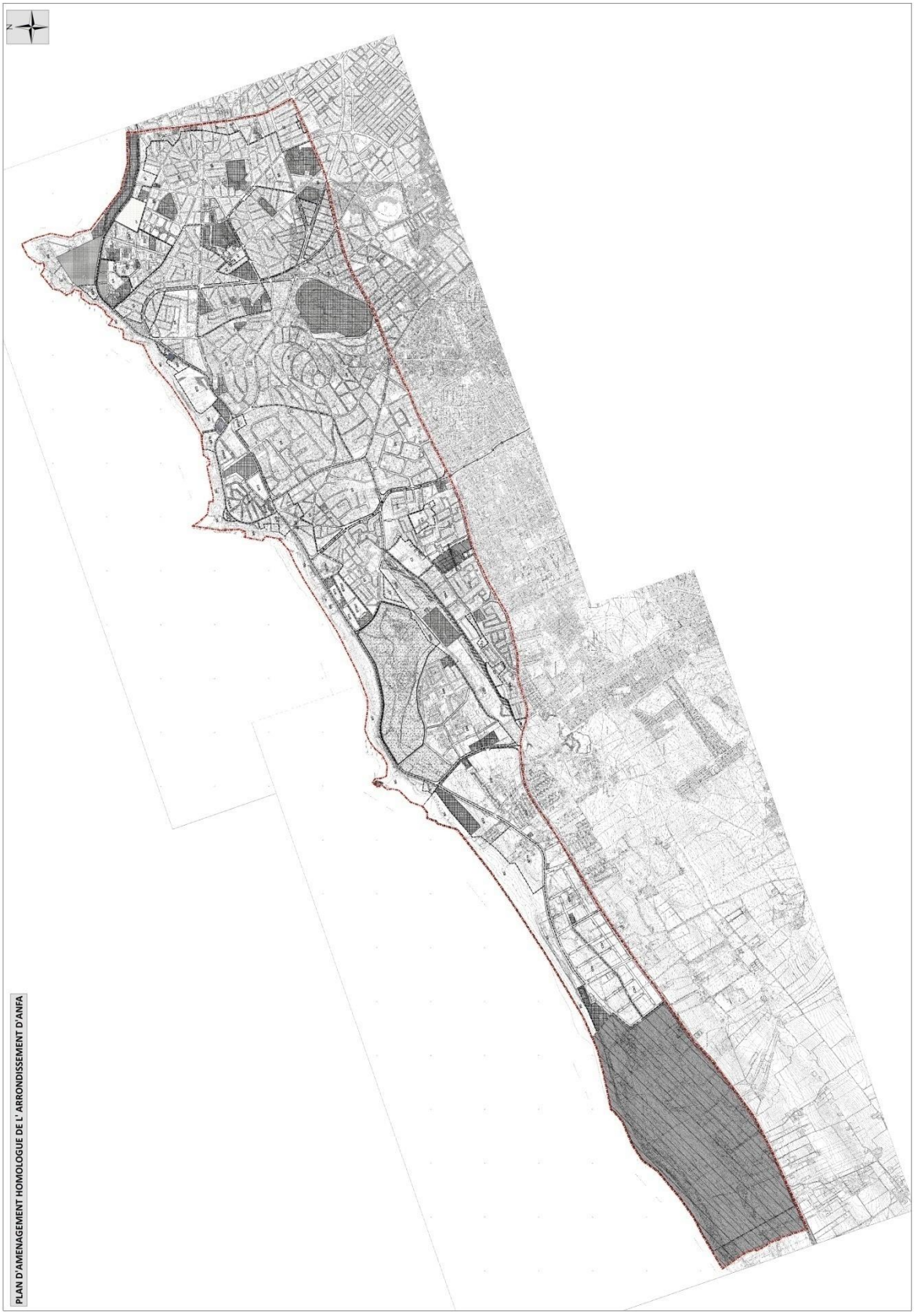

ملحق 3: التصميم التوجيهي للدار البيضاء الكبرى 2008-2010

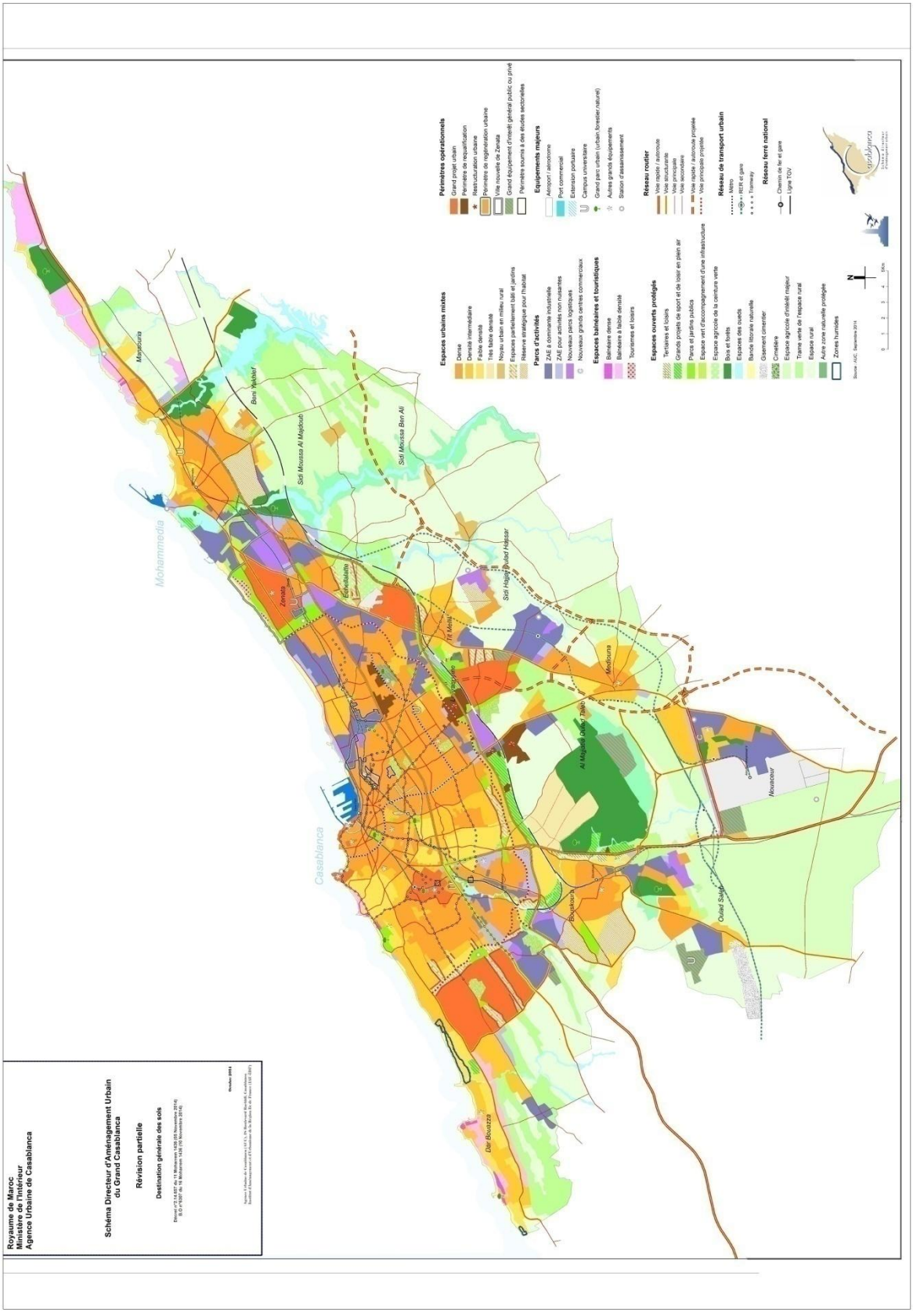

ملحق 4: دليل الملاحظات الإثنوغرافية والمقابلات الفردية الخاصة بالتمردات المجالية

العينة رقم .....
العمالة.....المقاطعة.....
تاريخ التحريات الميدانية.....التوقيت.....
الموقع أو العنوان.....

المتغيرات والسجلات les registres	المضامين
السن	.....
الجنس	.....
المهنة	.....
الحالة العائلية	.....
مستوى التمدرس والمستوى التعليمي	....
مؤشر الأمية	.....
الأصل الجغرافي	....
الانتماء الاجتماعي	....
تاريخ الاستقرار في المنطقة؟	....
في أي سنة قمتم بإعادة إنتاج هذا المجال (التمرد على المجال)؟	....
ما هي مختلف الظروف التي جعلتكم تعيدون إنتاج هذا المجال؟	....
كيف تمت عملية التمرد على المجال؟	....

	....
من هم مختلف المتدخلون في العملية؟	....
ما هي بعض الوسائل المستعملة في العملية ؟	....
أرقام الصور الخاصة بالمجال الذي تمت معاودة إنتاجه	....

ملحق 5: دليل الملاحظات الميدانية والمقابلات الفردية الخاصة بالتمثلات الاجتماعية والممارسات المجالية وأنماط العيش وأساليب الحياة

العينة رقم .....

-الاسم: .....الجنس.....

-العنوان: .....المقاطعة .....العمالة.....

تاريخ العمل الميداني.....التوقيت.....

الموقع أو العنوان.....

1: موضوع المسح الأول: التمثلات المجالية والاجتماعية

-التساؤل والبحث في طرق العيش

ملاحظات إثنوغرافية خاصة بالسكن وتمثلاته: .....

.....

.....

ملاحظات إثنوغرافية وتساؤلات خاصة بطبيعة العمل: .....

.....

....

ملاحظات في أسلوب الحياة والسلوك:.....

.....

.....

.....

ملاحظات إثنوغرافية وتساؤلات خاصة بالعلاقات الاجتماعية:

- كيف هي علاقاتكم مع الجيران؟.....

.....ما الفرق بين هذه العلاقات في الماضي والحاضر؟

.....

.....

التساؤل عن التغيير الحاصل في نمط الحياة بين الأمس واليوم؟

.....

.....

كيف تمت عملية إعادة الإسكان الخاصة بمشروع مولاي رشيد (سؤال خاص بالعينة في مولاي رشيد)؟

.....

.....

.....

كيف تنتظم حياتكم اجتماعيا ومجاليا (عمارة المكان)؟

.....

.....

.....

كيف تمت عملية الاستقرار في المجال؟

.....

.....

ملاحظات إثنوغرافية خاصة بطرق العيش التقليدية: .....

.....

.....

كيف تنظرون إلى حياتكم داخل مجال السكن (التصميم الداخلي للمنزل)؟

.....

.....

....

2: موضوع المسح الثاني: الوضع السكني (المسارات):

-البحث في مسار المجال (محور خاص بإعادة إسكان دور الصفيح بن امسيك في مولاي رشيد).

.....

.....

.....

هل أنتم راضون عن العملية؟ .....

.....

.....

هل تفضلون العودة إلى حياة السكن الصفيحي؟

.....

....

لو تم تفضيلكم ما هي المنطقة التي كنتم ستختارون الاستقرار فيها عوض مقاطعة مولاي رشيد؟

.....

....

-كيف تمت عملية الدخول والانخراط الزمني والتعلق بالحي؟

.....

.....

.....

-ما هي مختلف ارتباطاتكم بين السكن والحي والمدينة في ممارساتكم الفردية؟

.....

.....

.....

-ملاحظات إثنوغرافية حول انعكاسات التصميم الداخلي للمنزل على الجانب الاجتماعي للفرد.

.....

.....

.....

-ملاحظات إثنوغرافية حول مجالية الأفراد:

.....

.....

...

ملاحظات حول تقسيم الأدوار والعمل في المجال؟

.....

.....

-البحث في خصوصية الهوية الاجتماعية للفرد.

.....

.....

.....

-البحث في خصوصية الهوية المجالية للفرد والجماعة:

.....

.....

.....

.....

3: موضوع المسح: العيش الجسدي عوض العيش المعنوي والنفسي.

طرح تساؤلات حول:

- الشعور بالانتماء للحي وللمدينة: .....

.....

....

- الارتباط النفسي مع أحياء السكن: .....

.....

....

-هل تحسون بالأمان والأمن والحماية في حيكم؟

.....

.....

....

هل أنتم راضون عن بيئتكم؟

.....

....

-طرح تساؤلات حول الحياة السياسية والمشاركة في الأحزاب والجمعيات

هل أنتم منخرطون في حزب سياسي أو جمعية أو نقابة؟ وما أهدافكم من الانخراط؟

.....

.....

هل أنتم راضون عن العمل السياسي في مقاطعتكم؟

.....

....

4: موضوع المسح: مواجهة "العيش" في الحياة اليومية

-ملاحظات في أشكال العيش المرئية في الأحياء: .....

.....

.....

5: موضوع المسح: الحركية اليومية:

-البحث في صاحب الحركية والمساهمين في الحركية والتنقلات:

.....

.....

.....

-ما هي الوسيلة المستعملة في تنقلاتكم؟

.....

.....

ما هي بعض أسباب تنقلاتكم؟ .....

.....

ما هي أهم وجهاتكم اليومية والشهرية والسنوية؟

.....

....

طرح تساؤلات حول:

- استثمار المجال العمومي والترددات على الحياة العمومية والاجتماعية

.....

.....

معلومات أضافية

.....

.....

.....

.....

ملحق 6: المعطيات الإحصائية الخاصة بمدينة الدار البيضاء حسب إحصاء 2014

المقاطعات	مجموع عدد السكان	عدد السكان الذكور	عدد السكان الإناث	نسبة الأسر الملكة	عدد الأفراد في القرنة	السكن الصفيحي	سكن مغربي عصري	سكن العمارات	سكن الفيلات	نسبة الحضريين	نسبة المستقبلين	نسبة المستخدمين	معدل النشط	نسبة الترمل	نسبة الطلاق	نسبة الزواج	نسبة العزوبة	نسبة الأمية
سيدي البرنوصي	172893	85227	87666	59,12	1,39	11,19	66,01	17,62	4,24	76,44	0	2,94	51,33	4,01	2,01	42,18	51,8	16,88
ع الحمدي	138315	67595	70720	50,39	1,69	1,69	70,24	25,13	1,78	73,23	21,12	2,13	50,59	5,83	2,7	39,5	51,98	19,04
مقاطعة مولاي رشيد	245484	121675	123809	66,32	1,62	2,41	62,58	30,71	3,45	64,02	28,28	2,81	50,45	3,81	1,71	41,61	52,88	20,05
سيدي مومن	452863	224146	228717	77,68	1,57	15,54	22,18	59,05	2	71,91	22,01	2,68	50,29	3,1	1,54	43,36	52	18,27
سيدة	116255	57969	58286	58,29	1,53	5,03	51,13	38,9	2,52	65,16	26,65	3,64	49,55	4,25	1,85	41,26	52,64	18,1
انفا	94281	44614	49667	56,82	1,11	22,64	9,89	47,62	17,17	71,05	16,52	9,34	55,57	5,08	3,33	42,64	48,96	14,6
ع الشق	467880	232122	235758	65,52	1,31	6,7	39	47,69	5,57	71,68	21,58	3,66	54,43	3,54	2,07	43	51,4	16,5
سيدي بليوط	188736	93705	95031	32,66	1,42	2,67	47,31	45,86	2,02	73,33	19,91	3,91	55,92	6,26	3,68	39,64	51,98	16,29
عين السبع	163254	80479	82775	63,59	1,36	20,98	9,1	55,53	12,2	76,68	17,05	3,35	52,02	4,01	2,1	43,22	50,68	14,41
ن مسك	131785	65171	66614	53,91	1,65	2,67	89,62	5,2	1,81	66,42	27,35	2,67	50,88	5,5	2,35	39,24	52,91	20,48
سيدي عثمان	219610	65171	66614	71,32	1,67	10,16	79,23	7,47	2,29	62,94	30,52	2,25	49,87	4,55	2	40,29	53,16	21,94
عين الشق	376772	186336	190436	69,46	1,23	8,66	47,36	31,92	10,57	70,02	20,36	5,83	52,44	3,6	1,89	42,76	51,74	15,97
الفداء	158566	78942	79624	38,59	1,63	0,77	87,24	8,19	2,61	67,24	25,75	2,7	52,23	6,3	2,61	38,4	52,69	18,67
مرس السلطان	129076	63970	65106	40,8	1,52	0,6	68,62	26,32	2,97	67,78	24,94	3,59	53,46	6,65	3,28	38,11	51,95	18,16
الصخور السوداء	114970	56179	58791	60,85	1,22	4,77	20,55	69,5	2,91	78,04	14,15	4,8	52,06	4,03	2,21	43,74	50,02	11,06
المعاريف	170310	80533	89777	59,4	1,03	3,77	14,54	66,92	12,94	75,38	12,69	8,91	57,13	4,96	3,38	42,56	49,09	11,4
الحي	2592	1225	1367	29,71	1,14	0,47	63,79	10,19	23,51	69,71	18,17	2,87	49,63	9,03	3,78	36,15	51,04	14,07

الفهرس

تصميم البحث 5

مقدمة عامة 6

الجزء الأول: تطور الإنتاج العمراني والخصائص الاجتماعية والديمغرافية بالدار البيضاء 26

مقدمة الجزء الأول 27

الفصل الأول : في تأريخ الإنتاج العمراني والتخطيط الحضري لمدينة الدار البيضاء 28

مقدمة الفصل الأول 29

1: في تأريخ المدينة قبيل فرض الحماية على المغرب 29

2: الإنتاج العمراني للمدينة خلال الحماية: المخططات والتصاميم 31

2-1: هنري بروست والإنتاج الدائري للمدينة 31

2 – 2 : ميشيل إكوشار والإنتاج الخطي لمدينة الدار البيضاء 33

3: إنتاج المدينة بعد الحماية: الهيكلة المجالية والإدارية 35

3-1: الإنتاج العمراني للدار البيضاء في ظل التصميم التوجيهي بانسو 1984 36

3-2: في تأريخ الهياكل الإدارية المنتجة للمدينة 37

خاتمة الفصل الأول 40

الفصل الثاني: الخصائص المجالية والاجتماعية للدار البيضاء 41

مقدمة الفصل الثاني 42

1: الإنتاج العمراني لمدينة الدار البيضاء في ظل المخطط التوجيهي 2008-2010 42

2:المؤشرات الديموغرافية والاجتماعية لمدينة الدار البيضاء في ظل إحصاء 2014 46

2-1: مؤشر تطور السكان والكثافة السكانية بالدار البيضاء 46

2-2:البنية العمرية لساكنة مدينة الدار البيضاء 50

2-3: مؤشر الأمية بمقاطعات مدينة الدار البيضاء 51

2-4: مؤشر المستوى التعليمي لساكنة مدينة الدار البيضاء 52

2-5: مؤشر الوضعية العائلية لمقاطعات مدينة الدار البيضاء 53

2-6: مؤشر الفقر بمقاطعات المدينة وعلاقتها بالمجال المعاش 54

2-7: نوعية السكن بمقاطعات المدينة 55
خاتمة الفصل الثاني 57
خاتمة الجزء الأول 58
الجزء الثاني: دينامية المجال المخطط والمجال المعاش بمقاطعتي مولاي رشيد وأنفا من خلال نظرية المجال المعاش عند أرمون فريمون 59
مقدمة الجزء الثاني 60
الفصل الثالث: ثلاثية المجال بمقاطعة مولاي رشيد: مقاربة المجال المخطط والمجال المدرك والمجال المعاش 62
مقدمة الفصل الثالث 63
1: السياق التاريخي لنشأة مقاطعة مولاي رشيد 64
2: البنية الديمغرافية والاجتماعية لمقاطعة مولاي رشيد وعلاقتها بالمجال المعاش 67
2-1: بنية السكان حسب المراحل العمرية والجنس بمقاطعة مولاي رشيد 67
2-2: الوضعية العائلية حسب الجنس بمقاطعة مولاي رشيد 68
2-3: معدل الأمية ومستوى التمدرس بمقاطعة مولاي رشيد 69
2-4: نوعية السكن بمقاطعة مولاي رشيد سنة 2014 71
3: مظاهر تعقد المجال المخطط بمقاطعة مولاي رشيد 71
4: المجال المدرك واستعمال المجال بمقاطعة مولاي رشيد 76
5: المجال المعاش الممثل: معاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي بمقاطعة مولاي رشيد 81
5-1: قياس مستوى التمدرس والأمية وارتباطهما بالمجال المعاش الممثل 89
5-2: الأصل الجغرافي والاختيارات المجالية الممثلة 91
5-3: المجال المعاش الممثل وعلاقته بالسن والبنية السوسيومهنية 93
5-4: الحالة الاجتماعية واختيارات المجال المعاش الممثل 95
5-5: نوع ملكية السكن وعلاقتها بإعادة إنتاج المجال بمقاطعة مولاي رشيد 97
5-6: دور الدولة والمبادرة الحرة والرأسمال الخاص في معاودة إنتاج المجال بمقاطعة مولاي رشيد 98
6: المجال المعاش النفسي :مجال الرغبات المجالية بمقاطعة مولاي رشيد 101
6-1: عوامل تباين المجال المعاش النفسي على المستوى العام: الماكرو 103
6-1-1: علاقة تراتبية عناصر توطين المجال المعاش بمتغير السن بمقاطعة مولاي رشيد. 103
6-1-2: تأثير تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي بمتغير الجنس بمقاطعة مولاي رشيد 108

6-1-3: ارتباط تراتبية عناصر توطين المجال المعاش حسب البنية السوسيومهنية بمقاطعة مولاي رشيد 110
6-1-4: تبعية تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الحي السكنى بمقاطعة مولاي رشيد 112
6-2: تباين المجال المعاش النفسي على مستوى الميكرو بمقاطعة مولاي رشيد..... 116
خاتمة الفصل الثالث 121
الفصل الرابع: ثلاثية المجال بمقاطعة أنفا: مقاربة المجال المخطط، المجال المدرك والمجال المعاش 123
مقدمة الفصل الرابع 124
1: مقتطفات من تاريخ نشأة أنفا 125
2: البنية الديمغرافية والاجتماعية وعلاقتها بالمجال المعاش في مقاطعة أنفا 127
2-1: بنية السكان حسب المراحل العمرية والجنس بمقاطعة أنفا 128
2-2: متغير الوضعية العائلية le statut matrimonial حسب الجنس بمقاطعة أنفا..... 129
2-3: معدل الأمية ومستوى التمدرس بمقاطعة أنفا 130
2-4: نوعية السكن بمقاطعة أنفا 132
2-5: نوع ملكية السكن في مقاطعة أنفا 132
3: تباين المجال المخطط لمقاطعة أنفا: تصاميم التهيئة 133
4: المجال المدرك واستعمال المجال بمقاطعة أنفا 142
5: علاقة المجال المعاش الممثل بالمتغيرات الاجتماعية بمقاطعة أنفا 148
5-1: ارتباط مستوى التمدرس والأمية بالمجال المعاش الممثل بمقاطعة أنفا 153
5-2: الأصل الجغرافي وإعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا 154
5-3: المجال المعاش الممثل وعلاقته بالسن والبنية السوسيومهنية بمقاطعة أنفا 155
5-4: الوضعية الاجتماعية واختيارات المجال المعاش الممثل بمقاطعة أنفا..... 157
5-5: علاقة نوع ملكية السكن بإعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا..... 158
5-6: مساهمة واضع التخطيط والمبادرة الحرة والرأسمال في إعادة إنتاج المجال بمقاطعة أنفا 159
6: عوامل تباين المجال المعاش النفسي في مقاطعة أنفا 162
6-1: تباين المجال المعاش النفسي بمقاطعة أنفا..... 162
6-1-1: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب السن بمقاطعة أنفا 163
6-1-2: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الجنس بمقاطعة أنفا..... 170
6-1-3: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش حسب البنية السوسيومهنية بمقاطعة أنفا..... 171

4-1-6: تراتبية عناصر توطين المجال المعاش النفسي حسب الحي السكنى بمقاطعة أنفا 172
خاتمة الفصل الرابع 175
خاتمة الجزء الثاني 176
الجزء الثالث: المقاربة الكيفية لدينامية التمثلات المجالية والاجتماعية وتفاعلاتها مع المجال المعاش 178
مقدمة الجزء الثالث 179
الفصل الخامس: التمثلات المجالية والاجتماعية: مقاربة في المستقر والممارسات المجالية 181
مقدمة الفصل الخامس 182
1: مؤشر تباين تمثلات الساكنة لعمارة المجال: المستقر 183
2: الهابيتوس habitus عند ساكنة مولاي رشيد وأنفا: مقاربة في أسلوب الحياة 188
3: التنظيم الاجتماعي المجالي للمستقر 193
4: مؤشر تباين الحياة الحضرية 195
5: انعكاسات الممارسات المجالية والتنقلات اليومية على المجال المعاش 199
5-1: تباين الممارسات المجالية اليومية ونوعيتها 200
5-2: نوعية وسائل الممارسات المجالية اليومية 206
5-3: المقياس المجالي للتنقلات الشهرية 209
5-4: دور الممارسات المجالية الفردية في تكوين الهويات الاجتماعية 211
خاتمة الفصل الخامس 214
الفصل السادس: انعكاسات مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية والحق في المدينة على المجال المعاش 215
مقدمة الفصل السادس 216
1: انعكاسات تعدد مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية على المجال المعاش 217
1-1: الجذور التاريخية للاعدالة المجالية والاجتماعية بمدينة الدار البيضاء 218
1-2: مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية 220
1-2-1: السكن كمؤشر للاعدالة المجالية والاجتماعية 221
1-2-2: التباينات المجالية في قطاع الصحة 223
1-2-3: اللاعدالة المجالية والاجتماعية في ميدان التطهير والمساحات الخضراء 225
1-3: دور التخطيط والسياسة الحضرية في ترسيخ اللاعدالة المجالية والاجتماعية 228
2: انعكاسات المجال المعاش على تباين الحق والانتماء إلى المدينة 231

2-1: الحق في المدينة: تباين الخصوصيات والمظاهر المحلية 232
2-1-1: تباين الحق في الوصول إلى مركز المدينة 232
2-1-2: تباين الولوجية إلى المرفق العمومي 234
2-1-3: الحق في تشكيل وتصميم المدينة 234
2-2: الرغبة في المدينة: تباين الانتماء والاندماج في العيش المديني 236
2-2-1 المجال المعاش كآلية للشعور بالانتماء للمدينة 236
2-2-2: من الاندماج الحضري والتمدنية إلى المواطنة 239
خاتمة الفصل السادس 241
خاتمة الجزء الثالث 243
خاتمة عامة 245
المراجع المعتمدة 248
لائحة الجداول 261
لائحة المبيانات 262
لائحة الأشكال 263
لائحة الخرائط 264
لائحة الصور 265
ملحق 1: تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد 2012 267
ملحق 2: تصميم تهيئة مقاطعة أنفا 2012 268
ملحق 3: التصميم التوجيهي للدار البيضاء الكبرى 2008-2010 269
ملحق 4: دليل الملاحظات الإثنوغرافية والمقابلات الفردية الخاصة بالتمردات المجالية 270
ملحق 5: دليل الملاحظات الميدانية والمقابلات الفردية الخاصة بالتمثلات الاجتماعية والممارسات المجالية وأنماط العيش وأساليب الحياة 271
ملحق 6: المعطيات الإحصائية الخاصة بمدينة الدار البيضاء حسب إحصاء 2014 276
الفهرس 277

الـنـــــــــــاشـــــــر:

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا / برلين

Democratic Arab Center

For Strategic, Political & Economic Studies

Berlin / Germany

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه
في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.
جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved

No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher.

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين

Tel: 0049-code Germany

030-54884375

030-91499898

030-86450098

الإلكتروني البريد

book@democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

الكتاب : المجال الحضري بالدار البيضاء بين الإنتاج العمراني ومعاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي:

تأليف : **د. صالح الدين زهلي**

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

مدير النشر: د. أحمد بوهكو

إشراف وتنسيق: د. تمار ربيعة، المركز الديمقراطي العربي برلين – ألمانيا

مساعد مدير النشر: د. حنان طرشان جامعة باتنة 1،الجزائر

رقم تسجيل الكتاب: رقم تسجيل الكتاب: VR.3383-6650 B

الطبعة الأولى

يونيو حزيران / 2022 م

الـنـــــــــــاشـــــــر:

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا / برلين

Democratic Arab Center

For Strategic, Political & Economic Studies

Berlin / Germany

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه
في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.
جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved
No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher.

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين

Tel: 0049-code Germany

030-54884375

030-91499898

030-86450098

الإلكتروني البريد

book@democraticac.de